موسوعة
بطل العلقمي

العباس الأكبر ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام

إن لعمي العباس درجة يغبطه بها جميع الشهداء

الإمام زين العابدين عليه السلام

تأليف

سماحة آية الله المحقق الكبير

الشيخ عبد الواحد المظفر (قدس سره)

الجزء الثالث

مؤسسة الشيخ المظفر الثقافية
العراق ـ النجف الأشرف

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت ـ لبنان

المكتبة الألكترونية الشاملة
لرفع ونشر الكتبpdf
(الأدارة: يوسف الرميض)

موسوعة بطل العلقمي

العباس الأكبر ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام

إن لعمي العباس درجة يغبطه بها جميع الشهداء

الإمام زين العابدين عليه السلام

يتضمن هذا الجزء: وظائف العباس الأكبر الأربعة عند الحسين «عليهما السلام» ومنزلته عنده ومقتله ومشهده والمعجزة والفرق بينها وبين الاختراع وأمثال ذلك مما لا غنى للقارىء عنه...

تأليف
سماحة آية الله المحقق الكبير
الشيخ عبد الواحد المظفر (قدّس سرّه)

الجزء الثالث

موسسة الشيخ المظفر الثقافية
العراق ـ النجف الأشرف

موسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت ـ لبنان

المكتبة الألكترونية الشاملة
لرفع ونشر الكتبpdf
(الأدارة: يوسف الرميض)

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

جميع حقوق الطبع محفوظة لمؤسسة المظفر الثقافية في النجف الأشرف ويحظر طبع أو نسخ أو إعادة صف حروف هذا الكتاب إلا بإذن وموافقة خطية مسبقة من الناشر.

عنوان الناشر: العراق - النجف الأشرف - مؤسسة الشيخ المظفر الثقافية
ثريا (٠٠٨٨٢١٦٢١٦٦٨٤٨) / نقال (٠٧٨٠١٢٨٦٢٩٨) (٠٧٨٠١١٢٠٣٩٩)
(٠٧٧٠٦٨٢٢١٢٥) (٠٧٨٠٨٩٣٨١٦٢)
الموقع على الانترنت:
E-mail: Al-Mudhafar@hotmail.com

طبع على مطابع

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - طريق المطار - قرب ستر زعرور
هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١
صندوق بريد:٧١٢٠

Published by Aalami Est.
Beirut Airport Road
Tel:01/450426 Fax:01/450427
P.O.Box.7120

E-mail:alaalami@yahoo.com
http://www.alaalami.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة المؤلف

هذا الجزء الثالث من كتاب بطل العلقمي حياة العباس الأكبر ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهما السلام» وهنا ندخل خطط الحرب في كربلاء ونتعرف الأنظمة الحربية قديماً وحديثاً، ونعرف ما للعباس «عليه السلام» من منزلة رفيعة ومحل سامي عند أخيه الحسين «عليه السلام» ومراتبه التي له عنده وهي من المراتب الراقية في عصور الحضارة والتمدن الحديث، ونرى مشاهد قتاله في كربلاء ونقرأ تأبين العظماء للعظماء، وتأبين الإخوه للإخوة، ونمثل كراماته الباهرة، ونفرق بين الكرامة والمعجزة وبين المعجزة والسحر والاختراع، ونزور مشاهد رأس الحسين «عليه السلام» ومزاراته المشهورة تأريخياً والمعروف منها إلى اليوم في المدن الإسلامية ومزارات رأس أبي الفضل العباس «عليه السلام» وعددها، ومزارات بعض أعضائه الطاهرة كما هي معروفة إلى اليوم.

ونعرف أين هي كربلاء القديمة وأين الغاضرية ونينوى وأمثالهما من البقاع المذكورة في التاريخ عند ذكر فاجعة الطف العظمى، ثم نتلو أناشيداً من تأبين العباس الأكبر «عليه السلام» ومراثيه ونعرِّف القارئ بأسماء بنيه وعددهم وأحفاده وأنسابهم، ونذكر المشاهير منهم على سبيل الإيجاز ليدرس القراء في هذا الجزء دروساً من التاريخ والنسب، ويقرأ فصولاً من الجغرافيا والفلسفة والأدب، ونسأل الله المعونة ونطلب منه التوفيق والتسديد بمنه ونتوسل إليه بشرف الحسين وجده وأبيه وأمه وإخوته وبنيه أن يرحمنا في الدنيا والآخرة إنه حميد مجيد آمين.

المؤلف

عبد الواحد بن الشيخ أحمد مظفر النجفي

قصيدة للمؤلف

بدم الشهادة لا بحبر خط في ... غرر المعالي للتحرر أسطرا
عباس نهضته الوحيدة منهج ... للناهضين ومن يروم تحررا
قد باع أغلى ما لديه على العلا ... هي نفسه وبها المفاخر قد شرى
هو مصلح من مصلحين ومرشد ... من مرشدين وفيهموا صلح الورى
والدين دين العدل حقاً دينهم ... والحق مثل الصبح لما أسفرا
دين الهداية لا الغواية دينهم ... ما كان هذا الدين ديناً مفترى
ضربوا خراطيم الغواة وأرجعوا ... ما زاغ للإسلام فأعتدل السرى
لكن أُمية لم يرقها كسرهم ... هبلاً ولا آساف في أُم القرى
كتمت نواياها لحقن دمائها ... وجميع من رام النفاق تسترا
خافوا سيوف محمد ووصيه ... إذ كن يمطرن النجيح الأحمرا
أخفوا تحرقهم حذاراً إذ رأوا ... هبلاً كآنية الزجاج مكسرا
حتى إذا أمتلكوا الخلافة عنوة ... ونزوا على الأعواد أبدوا المنكرا
فتكشفت أستارهم مذ أعلنت ... أسرارهم بغض النبي مكبرا
وأعانهم من لم يشايع أحمدا ... إلا رياء أو نفاق أو مرا
حتى يقول الساخطون لدينه ... لا كان وحي ذاك قول مفترى
فتجمعوا وتحزبوا وتعاقدوا ... أن لا يلي أمر الخلافة حيدرا
لم يكفهم غصب الوصي حقوقه ... وله الخلافة بالنصوص بلا مرا
حتى رموا قلب الزكي بشربة ... للسُم ذاب بها الحشا فتفسرا
ثم أستجاشوا للحسين بكربلا ... ملىء الفضا جنداً عليه وعسكرا
ذادوه من ماء الفرات ووردة ... مهر أُمه عند يذاد تجبرا
قتلوه عطشاناً وأجروا خيلهم ... عدواً عليه وغادروه بالعرا

بسم الله الرحمن الرحيم

منزلة أبي الفضل العباس عند أخيه الحسين «عليهما السلام»

هي منزلة عظيمة جداً فإن للمنزلة حيثيات واعتبارات توجب ارتفاعها وتقتضي عظمتها: منها الأخوة والصحبة وهي أدناها، ومنها الفضل أو كمالات الشخص ومحاسن أخلاقه، ومنها الطاعة وغير ذلك.

فمن حيث الأُخوة والخدمة والإخلاص والمحبة وكمال الأدب فقد عرفت ذلك من الجزء الثاني وكذلك قد مضى ذكر خصاله الحميدة وسجاياه الفاضلة مما يوجب مزيد الرغبة في المتصف بها وتؤكد له القبول عند العظماء وذوي الشأنية والمقدرة من الأقرباء فأكدت هذه الشمائل والأوصاف الممتازة في نفس سيد الشهداء الحسين «عليه السلام» محبة أخيه العباس الأكبر «عليه السلام» وأوجبت تقديمه على من سواه من الأصفياء والمخلصين وسائر الأحباء المتهالكين في محبته بالتفادي العظيم والتضحية الكريمة فضلاً عن بقية الأشقاء الكرام.

فإذا انضمت هذه الفضائل المكتسبة إلى سجاياه المبرزة في جبلته وطبعه كالإباء والفروسية والسخاء والمقتبسة له من الهداة البررة أهل العصمة نحو العلم والبصيرة والتقوى والمروة والوفاء والصلاح والعفة وغير ذلك تجزم من غير شك ولا ارتياب أن للعباس عند أخيه الحسين السبط «عليهما السلام» مكانة مكينة ومرتبة سامية ومحل رفيع؛ لأن الفضل يعرفه ذو الفضل فتعرف أن اختصاصه به أعظم إختصاص لا من ناحية الإخاء فقط بل من وجهة الفضائل، ولم يزل سير العقلاء ورأي حلماء العرب تفضيل مثل هذا الأخ على من سواه وتقديمه على غيره حسبما اتجهت به وجهه الفضائل الجمة والسجايا الفذة الغزيرة.

وكم تجد في تاريخ العرب ممن فقد أخاً كريماً وشقيقاً ماجداً فدام أليف الحسرة واللوعة لمضاضة فقد ذلك العزيز المبجل مصاحباً البكاء والنياحة، أليف اللهفة والحرقة لافتقاد ذاك الراحل المقدر، وقصة أبي المغوار ومالك بن مر سجلها التاريخ.

وأبو المغوار بن سعد بن عمرو بن عقبة أو علقمه بن عوف بن وداعة الغنوي أحد بني سالم من عبيد بن سعد بن كعب بن حلان، وأسم أبي المغوار هرم أو شبيب ـ على ما ذكره السيوطي في المزهر ـ وكان لصاً فاتكاً وبطلاً فارساً جريئاً مقداماً، وجواداً متلافاً، ولما أُصيب رثاه أخوه كعب ويقال ابن عمه سهم والمشهور أنها لأخيه كعب، وقد رثاه بمراثي متعددة من أجّل مراثي العرب ومنها البائية المشهورة ذكر منها المرزباني أبياتاً قليلة وذكر أكثرها ابن عبد ربه في العقد الفريد وهي قوله:

قالت أمامة ما لجسمك شاحباً ... كأنك يحميك الطعام طبيب
فقلت نحول من خطوب تتابعت ... علي كبار والزمان مريب
لعمري لئن كانت أصابت منية ... أخي فالمنايا للرجال شعوب
فإني لباكيه وإني لصادق ... عليه وبعض القائلين كذوب
أخي ما أخي لا فاحش عند بيته ... ولا وزاع عند اللقاء هيوب
أخ كان يكفيني وكان يعينني ... على نائبات الدهر حين تنوب
هو العسل الماذي لينا وشيمة ... وليث إذا لاقى الرجال قطوب
هوت أُمه ما يبعث الصبح غازياً ... وماذا يؤدي الليل حين يؤب
كعالية الرمح الرديني لم يكن ... إذا أبتدر الخير الرجال يخيب
وداع دعايا من يجيب إلى الندا ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فقلت أدع لخري وأرفع الصوت ثانياً ... لعل أبا المغوار منك قريب
يجبك كما قد كان يفعل إنه ... بأمثالها رحب الذراع أريب
وحدثتماني إنما الموت في القرى ... فكيف وهاذي هضبة وكثيب
فلو كانت الموتى تباع اشتريته ... بما لم تكن عنه النفوس تطيب
بعيني أو يمنا يديّ وخلّتي ... أنا الغانم الجذلان حين يؤوب
لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى ... على يومه خلق إلي حبيب
أتى دون حلو العيش حتى أمرة ... قطوب على آثارهن نكوب
فوالله لا أنساه ما ذر شارق ... وما أهتز في فرع الأراك قضيب
فإن تكن الأيام أحسّن مرة ... إلي فقد عادت لهن ذنوب

ورثاه أيضاً بقوله:

يمين أمرء آلى وليس بكاذب ... وما في يمين بثها صادق وزر
لئن كان أمسى ابن المغوار ثاوياً ... بربد لنعم المرء غيبة القبر
هو المرء للمعروف والدين والندا ... ومسعر حرب لا كهام ولا غمر
أنام ونادى أهله فتحملوا ... وصرحت الأسباب واختلف النجر
فأي فتى غادرتموا في بيوتكم ... إذا هي أمست لون آفاقها حمر
إذا الشول أمست وهي حدب ظهورها ... عجافاً ولم يسمع لفحل لها هدر
كثير رماد القدر يغشي إنائه ... إذا نودي الأيسار واحتضر الجزر
فتى كان يغلي اللحم نيئاً ولحمه ... رخيص بكفيه إذا نزل القدر

منها:

إذا القوم أسروا ليلهم ثم أصبحوا ... غداً وهو ما فيه سقاط ولا فتر
وإن خشعت أبصارهم وتضائلت ... من الأين جلا مثلما ينظر الصقر
وإن جارة حلت وبانت وفى بها ... فبانت ولم يهتك لجارته ستر
عفيف عن السوآت ما التبست به ... صليب فما يلفى بعود له كسر
سلكت سبيل العالمين فما لهم ... وراء الذي لا قيت معدى ولا قصر
وكل امرىء يوماً مُلاق حمامه ... وإن بانت الدعوى وطال به العمر

وأما مالك بن مر وابن حري على المشهور الحنظلي التميمي فقد استشهد بصفين مع مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، أما نصر بن مزاحم فقال ابن مر، ونصه[1]: عن أبي الصلت بن خارجة: إن تميماً لما ذهبت تنهزم ناداهم مالك بن مر النهشلي: ضاع الضراب اليوم والذي أنا له وسائر القوم عبد يا بني تميم، فقالوا: ألا ترى الناس قد انهزموا؟! فقال لهم: أفراراً واعتذاراً؟ قالت له بنوا تميم: أفتنادي بنداء الجاهلية، إن هذا لا يحل قال: فالفرار ويحكم أقبح، إن لم تقاتلوا على الدين واليقين فقاتلوا على الأحساب، ثم أقبل يقاتل وهو يقول:

إن تميماً أخلفت عنك ابن مر ... وقد أراهم وهم الحي الصبر
فإن تخيموا أو تفروا لا أفر

(١) وقعة صفين: ١٣٥.

واتفق العسقلاني مع ابن قتيبة على أنه ابن حري[١] ذكره في الإصابة في موضعين[٢] في ترجمته وفي أخيه نهشل، وهذا لفظه: نهشل ابن حري بن ضمر ابن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم، قال المرزباني: شامي شريف مشهور مخضرم، بقي إلى أيام معاوية وكان مع علي «عليه السلام» في حروبه وقُتل أخوه مالك بصفين وهو يومئذ رئيس بني حنظلة وكانت رايتهم معه، ورثاه نهشل بمراثي كثيرة منها قوله من قصيدة:

وهون وجدي عن خليلي أنني إذا شئت لاقيت امرءاً مات صاحبه
ومن يرى بالأقوام يوماً يرى به عيرة يوم لا توارى كواكبه

قال: وأبوه شاعر شريف، وجده ضمرة سيد ضخم الشرف، وجد جده ضمرة شاعر شريف فارس وكان من خير بيوت بني دارم، إنتهى.

وسقط من كتابه ضمرة الثاني وهو ضمرة بن ضمرة فأثبته فإنه في ترجمة مالك مذكور: ضمرة بن ضمرة، وكذلك ابن قتيبة في الشعر والشعراء[٣] أسقط ضمرة الثاني، وكلام الإصابة يدل على تكراره فإنه قال: وكان إسم جده ضمرة شقة ودخل على النعمان فقال: من أنت؟ فقال: شقة بن ضمرة، فقال: تسمع بالمعيدي لا أن تراه، فقال: أبيت اللعن إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه؛ إن نطق نطق ببيان، وإن قاتل قاتل بجنان، قال: أنت ضمرة بن ضمرة يريد: إنك كأبيك الخ، وكذلك قال الميداني في مجمع الأمثال وغيره فإثبات ضمرة بن ضمرة متعين.

ومن شعر نهشل الذي ذكره ابن قتيبة في الشعراء قوله:

إنا بنو نهشل لا ندعى لأب عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

وحيث أنه خارج عن غرضنا ندعه لمن رواه، فمن رثائه لأخيه مالك ورواه نصر بن مزاحم:

تطاول هذا الليل ما كاد ينجلي كليل تمام ما يريد صراما

من رثاه أخاه من العرب:

فبتُ لذكري مالك بكآبة أؤرق من بعد العشي نياما

---

(١) والجمع ممكن لأن كثيراً من العرب من له إسمان وثلاثة كعبد الله بن الصمة فارس هوازن وسلمى نزال المضيق العامري كل واحد منهما ثلاثة، وضمرة الثاني جد مالك له إسمان: ضمرة وشقه، ومالك هو ابن مر وحري.

(٢) الإصابة ٣/ ٤٨٢ و ٣/ ٥٨٦. (٣) الشعر والشعراء: ص٢٤٢.

أبا جزعي في مالك غير ذكره فلا تعذليني إن جزعت أماما
سأبكي أخي ما دام صوت حمامة يؤرق من وادي البطاح حماما
وأبعث أنواحاً عليه بسحرة وتذرف عيناي الدموع سجاما
وأدع سراة الحي يبكون مالكاً وأبعث نوحاً يلتدمن قياما
يقلن ثوى رب السماحة والندى وذو عزة يأبىٰ لها فتضاما
وفارس خيل لا تساير خيله إذا أضطرمت ناد العدو ضراما
وأخي عن الفحشاء من ذات كلة يرى ما يهاب الصالحون حراما
وأجرأ من ليث بخفان مخدر وأمضي إذا رام الرجال صداما
فلا يرجون ذو أمة بعد مالك ولا جار إلا المنشقاة علاما
وقل لهموا لا يرحلوا الأدم بعده ولا يرفعوا نحو الجياد لجاما

ورثاه بقوله:

أبكي الفتى الأبيض البهلول شبهه عند النداء فلا نكساً ولا جزعا
أبكي على مالك الأضياف إذ نزلوا عند الشتاء فعز الرسل فانجدعا
ولم يجد لقراهم غير مربعة من العشار يرجى تحتها ربعا
أهوى لها السيف رداً وهي راتعة فأوهن السيف عظم الساق فانقطعا
فجائهم بعد رقد الحي أطيبها وقد كفى منهموا من غار وأضطجعا
يا فارس الروع يوم الروع قد علموا وصاحب العزم لا نكساً ولا طبعا
ومدرك النيل في الأعداء يطلبه فإن طلبت بنيل عنده منعا
قالوا أخوك أتى الناعي بمصرعه فأرتاع قلبي غداة البين وأنصدعا
ثم أرعوى القلب شيئاً بعد طيرته والنفس تعلم أن قد أيقنت وجعا

لم يكن هذان العربيان ممن أمضت بهما مصيبته فقد الأخ الشقيق الفائق الممتاز بخصاله وحدهما ولا مستهما لوعة فراق الحميم المبجل دون غيرهما بل هناك رجال كثر من رجال العرب قد مستهم تلك اللوعة الممضة وذاقوا تلك الجرعة المرة فأحتسوا صابها المر الممزوج بذعاف ممعر فندبوا إخوتهم أشجى ندبة وأستعبروا لفقدهم بعبرة لاذعة، واستشعروا الحزن والوجد لإجلهم؛ فمنهم من أخرجه الجزع عن سمت الوقار، ومنهم تدرع الصبر ولبس جلباب التجلد وإن

عظمت المصيبة وأمضت الفادحة كفاً للعاطفة الجامحة وزماً لها بزمام الوقار، وإلجاماً لها بما ندبت إليه الشريعة الغراء المحمدية من الصبر الجميل أحتساباً بالأجر المضاعف وخلوداً إلى ما يرومه الشرف من التمادح بالسلوة وإن جل الفادح وعظمت الرزية.

فهذا سيد الشهداء قدوة الصابرين وإمام المتجلدين الحسين بن علي «عليهما السلام» ينفض يده من تراب قبر الزكي المؤتمن أبي محمد الحسن «عليه السلام» ويفيض من عينه سجلاً أو سجلين فيقوم قائماً على قبره حزيناً مكتئباً، فيقول:

أأدهن رأسي أم تطيب مجالسي ... وخدك معفور وأنت سليب
وأستمتع الدنيا بشيء أُحبه ... ألا كل ما أدنى إليك حبيب
فما زلت أبكي ما تغنت حمامة ... عليك وما هبت صبا وجنوب
وما هملت عيني من الدمع قطرة ... وما أخضر في دوح الحجاز قضيب
بكائي طويل والدموع غزيرة ... وأنت بعيد والمزار قريب
غريب وأطراف البيوت تحوطه ... ألا كل من تحت التراب غريب
فلا يفرح الباقي خلاف الذي مضى ... وكل فتى للموت فيه نصيب
وليس حريب من أُصيب بماله ... ولكن من وارى أخاه حريب

ولم تزل العرب مجبولة على نياحة الإخوة النبلاء الذين جمعوا محاسن الأخلاق وحازوا مزايا الحمد وتقمصوا الفضيلة وخلعوا الرذيلة ولكن من لم يكن كالحسين «عليه السلام» الوقور في القدرة على إمساك العاطفة والتسلط على قهر القوة النفسية الجياشة الطائشة فهو يذهب في الجزع كل مذهب ويرد من الهلع كل مورد، ويجري في غلوائه مطلق العنان بدون حد إلى غير أمد وغاية، ويذهب في أفانين الحزن لغير تجديد ونهاية فقد دوت في التاريخ العربي صرخة مهلل على أخيه كليب وائل، ورن صدى نوح صخر بن الشريد على أخيه معاوية، وشاعت أناشيد دريد بن الصمة على شقيقه عبد الله وغير هؤلاء، ومن أشراف العرب وزعمائهم حتى هبت العاصفة النكراء بجزيرة العرب يد الخلافة فأطاحت أسطوانة مجد آل يربوع وهدمت ركن شرفهم وقلعت دعام عزهم القوي مالك بن نويرة غدرا فدوت صرخة أخيه متمم بن نويرة في أرجاء الجزيرة العربية وحتى همست في أُذن الخلافة وإن تصاممت وقد أخرجت هذه الفادحة متمماً عن شعوره وأذهلته عن إحساسه وإن لم تصل به درجة الجنون فكان كلما مر بقبر بكاه وإن لم يعرف

المرموس فيه ولم يدري ما قصته حتى عيب بذلك وليم فيه فأجاب فوراً بقوله:

وقالوا أتبكي كل قبر وجدته ... لميت ثوب بين اللوى فالدكادك
فقلت لهم إن الأسى يبعث الأسى ... دعوني فهذا كله قبر مالك

وحيث كنا قد أفردنا لمالك بن نويرة كتاباً[١] جمعنا فيه ما وصل إلينا من مراثي أخيه متمم له تركنا ذكرها هنا ونورد العينية التي سماها الأصمعي وابن سلام وابن عبد ربه وغيرهم أُم المراثي برواية المفضل في مختاره من شعر العرب الذي أختاره للمهدي العباسي ابن المنصور الدوانيقي وتعرف هذه المجموعة بالمفضليات، وهذا نص عينية متمم بن نويرة[٢] في رثاء مالك أخيه:

لعمري وما دهري بتأبين هالك ... ولا جزع مما أصاب وأوجعا
لقد كفن المنهال تحت ردائه ... فتى غير مبطان العشيات أروعا
ولا برم تهدي النساء لعرسه ... إذا القشع من حس الشتاء تضعضعا
لبيباً أعان اللب منه سماحة ... حصيباً إذا ما راكب الجدب أوضعا
تراه كصدر السيف تهتز للندى ... إذا لم تجد عند امرىء السوء مطمعا
ويوماً إذا ما كظك الخصم إن يكن ... نصيرك منهم لا تكن أنت أضيعا
وإن تلقه في الشرب لا تلقي فاحشاً ... على الكأس ذاقا ذروة متزبعا[٣]
وإن ضرس الغز والرجال رأيته ... أخا الحرب صدقاً في اللقاء سميدعا
وما كان وقافاً إذ الخيل أحجمت ... ولا طائشاً عند اللقاء مدقعا[٤]
ولا بكهام سيفه عن عدوه ... إذا هو لا قى حاسراً أو مقنعا
فعيني هلا تبكيان لمالك ... إذا أذرت الريح الكثيب المرفعا
وللشرب فأبكي مالكاً ولبهمة ... شديد نواحيه على من تشجعا
وضيف إذا أرغى طروقاً بعيره ... وعان ثوى في القد حتى تكنعا[٥]
وأرملة تمشي بأشعث محثل ... كفرخ الحباري ريشه قد تمزعا
إذا أبتدرت القوم القداح وأوقدت ... لهم ناراً يسار كفى من تضجعا

---

(١) (مخطوط) للمؤلف ـ الناشر ـ.
(٢) المفضليات ١/ ٣١.
(٣) تزبع: تغيظ وعربد وساء خلقه؛ قاله في القاموس.
(٤) المدقع: الهارب والمسرع؛ قاله في القاموس.
(٥) كنع: يبس وتشنج؛ قاله في القاموس.

إذا ابتدر الأيسار لم يلفى مالك ... على الفرث يحمي اللحم أن يتمزعا
أبى الصبر آيات أراها وإنني ... أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا
وأبى متى ما أدع بإسمك لم تجب ... وكنت جديراً أن تجيب وتسمعا
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا ... أصاب المنايا رهط كسرى وتُبعا
وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
فإن تكن الأيام فرقن بيننا ... فقد بان محموداً أخي حين ودعا
أقول وقد طار السنا في ربابه ... وجون يسح الماء حتى تريعا
سقى الله أرضاً حلّها قبر مالك ... ذهاب الغوادي المدجنات فأمرعا
وآثر سبل الواديين بديمة ... ترشح وسيما من النبت خروعا
فتجتمع الأسدام من حول شارع ... فروى جبال القريتين فضلفعا
فو الله ما أسقى البلاد لحبها ... ولكنني أسقي الحبيب المودعا
تحيته مني وإن كان نائياً ... وأمسى تراباً فوقه القاع بلقعا
تقول ابنة العمرى مالك بعد ما ... أراك حديثاً ناعم البال أقزعا
فقلت لها طول الأسا إذ سألتني ... ولوعة حزن تترك الوجه أسفعا
وفقد بني أم تداعوا فلم أكن ... خلافهموا إن أستكين وأضرعا
ولكنني أمضي على ذاك مقدماً ... إذا بعض من يلقي الحروب تكعكعا
وغيرني ما نال قيساً ومالكاً ... وعمراً وجزاً بالمشقر ألمعا
وما غال ندماني يزيد وليتني ... نمليته بالمال والأهل أجمعا
وإني وإن هازلتني قد أصابني ... من البث ما يبكي الحزين المفجعا
ولست إذا ما الدهر أحدث نكبة ... ورزء أبزوار القرائب أخضعا
فعيدك أن لا تسمعيني ملامة ... ولا تنكئي قرح الفؤاد فيبجعا
فقصرك إني قد شهدت فلم أجد ... بكفّي عنهم للمنية مدفعا
فلا فرحاً إن كنت يوماً بغبطة ... ولا جزعاً مما أصاب فأوجعا
فلو أن ما ألقى أصاب متالعاً ... أو الركن من سلمى إذاً لتضعضعا
وما وجد أظئار ثلاث رواتم ... أصبن مجرا من حوار ومصرعا

يذكرن ذا البث الحزين ببثه إذا حنت الأُولى سجعن لها معا
إذا شارف منهن قامت فرجعت حنيناً فأبكى شجوها البرك أجمعا
بأوجد مني يوم قام بمالك مناد بصير بالعراق فأسمعا
ألم تأت أخبار المحل سراتكم فيغضب منكم كل من كان موجعا
بمشمته إن صادف الحتف مالكاً ومشهده ما قد رأى ثم ضيعا
وآثرت هدماً بالياً وسوية وجئت بها تدوي بريداً مقزعا
فلا تفرحن يوماً بنفسك إنني أرى الموت وقاعاً على من تشجعا
لعلك يوماً إن تلم ملمة عليك من اللائي يد عنك أجدعا
نعيت امرئً لو كان لحمك عنده لآواه مجموعاً له أو ممزعا
فلا يهنئي الواشين مقتل مالك فقد آب شانيه إياباً فودعا

إنتهى، وله عينية أُخرى واختارها المفضل أيضاً منها هذه الأبيات:

لعمري لنعم المرء يطرف ضيفه إذا بان من ليل التمام هزيع
بذول لما في رحله غير رمحه إذا أبرز الخور الروائع جوع
إذا الشمس أضحت في السماء كأنها من المحل حصن قد علاه ردوع

وله مراثي كثيرة أُطلبها من كتابنا «فارس ذي الخمار مالك بن نويرة».

وللأخ بحسب الفطرة والارتكاز الجبلي وقع ومحل يوحي بأختياره وأنتخابه من سائر طبقات الأرحام، فقد أورد في الرياض الخزعلية قصة وإن عدها المتجددون أُسطورة وسواء كانت واقعية صحيحة أو خيالية على تمثيل قصصي فإنها تفيد صحة الاختيار الفطري والانتخاب الجبلي بمراجعة الشعور والالتفات إلى الوجدان، ونصها[1]:

إن الضحاك بن قيس كان ملكاً من أحسن الملوك سيرة وأصفاهم سريرة فتزيا له إبليس «لعنه الله» بصورة آدمي ودخل عليه فزعم أنه يجيد طبخ الأطعمة فضمه الملك إلى نفسه ووكله على طعامه وصار كل يوم يهيئ له من أطائب الأطمعة ولذائذ الأغذية ما يعجز عنه غيره، فلما أعجب الملك فعله قال له يوماً: إقترح عليّ ما تريد لأُكافئك على ما أسديته إليّ، فقال له إبليس «لعنه الله»: تمنيت عليك أن أقبل كتفيك، فأعجبه ذلك وأجابه وحسر عن بدنه ثيابه فقبل لوحي كتفيه وفر

(١) الرياض الخزعلية ١/ ٣١١.

من بين يديه، فخرج من موضع قبلته سلعتان كأنهما حيتان، فلما علم أنه إبليس «لعنه الله» قال: قد قتلتنا فما دواهما يالعين؟ قال: أدمغة الآدميين، فمد الملك يد الفتك ولأجل الأدمغة استعمل السفك، فضج الناس من ذلك وبعده وقع الاتفاق على أن يقترع فمن وقعت عليه القرعة ذبح وأخذ دماغه وغذى به الحيتان.

ففي بعض الأدوار خرجت القرعة على ثلاثة أنفار فأُخذوا وحُبسوا لوقت الحاجة فوقفت للضحاك امرأة وضيئة واستغاثت وقالت: ثلاثة أنفار من دار لا صبر لي عنهم ولا قرار، حاشى السلطان يرضى بهذا العدوان، ولدي كبدي وزوجي معتمدي واخي عضدي والكل مسجون ليسقى كأس المنون، فرق لها الضحاك وقال: لا يعمهم الهلاك فأختاري واحداً من ثلاث: فقالت: أختار أخي، فسألها الضحاك عن سبب اختيارها لأخيها دون ولدها وأبي بنيها، فقالت: إني مرغوبة وللأزواج مطلوبة فإن راح زوجي فعنه بدل، وإذا حصل الزوج وجد الولد وحصل، فتهيأ الغرض وحصل العوض، وأما الأخ الشقيق فما عنه عوض في التحقيق لأن أبوينا ماتا وفاتا وصارا تحت الأرض رفاتاً فهذا ما أدت إليه أفكاري ووقع عليه اختياري، فأستحسن الضحاك منها هذا الكلام ووهبها الثلاثة ومع زيادة الإنعام، إنتهى.

وهذا الضحاك يعرفه التاريخ بالعربي صاحب الحيتين والتأريخ الفارسي بالازدهاق البيوراسب[1].

وهذه الامرأة العاقلة والأُنثى الحازمة أدركت بفطنتها ما يعجز عن إدراكه بعض من لهم لحى وشوارب، وقد علل الشاعر العربي أن الأخ لا يخلف كما قالت هذه المرأة وليس هو تحت قدرة المكتسب بخلاف المال فإنه إذا ذهب يعاد بالاكتساب، ويسترجع بالكد والتحصيل وغيرها من الأسباب فلذلك قال:

يمضي أخوك فلا تلقى له خلفاً والمال بعد ذهاب الأصل مكتسب

وعد لقمان الحكيم مصيبة الأخ من قواصم الظهر وأحتسب ما عداه من مصائب الأقارب غنيمة من أعظم الغنائم، فقد قرأنا في أخباره إنه قدم من سفر له طويل فلقي غلاماً له في بعض الطريق فقال له: ياغلام! ما فعل أبي؟ قال: مات،

---

(١) نظير قصة هذه المرأة ما ذكره الحافظ السيوطي في الكنز المدفون ص ٥٠: قيل لأمرأة: أسر الحجاج زوجها وابنها وأخاها: أختاري أيهم شئت؟ فقالت: الأخ فإن الزوج موجود، والإبن مولود، والأخ مفقود، فقال الحجاج: قد عفوت عنهم بحسن كلامها فلولا هي من نسب ما نطقت بهذا الكلام، انتهى.

قال: ملكت أمري. قال: ما فعلت زوجتي؟ قال: ماتت، قال: جدد فراشي، قال: ما فعلت أُمي؟ قال: ماتت، قال: أسترحت من عقوقها، ما فعلت أُختي؟ قال: ماتت؟ قال: سترت عورتي، ما فعل ولدي؟ قال: مات، قال: يجيء غيره، قال: ما فعل أخي؟ قال: مات، قال لقمان: الآن أنكسر ظهري، إنتهى، وقد قال هذه الكلمة بعينها سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين «عليه السلام» حين وقف على أخيه العباس «عليه السلام».

في أسرار الشهادة[١]: في حديث فأتاه الحسين كالصقر إذا أنحدر على فريسته ففرقهم يميناً وشمالاً بعد أن قتل من المعروفين سبعين رجلاً فجاء نحو العباس «عليه السلام» وهو ينادي: وا أخاه! وا عباساه! الآن أنكسر ظهري وقلت حيلتي، ثم أنحنى عليه ليحمله ففتح العباس «عليه السلام» عينيه فرأى أخاه الحسين «عليه السلام» يريد أن يحمله فقال له: إلى أين تريد يا أخي؟ فقال: إلى الخيمة، فقال: يا أخي! بحق جدك رسول الله ﷺ عليك أن لا تحملني، دعني في مكاني هذا، فقال «عليه السلام» لماذا؟ قال: لأني مستح من ابنتك سكينة وقد وعدتها بالماء ولم آتها به، والثاني إني كبش كتيبتك ومجمع عددك فإذا رآني أصحابك وانا مقتول فربما يقل عزمهم، فقال الحسين «عليه السلام»: جزيت عن أخيك خيراً حيث نصرته حياً وميتاً، قال: فوضعه على مكانه ورجع إلى الخيمة يكفكف دموعه بكمه، فلما رأوه مقبلاً أتت إليه أبنته سكينة ولزمت عنان جواده وقالت: يا أبتاه! هل لك علم بعمي العباس؟ أراه أبطأ وقد أوعدني بالماء وليس له عادة أن يخلف وعده، فهل شرب ماءاً وبل غليله ونسى ما ورائه؟ أم هو يجاهد الأعداء؟ فعندها بكى الحسين «عليه السلام» وقال: يابنتاه! إن عمك العباس قد قُتل وبلغت روحه الجنان، فلما سمعت زينب «عليها السلام» صرخت ونادت: وا أخاه! وا عباساه! وا قله ناصراه! وا ضيعتنا بعدك! فقال لها الحسين «عليه السلام»: إي والله وا ضيعتنا بعده! وا إنقطاع ظهراه! فجعلت النساء يبكين ويندبن عليه، وبكى الحسين «عليه السلام» معهن الخ.

وفي مصائب المعصومين[٢]: فأنقلب عن فرسه وصاح إلى أخيه الحسين «عليه السلام»: أدركني، فقال الحسين «عليه السلام»: الآن أنكسر ظهري وقلت حيلتي، فلما أتاه رآه صريعاً على شاطئ الفرات، فبكى ومثله في مقتل العوالم[٣].

---

(١) أسرار الشهادة: ص٣٢١.
(٢) مصائب المعصومين: ص٣٦٠.
(٣) عوالم العلوم: ص٩٥.

وقد رثاه بذلك الشعراء حاكين مقالة الحسين، فمنها قول بعضهم:

فمشى إليه السبط ينعاه كسرت الآن ظـهـري يـا أخـي ومـعـيـنـي

والسيد جعفر الحلي قال:

ما خلت بعدك أن تشل سواعدي وتكف باصرتي وظهري يقصم

وحقيق أن يكون فقد الأخ الكريم من قواصم الظهر لأنه العضد والساعد والناصر والمساعد، والعدة للحرب، والسلاح للكفاح، لم يرض العربي الصميم بأن يعد الأخ عوناً فقط ولا مسعداً فحسب بل ترقى وعده مع ذلك عدة للنوائب وسلاحاً للخطوب، وإن الوحيد المنفرد من الإخوة كالأعزل الذي لا سلاح له وهو في خطة الحرب وحومة ميدان القتال، فقال:

أخـاك أخـاك إن مـن لا أخـاً لـه كساع إلى الهيجا بغير سلاح

بيد أن مطمح الأنظار ومحط أفكار النبلاء من الإخوة من كان مستكملاً للصفات الجميلة ومستجمعاً للكمالات، ومن تتبع أحوال الرجال وسبر مزاياهم لم يجد نظيرا للعباس بن أميرالمؤمنين «عليهما السلام» فإن له أكمل منزلة ورقى بمزاياه الرتبة العليا ونال الدرجة السامية، وما سطر فى الجزء السابق من محاسنه ليبرهن على أنه الأسمى في أندية الفخار رتبة، والأعلى في صف المقدمين مرتبة، وكرسيه الأول في قاعات المفاخر، وله الصدر في منتدى الفضائل، ولذلك أذرى عليه الحسين «عليه السلام» وهو الصبور عبرته ورقرق وهو المتجلد دمعته أمام أعين الشامتين وبمرأى من الكاشحين، ومن دونه رتبة قد قال:

وتجلدي للشامتين أُريهموا إني لريب الدهر لا أتضعضع

فما أرخص الحسين «عليه السلام» عليه دمعته الغالية إلا لعظمته، ولا بذل عبرته النفيسة إلا وهو أنفس شيء يعده الإنسان المحترم، وقد كان «عليه السلام» أولى من الحمداني بقوله:

لقد كنت أولى منك بالدمع حسرة ولكن دمعي في الحوادث غالي

وصبر الحسين «عليه السلام» وتجلده في كل مأساة وفادحة ونكبة مؤلمة مما لا يصل إليه الواصل ولا تستطيع تلمسه يد المتناول، وقد قيل فيه:

لله درك يـا صـبـور عـلـى الأذى ولأنـت أقـدر قـادر يـتـخـلـص

لكن جلالة الفقيد وعظمة الراحل أجرت تلك العبرات العزيزة وأرسلت تلك الدمعة الغالية كما أجرت مدامع سيد الكائنات رسول الله ﷺ أصبر الخلق على

المصائب وأجلدهم عند صدمات النوائب مصيبة عمه حمزة يوم أُحد، ومصيبة ابن عمه جعفر يوم مؤتة؛ فمن بكاء رسول الله ﷺ على عمه حمزة وابن عمه جعفر، وبكاء الحسين «عليه السلام» على أخيه العباس عرفنا أن لهؤلاء الشهداء الثلاثة رتبة عالية ومحل سامي، وقد وقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة وابنه بكلمات لاذعة وألفاظ موجعة تأخذ من القلب مأخذها وتجيء في التأبين إن شاء الله.

والحسين «عليه السلام» أبّن العباس «عليه السلام» بكلمات محزنة يحترق بلذعتها القلب وتجري بسماعها الدمعة الحارة، منها ما رواه في أسرار الشهادة[١] بقوله: وفي رواية أُخرى: فضربه رجل منهم بعمود حديد ففلق هامته وأنصرع عفيراً على الأرض يخور بدمه وهو ينادي: يا أبا عبد الله! عليك مني السلام، فلما سمع الإمام قال: وا أخاه! واعباساه! وا مهجة قلباه! ـ إلى أن قال: ـ فبكى بكاءاً شديداً حتى بكى جميع من كان حاضراً، وقال «عليه السلام»: جزاك الله مع أخ خيراً لقد جاهدت في الله حق جهاده، وزاد الطريحي في المنتخب بعد هذه الألفاظ: يعزّ عَلَيّ والله فراقك، وإنه أُغمي عليه من شدة البكاء وقد عرفت أنه غير ملوم لأن المفقود عظيم.

لا زالت قاعدة الفلاسفة وأشراف العرب إذا وقف الواقف منهم على جنازة رئيس أو مر على قبر زعيم ألقى كلمات التأبين التي تعلق بالخاطر وتؤثر بالقلب الرقيق أثراً وتأخذ من النفس مأخذها وهي وإن أختلفت أساليبها فالفلسفي يتحرى كلمات الوعظ، والعربي يختار ألفاظ التقريض لكنها بمجموعها تقال تنويهاً بذي الشأنية والسمو وتلقى أمام نعش أو ضريح نابغة مشهور كما في تأبين الفلاسفة للأسكندر[٢].

تأبين النبي ﷺ لعمه حمزة بن عبد المطلب:

قال الحلبي الشافعي في سيرته[٣] بعد ذكر شهادة حمزة «عليه السلام»: فجاء رسول الله ﷺ نحو عمه حمزة فوجده ببطن الوادي قد بُقر بطنه ومثل به فجدع أنفه وأُذناه، فنظر رسول الله ﷺ إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه وقال: لن أُصاب بمثلك ما وقفت موقفا أغيظ لي من هذا، وقال ﷺ: رحمة الله عليك فإنك كنت ما علمتك فعولاً للخيرات، وصولاً للرحم، أما والله لأقتلن بسبعين من قريش.

---

(١) أسرار الشهادة: ص٣٢٣.
(٢) راجع مروج الذهب ١/ ١٨٠.
(٣) السيرة الحلبية ٣/ ٢٩٥.

ثم ذكر[١] عن ابن مسعود «رضي الله عنه»: ما رأينا رسول الله ﷺ باكياً أشد من بكاه على عمه حمزة «رضي الله عنه» وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتصب حتى نشق أي شهق حتى بلغ به الغشي يقول: يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسول الله! يا حمزة يافاعل الخيرات! يا حمزة ياكاشف الكربات! يا حمزة يا ذاب يا مانع عن وجه رسول الله الخ. للمؤلف:

لئن بكى حمزة شجواً وأبنه ... محمد يوم أُحد ظاهر الكمد
وقال يا فاعل الخيرات أجمعها ... وكاشف الكرب عني كشف مجتهد
فذا أبو الفضل يوم الطف أبّنه ... بحرقة سبط هادي الخلق للرشد
وحمزة الخير إن أُذناه قد جدعت ... وأنفه قطعت في كف ذي نكد
فذا أبو الفضل سهم الكفر قد نبتت ... بالعين منه وطارت منه كل يد
ومخ يافوخه قد سال مختلطاً ... مع النجيع لضرب الرأس بالعمد
فإن أُصيب رسول الله في أُحد ... بعمه حمزة الهدار كالأسد
فسبطه فاقد بالطف خير أخ ... وفلذة للحشا أسماه بالولد
وإخوة وبنين لا شبيه لهم ... حتى الرضيع قضى في سهم ذي نكد
يوم الطفوف فلا تحكيه فاجعة ... من الفواجح أو حلت على أحد

تأبين النبي ﷺ لولده إبراهيم «عليه السلام»:

يذكر الحلبي في سيرته[٢] في حديثه قال: لما أُحتضر إبراهيم «عليه السلام» جاء ﷺ فوجده في حجر أُمه فأخذه وجعله في حجره وقال: يا إبراهيم! إنا لن نغني عنك من الله شيئا، ثم ذرفت عيناه وقال: إنا بك يا إبراهيم لمحزونون، تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب، ولولا أنه وعد صادق وموعود جامع أن الآخر منا يتبع الأول وجدنا عليك يا إبراهيم شديداً ما وجده، ولولا أنه أمر حق ووعد صدق وأنها سبيل مأتية لحزنا عليك حزناً شديداً.

و[٣] ذكر أنه لما مات كان ﷺ مستقبلاً للجبل فقال: ياجبل! لو كان بك مثل ما بي لهدك ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون، إنتهى.

للمؤلف:

فإن كان ما بالمصطفى سيد الورى ... بصم الرواسي هدّها وهي الشم

---

(١) السيرة الحلبية ٣/ ٢٦٠.
(٢) السيرة الحلبية ٣/ ٣٤٧.
(٣) نفسه ٣/ ٣٤٨.

على فقد إبراهيم فلذة قلبه وقد مات حتف الأنف ما مسه كلم
فما حال سبط المصطفى يوم كربلاء وكم قد هوى في الترب من آله نجم
وكل تسيل النفس منه على الضبا وما مرضته ظئره لا ولا أُم
فذا وزعته المشرفية في الوغى وذا شك منه النحر في حجره السهم
وكلتاهما يقضي ولم يسقي شربة من الماء حيث الماء تروى به البهم

تأبين الحسين لأخيه الحسن «عليهما السلام»:

في تأريخ الحافظ ابن عساكر الشافعي[١]: وقف الحسين «عليه السلام» على قبر أخيه لما مات فقال: رحمك الله أبا محمد أن كنت ناصراً للحق وتؤثر الله عند مداحض الباطل في مكان التقية بحسن الروية، وتستشف جليل معاظم الدينا بعين حاذرة، وتقبض عليها بيد طاهرة، وتردع ما يريده أعداؤك بأيسر المؤونة عليك، وانت ابن سلالة النبوة ورضيع لسان الحكمة، فإلى روح وريحان وجنة نعيم، فأعظم الله لنا ولكم الأجر عليه ووهب لنا ولكم السلوة وحسن الأساة عليه الخ.

تأبين محمد بن الحنفية لأخيه الحسن «عليه السلام»:

فأبن عساكر يذكره عقيب كلام الحسين[٢] وابن عبد ربه في العقد الفريد[٣] ونصهما: وقف محمد بن الحنفية يؤبن الحسن الزكي «عليه السلام» فخنقته العبرة ثم نطق فقال: يرحمك الله أبا محمد فلئن عزت حياتك فقد هدت وفاتك، ولنعم الروح روح ضمه بدنك، ولنعم البدن بدن ضمه كفنك، وكيف لا تكون كذلك وأنت بقية ولد الأنبياء وسليل الهدى وخامس أهل الكسا، غذتك أكف الحق ورُبّيت في حجر الإسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً، وأن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك ولا شاكة في الخيار لك، إنتهى.

وفي مفتاح الأفكار للشيخ أحمد مفتاح مدرس الإنشاء بقسم العلمين العربي بالمبتديان[٤]: رحمك الله يا أبا محمد فلئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح تضمنه بدنك، ولنعم الجسد جسد تضمنه كفنك، ولنعم الكفن كفن تضمنه لحدك، وكيف لا تكون كذلك وأنت سليل الهدى وخامس أصحاب الكسا وخلف أهل التقى، جدك النبي المصطفى، وأبوك علي المرتضى، وأمك فاطمة الزهراء، وعمك جعفر الطيار في جنة المأوى، غذتك أكف الحق، ورُبّيت في

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤/ ٣٣٧.
(٢) نفسه ٤/ ٢٢٧.
(٣) العقد الفريد ٢/ ١٦٣.
(٤) مفتاح الأفكار ١/ ١٤٨.

حجر الإسلام، ورضعت ثدي الإيمان، فطبت حياً وطبت ميتاً، فلئن كانت الأنفس غير طيبة بفراقك أنها غير شاكة أن قد خير لك وأنت وأخاك لسيدا شباب أهل الجنة، فعليك يا أبا محمد منا السلام.

تأبين فاطمة الزهراء «عليها السلام» لأبيها رسول الله ﷺ:

عن أنس قال: لما فرغنا من دفن رسول الله ﷺ أقبلت عَلَيّ فاطمة «عليها السلام» فقالت: يا أنس! كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على وجه رسول الله ﷺ التراب؟ ثم بكت ونادت: يا أبتاه! أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه! من ربه أدناه، يا أبتاه! إلى جبرائيل أنعاه، يا أبتاه! جنة الفردوس مأواه، ثم سكتت فما زادت شيئاً.

تأبين أمير المؤمنين «عليه السلام» لخباب بن الأرت:

وخباب بن الأرت من قدماء الصحابة أسلم بعد ستة نفر فهو سادس الإسلام لا كما يقال من أنه سعد بن أبي وقاص، وخباب ممن عُذِّب في الله وشهد مع أمير المؤمنين «عليه السلام» وتوفي قبل رجوع أمير المؤمنين «عليه السلام» من صفين بثمانية أيام ودفن بظهر الكوفة (النجف) فوقف «عليه السلام» على قبره وقد دفن بالظهر فقال: رحم الله خباباً لقد أسلم راغباً وجاهد طائعاً وعاش مجاهداً وابُتلي في جسمه أحوالاً ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً.

تأبين أمير المؤمنين علي «عليه السلام» لفاطمة الزهراء «عليها السلام»:

لما فرغ من دفنها «عليها السلام» هاج به الحزن فالتفت إلى قبر رسول الله ﷺ وقال: السلام عليك يارسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك، السريعة اللحاق بك، قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ودق عنها تجلدي إلا أن لي في التأسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين صدري ونحري نفسك فإنا لله وإنا إليه راجعون، قد أسترجعت الوديعة وأُخذت الرهينة، فأما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، وستنبئك ابنتك بتظافر أُمتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد ولم يخلق منك الذكر والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم، إن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين، إنتهى عن نهج البلاغة، وتروى بألفاظ هي أطول من هذا ونقلها تطويل.

تأبين الخضر لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»:

رحمك الله يا أبا الحسن، الزيارة المعروفة في ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان فأطلبها من كتب الزيارات.

تأبين فرغانة للأحنف:

هي فرغانة بنت أوس بن حجر شاعر بني تميم في الجاهلية والأحنف بن قيس التميمي أحد بني سعد الحليم المشهور ذكرها المبرد في الكامل والجاحظ في البيان والتبيين[١] ونصه: قامت فرغانة بنت أوس بن حجر على قبر الأحنف بن قيس وهي على راحلة فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمك أبا بحر من مجن في جنن، ومدرج في كفن، فو الذي ابتلانا بفقدك وبلغنا يوم موتك لقد عشت حميداً ومت فقيداً، ولقد كنت عظيم الحلم، فاضل السلم، رفيع العماد، واري الزناد، منيع الحريم، سليم الأديم، وإن كنت في المحافل لشريفاً، وعلى الأرامل لعطوفاً، ومن الناس لقريباً، وفيهم لغريباً، وإن كنت لمسوداً، وإلى الخلفاء لموفداً، وإن كانوا لقومك مستمعين، ولرأيك لمتبعين، ثم انصرفت، إنتهى.

تأبين جبار بن سلمى نزال المضيق لأن عمه عامر بن الطفيل:

قد ترجمنا لهؤلاء في الجزء الأول من هذا الكتاب وهذا التأبين ذكره المبرد في الكامل والميداني في مجمع الأمثال[٢] ولفظه: مر جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب بقبر عامر بن الطفيل وقد كان غاب عن موته فقال: ما هذه الأنصاب؟ فقالوا: نصبناها على قبر عامر بن الطفيل، فقال: ضيقتم على أبي علي وافضلتم منه فضلاً كبيراً، ثم وقف على قبره وقال: أنعم ظلاماً أبا علي لقد كنت تشن الغارة وتحمي الجارة، سريعاً إلى المولى بوعدك بطيئاً عنه بوعيدك، وكنت لا تضل حتى يضل النجم، ولا تهاب حتى يهاب السيل، ولا تعطش حتى يعطش البعير، وكنت والله خير ما كنت تكون حين لا تظن نفس بنفس خيراً، ثم ألتفت إليهم وقال: فهلا جعلتم قبر أبي علي ميلاً في ميل؟! إنتهى.

تأبين النجاشي الحارثي:

وهو شاعر أهل العراق في حرب صفين. قال المبرد في الكامل[٣]: رغبة الآمل وقف رجل على قبر النجاشي فترحم وقال: لولا أن القول لا يحيط بما فيك

---

(١) البيان والتبيين ٢/ ٢٤١.
(٢) مجمع الأمثال ٢/ ٢٢.
(٣) الكامل للمبرد ٨/ ٣٤٤.

والوصف يقصر دونك لأطنبت بل لأسهبت، ثم عقر ناقته على قبره وقال:

عقرت على قبر النجاشي ناقتي بأبيض عضب أخلصته صياقله
على قبر من لو أنني مت قبله لهانت عليه عند قبري رواحله

تأبين بني أُميه لعبد الله الجواد بن جعفر الطيار:

قال أبو الفرج في الأغاني[1]: الأصمعي عن الجعفري قال: لما مات عبد الله بن جعفر شهده أهل المدينة كلهم وإنما كان عبد الله بن جعفر مأوى المساكين وملجأ الضعفاء فما تنظر إلى ذي حجى إلا رأيته مستعبراً قد أظهر الهلع والجزع، فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان يعني ابن عفان فوقف على شفير القبر فقال: رحمك الله يا ابن جعفر إن كنت لرحمك واصلاً، ولأهل الشر لمبغضاً، ولأهل الرياسة لقالياً، ولقد كنت فيما بيني وبينك كما قال الأعشى:

رعيت الذي قد كان بيني وبينكم من الود حتى غيبتني المقابر

فرحمك الله يوم ولدت ويوم كنت رجلاً ويوم مت ويوم تبعث حياً، والله لئن كانت هاشم أُصيبت بك لقد عم قريشاً كلها هلك فما أظن أن يرى بعدك مثلك.

فقام عمرو بن سعيد الأشدق فقال: لا إله إلا الله الذي برأ الأرض ومن عليها وإليه ترجعون، ما كان أحلى العيش بك يا بن جعفر وما أسمج ما أصبح بعدك لو كانت عيني دامعة على أحد لدمعت عليك، كان والله حديثك غير مشوب بكذب، وودك غير ممزوج بكدر.

فوثب ابن المغيرة ابن نوفل ولم يثبت الأصمعي أسمه فقال: ياعمرو! بمن تعرض بمزج الود وشوب الحديث أفبابني فاطمة «عليها السلام» فهما والله خير منك ومنه؟! فقال: على رسلك يالكع أردت أن أُدخلك معهم، هيهات لست هناك والله لو مت أنت ومات أبوك ما مدحت ولا ذممت فتكلم بما شئت فلم تجد لك مجيباً، فحُجز بينهما وانصرفوا، إنتهى.

لن يترك الأشدق جبار بني أُميه عداوته للحسن والحسين «عليهما السلام» وهو القائل عند قتل الحسين «عليه السلام» شامتاً برسول الله ﷺ: يامحمد! يوم بيوم الحفض المجور، واعية كواعية عثمان وتمثل:

عجت نساء بني زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

أُصيبت أعرابية بأبنها وهي حاجة فلما دفنته قامت على قبره وقالت: والله يا

(١) الأغاني ١١/٦٦.

بني لقد غذوتك رضيعاً، وفقدتك سريعاً، وكأن لم يكن بين الحالين مدة ألتذ بعيشك فيها فأصبحت بعد النضارة والغضارة ورونق الحياة والتنسم في طيب روحها تحت أطباق الثرى جسداً ورفاتاً سحيقاً صعيداً جرزاً، بُنيّ! لقد سحبت الدينا عليك أذيال الفنا، واسكنتك دار البلا، ورمتني بعدك نكبة الردى، أي بنيّ! لقد أسفر لي عن وجه الدينا صباح داج ظلامه.

ثم قالت: أي رب منك العدل ومن خلقك الجور، وهبته لي قرة عين تمتعني به كثيراً بل سلبتنيه وشيكاً ثم أمرتني بالصبر ووعدتني عليه الأجر فصدقت وعدك ورضيت قضائك فرحم الله من ترحم على من أستودعته الردم ووسدته الثرى، اللهم أرحم غربته وآنس وحشته وأستر عورته يوم تكشف الهنات والسوءات.

فلما أرادت الرجوع إلى أهلها قالت: أي بني! إني قد تزودت لسفري فليت شعري ما زادك لبعد طريقك ويم معادك، اللهم إني أسألك له الرضا برضائي عنه، ثم قالت: أستودعك من أستودعنيك في أحشائي جنيناً وأثكل الوالدات ما أمض حرارة قلوبهن وأقلق مضاجعهن وأطول ليلهن وأقصر نهارهن وأقل أُنسهن وأشد وحشتهن وأبعدهن من السرور وأقربهن من الأحزان، إنتهى.

تأبين أبي ذر الغفاري لولده ذر:

روى الثقة الجليل علي بن إبراهيم القمي في تفسيره من قصة مطولة تشرح قصة طرد عثمان لأبي ذر من المدينة إلى الربذة قال: ومات ابنه ذر بها فوقف على قبره فقال: رحمك الله يا ذر لقد كنت حسن الخلق، باراً بالوالدين، وما عَلَيّ في موتك من غضاضة، وما لي إلى غير الله من حاجة وقد شغلني الأهتمام لك عن الاهتمام بك، ولولا هول المطلع لأحببت أن أكون مكانك فليت شعري ما قالوا لك وما قلت لهم، ثم قال: اللهم إنك قد فرضت لك عليه حقاً وفضرت لي عليه حقاً فإني قد وهبت ما فرضت لي عليه من الحقوق فهب له ما فرضت له عليه من الحقوق فإنك أولى بالحق وأكرم مني الخ.

تأبين الحجاج الثقفي لأخيه محمد وابنه محمد وقد هلكا جميعاً في يوم واحد:

ونذكر قصص هؤلاء لأن في الحديث (الحكمة ضالة المؤمن) عند الفاسق يأخذها حيث وجدت أو ما هذا معناه.

في مفتاح الأفكار[1]: وخطب الحجاج حين أُصيب بولده وأخيه: أيها

(١) مفتاح الأفكار ١/ ١٨٩.

الناس! محمدان في يوم واحد، أما والله لقد كنت أُحب أنهما معي في الدنيا مع ما أرجو لهما من ثواب الله في الآخرة، وايم الله ليوشكن الباقي منا ومنكم أن يفنى والجديد منا ومنكم أن يبلى، والحي منا ومنكم أن يموت، وإن تدال الأرض منا كما أدلنا منها فتأكل لحومنا وتشرب من دمائنا كما مشينا على ظهرها وأكلنا من ثمارها وشربنا من مائها ثم يكون كما قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[1] ثم تمثل بهذين البيتين:

عزائي نبي الله عن كل ميت ... وحسبي ثواب الله عن كل هالك
إذا ما لقيت الله عني راضياً ... فإن سرور النفس فيما هنالك

إنتهى، وبم عدو الله يلقى الله عنه راضياً؟ أبإحراق بيته الحرام وهدمه لحيطانه حين رماه بالمنجنيق؟ أم بقتله أولياء الله والفقهاء والزهاد؟ أم لحبسه النساء مع الرجال وغير ذلك من الفضائع التي ارتكبها؟

تأبين عمر بن عبد العزيز المرواني لابنه عبد الملك:

هلك ابنه عبد الملك وكان له خير عضد وكان عوناً له على رد مظالم بني أُمية يشجعه على الإقدام في الإنصاف منهم.

قال الجاحظ في البيان والتبيين[2]: عن زياد بن حسان إنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفنه ابنه عبد الملك فلما سوى عليه قبره بالأرض وجعلوا على قبره خشبتين من زيتون أحدهما عند رأسه والأُخرى عند رجليه ثم جعل قبره بينه وبين القبلة وأستوى قاعداً وأحاط به الناس قال: رحمك الله يا بني فقد كنت براً بأبيك وما زلت مذ وهبك الله لي بك مسروراً ولا والله ما كنت مسروراً بك ولا أرجى لحظي من الله فيك منذ وضعتك في الموضع الذي صيرك الله إليه فغفر الله لك ذنبك وجازاك بأحسن عملك وتجاوز عن سيئاتك ورحم الله كل شافع يشفع لك بخير من شاهد وغائب، رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره فالحمد لله رب العالمين، إنتهى.

تأبين الحوراء زينب بنت أمير المؤمنين لأخيها الحسين «عليهم السلام»:

وقد مروا بهن على جثث القتلى حيث جعلوا طريقهم على المعركة ليضاعفوا الأحزان على مخدرات الوحي والرسالة.

---

(١) يس: ٥١.
(٢) البيان والتبيين ٢/ ٢٧٠.

ذكر الدربندي في أسرار الشهادة[١]، والسيد ابن طاوس في الملهوف[٢]، والطبري المؤرخ واختصرها، وهذا نص المختصر في تأريخه[٣]: عن قرة بن قيس الحنظلي قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين و أهله وولده صحن ولطمن وجوههن، قال: فأعترضتهن على فرس فما رأيت منظراً من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيته منهن ذلك والله لهن أحسن من مهى يبرين فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة «عليها السلام» حين مرت بأخيها الحسين «عليه السلام» صريعاً وهي تقول: يامحمداه! يامحمداه! صلى عليك ملائكة السماء، هذا حسين بالعراء، مزمل بالدماء، مقطع الأعضاء، يامحمداه! وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة تسفي عليها الصبا، قال: فأبكت والله كل عدو وصديق، إنتهى.

أما الدربندي فلفظه في مرور الحرم على مصارع الشهداء من آل الرسول ﷺ: إعلم إن المستفاد من أخذ جامع الأخبار والروايات هو أن مرور النساء على مصارع الشهداء كان في اليوم الحادي عشر من المحرم بعد الزوال لأن ذلك الوقت كان وقت أرتحال عمر بن سعد «لعنه الله» مع عسكره من كربلاء إلى الكوفة ثم قد أختلفت أقوال أصحاب المقاتل في أن ذلك المرور هل كان بطلب من النساء والتماسهن ذلك أو كان ذلك عدواة وعناداً من ابن سعد؟ فأكثر أصحاب المقاتل قد صاروا إلى الأول والبعض منهم إلى الثاني.

فقال السيد في الملهوف: ثم أخرجوا الحرم من الخيمة واشعلوا فيها النار فخرجن حواسر مسلبات حافيات باكيات يمشين سبايا في أسر الذلة، فقلن: بحق الله إلا ما مررتم بنا على مصرع الحسين «عليه السلام»، فلما نظر النسوة إلى القتلى صحن وضربن وجوههن، قال الراوي: فو الله لا أنسى زينب بنت علي «عليهما السلام» وهي تندب الحسين «عليه السلام» وتنادي بصوت حزين وقلب كئيب: يامحمداه! صلى عليك مليك السماء هذا حسين مزمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا، إلى الله المشتكى وإلى محمد المصطفى وإلى علي المرتضى وإلى حمزة سيد الشهداء، يا محمداه! هذا حسين بالعراء تسفي عليه الصبا، قتيل أولاد البغايا، ياحزناه! يا كرباه! اليوم مات جدي محمد رسول الله، يا أصحاب محمد! هؤلاء ذرية المصطفى يساقون سوق السبايا.

---

(١) أسرارا الشهادة: ص٤٦٧.
(٢) الملهوف: ص٢٦٢.
(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٢٦٢.

وفي رواية: يامحمد! بناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفي عليها ريح الصبا، هذا حسين محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والردا، بأبي من عسكره يوم الأثنين نهبا، بأبي من فسطاطه مقطع العرى، بأبي من لا غائب فيرجى ولا جريح فيداوى، بأبي من نفسي له الفدا، بابي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي من شيبته تقطر بالدما، بأبي من جده رسول الله إلٰه السما، بأبي من هو سبط نبي الهدى، بأبي ابن محمد المصطفى، بأبي ابن خديجة الكبرى، بأبي ابن علي المرتضى، بأبي ابن فاطمة الزهراء سيد النساء، بأبي ابن من رُدّت له الشمس حتى صلى، قال الراوي: فأبكت كل عدو وصديق.

ثم إن سكينة أعتنقت جسد أبيها فأجتمع إليها عدة من الأعراب حتى جروها عنه.

هذا ما في الملهوف، وأما ما في بعض الكتب المعتبرة فهو ما روي عن عبد الله ابن أويس عن أبيه أنهم جاؤوا بالنساء عناداً وعبروا بهن على مصارع القتلى من آل الرسول فلما رأت أم كلثوم أخاها الحسين «عليه السلام» تسفي عليه الرياح وهو مكبوب ومسلوب وقعت من أعلى البعير إلى الأرض واحتضنت أخاها وهي تقول ببكاء وعويل: يارسول الله! أُنظر إلى جسد ولدك ملقى على الأرض بغير دفن، كفنه الرمل السافي عليه، وغسله الدم الجاري من وريديه، وهؤلاء أهل بيته يساقون أُسارى في أسر الذل ليس لهم من يمانع عنهم، ورؤوس أولاده مع رأسه الشريف على الرماح كالأقمار، يامحمد المصطفى! هذه بناتك سبايا وذريتك مقتلة.

فما زالت تقول هذا القول حتى أبكت كل صديق وعدو حتى رأينا دموع الخيل تتقاطر على حوافرها، وساروا بها وهي باكية حزينة لا ترقى لها دمعة ولا تبطل لها عبرة.

ثم ذكر[1] ما لفظه: روى بعضهم أنه كان للحسين «عليه السلام» بنت صغيرة وكانت بين تلك السبايا جالسة حول أبيها قابضة على كتفه وكفه في حضنها فتارة تشم كتفه وتارة تضع أصابعه على فؤادها وتارة على عينها وتأخذ من دمه الشريف وتخضب شعرها ووجهها وهي تقول: وا أبتاه! قتلك أقر عيون الشامتين وسر المعاندين، يا أبا عبد الله! ألبستني بنو أُمية ثوب اليتم على صغر سني، يا أبتاه! إذا أظلم الليل من يحمي حماي، يا أبتاه! أُنظر إلى رؤوسنا المكشوفة وإلى أكبادنا

(١) أسرار الشهادة: ص٤٦٨.

الملهوفة وإلى عمتي المضروبة وإلى أُمي المسحوبة.

قال: فذرفت عند ندبتها العيون، فأتاهم زجر اللعين وقال: إن الأمير نادى مناديه بالرحيل فهلموا وأركبوا، فأتت البنت إلى السائق اللعين فوقعت بين يديه وقالت: ياهذا! سألتك بالله وجدي رسول الله ﷺ أنتم اليوم تقيمون أو ترحلون؟ قال: بل راحلون، قالت: ياهذا! إذا عزمتم على الرحيل سيروا بهذه النسوة واتركوني عند والدي فإني صغيرة السن ولا أستطيع الركوب فأتركوني عند والدي أبكي عليه فإذا متُّ عنده سقط عنكم ذمامي ودمي، فدفعها عنه وأبعدها منه، فلاذت بأبيها سيد الشهداء روحي له الفداء واستجارت به فأتى إليها وجذبها من عند أبيها فقالت له: يا هذا! إن لي أخاً صغيراً فدعني أودعه، فأمهلها فتخطت خطوات قليلة لأنه كان قريبا من أبيه «عليه السلام» فلما وقعت عيناها عليه تحسرت ثم إنها لثمته لثمات متتابعات ثم أجلسته ووضعته في حضنها وجعلت فيها على نحره الشريف ونادت: ياأخي! لو خيروني بين المقام عندك أو الرحيل عنك لا خترت المقام ولو أن السباع تأكل لحمي فها أنا راحلة عنك غير جافية لك، وهذه نياق الرحيل تتجاذبنا على المسير قد أتونا بها مهزولة لا موطئة ولا مرحولة، وناقتي يا أخي مع هزلها صعبة الأنقياد فلا أدري أين يريد بنا أهل العناد فأقرأ جدي علي المرتضى وجدتي فاطمة الزهراء عني السلام وقل لهما: أُختي شاكية إليكما حالها قد خرموا أُذنيها وفصموا خلخالها، ثم إنها وضعت فمها على شفتيه وقبلت خديه فأتاها السائق اللعين فجذبها عنه وأركبها قهراً، فلما ركبت الناقة التفتت إلى أبيها وقالت: يا أبة! ودعتك الله السميع العليم واقرؤك السلام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنتهى.

للمؤلف:

إنما هذه اليتيمة أشجت ... كل قلب بندبة وعويل
حين مروا بها بجسم أبيها ... حوله خير فتية وكهول
أعولت عنده وقالت دعوني ... عنده لا أُحب عنه رحيلي
أتركوني أبكي أبي وشقيقي ... نور عيني عسى أبل غليلي
ولو أن السباع تأكل من لحمي ... لا أُبالي في قرب خير سليل
أنهضوها عن جسم والدها الـ ... ـبر بضرب السياط والتنكيل
ثم لاذت به وما رحموها ... شر قوم وعصبة وقبيل

فأستغاثت بالسبط وهو صريع بدموع دفاقة كسيول
أبتا ما ترى صنيع عداكم سلبوني من بعد قرطي حجولي

كلما مررت بهذه الحادثة يتفتت كبدي لوعة وينصدع قلبي حرقة، إنها ولا أُغالي لو قلت من القصص المروعة والحكايات المحزنة التي تثير اللوعة وتبعث الشجا وتستدر الدمعة وتستدعي العبرة ولعل مستغرباً يستغرب مثل هذه القصة ويعدها من ضروب الاقاصيص، أما الشكاك والمنحرف فندعه وعقليته السخيفة التي قادته إلى التشكيك في مسلمات التأريخ وقطعياته، أما غير هذا المتعجرف وسوى هذا المتطرف إذ يرتاب فيها من ناحية صدور هذه البلاغة ووقوع هذه الإبانة العجيبة الأسلوب من طفلة صغيرة السن فلا ريب أن هذه المستريب جاهل بأهل البيت النبوي وما خصهم الله به من الذكاء الفطري وجبلهم عليه من الإفصاح.

للمؤلف:

إن كانت الطفلة في سنها صغيرة فالعقل منها كبير
لأنها تنمى إلى دوحة فيحاء تزهو وسط روض نضير
فروعها خير شباب الورى وحيدر الأصل وطاها البشير
أوراقها تزهو واغصانها تسبق إذ تسقى بخير وخير
ينمو به الفرع ويزهو كما تزهو النباتات بماء نمير
بيان هذي البنت إرث لها من صاحب الإسرا أتى والغدير

من يستحق التأبين عند الناس:

لا ريب أن التأبين وهو تعداد محاسن الميت كماعرفوه إنما يستحقه العظيم من الناس لشرفه وسؤدده ولأعماله الصالحة ولمآثره الجميلة أو لأن له منزلة عظيمة من المحبة في قلب المؤبن فعند ذلك يلقي كلمات التوجع ويفوه بألفاظ التأسف ويظهر التفجع له.

ومن هنا تعرف إن للعباس «عليه السلام» عند أخيه الحسين «عليه السلام» أعظم المنازل وأسمى المراتب لمحبته إياه ولفرط إعجابه به لا من حيث الأخوة وإن كانت بعض المقتضي للمحبة بل من حيث الأعمال الصالحة والمآثر الكريمة والطباع الفاضلة والسجايا المحمودة، وإنه أعظم من ضحى نفسه أمامه وفاداه، وإنه أشدهم همة في المحامات عنه وافضلهم شجاعة وأكثرهم براً وألفاظاً به، وأسرعهم قياماً بخدمته وأحسنهم إيثاراً له ومناصحة، فتلك الأسباب وغيرها أبّنه

بما سمعت وإلا فقد تسمع كمية من استشهد مع الحسين «عليه السلام» من إخوته ولعل عددهم يزيد على خمسة عشر وكل واحد منهم كان حبيباً إليه فما سمعنا أنه بكى على واحد منهم أو قال عند قتله: الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي وشمت بي عدوي على ما ذكره السيد هبة الدين الشهرستاني في النهضة الحسينية[١].

والفقيد الذي يوجب افتقاده شماتة الأعداء وذهول الرئيس الحازم عن تدبير الحيلة في المصلحة الحربية المهمة في مقابلة العدو المتكالب لفقيد عظيم ومنزلته لا تقاس بها منزلة ورتبته لا ندانيها رتبة، وقد دل دلالة واضحة أن أثره في حياته كان كبيراً حتى يكون أهلاً لئن يوصف بهذه الأوصاف وإنما يشمت العدو بفقد من يعد فقده كسراً في عدوه ووهناً عظيماً في ناحية خصمه.

ولست أستريب أن هذه الكلمات الثلاثة من سيد الشهداء وردت لبيان فضيلة العباس «عليه السلام» وكشف حقيقته المخفية على الجاهلين بقدره، وإن له منزلة عظيمة بل هي أعظم منازل الشهداء معه وأرفعها وأعلاها وهو مع ذلك فقد كان باب الحسين كما كان أمير المؤمنين علي أبوه باب رسول الله ﷺ ومنزلته منه تلك المنزلة، فقد كان رسول الله ﷺ يعد علياً «عليه السلام» لكل عظيمة ويدعوه عند كل نازلة ويختصه ويحبوه ويكرمه، وكذلك كان أبو الفضل العباس «عليه السلام» عند الحسين «عليه السلام» يعده لكل عظيمة ويدعوه لكل نازلة كما سمعت من حديث رد العسكر الزاحف إليه يوم التاسع وبعثه لجلب الماء من الفرات وانتدابه لا ستنقاذ أصحابه الذين اقتطعهم جيش عمر بن سعد.

قال هبة الدين الشهرستاني في نهضة الحسين «عليه السلام»[٢]: كان الحسين «عليه السلام» مستميتاً ومستميت كل من كان معه، وكانت أنفسهم الشريفة متشربة من كأس التضحية وريانة من معين التفادي، وفي مقدمة هؤلاء أبو الفضل أكبر إخوة الحسين «عليه السلام» الممتاز في الكمال والجمال، وقمر بني هاشم، وحامل راية الحسين «عليه السلام»، وعقيد آماله في المحافظة على رحله وعياله لذلك شق على الحسين «عليه السلام» إن يأذن له بالبراز إلى الأعداء الخ.

للمؤلف:

قل لأبي الفضل «عليه السلام» شبل علي الطهر مولى الأنام
فدتك نفسي ونفيسي معاً يا ابن إمام وأخاً للإمام

---

(١) النهضة الحسينية: ص١٠٦.
(٢) نهضة الحسين: ص ١٠٤.

نلت على رغم العدى رتبة ... مقامها في العز أسمى مقام
قد كنت باب ابن نبي الهدى ... وركن جيش السبط عند الخصام
والجيش بالركن كما حققوا ... يقوي إذا أتقن عقد النظام
وتحمل الراية قدامه ... تضرب بالسيف وجوه الطغام
نظمت بالرمح الكلى طاعناً ... وناثراً بالسيف أيد وهام
تنقض كالصقر ولكنما ... صيدك صيد القوم دون الحمام
أوصلت فالليث سطى مغضباً ... مستبدل الأنياب حد الحسام
فلا يلام السبط لما مضى ... محدودب الظهر يؤم الخيام
إن الأخ الناصح فقدانه ... ليقصم الظهر أشد أنقصام
لو سيم بالدنيا لما باعه ... ومن سمى الأقران أنى يسام
وإن من كنت له ناصراً ... يا بن علي أبداً لن يضام

الوضائف السامية التي للعباس الأكبر عند الإمام الحسين «عليه السلام»:

وهذه الوظائف التي نلم بها هي من أعظم الوظائف في عصر الحضارة والمدنية والتي تلحظها الدول الحرة والممالك الراقية بعين الأحترام والتبجيل بما لها من عناية وما لها من ميزة خاصة، فالشخص الذي يحظى بواحدة من هذه الوظائف يكون له الكرسي الأول في صف كراسي أعيان الدولة ويقابله عاهل الأمة مقابلة التشريف ويختصه بالعناية الزائدة فما ظنك بمن حظى بهذه الوظائف الأربعة وحازها كلها وحمل أوسمتها أجمع ذاك من لا يقاس به إنسان في شعبه وأُمته.

وحيث كان الحسين بن علي «عليهما السلام» ملك الدنيا والآخرة وسلطانها بعد جده وأبيه وأخيه «عليهم الصلاة والسلام» من الوجهتين السياسيتين: سياسة الآخرة والدنيا؛ فالسياسة الدينية فيهما واحدة من جهة أتجاهها أتجاهاً مستقيماً حقيقياً على معدل واحد من حيث النظام والتشكيل الذي يقتضيه حفظ النظام العسكري وإن أختلفت المقاصد والأغراض وتباينت الغايات والأهداف.

فالملك السياسي الدنيوي غايته وهدفه أستقامة الملك ومقصده سلامة الدولة والسلطنة وحفظ كيانها وتركيز سيطرتها وتعميم نفوذها الخارجي الاستعماري.

والملك السياسي الديني مقصده الأسمى وغرضه الوحيد حفظ نظام الدين

وغايته حماية الملة وحراسة الشريعة عن التغيير والتبديل وتوسيع نطاق الدعوة إليه بأساليبه السلمية إلا أن تضطره الظروف إلى أتخاذ وسائل الحرب.

العباس سفير الحسين «عليهما السلام»

وحيث كان الهدف واحد والمنحى واحد وهو المحافظة على بقاء النظام وحفظه لأجل أستدامة السلطة الحكومية التي يتوصل بها إلى إشادة ما قصد له دينياً كان المقصود أو دنياوياً لا بد له حينئذٍ من دعاية لأجل جذب النفوس إليه بواسطة السفارة أو من ينوب عن تلك الدولة، ولا يقوم بهذه الوظيفة المهمة إلا رجل مثقف محنك ذا تجربة ومهارة فنية قد درس السياسة درساً متقناً وألمّ بالعلوم إلماماً كافياً مع كونه شديد الإخلاص لدينه وأميره ووطنياً قحاً متفانياً في ترقي دولته وحكومته إن كان سياسياً دنياوياً صرفاً عاقلاً حكيماً يمثل أميره وإمامه تمثيلاً بديعاً ويصوره بأحسن تصوير على كلا الحالين وبدون فرق بين المصلح الديني والأمير السياسي المحض وهو المعبر عنه بالسفير أو وزير الخارجية أو القنصل، إذ ربما تجتمع هذه الألقاب وربما تنفرد كما ستعرف.

أما قدماء العرب من المسلمين فيطلقون عليه اسم الوالي الخاص أحياناً والوكيل والداعي أحياناً ويعنون به نائب الخليفة والسلطان عند الحكومات الأجنبية أو في داخلية البلاد للأُمور الخاصة، وقد يكون مثلاً لأُمته وشعبه وسفيراً عن حكومته خارج المملكة وهو بهذا الأسم وربما أطلقوا عليه اسم الرسول.

وهذه الوظيفة بأي معانيها أُخذت وبأي سميتها سفارة أو نيابة أو ولاية كانت لمسلم بن عقيل بن أبي طالب «عليهم السلام» فإنه كان نائب الحسين «عليه السلام» في الكوفة وسفيره عند أهل العراق.

وقد يكون السفير سفيراً في المسائل الخاصة ما بين الملك وشعبه أو بينه وبين دولة أجنبية ويحدد له الملك تلك المسألة الخاصة تحديداً لا يتجاوزه فيحمل إليهم رسائله وخطاباته المتضمنة لإرادته ويطلعه على أسراره وهذه الوظيفة كانت للعباس بن علي «عليهما السلام»، ومن المهم في هذا المقام التعريف بالسفارة ما هي ولأي شيء تراد ومحلها عند الدول الحرة والحكومات المتمدنة وحيث إنا كتبنا في كتابنا السياسة العلوية فصلا مطولاً في السفارة نختصره هنا ونورد ما يحتاج إليه القارئ.

معرفة السفارة وأول تسميتها بهذا الأسم

هذه تسمية إسلامية وأول من سماها بذلك كتاب الله القرآن المجيد فإنه أول من عرف الواسطة بين شخص وآخر وأدى الرسالة إلى آخر سفيراً فقال تعالى في صفة الملائكة: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[1]، ثم تلته السنة النبوية كما جاء في الحديث الشريف أن النبي ﷺ عرف جبرائيل «عليه السلام» أمين الوحي أنه سفير الوحي ولم تكن الأُمم ولا العرب تعرف هذا الأسم إنما كانوا يعرفونه بالرسول والواسطة وأمثال ذلك.

اشتقاق السفارة:

حيث أن هذا اللفظ مادة عربية مستعملة في معنى الإيضاح أشتق منها هذا لمناسبة بينهما لأن السفير يوضح مقاصد منتدبة وتلك المادة إما تكون هي الإسفار إذ يقال أسفر الصبح إذا وضح أو من السفور وهو رفع الحجاب، يقال: امرأة سافرة يعني واضحة المنظر لا يسترها حجاب ولا نقاب، وتسمية الملائكة سفراء بهذين المعنيين صحيح إما لأنهم أسفروا للحق بنزولهم على الأنبياء بالوحي فأوضحوه لهم أو لأنهم رفعوا نقاب الشك وقناع التشكيك عن وجه الشرائع المنزلة من الله على الأنبياء فقد أظهروا الحق وابرزوه، وأُطلق على الواسطة والوساطة بين اثنين أو نوعين في مشروع ديني أو سياسي معتبر والملائكة وسطاء بين الخالق والمخلوق في تبليغ الأحكام عن الخالق تعالى إلى مخلوقاته وقد ذكرنا معنى سفارة الملائكة في كتابنا «السياسة العلوية» فاطلبه إن أردت الإحاطة به.

كيف اشتقت السفارة من المعنى اللغوي؟

قال الفيومي في المصباح المنير[2]: سفرت الشمس طلعت سفرا من باب ضرب، وسفرت بين القوم أسفر بينهم ـ بالكسر ـ أصلحت فأنا سافر وسفير.

وقيل: الوكيل ونحوه سفير، والجمع سفراء، وكأنه مأخوذ من قولهم سفرت الشيء سفراً من باب ضرب إذا كشفته واوضحته لأنه يوضح ما ينوب فيه ويكشفه، وسفرت المرأة سفوراً كشفت وجهها فهي سافر، واسفر الصبح إسفاراً أضاء، وأسفر الوجه إذا علاه جمال.

---

(١) عبس: ١٣ ـ ١٦.
(٢) المصباح المنير ١/ ١٧٣.

وقال ابن الأثير في النهاية[١] في الحديث الماهر بالقرآن مثل السفرة وهم الملائكة جمع سافر، والسافر في الأصل الكاتب سمي به لأنه يبين الشيء ويوضحه ومنه قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾[٢].

وفي القاموس: سفر الصبح يسفر أضاء وأشرق كأسفر، والحرب ولت والمرأة كشفت عن وجهها فهي سافر، وسفر بين القوم أصلح يسفر ويسفر سفراً وسفارة وسفارة فهو سفير، وقال بعد كلام: والسفراء الكتبة جمع سافر، والملائكة يحصون الأعمال.

وفي مجمع البحرين[٣]: السفر: ـ بالكسر ـ الكتاب يسفر عن الحقائق، والسفير الرسول بين القوم يزيل ما بينهم من الوحشة، والسفارة ـ بالكسر ـ الرسالة فالرسول والملائكة والكتب مشتركة في كونها سافرة عن القوم بما اشتبه عليهم.

وفي الحديث: حق إمامك عليك في صلاتك بأن تعلم أنه تقلد السفارة أي الرسالة بينك وبين ربك، إنتهى.

يريد أن إمام الجماعة واسطة بين المأموم وربه، وقد قال الفقهاء: إنه يحتمل صلاة المأمومين ويضمن الخلل الواقع في الصلاة ما عدى الإخلال بالطهارة.

معاني السفير

يتحصل لنا من مجموع الأقوال أن للسفير ستة معان:

أحدها: إن السفير هو الرسول وهو واسطة التبليغ.

الثاني: إن السفير هو الوكيل وهو النائب في أمر خاص أو عام.

الثالث: إن السفير هو الكاتب المختص بوظيفة المخصص لشأن مهم.

الرابع: المصلح وهو الساعي وفي إخماد ثورة أو تسكين مشاغبات بين عشيرتين أو حكومتين أو شعب وحكومة.

الخامس: المفسر المتكفل ببيان ما أشكل من الأُمور الغامضة وإيضاح المواد المبهمة من الاحكام الشرعية والحقوقية السياسية الكاشف عن دقائقها ومخبآتها وخفاياها كشفاً مقبولاً.

السادس: الشخص البارز بصورة ترفع التلبيس والظاهر بصفة تزيل التشكيك كالصبح المسفر بما يزيل الشك عن إقبال طلوع الشمس، ومن هذا القسم الملائكة

---

(١) النهاية ٣/ ١٦٤.
(٢) عبس: ١٥.
(٣) مجمع البحرين: ص٣٠٤.

الذين ينزلون بالوحي الإلهي من الله تعالى على الأنبياء فإنهم يبرزون لهم بحقائق منكشفة توجب القطع والعلم اليقيني بأنهم ملائكة صالحون من ملائكة الله تعالى وأُمنائه على وحيه وإيحائه قد أستودعهم سر وحيه واختصهم بالسفارة بينه وبين الأنبياء بحيث تزول الأسترابة ويحصل اليقين بأنهم هم وليسوا من الملبسين على أرباب الكهانة المتلبسين بالشيطنة المستولين بوساوسهم على كثير من الإنس كما ينبئ عن ذلك صفة نزول الوحي على رسول الله ﷺ أول ما نزل عليه جبرائيل «عليه السلام» وما قاله رسول الله ﷺ لخديجة أُم المؤمنين وما قاله بن نوفل لخديجة «عليهما السلام» لما سألته عما أخبرها به رسول الله ﷺ فقال ورقة: أمتحنيه فإذا دخل عليه الملك فليخبرك واكشفي عن رأسك فإن ثبت فهو شيطان وإن توارى فهو ملك، ففعلت فلم يره رسول الله ﷺ فأخبرت ورقة بذلك فقال: أبشري فإنه يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وعيسى «عليه السلام» والقصة بطولها في سيرة النبي ﷺ.

وكما أن من هذا القسم سفرة الوحي الإلهي وهم الملائكة كان من القسم الثالث الملائكة الكتبة أو الكرام الكاتبون الذين يكتبون الأرزاق والأعمال والآجال وما يتجدد من أوامر وما يكون في المستقبل من حوادث.

ومن القسم الخامس أئمة الهدى وهم الإثنى عشر من الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» إلى الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر «عجل الله فرجه» واوصياء الأنبياء وسائر حفظة النواميس الإلٰهية ومبيني مشكلات الشرائع المقدسة لعامة المكلفين من حيث أنهم مستودعوا الشرع الأقدس ومستحفظوا الأسرار.

ومن القسم الثاني الملائكة الكروبيون أو زعماء النوع الروحاني والجسم الشفاف النوراني وهم الرؤساء الأربعة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل فكل واحد منهم كان وكيلاً خاصاً على أُمور خصصه لها الباري تعالى ووظائف وظفه لها وعينه للقيام بها وهذه الأُمور مبسوطة في كتب الحديث والتفسير فراجعها، ومن هذا القسم من النوع الإنساني الجثماني الكثيف سفراء الدول اليوم لأُمور خاصة ورسل الملوك السابقين كما يقال: أرسل الخليفة إلى ملك الروم رسولاً أو بالعكس.

أما القسم الأول فيقسم هكذا فيقال الرسول مرة يكون روحانياً ملكاً كما يقال لجبرئيل رسول الله إلى الأنبياء والرسل على جهة العموم، وميكائيل وإسرافيل

في أُمور خاصة يرسلهم الله تعالى إلى بعض المرسلين وقد قال الشاعر في شعره المعمى:

شهدت بأن الله ليس بخالق وان رسول الله ليس من البشر
وإن علياً لم يكن بابن عمه ومن شك في هذا المقال فقد كفر

توضيح الرمز في هذا المعمى: الخالق هنا البالي فيقول: الله ليس ببالي من باب خلق الثواب إذا بلى، ورسول الله وهو جبرائيل ليس من البشر، وعلي لم يكن بابن عم جبرائيل «عليه السلام».

ومرة يكون الرسول بشرياً جسمانياً، وهو نوعان: رسول من الخالق إلى المخلوق، وهم الرسل من الأنبياء، ورسول من مخلوق إلى مخلوق وهذا نوعان: رسول في نشر الدعاية الإلٰهية بإرسال الرسول إياه وبعثه له بتنصيص منه عليه بأختياره له برأيه وفكرته أو بواسطة الوحي إليه في إرساله كما يقال: رسل عيسى «عليه السلام» إلى أهل إنطاكية وقد حكى الله ذلك بقوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾[1] والرسل الذين لم يوح بإرسالهم كرسل النبي ﷺ إلى ملوك الأطراف لدعايتهم إلى دين الإسلام كهرقل وكسرى والنجاشي والمقوقس وأمثالهم.

وفرق بين هؤلاء وبين من كان اختيارهم بالوحي أن الذين أختارهم الرأي هم على ما عليه لا فضيلة لهم إلا بالمجاهدة والإخلاص للمرسل والنصح للدين والذي يختاره الوحي ملحق بالنبوة أو له منصب النبوة الخاصة فهم كالأوصياء للأنبياء فإن الأوصياء سفراء بين النبيين وبين أُممهم في حال حياتهم كما قال رسول الله ﷺ في عزل أبي بكر عن تبليغ براءة: لا يؤدي عني إلا علي أو أنا، وبعد وفاتهم فالأئمة الإثنى عشر الذين نص على إمامتهم وأقامهم بعده للأُمة أعلاماً وجعلهم مناراً للمسترشدين وهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» وأحد عشر من ولده بينهم رسول الله ﷺ بقوله: الأئمة بعدي إثنى عشر كلهم من قريش، وفي لفظ «الأوصياء» كما رواه جابر بن سمرة وغيره ودل عليهم بأحاديث الثقلين قائلاً: إنهم مع القرآن لن يفترقا، وقوله: لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، وقوله: علي مع الحق والحق مع علي وغيرها، وقد تحدى علي «عليه السلام» الناس معلناً: سلوني قبل أن تفقدوني، لم يجمع لجنة من الصحابة لأخذ الفتيا منهم ولم يقل أقيلوني، ولم يقل لولا.

---

(١) يس: ١٤.

ثم إن هناك أقوال صادقتها أفعال كقوله ﷺ: علي مني ولا يؤدي عني إلا رجل مني، وليس الغرض من هذا وأمثاله مما جرى مجراه مجرد القول الوارد مورد الأمتنان والتفضل فحسب بل المراد أن تلك النفس الزاكية الطيبة الصافية المصفاة كنفس النبي القدسية الممتلئة صفاء ونوراً في أهليتها وقابليتها، وأصرح من الجميع قوله ﷺ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي الذي لم يستثني من منازل هارون إلا النبوة فباقي الصفات ثابتة له.

ومنها السفارة بين الخالق والمخلوق وإن كان المقام متفاوتاً في التربية بأن كانت سفارة النبي ﷺ بواسطة الوحي بجميع أنواعه فهي أجل وأكمل، وسفارة وصيه بواسطته وبواسطة الإلهمام الذي هو نوع من الوحي وهو أدق مراتب الوحي، ويقال لمن اتصف به المحدث والملهم ومنشأه صفاء النفس القدسية المجلوة بجلاء الحق والمصقولة بصقال الحقيقة وطهارتها ونزاهتها عن دنس المأثم أفاظتا عليها العناية الإلٰهية سجالاً من الإفاضات العالية ولها من حيث كمال صفائها وصقلها التام اتصال بالعالم الأعلى وإن شئت أن تختصر فتقول: السفير محمد ﷺ ونائب السفير علي «عليه السلام».

وأما الرسول من بشر إلى بشر لغير الدعاية الدينية بل لتمهيد القواعد السياسية ولدعوة سلمية أو لربط علائق ودية بين حكومتين وشعبين وضبط شؤون الدولة والمناقشة في أنظمة المملكة وتقرير الحقوق الدولية والمطالبة بما لها من الرسميات من أوسمة وامتيازات أو لتأكيد رابطة السلام وتوطيد الأمن بين دولتين أو دول لمطالعة القوانين المسنونة جديداً ولها علاقة ببلاد السفير ومساس بشعبه وحكومته في سياستها الخارجية وهذا وأمثاله كثير من الأُمم قديمها وحديثها وهو في الأُمم القديمة وإن لم يرتبط كما هو اليوم بنظام قانون ومشروع دستور مدني لكنه مقرر على أُصول يطالعها الرسول دراسة بما يرسمه المرسل أو يشافهه بما يريد لا يعدوه وهذا لا يقع تحت الضبط لكثرته كرسل ملوك بني أُمية إلى من عاصرهم من الملوك، وكرسلهم إلى قواد جيوشهم وأُمراء ثغورهم وكذلك من تلاهم من ملوك بني العباس والفاطميين وغيرهم.

أما الثاني من الأقسام الثمانية فيتصور أيضاً على جهتين: أحدهما دينية والأُخرى دنيوية وقد تجمعهما معاً سياسة واحدة يقصد بها الأمرين جميعاً؛ فالسفارة الدينية الصرفة كإرسال رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب «عليه السلام» مع مهاجرة المسلمين إلى الحبشة لدعاية النجاشي ملك الحبشة إلى دين الإسلام،

وكإرساله ﷺ مصعب بن عمير العبدري إلى المدينة لنشر دعاية الإسلام فيها مع أسعد بن زرارة الخزرجي فأسفرت تلك السفارة عن أعظم النتائج بإسلام زعماء الأنصار الأوس والخزرج مثل سعد بن معاذ الأوسي الأشهلي وسعد بن عبادة الخزرجي الساعدي وأمثالهما وهما اللذان سمع الهاتف يهتف بمكة:

فإن يسلم السعدان يمسي محمد بيثر لا يخشى خلاف مخالف
فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصر ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
أجيبا إلى داعي الهدى وتبوءا من الله في الفردوس زلفة عارف

وكإرسال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» إلى اليمن فأسفرت رسالته عن نتائج صالحة للإسلام، أسلمت همدان كلها في يوم واحد، واسلمت مذحج والقبائل بعد مناوشات أعقبتها العاقبة الحميدة ورجع مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام» ظافراً حميداً.

أما السفارة التي تجمع الجهتين الدينية السياسية فمثلها إرسال الحسين «عليه السلام» لابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة رسولاً ينشر الدعاية إلى أهل البيت النبوي المضطهد تحت ضغط أحكام الجائرين وسلطة الجبارين من بني أُمية وينشر الدعاية إلى التعاليم الإسلامية الدينية التي سحقتها حكومة الاستبداد الأموي الصارم ويبث الدعاية إلى إقامة العدل وقمع العدوان الذي يقوم به عمال تلك الدولة الفاخرة، فقام بتعاليم تشبه أن تكون جديدة أو تظن جديدة لما ألفته الأُمة من سنن فرعونية وأنظمة هرقلية لأن الآثار النبوية وسننها العادلة قد محيت ودرست إلا من أفراد في غاية الندرة والقلة قد حافظوا على ديانتهم المحافظة المرضية.

ومن الوجهة السياسية إنه «عليه السلام» يتألف الزعماء كما تألفهم جده رسول الله ﷺ ويتودد الأشراف الذين رسخوا على حب الإثرة والاستبداد وأعتقدوا محبة العاجل التافه وآنفوا من الرضوخ للحق لما زعموا أن فيه هضماً لكرامتهم وثلماً لسدة مجدهم فهو يتألفهم بما لا حرج عليه به في الدين ولم تحضره عليه الشريعة الغراء كما تألف النبي ﷺ قريشاً وزعماء العرب فلم يخرج «عليه السلام» في سيره عن خطة الإصلاح ولم يتجاوز مراسم الشرع الأقدس قيد شعرة فلذلك تراه لم يتخذ الفرصة غنيمة وإن حسب الجاهل أن تفويتها من قلة التدبير وعدم الخبرة بالسياسة وفقد المهارة والمقدرة على الإدارة، كل هذا النقد من سخافة الرأي وركة العقل أن يقول من الوهن والضعف إضاعة الحزم في الفتك بابن زياد وقتله غيلة عندما دخل بيت هاني والمنع من الهجوم على قصر الإمارة

والأقتحام حيث أمكن الأقتحام وكل هذه فرص قد أضاعها بعد أن مكنته من عدوه فلم يظفر بمثلها، هكذا يتخيل القادح القريب الغور المحدود الفكر، ولو كان محنكاً ذا تجارب وسبر غور الوقائع وتفطن لما يدركه الحازم بذكائه وإن لم يشرحه شرحاً مفصلاً علم أنه غير خفي على سفير الحسين «عليه السلام» وممثل سلطانه في تلك العاصمة الإسلامية المهمة وأن نتائج الظفر العاجل واسباب الغلبة الفعلية قد تكاملت وإن التفوق والرجحان الوقتي قد لاحت إشاراته ودلائله لكنه «عليه السلام» نظار في العواقب بثاقب فكرة مستقبل بفطنته ما تتمخض به الأيام من أُحدوثة فهو يأبى لما لمحته عقليته الصادقة ولمسه تفكيره الصائب ارتكاب الخطط الذميمة ويأنف من أقتحام العقبات المشرفة على الفضيحة وعار الأبد ويأنف له الشمم الهاشمي والأنفة العلوية نيل كل ذميم ممقوت لأن هذين الفعلين قد أقترنا بالغدر والجور في قتل الضعفاء ومن لا ذنب له من الصبية والنساء الذين تحصن بهم وبهن ابن زياد وأُناس حبسهم في القصر خوفاً منهم والجيش الظافر لا تؤمن معرته ويخاف بطشه وكم فيه من شباب طائش وكهل حاد النكاية شديد النقمة.

فتنكب عن تلك الخطة وسلك النهج القويم المعتدل لئلا يقال فيه وفي الحسين «عليه السلام» أنهما طلاب دنيا وبغاة سلطنة وملك لا طلاب حق ودين وإلا لما أرتكب هذا الذي نهت عند شريعة الإسلام وهجنته العقلاء وليس كل الناس يعلم ابن زياد «لعنه الله» مهدور الدم في الشرع الإسلامي بل أعتقاد كثير أنه على ظاهر الإسلام وقد ولدت العصور المتأخرة بقرون عن مسلم بن عقيل أمثال ابن العربي المالكي والغزالي الشافعي وهما من العلماء فحكما ليزيد وابن زياد بالإسلام وحرما لعنهما مع انتشار فسقهما في الآفاق وعرفه الغزالي وابن العربي وغيرهما فكيف بعصر مسلم عصر الاختلاط.

فحمى سفير الحسين «عليه السلام» نفسه عن الوصمة وشرفه عن وسم الخداع والغدر والعدوان، وصان دعايته العالية عن التلبس بسفاسف الأُمور وأدانيها وإن ضحى نفسه بهذا الأمتناع وقتلها بهذه الإباية، وهل الموت إلا معشوق ذوي النفوس الحرة والهمم العالية ولتبقى على مرر الأيام ظلامتهم تنشر الذكرى على الأجيال وتردد الأغيار من الأحرار في محافل التذكار لمشيد نهضة التخلص من الأستعباد ومؤسسي مقاومة الأستعمار بأحرج الوسائل وهي التضحية الحية مدى الآماد.

أما السفارة السياسية المحضة والخالصة لمصالح الدنيا فأظهر أفرادها وكلاء

الدول اليوم في البلاد الأجنبية وهم المخصصون لربط العلائق بين حكومة وأُخرى، والموظفون لمصالح دولهم وحقوق رعاياهم في تلك البلاد وعلى أيديهم تجري المراجعات بين الحكومتين في الشؤون السلمية، وعلامة الفساد بين الدولتين سحب السفراء وغلق السفارة.

وأما الرابع من الأقسام الستة فمصاديقه كثيرة:

منها ما وقع في الحروب الدينية مثلما وقع بين رسول الله محمد ﷺ وبين قريش في غزوة الحديبية وترددت السفراء بينه وبينهم فإنهم بعثوا إليه سيد الأحابيش وسيد ثقيف وغيرهما فتمت بتلك السفارة الهدنة المعروفة بصلح الحديبية على شروط ذكرها علماء المغازي.

ومنها ما وقع في حرب صفين بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» وبين معاوية بن أبي سفيان فإنه قبل التحام الحرب بينهما ترددت السفراء بينهما وفي طليعتهم القراء فلم تنجح تلك السفارة حتى صبغت البسيطة بالدماء المسفوحة من هام الأبطال ونصبت جثث القتلى في ذلك المعترك المهول كالهضبات والتلال فلاذ جيش معاوية بنصب المصاحف على الرماح، ونادى مشيخة أهل الشام الله الله في البقية يا أهل الإسلام، فمشت السفراء عند ذلك بالمصالحة فتمت الهدنة على الشروط المدرجة في صحيفة الموادعة.

ومنها ما وقع بين الحسن بن علي «عليه السلام» وبين معاوية فبعد مناوشات بين الجيشين العراقي والشامي وظهر الفشل والنفاق في الجيش العراقي وتخاذل جند الحسن «عليه السلام» ونجمت فيهم الخيانة وبان الغدر ولم يكتفوا بذلك دون أن أغاروا على فسطاطه فأنتهبوه وضربوه في فخذه بخنجر وانتزعوا مطرفه من على منكبه وهكذا شيم اللئام وسجايا الجنباء الأشرار فأضطر كما أضطر أبوه إلى عقد الهدنة بعد أن سفرت بينهما السفراء فتم الصلح على شروط يضبطها التأريخ وقاس بها معاوية بعد التمكن وصرح بنقضها معلناً.

للمؤلف:

فيا بن أبي سفيان كم لك غدرة ... تناقلها الأجيال في الحفلات
وفّى لك سبط المصطفى بعهوده ... وخنت ولم تنفك ذا غدرات
أبوك أبو سفيان أفجر فاجر ... وأنت ابنه أُورثت شر صفات
وإن الزكي المجتبى شبه جده ... بأخلاقه الحسنى وخير سمات

نفا عنه شين الريب سبط محمد وقست ولم تقلع عن الفجرات
وتخدع أوباشاً لديك تجمعت من الطغم بالتعليل في الشبهات
فحسبك أن تنمى لهند وإنها لآكلة الأكباد بالشهوات
من النسوة اللاتي تعد فواجراً من السكر لا تنفك في النشوات
وحسب الزكي المجتبى أنه انتمى لفاطمة الزهراء بنت هدات
لها أُمهات طهرها متيقن من الزاكيات النفس والخفرات
ألفن مقاصير الحجال صيانةً ولم يخرجن كالنسوان مبتذلات
وفاطمة الزهراء سيدة النسا مصونة وحي الله في الحجرات
وآباؤه هل تلقى مثل محمد ومثل علي خائض الغمرات
وعمر والعلى أو شيبة الحمد لم يكن كصخر وحرب دائم الهفوات

ومنها ما وقع بين الحسين بن علي «عليهما السلام» وبين عمر بن سعد فإن السفراء مشت بينهما في عقد الصلح وإرادة إتمامه، ومن هؤلاء قرة بن قيس الحنظلي وحيث أن عمر بن سعد لم يكن حر الإرادة ولا مالكاً لسلطة التنفيذ بل كان مستعبداً للعبدين العبد الدعي ابن الدعي عبيد الله بن زياد توقف نجاح السفارة على مطالعة رأي الفاجر ابن مرجانة لذا بادر أمير القوة ابن سعد برفع طلبات الحسين «عليه السلام» إليه في تقرير قواعد السلم وقدم شروطه الكافلة بإتمام الصلح وحيث كان ابن زياد متهوراً لجوجاً جباراً عاتياً ولم يكن من رجال السياسة والدين والتدبير رفض كل أقتراح للحسين «عليه السلام» ورد كل طلب له وما أجاز غير قتله أو أسره أستسلاماً والأستسلام في نظر الحسين «عليه السلام» الأبي مستغرب لا يظن أن أحداً يسومه إياه أو يرومه منه لأنه أستعباد تأباه نفس الحسين الكريمة وهمته الشماء التي يتقاعس عن بلوغها النسر المحلق وكيف يسام الحسين «عليه السلام» الهوان وأنفه يرعف شمماً ويعطس إباء وحمية وتفادياً من المذلة وتفانياً وتهالكاً في سبيل العز والمجد فأختار الحرب عند ذلك على السلم وآثر المنية على الدنية، وحيث يقول في خطبته الحماسية المشهورة (ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: الذلة أو السلة وهيهات منا الذلة) الخطبة المعروفة، وحيث يقول مؤبنه الحماسي السيد حيدر الحلي:

طمعت أن تسومه القوم ضيماً وأبى الله والحسام الصنيع
كيف يلوي على الدنية جيداً لسوى الله ما لواه الخضوع

ويقول في مرثية أُخرى:

وسامته يركب إحدى اثنتين وقد صارت الحرب أسنانها
فإما يرى مذعناً أو تمو ت نفس أبي العز إعانها
فقال لها اعتصمي بالإبا فنفس الأبي وما زانها
إذا لم تجد غير لبس الهوان فبالموت ننزع جثمانها

ومنها ما وقع في الحروب السياسية المحضة التي أنشأها حب الاستيلاء والأستعمار واثارها الاستبداد إرادة القهر والغلبة وكونها الشره والمطامع كما في الحروب الدولية الشرهة الجشعة وأهاجها التكالب على السلب والنهب بين القبائل وما شابه ذلك وقد أوردنا كثيراً من ذلك في السفارة من كتابنا «السياسة العلوية» تركناه هنا لأن هذا الكتاب لا يتسع للتفاصيل.

رأي البستاني في السفير والسفارة

لا شك أن المتبحر في الفصل الطويل الذي عقده (البستاني) في دائرة المعارف لتحقيق معنى السفارة والسفير إنه أخذ السفر من أحد معنيين أقتصر عليها: أحدهما المصلح، وثانيهما الوكيل، وأنا أجد له عذراً مقبولاً وهو أن الرجل سياسي أكثر منه مؤرخاً، وتأليفه لا يعدو المشاريع الدولية والمنظمة السياسية فهو دائماً يحرر التطورات الدولية ويبرهن على مشاريع الحضارة عند الشعوب المتمدنة حسبما يقبله الفكر الجديد ويلائم الأذواق العصرية، وتروجه الطريقة الفنية المبتكرة عند المتمدينين من دول الحضارة الجديدة فلذا تراه يلم بآثار الدول الأُولى وعاداتها القديمة إلماماً يسيراً ريثما يتهيأ له التعريج على مدارج الرقي والنهضة فيرتبط ذلك التافه في نظره بالرائج من النظام الدولي الحديث فلذلك أقتصر من معاني السفير على الوكيل والمصلح بين القوم، ومنه السفير لوكيل دولة عند دولة أُخرى وقديماً كانت الدول يرسلن سفراء لهن ويحددن لهم أجلاً محتوماً إذا أنقضى عاد إلى بلاده وبقيت هذه العادة إلى أوائل القرن السابع عشر للميلاد إذ صارت الدول تعين السفراء إلى أجل غير محتوم وهذا ما جعل السفراء على رتبتين: سفير عادي أو سفير دائم موقت إلى آخر كلامه المطول.

ويشهد له ما ذكره نصر بن مزاحم في كتاب صفين أن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» لما أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام ليبايعوا له قال «عليه السلام»: إني قد أرسلت جريراً وضربت له أجلاً لا يقيم بعده إلا عاصياً أو مخدوعاً الخ.

أقسام السفراء الدولية ومهنتهم في عصور الحضارة:

قال حسن باشا فهمي في كتاب حقوق الدول[١]: ولئن كانت القاعدة التي كانت مرعية الإجراء بين الدول من قديم هي عبارة عن إرسال سفراء موقتين لبعضهم البعض عند اللزوم لأجل ربط العلائق لكن قبل عصرين أتخذ الدول إرسال سفراء دائمين وهذ الأُصول الجديدة ظهرت للوجود بعد الحروب المشهورة بحروب الثلاثين سنة وعقد معاهدة وستفاليا سنة ١٦٤٨م أنتجت تأسيس الموازنة الدولية بأُوربا وكانت مأمورية السفراء فيما تقدم واسعة ومأذونيتهم مطلقة لكن لما ظهرت الوسائط التي سهلت أمر المخابرات مثل الغابور والسكك الحديدية والتلغرافات لم يعد يفوض إليهم أمر حسم المسائل المهمة من تلقاء أنفسهم بل إنهم بعد الاستئذان من دولهم يعملون بموجب ما يرد عليهم من التعليمات ولهذا لم تترقى مرتبة السفراء بمرور الزمان بل بالعكس قد تنازلت كثيراً فوق العادة سيما وإن تعميم أُصول إرسال السفراء الموقتين بعنوان سفير كبير فوق العادة لحل بعض المسائل المهمة وكذلك ظهور عادات مثل اجتماع الملوك مع بعضهم البعض أحياناً ومخابراتهم في مصالحهم بالذات ضيق دائرة مأذونية السفراء وزاد في تقييدهم الخ.

شروط صلاحية السفير يستخرجها المؤلف من فحوى الكلمات:

لم أجد من حرّر شروطاً معتبرة للسفير سوى أن بعض السفراء للدول إذا كان وزيراً مفوضاً تطبق عليه شرائط الوزير ويمكننا من ملاحظة أحول السفراء في كل طور من أطور السفارة ونظراً لمناسبة منصبه وأرتباطه بالإدارة العليا أن نخترع له شرائطاً فنقول:

أما السفارة الربانية والمفوضية الإلٰهية بجميع أنواعها سواء كان السفير ملكاً روحانياً أو بشراً جسمانياً، نبيّاً كان أو وصياً، إمام حق منصوصاً عليه نصاً جلياً لا يحوجنا إلى تحرير شرط فيه لأن الانتخاب الإلٰهي والاختيار الرباني لا يقع إلا على الأكمل والأصلح وإنما تعتبر الشروط فيمن دونهم في الرتبة من السفراء الدينيين والسياسيين الذين يقع منهم الخطأ وتخشى غائلتهم وإن لم تكن فربما كان تقصيراً في تأدية الوظيفة أو فتوراً عن القيام بما أُنيط به إذ الإنسان معرض لكل هذه الأُمور.

أما السفير الديني ونعني به من نصبه النبي أو الإمام فشروطه المعتبرة فيه العلم والحلم والعقل والخبرة بأحكام الشريعة الإسلامية وسننها في الأقتصاديات

---

(١) حقوق الدول: ص٩٤.

والاجتماعيات والسياسيات والحنكة والتجربة والمعرفة بالأطوار والأوضاع الداخلية والخارجية والفطانة لما يقع في المحاورات من النكت والدقائق والرموز والإشارات ومغزاها وما يراد منها وقوة الديانة لئلا يتجاوز العدل والبصيرة لئلا يرتاب فيها عند عروض الشبهة وطرء المجازفات الوهمية والمحافظة على ناموس الشرع وقانون الملة وقواعد الدين لئلا يسحق بعض موادها مجاملة للخصوم والكفائة فيما ندب له والدراية بمصالح الناس وسياسة الطبقات فإن لكل طبقة شكل من السياسة فما لا يخالف الشريعة ولا يمس كرامة الملة وقد أجتمعت هذه الشروط في السفراء الأربعة الذين هم نواب مولانا المهدي المنتظر «عجل الله فرجه» في الغيبة الصغرى عقيب وفاة أبيه الإمام الحسن العسكري «عليه السلام» وقد جد سلطان الوقت في طلبه وجرى من الجور الفظيع على آل محمد ﷺ وعيال العسكري ما هو عظيم وفظيع وقد شرحته كتب الحديث فغيب «سلام الله عليه» شخصه عنهم وأقام لشيعته نواباً عنه جعلهم سفراء بينه وبين الشيعة يخلف بعضهم بعضاً إلى تمام أربعة فوقعت الغيبة الكبرى وأنقطعت السفارة.

وأول هؤلاء السفراء «رضوان الله عليهم» أبو عمرو عثمان بن سعيد الأسدي السمان ولم أقف على نص صريح في عام وفاته ولكن مقتضى النص على وفاة ولده محمد بن عثمان وهو الثاني من السفراء في جمادى الثانية سنة ٣٠٥ أو ٣٠٤ وبقي سفيراً ٥١ سنة وقد تلقى يوم وفاة أبيه عثمان بن سعيد فتكون وفاة السفير الأول على هذا سنة ٢٥٤ أو ٢٥٥ هـ.

السفير الثالث أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي المتوفى سنة ٣٢٦ هـ.

السفير الرابع أبو الحسن علي بن محمد السمري وهو آخرهم وتوفي سنة ٣٢٩ هـ وبه أنقطعت السفارة بين الشيعة والإمام المنتظر «عجل الله فرجه».

ومراقد هؤلاء السفراء في العاصمة العراقية بغداد كلهم في جانب الرصافة؛ أما عثمان بن سعيد ففي طريق القشلة، وأما أبو الحسن السمري ففي قيسارية البزازة، وأما الحسين بن روح ففي سوق الشورجة، وأما محمد بن عثمان ففي محلة الشيخ وله محلة تنسب إليه تعرف بالإمام الخلاني.

واما السفير السياسي المحض فتراعى فيه الشروط غير أن الحكومات الحرة في هذه العصور ألغت القوانين الشرعية وابدلتها بالقوانين الوضعية في سائر الأديان فيراعي في سفيرهم العلم بمواد القانون الوضعي والمعرفة بأحكام الدستور التشريعي الدولي لا غير.

مكانة السفير عند الدول الحرة والأمم المتمدنة

كل من له إحاطة بسياسات الدول واطلاع على أنظمتها يعرف عظمة هذا السفير وتقدير شخصيته وأن له حقوقاً قانونية خاصة تلزم مراعاتها ويجب عندهم اعتبارها، وكلما كانت الدولة أعظم فسفيرها أجل وأعظم فسموه منوط بسمو ملكه وعظمته مرتبطة بعظمة دولته.

قال البستاني في دائرة المعارف: لما كان السفير ينوب مناب ملكه وحكومته عند دولة أجنبية كان شخصه محترماً لا يقرب بأذى أو إهانة إلا ويحسب ذلك تحاملاً على حكومته لذلك فهو معفي من الأحكام المحلية وهذا الإعفاء يشمل أعضائيته أيضاً فهم فيه سواء لا يقاضون ولا يحجر عليهم إلا بمصادقة، أما موقعة بالنظر إلى رعية حكومته في البلاد التي بعث إليها فيختلف بأختلاف الدول فإن لكل دولة منها نظاماً تجري عليه وأمر تأتمر به، وقديماً كان السفير إذا أستجار به مذنب أعطاه الذمام وأعانه على حاجته ما وسعته القوة وكذلك إذا أذنب أحد رعيته وأقترف جناية قاضاه وأسرع في عقوبته لكن الأمر بخلاف ذلك في هذه الأيام فقد وضعت المعاهدات والمواثيق الدولية حدوداً لهذه الأُمور لا يمكن إغفالها.

وللسفير عظمة أيضاً واحترام فإن السفير إذا جاء منزل وظيفته أطلع ناظر الخارجية على أوراق تعيينه وسأله الدخول على صاحب الأمر فيستأذن له الوزير في الدخول عليه في وقت يعينه هذا لقبوله حتى إذا أزف الوقت المعين أرسل الملك من يعتمده في إدخال السفير عليه وصحبته عربة ملوكية إعزازاً لمقام حكومة السفير الأجنبي فإن ما يبذله هذا الملك من الرقة والقرب من ذلك ليصادف مثله سفيره في البلاد التي كان منها السفير حتى يصل إلى القصر الملكي وهو في السدة الملوكية وإلى جانبه معتمد الملك ويسلم عليه العساكر وتعزف له الموسيقى وتجيبه الجميع بما ينبغي لمقام مليكه من الإكرام والتبجيل ويخرج له بعض كبار الدولة إلى أسفل الشارع ويسير في معيته إلى حضرة الملك وهم جميعاً بالملابس الرسمية، وقد جرت العادة أن يجلس الملك في مثل هذه الزيارة في قاعة العرش فيدخل السفير عليه ويدفع كتاب تعيينه إليه فيأمر له الملك بالجلوس وعقيب هذه الزيارة يعود السفير مشمولاً بما سبق من التكريم.

ثم ذكر السفير الموقت وأنه ليس له هذا الإكرام وذكر أن وظيفة السفير فوق وظيفة المعتمد لأن للسفير حق الدخول على الملك بلا منة لأنها من الحقوق

الدولية والمعتمد دخوله على الملك منة عليه لأنه ليس من حقوقه الدخول على الملك، وما في بقية كلامه من كثير فائدة.

مراتب السفراء المدنية:

قال حسين باشا فهمي في كتاب حقوق الدول[١]: إن رسوم التشريفات المتعلقة بالسفراء قديماً كانت تنقسم إلى أصناف كثيرة وكانت درجاتها محدودة، وفي سنة ١٨١٥م حيث عقدت المعاهدة الدولية في فينا فقد تقرر بها بعض القواعد الجديدة فصار اعتبار سفير البابا وسفراء الدول العظيمة من الدرجة الأُولى والسفراء المتوسطين من الدرجة الثانية ووكلائهم من الدرجة الثالثة ثم عقدت بعض معاهدات مخصوصة بين الدول بموجبها أحدث صنف آخر بأسم السفير المقيم وهو بين السفير المتوسط ووكيله وبذلك صار أصناف السفراء أربعة، وعلى هذا الترتيب يعد السفراء الكبار من الصنف الأول، والسفراء المتوسطون من الصنف الثاني، والسفراء المقيمون من الصنف الثالث، والوكلاء من الصنف الرابع.

ثم قال[٢]: إن الذات المقتدر أن يكون واسطة للمواصلة فيما بين دولتين حاملاً خطاب اعتماده حسب الأُصول ومرسلاً من لدن الأُولى للثانية بغير مدة معينة يطلق عليه إسم سفير مستديم وخطاب الاعتماد وهو ورقة التوكيل التي تعطى للسفراء من الدول والذات الذي يرسل بنيشان أو بهدية أو لإجراء رسوم التبريك أو بمأمورية من مثل ذلك يسمى سفير موقّت، ومثل هؤلاء الموقّتين يرسلون من لدن الملوك لإجراء الرسوم بالذات لا دخل لهم في أُمور الدولة ما لم يكن أُعطي لهم من دولهم رخصة أو مأذونية بشأن ذلك.

ثم قال[٣]: إن السفراء الكبار هم بالذات تمثال الملوك ووكلاءهم عند الملك المعينين سفراء بمملكته، وللسفراء الكبار أيضاً الحق بطلب مواجهة الملك، رأساً وعليه فيمكن للسفير من الصنف الأول أن يذهب إلى سراي الملك ويطلب مقابلته رأساً، أما الملك فغير مجبور على قبوله في الحال حيث لو فرض وكان له مانع فيمكنه أن يعتذر لكي لا يجوز له أن يستغني عن تعيين يوم وساعة لمواجهته.

شروط قبول السفير عند دولة أُخرى:

قال[٤]: ليس من الموافق للشرف والمصلحة أن ترسل دولة شخصاً حكم عليه بجناية أو أتهم بمأمورية سفير لدولة أُخرى فإذا كانت الدولة لا تراعي ذلك

---

(١) حقوق الدول: ص٩٥ (٢) نفسه: ص٩٦.
(٣) نفسه: ص٩٧.

فيمكن للدولة الأُخرى أن تعتذر بحق عن قبوله وكذلك يجوز عدم قبول رجل أظهر العداوة والبغضاء ضد حكومة المملكة المرسل إليها سفيراً الخ.

فتبين من كلامه هنا أن الشروط ثلاثة: الأول: النزاهة عن اقتراف الجرائم، الثاني: الإخلاص فإذا تولى السفارة لدولتين لم يخلص لواحدة منهما، الثالث: الكياسة، فإن المتهور كمظهر العداوة لا يصلح بل لا يقبل.

حقوق السفراء القانونية:

قال[١]: إنه بموجب حقوق الدولة يكون السفراء المتوسطون والسفراء المقيمون مأمورين بأسم حكومتهم التابعين لها عند الدولة الذين هم لديها يعني إنهم يعدون تمثالاً لدولهم لا لممالكهم، أما وكلاء المصالح فيكونون مأمورين لدى نظار الخارجية لا يمكن لسفير أو وكيل أن يتداخل في معاملات رسمية مالم يكن الأول قدم براءة نفسه والثاني سلم المحرر المشتمل على مأريته، وإذا أرادوا المداخلة بغير ذلك يكون للحكومة المحلية الحق في الاعتذار عن قبولهم.

إذا جلس ملك جديد على تخت مملكته يجب على السفراء الكبار أن يجددوا براءات التعيين وبالنظر لحقوق الدول لا يكون السفراء المتوسطون ولا السفراء المقيمون مكلفين من مثل هذه الأحوال بتجديد البراءة إنما بالنسبة إلى المعاملات الجارية صار من العادة تجديدها، وكلامه مطول عميم الفائدة للسياسيين والرسميين لا للخطباء والذاكرين فلذلك أكتفينا بهذا.

بلوغ السفراء المحنكين غاياتهم:

ذكرى الصفدي الشافعي في شرح لامية العجم[٢]: إن الملك العزيز بن صلاح الدين الأيوبي لما أتى عمه العادل لقتاله ووصل بالعساكر إلى بلبيس ضاق به الأمر وأراد النفقة للجيوش فلم يكن عنده، فقيل له: إن القاضي الفاضل عنده من الأموال ما يقوم بما تريد، فقال: أستحي أن أطلب منه شيئاً فالزموه بطلبه، فلما علم بوصوله دخل إلى الحرم حياءاً منه، فتضرع القاضي الفاضل له حتى خرج إليه وحكى له القصة، فقال: كل ما أنا فيه من نعمة فهو من صدقاتكم والمال عندي يكفي ما ترومه ولكن دعني أتوجه إلى العادل وأطلب منه الصلح فإن وافق فيها ونعمت وإلا فالنفقة قدامنا، ثم إن القاضي الفاضل توجه إلى الملك العادل

---

(١) نفسه ص٩٢.

(٢) نفسه: ص٩٨.

(٣) شرح لامية العجم ١/ ٤٤.

فلم يزل يسحره ببيانه ويفتل في ذروته والضارب بلسانه حتى رده راجعاً ولم يدخل مصر وكفى الله العزيز أمره تلك المرة.

وذكرى الراغب الأصفهاني في المحاضرات[١]: إن يزيد بن معاوية بعث عبد الله الأشعري إلى ابن الزبير فقال له: إن أول أمرك كان حسناً فلا تفسده بآخره، فقال عبد الله بن الزبير: ليس ليزيد في عنقي بيعة، فقال له: لو كان في عنقك بيعة كنت تفي بها؟ قال: إي والله، فالتفت إلى الناس فقال: معشر الناس! قد بايعتم ليزيد وهو يأمركم بالرجوع عن بيعته وهو لا يرتضي الرجوع عنها، فقالوا لابن الزبير: كيف رأيت هذا الخلع الخفي، إنتهى.

وهذا غور بعيد من شيطان مريد أسكت ابن الزبير المغفل وألقمه حجراً بالتمويه، وابن الزبير يزعم وتزعم أهل السنة له أنه من فقهاء قريش وأحد العبادلة الأربعة، ومن أهل الجدل والخصومة فأعتبر أن بمثل هذا أعتبار، نعم دفع الفاسد بالأفسد، نصب له شركاً وأحتبله الباطل، إن ابن الزبير إن قال: إن الفاسق لا يلزم عقد البيعة له، يرد عليه الشامي بمثله للحديث المشهور فيه يلحد بمكة رجل من قريش اسمه عبد الله عليه نصف عذاب أهل النار مضافاً إلى أعماله المشهورة فظن التخلص بهذا الجواب فوقع في الهوة وتردى في الحفرة وقد أجاب صلحاء الأُمة أن بيعة الفاسق باطلة فخلعوه وحاربوه فكانت وقعة الحرة المشهورة وهذا مذهب الإمام مالك أن إيمان البيعة باطلة وعلى هذا ضربوه مائة سوط وشهروه على حمار.

وحسبك من السفارة هذا المقدار وأطلب التفاصيل من كتابنا «السياسة العلوية».

وسفارة العباس بن أمير المؤمنين «عليه السلام» بين الحسين «عليه السلام» وبين شيعته وبينه وبين الأجانب كانت سفارة خاصة في أوقات معينى فهو سفير موقت لا سفير دائمي كمسلم بن عقيل، فمن سفارته ما قدمناه من أنه بعثه للجيش الزاحف عليه نهار التاسع فراجعه.

---

(١) المحاضرات: ١/ ٩٣.

وكما أنه لا بدل له من دعاية يمثلها معتمد خبير مدرب يقوم بهذا وينظر في المصالح وينظم الأُمور السياسية خارج العصمة لا بد له أيضاً من جيش عسكري مدرب على أحسن نظام وأجود طراز في التثقيف والتمارين الحربية على الأُساليب والفنون لملائمة للعصر وإذا أضطر إلى تأليف جيش أحتاج إلى توظيف عميد له ولا بد أن يكون مثقفاً ماهراً في الفنون التمرينية والأساليب العسكرية، شجاعاً ثابت القلب ليحمي عسكره وجنده بثباته، محنكاً ذا تجارب وفكر ليحصنه بفكر، ورويته ويقويه بتجاربه وخبرته، ويتولى تقسيمه على المنهج الحربي حسبما تدعو إليه القواعد الحربية وتقتضيه النظم الفنية كتقسيمه إلى فرق فأفواج فكتائب فسرايا ففصائل إن كان كبيراً، وإلى كتائب وفصائل إن كان صغيراً، ويخطط الخطط الدفاعية والهجومية وغير ذلك مما ستعرفه قريباً إن شاء الله.

وهذه الوظيفة أي وظيفة عميد العسكر كان يتلقاها العباس الأكبر ابن أمير المؤمنين عند أخيه الحسين بن علي «عليهما السلام» وليس غيره لهذه الوظيفة عنده.

منزلة العميد في الجيش النظامي المتمدن

والعميد في نظر الدولة الحرة والحكومات المتمدنة في هذه العصور رتبته الثالثة في الوزارة العسكرية أو وزارة الدفاع لأن وزارة الدفاع يقدم فيها شخص الوزير أي وزير الدفاع ثم أركان الجيش ثم العميد ثم الفريق وهكذا كما ستسمعه قريباً إن شاء الله.

وإنما سمي عميداً لأنه عليه اعتماد الجيش وبه يثقفون في الملمات وفي الشدائد الحربية فهو بمنزلة عمود الخيمة وعماد البناء الذي عليه يعتمد السقف وتقوم الخيمة، أو لأن عليه اعتماد السلطان وعلى كل لا يكون عميدا للعسكر إلا من كان شجاعاً مقداماً من غير تهور ذا جرأة وثبات، خواضاً للغمرات، قذافاً بنفسه في الأهوال، والمتالف مع تحري الظفر والفور، ومجرباً خبيراً بفنون

الحرب وأساليبها، محنكاً ذا مهارة فنية وثقافة حربية وخبرة تامة بشؤون الإقدام والإحجام والتقدم والتأخر ليقي نفسه وجيشه من العطب إن لم يكن مستميتاً فإن عميد الجيش ما دام في مركزه يخفق لواؤه على رأسه فالعساكر ثابتة في مراكزها على نظامها وترتيبها الذي رتبه فإذا زال عن مركزه ولم يكن أنسحاباً بأنتظام يعلم به القواد أو قتل ولم يقم مقامه نظيره أختلّ النظام وتبدد الجيش ونال العدو منه ما يريد ولهذا قال القائل وقد سُئل عن مالك الأشتر بعد موته: ما أقول بمن هزمت حياته أهل الشام، وهزم موته أهل العراق.

معنى العميد لغة:

قال في القاموس: والسيد كالعميد ورئيس العسكر.

وفي مجمع البحرين: وعميد القوم وعمودهم سيدهم ومنه قوله «عليه السلام»: من عيمد هذا الجيش أي كبيرهم الذي إليه المرجع.

وقال الزمخشري في أساس البلاغة: وهو عميد قومه وعمود حيه أي قوامهم.

قالت أُخت حجر بن عدي الكندي:

فإن تهلك فكل عمود قوم من الدينا إلى هلك يصير

وفي المنجد: عميد القوم سيدهم وسندهم وظاهر في مقدم الجيش لأنهم يسندون أمرهم إليه ويستندون عليه كما يستند البناء على العمود.

ما تلفظه العوام ولا تعرف معناه:

وهو لفظه «العجيد» لمقدم الغزو ويلقبون العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» بالعجيد وما أدري ما يعنون بالعجيد أهو العقيد المصطلح عليه عند الدول المتمدنة الحديثة الذي هو دون العميد بمرتبتين، لا أظن أنهم يعرفون هذا الأصطلاح العسكري الجديد خصوصاً وقد عاشوا أزمنة الأتراك المشبعة بالألفاظ التركية كيوزباشي وبميباشي وأمثالهما أم يعنون به الرئيس كما هو في لغة الرب، هذا هو الأقرب لإصالة عدم النقل ولأن العامة يطلقونه على مقدم الغزو وقد عرفنا ذلك بكثرة خلطتنا للعشائر فعرفنا أنهم يسمون الرئيس الغازي ودليل الغازين منهم إذا دلهم على عدو لهم أو على محل تحصل لهم فيه (نهيبة) غنيمة العجيد فيقولون فلان عجيد الغزو وفلان عجيد الريبة وعجيد السرية، وتاه العجيد يعنون الدليل، في هذا الأخير.

ثم للعميد عندهم شروط:

أحدها: أن يكون رئيساً.

الثاني: أن يكون شجاعاً ويطلقون عليه لفظ رجال زين.

الثالث: أن يكون خبيراً بالطريق ودليلاً حاذقاً يسلك بهم على غير الجواد المسلوكة والطرق المألوفة خوفاً من الأنذار للمغزويين وحذراً من الطلب إذا كروا راجعين ولهم حكايات وأقاصيص في دلالة هؤلاء بالأهوار والبوادي يكاد يستريب الإنسان بصحة نقولهم كحكايات أقاصيص أهل الجاهلية عن لصوص العرب أمثال دعميص الرمل العبدي وسليك بن السلكة السعدي وغيرهما من لصوص العرب وقطاع الطريق.

والعجيد عند الغازين من عوام العشائر اليوم هو الآمر والناهي فبأمره يقدمون، وبنهيه يحجمون، وامره مطاع نافذ فيهم يتبعونه كما يتبع قطيع الغنم رعاته وفيهم بقية من الجاهلية وهو أنه المفضل والقاسم بينهم فله أن يختار من الغنيمة ومن السلب والنهيبة الحلوب من البقر والإبل لنفسه دون حصته يسمونها رأس الجسمة (القسمة) فلا يقسمون حتى تعزل للعجيد وله أن يأخذ لولده أو لزوجته سهماً (حصة) وأن يكافي الغازية فربما كان للعجيد ثلث (النهيبة) الغنيمة تقريباً إلى آخر ما هو معروف عندهم وعند من أطلع على عاداتهم وسيرهم.

ويتبين أن المعنى العامي هو المعنى اللغوي وأن العجيد هو العميد، وأن عليه اعتماد الغازين سواء كان دليلاً فقط أو دليلاً ورئيساً معاً على أن العميد هو رئيس الجيش الأول، وربما كان عند العوام الرئيس الثاني إذا كان الرئيس العام يعني رئيس القبائل معهم فيقولون الشيخ سعدون السعدون وعجيد الجوارين ابن كبيح، وعجيد البدور شرشاب، وعجيد الغزي ابن حبيب وهكذا.

العميد عند الدول المتمدنة

وظيفته وظيفة عسكرية متوسطة من وظائف الجيش العالية بين الركنية والفريقية.

في الدليل العراقي ما لفظه[1]: نظام وزارة الدفاع على أن وزير الدفاع هو المرجع الأول في الوزارة والمسؤول عن إدارتها وحسن قيام جميع الضباط والموظفين والتابعين لها بواجباتهم قسم النظام المذكور في الدفاع إلى الشعبتين

(١) الدليل العراقي: ص٤٢٦.

الرئيستين وهما:

١ ـ ديوان الوزارة.

٢ ـ مجلس الدفاع.

يتألف ديوان الوزارة من:

١ ـ سكرتير الوزارة.

٢ ـ المرافقية.

ويتألف مجلس الدفاع من رئاسة أركان الجيش والدوائر الأُخرى في الوزارة، ويجتمع برئاسة أركان الجيش وعضوية كل من مدير الحركات ومدير الإدارة ومدير الميرة ومدير التموين والإعاشة، وبصفة كونهم أعضاء أصليين في المجلس المذكور والمجلس يقوم بمساعدة الوزير في إدارة شؤون قوات الدفاع وبإسداء المشورة إليه عند نشوب الحرب، رئاسة أركان الجيش يتولى شؤونها رئيس أركان الجيش وهو من الأُمراء برتبة فريق والمرجع الاستشاري الأعلى في وزارة الدفاع وترتبط به شعبة الترجمة وشعبة الخريطة ومديرية الطيران العسكري والمدني.

ثم ذكر[1] مراتب القواد والضباط ورتبهم مرتبة هكذا الأُمراء المشير العميد الفريق وراتبه ٧٥ دينار عراقي، أمير اللواء وراتبه ٦٥ دينار عراقي، ثم القادة الزعيم راتبة ٥٠ ديناراً عراقي، العقيد ٤٢، المقدم ٣٦، الرئيس الأول ٣٠، الرئيس الثاني ٢٦، الأعوان ملازم أول ٢١، ملازم ثاني ١٧ الخ.

قد كتبنا في كتابنا «السياسة العلوية» فصلاً مطولاً ونافعاً جداً في القواد والقيادة وثمراتها واساليبها ومراتب القواد وما قام به مهرة القواد من الأعمال الجليلة واظهروه من الفنون العجيبة التي تدل على كفاءة ومقدرة بديعة وذكرنا فيه قواد جيش النبي ﷺ وجيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» والخفاء وبعض قواد الدولتين الأموية والعباسية وغيرها من الدول وما قاموا به من الأعمال الجليلة في الحروب الطاحنة تركناه هنا للاختصار.

فالعباس الأكبر هو عميد عسكر الحسين «عليه السلام» مفاد ما دلت عليه الروايات الورادة في كتب المقاتل والتي أعتنى بضبطها علماء هذا الشأن وقد عبر عنها الحسين «عليه السلام» بقوله: أنت مجمع عددي والعلامة من عسكري، وقول

---

(١) الدليل العراقي: ص٣٤٦.

العباس «عليه السلام» له لما أراد حمله إلى خيمة الشهداء: أنا مجمع عددك والعلامة من عسكرك، وقد تقدمت في الفصول السابقة وهي صريحة في إرادة العميد لأنه مجمع العسكر والعلامة لهم لأنه حامل لوائهم والإشارة النظامية معه.

قال في معالي السبطين[1]: كان لواء الحسين «عليه السلام» معه وكان أميراً ووزيراً وسفيراً الخ. للمؤلف:

هو العميد لجيش السبط يوم دعا ... أنصاره جاهدوا الكفار في الدين
قوموا إلى الموت ذي رسل العداة لكم ... يعني السهام وحوطوا آل ياسين
فقام أنصاره الأفذاذ واستبقوا ... للموت شوقاً إلى الولدان والعين
دعا العميد معي خلفي فأتبعه ... أصحابه الغر زحفاً للميادين
كأنما الحرب زفت في الجلاد لهم ... أبهى عروس من البيض الخواتين
ما مثل موقفهم بالطف معركة ... لا يوم أُحد ولا أيام صفين
سبعون شهم من الأبطال يرهبهم ... سبعون ألف من الشوس الملاعين
طعانهم بحراب السمر تحسبه ... أجناد كوفان فيها نفث طاعون
هبت بجيش ابن سعد الرجس زوبعة ... من عزمهم نسفته دون توهين
ورب عاصفة هوجاء قد قلعت ... ما حصنته البرايا أي تحصين
جدد لهم ذكريات المجد محتفلاً ... بمنتدى الفخر ممزوجاً بتأبين
مثل على مسرح العليا عميدهم ... تمثيل حي شعور راسخ الدين
وأروي لهم عزمه العالي وهمته ... بما يلذ ويحلو من أفانين

الحاجب والمرافق

ومن وظائف العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهما السلام» الحجابة لأنه الحاجب والمرافق للحسين «عليه السلام» حيث أن الحسين «عليه السلام» كملك سياسي يحتاج إلى سفير وعميد للجيش لا بد له مما لا يستغني عنه ملك سياسي أو ديني وهو المرافق الخاص بأصطلاح المدنيين والحاجب بأصطلاح القدماء وإن لم يكن محتجباً حقيقة ليتولى شؤونه الخاصة ولا يفارقه في سفر ولا حضر، ولا في قيام ولا قعود لأُمور شتى إلا في شئونه النفسية وتلك

(١) معالي السبطين: ص٢٧١.

الأُمور التي يلازمه لأجلها منها أن يتولى المدافعة عند إذا أراد اغتياله أحد أعدائه لأن من كان بهذا المنصب من العظمة وأرتفاع الشأن فلا ريب إنه بمعرض الخطر من ناحية الإغتيال السري والفتك العلني وقد علمت ما جرى للخليفتين عمر وعلي، وفي مولانا أمير المؤمنين يقول ابن عبدون في قصيدته:

فليتها إذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بما شائت من البشر

وتغزل عمر بن الوردي مشيراً إلى اغتيال الخليفة الثاني بقوله:

مر بنا مقرطق ووجهه يحكي القمر
قلت أبو لؤلؤة منه خذوا ثار عمر

ولولا أن معاوية تحصن بأسته لما نجى من سيف الخارجي وقد كفانا التأريخ تسجيل أسماء من وقع عليهم الاغتيال وعلقوا بحبال الفتك من عظماء الرجال فالمرافق في مثل هذه الحال يدافع عن صاحبه، وهذا أمير المؤمنين «عليه السلام» ودفاعه عن النبي ﷺ يوم أُحد وحنين وقد فر عنه جميع الصحابة مشهور، وقول النبي ﷺ له في يوم أُحد: رد عني هذه الكتيبة وهذه الكتيبة، رواه الطبري والمفيد وغيرهما.

وكما أنه يحتاجه لذلك يحتاجه إلى إرسال رسول أو إحضار شخص أو ما شاكله من المهمات الفوتية فيقوم الحاجب أو المرافق بمباشرة هذه الأعمال ولا بد فيه من الكفاءة والمعرفة والعقل والشجاعة والعلم واليقظة والبصيرة والإخلاص لمن ولاه ذلك هذه الوظيفة كان يتولاها أبو الفضل العباس بن أميرالمؤمنين «عليه السلام» عند أخيه الحسين «عليهما السلام» لاجتماع هذه الصفات فيه وهي لا تحوجنا إلى تقديم الشاهد وأستدعاء الحجة للاتفاق على أن أخص بني هاشم بالحسين «عليه السلام» واقربهم منه أخوه العباس الأكبر وابنه علي الأكبر «عليهما السلام»، والعباس «عليه السلام» أكثر مباشرة لأعمال الحسين «عليه السلام».

معنى المرافق لغة وعرفاً:

معنى المرافق قديماً وحديثاً ومعلوم أن المعنى اللغوي للمرافق هو الرفيق المصاحب ما دام في رفقته وصحبته فإذا فارقه زال الأسم عنه كما نص عليه صاحب القاموس وغيره وهذا المعنى هو المرتكز في أذهان العوام والسائد على أفهامهم لكن ذكر اللغويون للمرافق معناً قريب المأخذ ينطبق على ما نريد وهو أن المرافق الحاذق الماهر المتأني في حوائجه والطبيب الحاذق، ومن مجموع هذه

المعاني أخذ صفة المرافق للملك عند المدنيين.

عدد المرافقين عند المدنيين:

المرافقون عند المدنيين ثلاثة وهم يرافقون الملك في تجوالاته الأستراحية واكتشافاته الأستطلاعية ويقومون بواجب الخدمات في البلاط الملكي ومنهم من رئيس الديون الملكي ورئيس التشريفات يتألف مجلس الديوان الملكي.

قال في الدليل العراقي[1]: يتألف البلاط الملكي:

١ ـ الديوان الملكي.

٢ ـ الأُمناء والتشريفات.

٣ ـ مرافقي الملك.

(١) الديوان الملكي: هو المرجع المختص بالشئون الرسمية بين صاحب الجلالة والحكومة ويتألف من رئيس الديوان وهو أكبر موظف في البلاط والمسئول عن شؤنه بوجه عام وعن الديوان بوجه خاص، وهو الواسطة لتبليغ الأوامر السنية وهو إضافة إلى ذلك سكرتير صاحب الجلالة الخاص معاون رئيس الديوان الملكي يقوم بمساعدة رئيس الديوان الملكي وينوب عنه في غيابه وهنالك ملاحظ وكتاب آخرون مساعدون.

(٢) الأُمناء والتشريفات: رئيس التشريفات وهو المسئول عن تنظيم الحفلات والمراسيم والولائم الملكية وجيمع المقابلات الرسمية مع الحضرة الملكية مساعد رئيس التشريفات يقوم بمساعدة رئيس التشريفات ومعه بعض الكتاب المساعدون.

(٣) المرافقون: وهم ثلاثة يرافقون صاحب الجلالة في جميع تجوالاته وأسفاره وهم مسئولون عن محافظته وهو يوزعون أعمال الشرطة ورجال الأنضباط العسكريين الملحقين بالبلاط الخ.

قد كان في العصور القديمة يتولى المقابلات الرسمية وعرض القضايا والمخابرات موظف واحد يطلقون عليه اسم الحاجب كرئيس الديوان اليوم، وله وظيفة المقابلات من قسم التشريفات وله أعوان ومساعدون، وأما البواب فهو الذي يلازم الباب برسم الخدمة، وبقية التشريفات يتولاها موظف خاص يطلقون عليه اسم صاحب الطعام وصاحب المائدة وهو يرأس إدارة المطعم كما أن من

---

(١) الدليل العراقي: ص١٥.

يتولى أمر المشروبات يقال له الشرابي وصاحب الشراب، وصاحب الطعام هو رئيس الولائم الملوكية واغذية الملك واطعمته بتنظيمه وتحت إدارته جميع الطباخين والطهات والقلائين والشرابين المختصين بشروبات الملك وإدارة الولائم والدعوات الملوكية تسمى دار الضيافة.

أما الحاجب فهو ومعاونه يرافقان الملك في تجوالاته واسفاره ويلازمان بابه سفراً وحضراً ولا يفرقون بين الحاجب والمرافق وهو المسئول عن حفظ الملك فمتى أدخل أحداً بدون أمره أو دخل داخل لا يعلم به عوقب أشد العقوبة وجوزي بأوجع الجزاء.

وإذا عرفت وظيفة المرافق قديماً وحديثاً تعرف أن للحسين بن علي «عليهما السلام» مرافقين فقط وهما أخوه أبو الفضل العباس وابنه علي الأكبر فإنهما كانا يلازمان بابه ويمشيان في ركباه وإذا دخل على بعض الأمراء كانا معه كل ذلك حفظاً له وحياطة له وقياماً بواجب أمره.

فقد تحدث المؤرخون وأرباب المقاتل في قصة دخول الحسين «عليه السلام» على الوليد بن عتبة والي يزيد على المدينة وقد دعاه ليلاً إلى بيعة الفاجر يزيد، وإن الحسين «عليه السلام» جمع فتيانه وجعلهم على باب الوليد.

ويتحدث اليزدي في مصائب المعصومين[1] في أخبار كربلاء قال: ثم أرسل الحسين «عليه السلام» إلى عمر بن سعد: إني أُريد أن أُكلمك فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك، فخرج إليه ابن سعد في عشرين وخرج إليه الحسين «عليه السلام» في مثل ذاك، فلما ألتقيا أمر الحسين «عليه السلام» أصحابه فتنحوا عنه وبقي معه أخوه العباس وابنه علي الأكبر، وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحوا عنه وبقي معه ابنه حفص وغلام له، فقال له الحسين «عليه السلام» ويلك! أما تتقي الله الذي إليه معادك أتقاتلني وانا ابن من قد علمت؟ دع هؤلاء القوم وكن معي فإنه أقرب لك إلى الله، فقال عمر بن سعد «لعنه الله»: أخاف أن تهدم داري! فقال له الحسين «عليه السلام»: أنا أبنيها لك، فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي! فقال الحسين «عليه السلام»: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز، فقال: لي عيال واخاف عليهم من ابن زياد! ثم سكت ولم يجبه إلى شيء، فأنصرف عنه الحسين «عليه السلام» وهو يقول: مالك ذبحك الله على فراشك عاجلاً ولا غفر لك يوم حشرك فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلا يسيراً، فقال ابن

(١) مصائب المعصومين: ص٢٢٤.

سعد «لعنه الله»: في الشعير كفاية عن البر ـ مستهزءاً بذلك القول ـ الخ.

للمؤلف:

أبا الفضل إن السبط سبط محمد ... مليك بني الدنيا وأنت المرافق
تقوم على أعتاب سدة بابه ... تبادر في حاجته وتسابق
ويوم أتى دار الوليد صحبته ... وحولك من عدنان غر غرانق
ويوم ابن سعد قمت والسيف مصلت ... على رأسه والسبط فيك لواثق
وإن شمرت عن ساقها الحرب عنوة ... وسالت كزخار السيوف فيالق
تسل رهيف الشفرتين وما اتقت ... مضاربه أدراعها واليلامق
وتترك أشتاتاً من الرعب صيدها ... فسيح الفضا فيما تراه مضائق
فلم تعطهم قواتهم قط قوة ... ولا نفعتهم سمرهم والبوارق
وفروا ولكن مثل حمر بقفرة ... لها القسور الدامي البراثن سائق
تكدست القتلى فكانت روابيا ... وبحر الدما فيه الخيول زوارق
وقايضهم بالحتف سيفك في الوغى ... لدى الضرب لكن النفوس وثائق
أصاعقة ذاك الحسام أم أنه ... شهاب هوى أنقضت وراه الصواعق
أبوك الذي لم تشهد الحرب مثله ... مغاربها تعنوا له والمشارق
فقد كان في فن الشجاعة معجزاً ... ومعجزه في كل هيجاء خارق
فبدر وأُحد بل حنين وخيبر ... شواهد في أعجازه ومصادق
وصفين بل يوم الخريبة إذ أتى ... يسوق لظعن الأم بالشر سائق
وانت ابنه تروي لنا حملاته ... وقد كان ما ترويه بالضرب صادق
تقد كما قد شطرين قرنه ... وقد هدرت للمعلمين شقاشق
تقط كما قط اليراع رقابهم ... وتبري كما تبري القداح مرافق

الحجابة والحاجب والعباس هو حاجب الحسين «عليهما السلام»

وكما يحتاج الملك إلى السفير والعميد والمرافق في السفر ومقامات الخطر يحتاج إلى الحاجب ليقوم بعرض الكتب الواردة عليه من الآفاق ويأخذ الأجوبة منه فيدفعها إلى أربابها ويتناول من يده الرسائل فيسيرها إلى البلدان والنواحي النائية والدانية ويتولى أمر إدخال الواردين عليه من الآفاق من الوفود ورسل

الملوك ورؤساء القبائل وأُمراء الجيوش وقادة الجنود وولاة المدن وأُمراء الخراج والجباة ومدراء الاستخبار وأصحاب الاسرار وعامة ذوي الحاجات وكل هذه الأُمور تناط قديماً بموظف يمسى بالحاجب وربما كان المرافق هو الحاجب، وربما كان غيره وهذا العنوان أي عنوان الحجابة من العناوين المهمة قديماً وقد طرأت عليه تطورات كثيرة وترقيات وتحسينات وأحياناً تفاجئه آفات سقوط فما زال بين طورين ضعف وقوة تتجاذبه قوتان هبوط وصعود ارتفاع وانخفاض إلى أن وصل إلى هذا الزمان فأكتسب الحجابة دائرة كبرى وسمت بإدارة الديوان وإن نسخ اسم الحجابة لفظاً فقد ثبت معناه كما سمعت في المرافق.

ولأسباب التطورات على هذه الوظيفة ونظراً إلى كثرة التغيير والتبديل في مراسم هذه الوظيفة ووسام هذا المنصب المهم لزمنا إطلاق العنان للقلم ليجري في هذا الميدان مرحاً بين صفي الإطناب والإيجاز ونحن في كتابنا «السياسة العلوية» قد وفينا البحث فيها حقه واختصرناه هنا لأن التطويل لا يناسب هذا الكتاب.

وأول مهم نلفت إليه أنظار القراء وننبه المطالعين عليه أن نسبة الحجاب لرسول ﷺ وائمة أهل البيت النبوي «عليهم السلام» وكذا حال الخليفتين أبي بكر وعمر ليست حقيقية بل هو شبه حجاب لأنهم لم يحتجبوا عن الناس إنما كانوا يختلطون بهم والبلاط الملكي في عهد النبي وأمير المؤمنين علي والخليفتين أبي بكر وعمر إنما هو المسجد الأعظم وهذه سيرهم تنطق بأختلاطهم بالناس ومجالستهم للعامة وأنهم يؤاكلون الفقراء وربما أفترش أحدهم عبائته ونام في المسجد وربما توسد ذراعه وأنضجع على التراب وكل هذه الأعمال مما تنفي عنهم أتخاذ الحجاب الحقيقي الذي أحدثته الجبروتية الأموية في الإسلام، واول مؤسس له في الملة معاوية بن أبي سفيان.

أما ما يحكى في النوادر أنهم أتخذوا حجاباً إنما هو على أبواب بيوت الحرم خوفاً من الأبتذال وجرأة أوباش العرب ومن سلب الآداب من أهل البادية فقد يقتحم بيت الحرم الجافي والجلف من الأعراب مفاجأة تجرياً وجرياً مع عادة البدو الغلاظ أهل الشراسة والوعورة الذين لا يراعون حرمة ولا يدينون بأحترام كبير مهما بلغ في العظمة والشأنية، وأنى لأليف الضب ونديم اليربوع الأدب النفسي؟ وكيف لرعاة الإبل والشاة بالتهذيب الخلقي فربما يطرق الطارق من هؤلاء البلداء فيحصل ما لا تحتمله النفس الحرة ويقع ما تنفر منه الطباع البشرية العازفة

عن نقائص الأفعال ورذائلها وقد لا تطيق الروح الكريمة صبراً على أمثال هذه الجلفيات المدنسة للإنسانية الكاملة وما لا تحمد مغبته وعاقبته من خرق سجاف الأداب وتمزيق جلباب الاحترام.

كما حصل لرسول الله ﷺ من وفد بني تميم فإن هؤلاء كانوا بدواً وحشيين وأعراباً سائحين في فيافيهم وبواديهم من الأضبة واليرابيع بعيدين عن كل أدب مدني وثقافة حضرية، وإن كانوا في منتهى الزعامة والشرف فوردوا وقت القائلة والنبي ﷺ في بيت نسائه فجعلوا يدورون حول حجره ويطوف بها ويصيحون: يا محمد! أُخرج إلينا لنفاخرك ولولا الحجاب لا قتحموا عليه حجر نسائه ودخلوا في ساعة خلوته، فذمهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1] لم ينفي عنهم سبحانه وتعالى العقل الفطري بل هم عقلاء من هذه الوجهة ومن أعظم العقلاء وإنما نفى العقل المكتسب وهو المستفاد من التجارب والتمارين فلو أنهم عقلوا ولو من باب الفحص والسؤال فضيلة هذا النبي وعظمته لما خاطبوه بذلك الخطاب الجافي البعيد عن سنن الآداب وليكن هذا على ذكر منك لما سنورده في هذا المبحث.

حقيقة الحجاب:

هي التستر عن الناظرين والترفع عن مخالطة الناس وهو ضد السفور والأبتذال بكل معنى لأن السفور البروز والظهور على حالة التكشف والأبتذال فالأحتجاب ضده وهو الأختفاء عن النظار وهو محمود في النساء مذموم في الرجال لأن العقائل عند العرب أعز من نفائس الأموال المثمنة التي تصان وتحفظ في صناديق الحديد كالجواهر الفريدة والعقود النفيسة ذات الأثمان الراقية فيقفل عليها بالأقفال الثقيلة ويرتج عليها أقوى رتاج بعد أن تستودع الخزائن الحريزة، أما الرجال فكالأسلحة أحسن حالاتها حين تشهر وأفضل أوقاتها حين تظهر من أوعيتها وتستل من أغمادها والحجاب مفهوم بسيط.

معنى الحجاب لغة:

قال الفيروزآبادي في القاموس: حجبه حجباً وحجاباً ستره وقد أحتجب والحاجب البواب جمع حجبة والحجاب ما أحتجب به.

وقال الفيومي في المصباح: حجبه حجاباً في باب قتل منعه، ومنه قيل للستر

---

(١) الحجرات: ٤.

حجاباً لأنه يمنع المشاهدة، وقيل للبواب حاجب لأنه يمنع من الدخول، والأصل في الحجاب جسم حائل بين جسدين وقد أستعمل في المعاني فقيل: العجز حجاب بين الإنسان ومراده، والمعصية حجاب بين العبد وربه الخ.

أما الشريف الجرجاني الحنفي فذكر معناه اللغوي والشرعي والصوفي فقال في التعريفات[١]: الحجب في اللغة المنع، وفي الاصطلاح (يعني اصطلاح الفقهاء) منع شخص معين عن ميراثه إما كله أو بعضه بوجود شخص آخر، ويسمى الأول حجب حرمان، والثاني حجب نقصان، الحجاب كلما يستر الملوك وهو عند أهل الحق (يعني أهل التصوف) انطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلي الحق، إنتهى.

ونحن لا نريد ذكر الحقيقة الشرعية والصوفية.

الحجاب عند الملوك

قد عرفت في المرافق أن الحجابة وظيفة ولهذا تحتاج إلى تفسيرها لتعرف محلها عند الملوك.

قال أحمد بن أبي الربيع في سلوك المالك[٢]: وأما الحاجب فهو واسطة بين الملك وبين من يريد لقائه ليرتب الناس بين يدي الملك كما يليق بمجلسه الخ.

بيان وإيضاح للحجاب:

كان العصر الجاهلي وصدر الإسلام لا يعرف الحجاب إلا بما عرفناك ولما أحدثه الأمويون تقليداً للقياصرة والأكاسرة كان في أوله بسيطاً لأنه كان يسمى حاجباً وبواباً معاً ثم تطور وأرتقى إلى مرتبة أعظم من ذلك فصار يرأس البوابين والبواب هو الفراش في اصطلاح الحكومات الجديدة ففرقوا بين البواب والحاجب فأختص البواب بمن يلازم الباب وهو الفراش، وأختص الحاجب بمن يتوسط في الإذن بين الملك ومن يريد مواجهته ويأمر وينهي وتيصرف في مهمات البلاط فهو رئيس الديوان الملكي ثم ترقى في بعض الدول والحكومات الإسلامية في القرون الوسطى فأُطلق عليه لقب وزير.

قال ابن خلدون المالكي في المقدمة[٣]: في توزيع الدولة المروانية

---

(١) التعريفات: ص٥٦.
(٢) سلوك المالك في تدبير الممالك: ص٤٠.
(٣) مقدمة ابن خلدون: ص٣٩٩.

بالأندلس (أسبانيا) للوزارة أنواع أتخذوا لكل نوع منها وزيراً وأفردوا للتردد بينهم وبين الخليفة واحداً منهم أرتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت فأرتفع مجلسه عن مجلسهم وخصوه بأسم الحاجب ولم يزل الشأن هذا إلى آخر دولتهم فأرتفعت خطة الحاجب ومرتبته على سائر الرتب حتى صار ملوك الطوائف ينتحلون لقبها فأكثرهم يومئذ يسمى الحاجب.

ثم ذكر أمر الدولتين الدولة الفاطمية ودولة الموحدين وأنهم أهملوه أولاً ثم رجعوا إلى خطة الأمويين أخيراً، وإن الموحدين أختصوا بأسم الوزير لمن يحجب الملك في مجلسه ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند الحدود في تحيتهم وخطابهم والآداب التي تلزم في الكون بين يديه ورفعوا خطة الحاجب عنه ما شاؤوا ولم يزل الشأن إلى هذا العهد ـ يعني زمانه ـ.

قال: وأما في دولة الترك بالمشرق ـ يعني العثمانية ـ والجراكسة فيسمون هذا الذي يقف بالناس على حدود الآداب في اللقاء والتحية في مجالس السلطان والتقدم بالوفود بين يديه الدويدار.

وقال[1]: قدمنا أن هذا اللقب كان مخصوصاً في الدولة الأموية والعباسية بمن يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم ويفتحه لهم على قدره في مواقيته وكانت هذه منزلة يومئذ من الخطط مرؤسة لها إذ الوزير متصرف فيها بما يراه وهكذا كانت سائر أيام بني العباس إلى هذا العهد بمصر فهي مرؤسة لصاحب الخطة العليا المسمى بالنائب.

واما في الدولة الأموية في الأندلس فكان الحجابة لمن يحجب السلطان من الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم فكانت في دولتهم رفيعة غاية وجاء الاستبداد على الدولة أختص المستبد باسم الحجابة لشرفها، وجاء من بعدهم ملوك الطوائف فلم يتركوا لقبها وكانوا يعدونه شرفاً لهم.

ثم لم يكن في دولة المغرب وأفريقية ذكر لهذا الأسم للبدواة التي كانت فيهم وربما يوجد في دولة العبيديين بمصر عند أستعظامها وحفاوتها إلا أنه قليل.

ولما جاءت دولة الموحدين لم يستكمل فيها الحضارة الباعثة إلى أنتحال الألقاب فلم يكن عندهم من الرئيسات إلا الوزير ولم يكن إسم الحاجب معروفاً في دولتهم.

---

(١) نفسه: ص٢٠٠.

وأما دولة بني أبي حفص بأفريقية فأحتاج سلطانهم لأتساع المملكة وكثرة المرتزقين إلى قهرمان خاص بداره في أحواله يجريها على قدرها وترتيبها من رزق وعطاء وكسوة ونفقة في المطابخ والأصطبلات وغيرها، وحصر الذخيرة وتنفيذ ما يحتاج إليه في ذلك على أهل الجباية فحصوه بإسم الحاجب وربما أصاروا إليه كتابة العلامة على السجلات إذا كان يحسن الكتابة وأستمر الأمر على ذلك وحجب السلطان نفسه من الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين السلطان وأهل الرتب كلهم ثم جمع له أخر الدولة السيف والحرب ثم الرأي والمشورة فصارت هذه الخطة أرفع الرتب وأوعبها للخطط.

ثم جاء الاستبداد والحجر مدة بعد السلطان الثاني عشر منهم ثم أستبد بعد ذلك حفيده السلطان أبو العباس علي على نفسه وأذهب آثار الحجر والاستبداد بإذهاب خطة الحجاب التي كانت سلماً إليه ثم باشر أُموره كلها بنفسه من غير استعانة بأحد، والأمر على ذلك لهذا العهد.

فأما دولة زناتة بالمغرب وأعظمها دولة بني مرين فلا أثر لأسم الحاجب عندهم، وأما باب السلطان وحجبه عن العامة فهي رتبة سمي عندهم صاحبها المزدار ومعناه المقدم على الجنادرة والمتصرفين بباب السلطان في تنفيذ أوامره وتصريف عقوباته وإنزال سطواته وحفظ المعتقلين في سجونه والعريف عليهم في ذلك، فالباب له وأخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع إليه، فكانت وزارة صغرى.

وأما دولة بني عبد الواد فلا أثر عندهم لشيء من هذه الألقاب لبداوة دولتهم وإنما يخصون بأسم الحاجب في بعض الأحوال منقذ الخاص عند السلطان في داره كما كان في دولة بني أبي حفص لأنهم في تبعتها والقائمين بدعوتها.

وأما دولة الترك بمصر فأسم الحاجب عندهم موضوع لحاكم من أهل الشوكة وهم الترك فينفذ الأحكام في المدينة وهم متعددون وهذه الوظيفة دون وظيفة النيابة التي لها الحكم في الدولة وفي العامة على الإطلاق، وللحاجب الحكم فقط في طبقات العامة والجند عند الترافع إليه وإجبار من أبى الأنقياد وطورهم من طور النيابة، والوزير في دولة الترك هو صاحب جباية الأموال في الدولة على أختلاف أصنافها وله مع ذلك التولية والعزل في سائر العمال المباشرين لهذه الجباية، إنتهى ملخصاً.

شروط الحاجب عند من يعتبر الحجابة:

قال أحمد بن أبي الربيع في سلوك المالك[١]: وصفته أن يكون فهماً ذا خلق واسع ومنطق بارع، وأن يكون طويلاً جسيماً وسيماً لتروع العيون هيبته وهيئته، وأن يكون ذا عقل وحكمة يدلانه على صواب ما يأتي ويذر، وينبغي أن يكون لا مكفهراً ولا سهلاً، لين الأنقياد، ويجب عليه أن يعرف مراتب الداخلين على الملك فينزلهم منازلهم، وينبغي له في الإذن عند جلوس الملك ولا يطلقه عند خلوته، ويجب أن يعرف سير الملوك وقواعدهم وخاصة الملك وعامته ليعرف عذر من تأخر منهم ليجيب السلطان إن سأل عنه، وليأمر من يسير بين يدي الملك فيبعدهم من ركابه، وليمنع العوام من التعرض لركابه بالقصص، ويأمر بأخذها منهم، ويجب عليه مراعاة الوزير والأمتثال لأمره لأنه المشار إليه دونه، وينبغي أن يعرف أخبار الملك في كل وقت ويوصل إليه الأخبار، وليأمر البوابين بإنهاء ما يرد عليهم لئلا يخفى من دار الملك شيء، وليعرف الأوقات التي يجلس فيها الملك والأوقات التي يكون فيها في خلوته، وينبغي له أن يراعي خواص الملك ويكرمهم ويعرف مواضعهم ولا يفسح لأحد بالدخول عليه إلا بإذنه ولو كان ولداً، إنتهى.

ولا تعتبر هذه الشروط في عصورنا هذه بل حسبه أن يكون خريجاً من أحد الكليات الحقوقية وعالماً بالقانون الوضعي وعارفاً بالسياسة مهما كانت أخلاقه شرسة وطباعه فظة ومعاملته سيئة، وسواء كان قصيراً نحيفاً أو جسيماً ضخماً كل ذلك سواء.

أسباب الحجاب ودواعيه في نظر المؤلف

هي كثيرة جداً: منها: التكبُّر والانفة من مخالطة الناس وخصوصاً العامة والضعفاء وأكثر ما يكون هذا في الولاة والأُمراء الشامخين برتبهم ووظائفهم.

ومنها: الخوف من الاغتيال إما فتكاً علنياً أو تحيلاً بما يجر إلى التلف، وأكثر ما يكون هذا في عظماء الملوك خصوصاً الكثير الأعداء وصاحب السطوة الجبار والمحتل لبلاد أجنبية.

ومنها: مخافة الإنفاق والبذل على الوافدين والسائلين من ذوي الحاجة الماسة والضرر والبؤس وهذا كثير في طبقات الملوك والأُمراء والوزراء وسائر الموظفين الكبار والمتمولين من التجار والرؤساء بل وحتى في بعض الفقهاء في

(١) سلوك المالك في تدبير الممالك: ص١٠١.

هذه الأزمنة وسبب ذلك في الجميع أمران أقواهما الشح والبخل وأضعفهما العوز وقلة ذات اليد فيستحي من الظهور الذي يقرن به الاعتذار السمج في نظر الكريم لكن الاعتذار المحمود في مثل هذه الحال خير من التواري الذي يجر إلى صاحبه نسبة البخل والنبز بالتكبر.

ومنها: الضجر والتبرم بكثبرة الأشغال ومباشرة الأعمال وأكثر ما يكون هذا في الوزراء ومن داناهم في الرتبة والمنصب.

ومنها: حب الأنفراد والعزلة ويقع هذا السببين محبة الفراغ لأجل التفكير في سعادة الدينا في التمتع بالعلوم والتزود من الحكم والآداب ومراجعة السير الملوكية وكتب السياسة والأخلاق وسعادة الدين بالتفرغ للعبادة وقراءة القرآن وتلاوته وقراءة الأدعية والأذكار والتفقه في الدين ومطالعة التفاسير والحديث وأمثالهما.

وأهل هذين الصنفين جماعة من الملوك السعداء من أهل الدنيا كالحكماء والفلاسفة، ومن أهل الدين الجادون المجتهدون في تحصيل الرتب الأُخروية فإنهم يقصدون التخلي والأنفراد بأنفسهم عن مخالطة العامة بتحصيل ما به سعادة الآخرة.

ويرسم لك الحقيقة مصورة كتمثال حسي ملموس خلواة أمير المؤمنين على ابن أبي طالب «عليه السلام» التي يختارها لنفسه ويجب أن تكون ليلاً حسبما حدث به أبو الدرداء من ناحية تضرعه وأبتهاله عند شويحطات بني النجار وأنه تأخذه الغشية التي لم يشك أبو الدرداء له معها الموت، وما تحدث به ضرار الضبائي في مجلس معاوية وقد سأله أن يصفه فأخبره أنه رآه في خلوته الليلية يتململ تململ السليم، وكما تحدث كميل بن زياد الذي أقتفى أثره في الخلوة التي أختار لها الجبّانة (المقابر) ليناجي ربه وينادم الأموات، وكذلك تحدث آبن عباس فعاد من بركة تلك الخلوة بعلم كثير، وكما تحدث نوف البكالي إذ رآه يرمق السماء بطرفه في الليل الدامس ليعتبر الكواكب والنجوم المتقلبة في مشارقها ومغاربها طلوعاً وأفولاً ويتخذ من ذلك دليلاً على الفناء وعدم البقاء فصبت تلك الفكرة المباركة على نوف شؤبوباً من الرحمة بالتفكر والاعتبار.

أو محبة الفراغ لأجل قضاء الأوطار وإعطاء النفس شهوتها من التمتع بالمسكرات والأغاني والمطربات وقد تسمى هذه الخلاعة وهذا العزف مدنية وحضارة فالملاهي والراقصات معادن الفجور التي تلقب لديهم بالآنسات تستوعب

من وقت الملك والوزير ومن دونهما الثمين فيستوعب ساعات أو ليالي وأياماً وأكثر أهل هذه الخلاعة يختلطون بالناس سوى الملوك يختصون المجالس وينفردون في أوقات الطرب إلا مع أمثالهم لأن هذا الصنف كثيرٌ أهله، جم رائده، من أهل الترف والرفاهية في العيش، والقسم المنحط من هؤلاء ينغمس في الفجور وينهمك في الفساد خصوصاً أبناء التجار والملاكين وأصاغر الموظفين ويترفع عنه أكابر الملوك والوزراء ويأنفون من ذا ولكن يرون التلهي ترويحاً للأنفس ويتخذونه دليلاً على الأريحية.

ومنها: محبة الظلم والجور فيحتجب خوفاً أنت ترفع إليه قصص المظالم فيحتاج إلى ردها وخذ بعض الشواهد لما ذكرنا:

منها ما قاله أبو الفرج ٱبن الجوزي الحنبلي في تلبيس إبليس[١] وذكر أُموراً ثلاثة قال: الثالث أنه يخوفهم الأعداء ويأمر بتشديد الحجاب فلا يصل إليهم أهل المظالم ويتواني من جعل بصدد رفع المظالم.

وقال الأبشيهي الشافعي في المستطرف[٢]: كان خالد بن عبد الله القسري يقول لحاجبه: إذا أخذت مجلسي فلا تحجبن عني أحداً فإن الوالي لا يحتجب إلا لثلاث: عيب يكره أن يطلع عليه أحد، أو ريبة يخاف أن تظهر لأحد، أو بخل يكره معه أن يسأل شيئاً.

ثم قال بعد كلام: وقف رجل من خراسان بباب أبي دلف العجلي حيناً فلم يؤذن له فكتب رقعة وتلطف في وصولها إليه، وفيها:

إذا كان الكريم له حجاب فما فضل الكريم على اللئيم

فأجابه أبو دلف بقوله:

إذا كان الكريم قليل مال ولم يعذر تعلل بالحجاب
وأبواب الملوك محجبات فلا تستنكرن حجاب بابي

وقال محمود الوراق كما ذكره ٱبن أبي الحديد في الشرح[٣]:

إذا اعتصم الوالي بإغلاق بابه ورد ذوي الحاجات دون حجابه
ظننت به إحدى ثلاث وربما رجمت بظن واقع بصوابه
أقول به مس من العي ظاهر ففي إذنه للناس إظهار ما به

---

(١) تلبيس إبليس: ص١٣٢.
(٢) المستطرف ١/ ٩٢.
(٣) شرح نهج البلاغة ٤/ ١٤٣.

فإن لم يكن عي اللسان فغالب من البخل يحمي ماله عن طلابه
وإن لم يكن لا ذا ولا ذا فريبة يكتمها مستورة في ثيابه

قال الراغب الأصفهاني الشافعي في المحاضرات[١]: قيل يحجب الوالي لسوء فيه أو لبخل منه، ثم أنشد:

والستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

أول من أسس الحجاب وسنّه في الإسلام

لا خفاء أن الحجاب من آثار الأكاسرة والقياصرة وكانت شدة الحجاب في ملوك التبابعة في العرب كما ذكرنا في كتابنا «الميزان الراجح» وكتابنا «السياسة العلوية» في ترجمة ذي الكلاع الحميري أن رجلاً من همدان أقام ببابه سنة لا يصل إليه وإنما سرى إليهم من ملوك الأعاجم، أما الإسلام فبعيد عن هذه العادات الجبارة، منزه عن مثل هذا التعاظم الخيلائي الممقوت، ومصون عن هذه السجايا الماحقة لسنة الرأفة والحنان والرقة والعطف، فقد قامت الشريعة الإسلامية بمقاومة الجبروتية والكبرياء وإبادة الزهو والخيلاء، ونهضت بمكافحة كل سنة جبارة وتغيير كل عادة جائرة عن القصد القويم ونهج العدل المستقيم.

فقد كان سيد الأنبياء وخاتم المرسلين يمشي في الأسواق ويجالس الفقراء والمساكين ويقف للضعيف والارملة، وعلم ﷺ أن هذه السيرة السهلة المعتدلة ذات الرأفة والحنان واللطف والشفقة ستنقلب إلى جبروتية وكبرياء وتباذخ وتعاظم، وتسير ملوك بني امُية سير كسرى وقيصر فنهى عن ذلك نهياً متتابعاً وقال أقوالاً مشهورة تناقلها الفريقان الشيعة والسنة في التهديد والوعيد لمن أحتجب عن الأُمة وأغلق بابه دونها فمن فعل ذلك فهو كسروي التبعية لا محمدي التابعية.

وأختلف الناس في أول من أحدث الحجاب في الإسلام فقيل عمر بن الخطاب وحاجبه يرفأ مولاه، وهذا قول ضعيف لا نحفل به لأن المعلوم من سيرة عمر بن الخطاب الأبتذال والأختلاط بالناس فقد كان يتلقى الركبان يسألهم عن الغزات فلا تفرق الرسل بينه وبين أفراد العامه وكم رسول قال له الخبر تسمعه عند أمير المؤمنين فيسير ورائه مهرولاً وكان يفترش مرقعته وينام في المسجد ويحمل درته ويسير في الطرقات وحده، ولما جيء بالهرمزان أحد ملوك الفرس وجده نائماً في

---

(١) المحاضرات ١/ ١٠١.

المسجد مفترشاً عبائته المرقعة، ومن كانت هذه حالته كيف يكون محتجباً، وما قيل أن حاجبه يرفأ كما قيل حاجب علي «عليه السلام» قنبر مولاه إنما يعنون الخادم المختص الذي يقف أمامه وفي بابه لقضاء حاجاته فأشبه الحاجب وأُطلق عليه.

وقيل: أول من أحدث الحجاب في الإسلام عثمان بن عفان، وقيل معاوية بن أبي سفيان، وأصوب الأقوال هو المتوسط لأن معاوية أقتدى بعثمان وأقتفى أثره وما قيل أحدثه لما ضربه الخارجي فوهم لم يحدثه ذلك الوقت إنما شدده فالذي أحدث المقصور والحجاب في الصلاة هو عثمان عقيب اغتيال عمر بن الخطاب.

قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي الشافعي في سر العالمين[١]: روى أبو هريرة قال: لما فتح عمر بن الخطاب مدينة القدس وأمر فيها عبد الله بن مسعود أتيته مهاجراً فدخلت عليه فلم أرى له حاجباً ولا بواباً فسألته عن ذلك، فقال: سيظهر عثمان ثم تسمعون بمنزلها.

وقال جلال الدين السيوطي الشافعي في تاريخ الخلفاء[٢] في أوليات عثمان ٱبن عفان: هو أول من أتخذ صاحب شرطة، وأول من أتخذ المقصورة في المسجدة خوفاً أن يصيبه ما أصاب عمر.

وقال ٱبن أبي الحديد المعتزلي الحنفي في الشرح[٣] وٱبن عبد ربه المالكي في العقد الفريد[٤]: وقف أبو سفيان بباب عثمان بن عفان وقد أشتغل ببعض مصالح المسلمين فحجب فقال له رجل وأراد أن يغريه، فقال: يا أبا سفيان! ما كنت أرى أن تقف بباب مضري فيحجبك! فقال أبو سفيان: لا عدمت من قومي من أقف ببابه فيحجبني.

قال ٱبن خلدون المالكي في المقدمة[٥]: وأما مدافعة ذوي الحاجات عن أبوابهم فكان محضوراً في الشريعة فلم يفعلوه، فلما أنقلبت الخلافة إلى الملك وجاءت رسوم السلطان وألقابه كان أول شيء بدأ به من الدولة شأن الباب وسده دون الجمهور بما كانوا يخشون على أنفسهم من اغتيال الخوارج كما وقع بعمر وعلي ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم مع ما في فتحه من أزدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهمات فأقعدوا من يقوم لهم بذلك وسموه الحاجب.

---

(١) سر العالمين: ص٣٥.
(٢) تاريخ الخلفاء: ص١١١.
(٣) شرح نهج البلاغة: ٤/ ١٤٣.
(٤) العقد الفريد ٤/ ١٤٣.
(٥) مقدمة ابن خلدون: ص١٩٨.

وقد جاء أن عبد الملك بن مروان لما ولى حاجبه قال له: قد وليتك حجابة بابي إلا عن ثلاث: المؤذن للصلاة فإنه داعي الله، وصاحب البريد فإنه أمر ما جاء به، وصاحب الطعام لئلا يفسد.

قال ٱبن أبي الحديد في الشرح[١]: حجب معاوية أبا الدرداء، فقيل لأبي الدرداء: حجبك معاوية، فقال: من يغشى أبواب الملوك يُهن أو يُكرم، ومن صادف باباً مغلقاً عليه وجد إلى جانبه باباً مفتوحاً، إن الله إن سُئل أعطى، وإن دُعي أجاب، وإن كان معاوية قد أحتجب فرب معاوية لم يحتجب، إنتهى، وذكرها ٱبن عبد ربه في العقد الفريد، والراغب في المحاضرات.

وفي المستطرف[٢]: أستأذن سعد بن مالك (هو ٱبن أبي وقاص) على معاوية فحجب فتهتف بالبكاء فأتى إليه الناس وفيهم كعب، فقالوا: ما يبكيك يا سعد؟ فقال: كيف لا أبكي وقد ذهب الأعلام من أصحاب رسول الله ﷺ ومعاوية يلعب بهذه الأُمة، قال كعب: إبك فإن في الجنة قصر من ذهب يقال له عدن، أهله الصديقون والشهداء وأنا أرجو أن تكون منهم، إنتهى.

كعب في هذه القصة هو كعب الأحبار.

وفي المستطرف أيضاً: قال عمرو بن مرة الجهيني لمعاوية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من أمير يغلق بابه دون ذوي الحاجات والخلة والمسألة إلا وأغلقت أبواب السماوات دون حاجته وخلته ومسألته.

دعوى لبعض الكتاب مزيفة يزعم أن النبي ﷺ ومن بعده من الخلفاء قد استعملوا الحجاب يريد يثبت أن هذا العمل الجبار سنة وهذا البغيض البعيد من الرحمة يراه حضارة إسلامية يتزلف إلى أُمراء وقته ويباهت الغرب بما أنتقده من إهمال الإسلام لأُمور مدنية وقد أخطأ من حيث ظن أنه أصاب، ونحن قد بينا أنه كان للنبي ﷺ ولأمير المؤمنين علي «عليه السلام» وللخليفتين السابقين خدم خاصة يشبهون الحجاب لا أنهم حجاب حقيقة وقد عرفناك مشيهم في الأسواق منفردين وأختلاطهم بالناس وما كان يصنعه رسول الله ﷺ والخليفة عمر بن الخطاب.

وأما حال أمير المؤمنين «عليه السلام» فمعروفة وأنه كان يمشي في الأسواق يحمل الدرة كأنه أعرابي ويقف على البزاز ويساومه في ثوب الكرباس، ويقف

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤/ ١٤٣.
(٢) المستطرف ١/ ١٩٣.

على التمارين وغيرهم يأمر بأرجاح الوزن وحسن المعاملة وينهاهم عن النجش، هكذا كانت حاله مدة خلافته قد روى ذلك ثقات العلماء، وقد كان يدخل عليه الداخل بغير أستئذان كما ورد ذلك في حديث الثقفي وغيره.

فهذا الكاتب الماهر بل الفقيه المفتي قد أخطأ خطئاً فاضحاً وعثر عثرة لا تقال ولا تستقال وهو الشيخ محمد بخيت المطبعي المفتي بالديار المصرية وهذا لفظه في كتابه حقيقة الإسلام وأُصول الحكم[1]: في حجاب النبي ﷺ قد ثبت أن أنس أبن مالك كان حاجب النبي ﷺ رواه مسلم عن جابر وعن عمر، وهكذا للخلفاء الأربعة حجاب فكان حاجب أبي بكر شديداً مولاه، وقيل سريق مولاه، وحجب لعمر مولاه يرفأ وكان يرفأ حاجب عمر يدعو صهيباً وبلالاً وخباباً وعماراً وسلمان قبل الناس ويدخل الناس بعدهم على مراتبهم حتى تمعر وجه الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وحكيم ورجال من أجلة قريش وسادات العرب، فلما رأى سهيل بن عمرو ذلك وكان فيهم قال: لم تمعر ألوانكم؟ دعوا ودعينا فأسرعوا وأبطئنا، فلئن حسدتموهم على باب عمر وجفانه لما أعد لهم في الجنة أكثر فليطل حسدكم.

هذا كلامه بلفظه وقد أفتضح هذا الكاتب الماهر والفقيه المفتي بهذا الاستدلا الركيك افتضاح العفيف بين السكارى حيث لم يكن أنس بن مالك حاجباً للنبي ﷺ ولم يسمه أحد من علماء الحديث والتأريخ حاجباً وإنما إسمه إلى اليوم الخادم وقد صرحت الأحاديث الصحيحة أنه خادم النبي ﷺ إلا أن يريد المطبعي أن يسمي الأغوات (المخاصي) خدام الكعبة حجاب الكعبة تسمية يصطلح عليها هو نفسه ولا مشاحة في الاصطلاح لكنه غير الحاجب المصطلح عليه، وسواء فرقنا بين الحاجب والبواب كما هو الحق أم وحدنا بينهما إنما يكون ذلك لدار الإمارة أو القصر الملكي البلاط قاعدة الحكم وليست للنبي ﷺ وابي بكر وعمر وعلي «عليه السلام» دار إمارة، إنما هو لعثمان فقط، وبلاط الحكم عندهم الجامع الأعظم.

وهذه دكة القضاء في جامع الكوفة معروفة إلى اليوم وهي التي كان يقضي عندها أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، ولما أنصرف من حرب الجمل إلى الكوفة قالوا له: إنزل قصر الإمارة، فقال: قصر الخبال لا تنزلونيه، فنزل على أبن أُخته جعدة بن هبيرة المخزومي وكانت محكمته الجامع الأعظم لا يخالف في ذلك

(١) حقيقة الإسلام وأُصول الحكم: ص١٣٠.

مؤرخ، فأول من شيد البلاط وبنى القصر الملكي للحكم وأنفق عليه أموالاً طائلة من بيت مال المسلمين هو عثمان وكانت هذه أحد الأسباب التي نقمها عليه الصحابة والمسلمون وعابوها عليه وأنكروها منه لأنها نفقة باهضة ولا تخلو عن أمرين مجمع على تحريمها إن كانت من ماله كما زعمه المتعصب له فهو إسراف محرم بنص القرآن والسنة وإجماع الأُمة، وإن كان من مال المسلمين فأشد حرمة لأنه غصب وخيانة وجناية على المسلمين وهذا الاستبداد ومخالفة سيرة من تقدمه هيأت أسباب الثورة عليه فأعقبها قتله.

أما كون النبي ﷺ لا يأذن لأحد عليه فذاك حيث يكون مع نسائه وفي دار عائلته التي ضرب الله تعالى عليها الحجاب وهذا موضع وجب الحجاب فيه شرعاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[1] وعقلاً فإن فيه صوناً للعرض عن الابتذال وحفظاً له عن الهتك وقمعاً لطماح السفيه الذي يستخفه طيش الصبا ونزق نزوة الشباب وكسراً لتهور الأعراب والبداة الذين لا أدب لهم ولا تحفظ عن الإخلال بواجب الاحترام وقد تحدث نقلة الحديث عن الكلابي الذي دخل عليه قبل ضرب الحجاب وجعل يلحظ عائشة ويقول: يا محمد! إن لي زوجتين جميلتين ألا أنزل لك عن واحدة منهما تتزوجها بدلاً عن هذه الحميراء؟!

وإذا نظرت إلى أبطاء الثلاثة من أصحابه وهم من أجلة الصحابة عن الخروج وإطالتهم الجلوس يتحدثون حتى ألموه وأغضبوه فأغفلوا كل أدب ديني ووضعي رسمه لهم الدين والعقل وضيعوا واجب الاحترام له وخرقوا سياج الحرمة حتى أنزل الله فيهم ولهم النهي عن الجلوس عند النبي ﷺ في دار حرمه إلا ريثما يأكلون طعام الوليمة غير متوانين في الخروج ولا متلبثين بعد الأكل ولو ريثما ينظرون الأواني وصرح لهم إن تلك الجلسة الطويلة كانت تؤذي النبي ﷺ فدلت هذه الآيات على صلف هؤلاء مع كونهم من قدماء الصحابة وأعيان المهاجرين.

وإذا صدر هذا من مثل هؤلاء فما ظنك بالأعراب والبدو وحديث العهد بالإسلام أو المؤلف والمستسلم كرهاً فالحجاب في مثل هذا الموضع واجب شرعاً وعقلاً وليس الجهة التي نحن بصددها ويريدها هذا المفتي وهي حجب الرجل العظيم شخصه عن رعيته فإن كان أنس حاجباً كما يدعي كذباً فهو حاجب في دار الحرم لا دار الحكم.

---

(١) الأحزاب: ٥٣.

وكذلك كان علي بن أبي طالب أمير المؤمنين «عليه السلام» وقد تحدث الثقفي أنه دخل عليه ولم يجد على بابه أحداً، راجع القصة في ذخائر العقبى والرياض النضرة للمحب الطبري الشافعي وغيرهما.

وكذلك الخليفتان أبو بكر وعمر قد يحجبان الناس في دار الحرم وما نقله عن القرشيين مع سلمان وأصحابه فذاك حيث يكون عمر في دار حرمه لا في دار حكمه وقد علم كل أحد أن دار حكمهما المسجد.

وإذا سمي مثل هذا حجاباً فكل إنسان له حاجب إذ لا يخلو أحد من الناس من حاجب عند القيلولة والأستراحة وخلو المرء بزوجته ولو بأن يغلق بابه فإن الرجل إذا خلا بنفسه ترك التقيد وكذلك العائلة إذا آمنت النظار تبذلت، وهنا يحكم العقل بلزوم هذا الحجاب تحفظاً وصوناً كما حكم الشرع بذلك واستئذان الخدام والأولاد على مواليهم وآبائهم قبل بلوغهم الحلم في وقت الخلوة من الأدب الديني المطابق لحكم العقل الصحيح فقد ورد الحث عليه في السنة النبوية وندب إليه كتاب الله تعالى في ثلاث مواضع هي مظنة الأبتذال سماها عورات، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1] الآية الشريفة.

وهذه الأوقات الثلاثة هي مظنة التبذل، أوقات خلوة الرجل بأهله، وفي بعض هذه الأوقات يعني وقت القيلولة والأستراحة كان وفد بني تميم يطوف بحجر النبي ﷺ ويهتف: أُخرج إلينا يامحمد لنفاخرك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2] يعني حجر نسائه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[3]، فأين الحاجب ليكفهم ويردعهم؟ وأين الحجاب ممن يخرج إلى الوفد ويظهر للقاصدين ويجلسهم في المجالس العامة والأندية المحتشدة ويفاخر من أراد مفاخرته؟ ولو كان محجوباً لما قال ((حتى تخرج إليهم)) بل قال: حتى تأذن لهم، إلا أن يدعي المطبعي أنه أعرف بمواقع الخطاب من القرآن المجيد فقد دلت هذه الآية الشريفة على نفي الحجاب عن رسول الله ﷺ.

---

(١) النور: ٥٨.
(٢) الحجرات ٤.
(٣) الحجرات ٥.

ولو أثبت المدعي دليلاً وأتى بحجة لنظرنا فيها ولكنه ساق الدعوى فأحتج بها مجازفة والاستدلال بعين الدعوى مصادرة، وأين الحجاب ممن بني له في مسجده صفة يجتمع بها الفقراء وهم بين الأربعمائة إلى الثمنمائة على أختلاف القولين وكلهم يتحدثون بمجالسته لهم وتحدثه معهم فيسليهم ويصبرهم مرة ويسعفهم ويعينهم مرة أُخرى، وفي الحالين يلاطفهم ويوءنسهم ويأكل معهم أحياناً رفعاً لما في أنفسهم من كسر الفاقة وأهتضام الفقر، وقد ملأ أبو هريرة حجة أهل السنة المطولات من الكتب بنقل أمثال ما ذكرنا.

لكن هؤلاء المتجددون من مزيج المصريين الأقباط (المتفرنجين) يريدون أن يثبتوا كل طريقة رومانية وشريعة يونانية محقها الشرع الإسلامي ومحاها الدين المحمدي بأن يجعلوا لها أصلاً في الشريعة بظنهم القاصر أن المدينة الجديدة تسري مع شريعة الإسلام جنباً لجنب، وتساير حضارة الغرب الممقوتة في كل أتجاهاتها المخلة بمجد الإنسانية والعقل والدين فيريدون أن يجعلوا تخيلات الغربيين وأوهام الأفرنجيين التي تحبذها مدنيتهم وتدعوا إليها حضارتهم ووسموها بألقاب فارغة كالحضارة والحرية والمدنية فزعموا أنها مقتبسة من دين الإسلام دين الله القويم الذي هو منزه عن كثير من هذه العادات القبيحة كأحتجاب الرجال وسفور النساء فجاهلية الغرب شر من جاهلية الشرق العربي قبل الإسلام وإن سميت تلك حضارة وهذه جاهلية.

فالشريعة الإسلامية والسنة المحمدية مصونة بقداستها عن مثل هذه الأوهام والخيالات مدنية الإسلام وحضارة الشرع وحرية الدين تبع لنصوص الشرع في عزائمه ورخصه لا مطلقة طبقاً لأفكار المتجددين وتشهيات العصريين، نعم حجابة النبي ﷺ مختص ببيت نسائه كما في آية ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[1]. والمراد بالحجاب فيها ملازمة الخدر وإسدال الستور لا إقامة البواب والحاجب حتى في هذه الصورة.

وسبب نزول هذه الآية الشريفة في ضرب الحجاب على نساء النبي ﷺ ما ذكره البرهان الحلبي الشافعي في سيرته[2] في حديث تزويج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش من قصة يقول فيها: فأولم رسول الله ﷺ بما لم يولم به على نسائه ذبح شاة وأطعم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فشق ذلك على رسول الله ﷺ ففي البخاري جعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع وهم يتحدثون،

(١) الأحزاب: ٥٣.
(٢) السير الحلبية ٢/ ٢٢٧.

قال أنس وكان النبي ﷺ شديد الحياء فخرج فطلبها إلى حجرة عائشة فأُخبر أن القوم قد خرجوا فرجع حتى وضع رجله في أسكفة البيت داخله وأُخرى خارجه وأرخى الستر بينه وبينها فنزلت آية الحجاب.

قال في الكشاف: هي أدب أدّب الله به الثقلاء.

وفي مسلم: عن عائشة قالت: خرجت سودة بعد ما ضرب علينا الحجاب تقضي حاجتها بالمناصع محل كان أزواج النبي ﷺ يخرجن إليه بالليل للتبرز وكانت امرأة جسيمة فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سودة والله ما تخفين علينا فأنظري كيف تخرجين، فأنكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي يتعشى وفي يده عرق فدخلت فقالت: يارسول الله! إني خرجت فقال لي عمر كذا وكذا، فأوحى الله إليه وإن العرق في يده ما وضعه فقال: إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن الخ.

وهؤلاء الثلاثة الثقلاء مصرح بأسمائهم في الأحاديث ورواها بعض أهل السنة ولكني لا أشتهي ذكرهم، أما قصة عمر بن الخطاب في حجب القرشيين فقد كانت في وليمة والدار لا تتسع لجميعهم وقد جاءت أحاديث كثيرة في أن النبي ﷺ في كثير من الولائم كان يأمر أنساً وغيره من الخدام بإدخال عشرة عشرة وليست دور الصحابة كقصور ملوكنا اليوم الحديقة وحدها تكفي لمائة صحابي أن يتخذوها دوراً لسكناهم فقد كانت دار الواحد منهم ما تتسع لعياله فإن زاد بيت يعني غرفة هدموه لأنهم لا يبنون ما لا يسكنون، فدار السلطان عمر لا تزيد على دور رعيته فلا تتسع لدخول المدعويين إلا مرتبين، فرتبهم على فضيلة الإسلام لا على شرف الأحساب وهذا صريح قول سهيل بن عمرو العامري القرشي لئن حسدتموهم على جفان عمر.

ثم القصص الاتفاقية والنادرة لا تعد أصلاً ولا يستدل بها على ملازمة الحجاب، ثم إن لعمر مجلس خاص في داره ومنزل نسائه يجتمع إليه فيه الصحابة من المهاجرين فيأمر خادمه بإدخال أهل السابقة من المسلمين ويؤخر أشراف قريش أهل الزهو والخيلاء ليذلل من جماحهم ويروض طماحهم ولم يقتصر على تقديمهم في الدخول على قريش بل يجعل لهم صدر المجلس ويصغي إليهم بمسامعه وإذا سبق القرشي مسلماً قديم الإسلام محقراً في نظر قريش أخر القرشي وقدم ذلك المسلم، وهذا غرض سياسي له غور بعيد وقعر عميق لا يسبره عقل المطبعي وأمثاله، إنه يثير الحماس في نفوس الآنفين وذوي النخوة والكبرياء من تقديم من

يعدونهم عبيداً وخدماً لهم فيرغبوا في الجهاد ليحصلوا درجة هؤلاء التي فاتتهم من إبطائهم عن الدخول في الإسلام فأثرت هذه السياسة في الوقت وطلب إليه الحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل المخزوميان وسهيل بن عمرو العامري وغيرهم أن يسيرهم إلى الشام فسيرهم فلم يرجع منهم إلا نفر يسير وقتل سهيل وعكرمة والحارث، أهذا هو الأحتجاب الملوكي حتى يستدل به المطبعي إنها لبلادة.

ذم الحجاب للرجال

الأحاديث في ذمه كثيرة رواها حفاظ الفريقين وقد مر بعضها ومنها من طريق الشيعة ما رواه ثقة الإسلام الكليني (رحمه الله) في أُصول الكافي[١] عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: أيما مؤمن كان بينه وبين مؤمن حجاب ضرب الله عز وجل بينه وبين الجنة سبعين ألف سور، ما بين السور إلى السور مسيرة ألف عام.

ومن طريق أهل السنة الإسحاقي الشافعي في تاريخه[٢] قال: روى الإمام أحمد في مسنده والترمذي وذكر عن عمرو بن مرة ما تقدم قال: وعن ٱبن عباس قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس! من ولي منكم عملاً فحجب بابه عن ذوي الحاجة من المسلمين حجبه الله يوم القيامة أن يلج الجنة فليس شيء أحب إلى الله من قضاء حوائج المسلمين الخ.

وقال أبو الفرج ٱبن الجوزي الحنبلي في تلبيس إبليس[٣]: روى أبو مريم الاسدي عن النبي ﷺ قال: من ولآه الله شيئاً من أمر المسلمين فأحتجب دون حاجتهم وخلتهم أحتجب الله دون حاجته وفقره.

أما الآثار فكثيرة منها ما رواه في المستطرف[٤] قال ميمون بن مهران: كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال لحاجبه: من بالباب؟ قال رجل أناخ راحلته يزعم أنه من ولد بلال مؤذن رسول الله ﷺ، فأذن له أن يدخل، فلما دخل قال: حدثني أبي أنه مع رسول الله ﷺ يقول: من ولي شيئاً من أُمور المسلمين ثم حجب حجبه الله يوم القيامة، فقال عمر لحاجبه: إلزم بيتك فما رؤي على بابه بعد ذلك حاجب، إنتهى، وهذا حديث وأثر.

---

(١) أصول الكافي: ص٣٦١.
(٢) تاريخ الإسحاقي: ص ١٨٨.
(٣) تلبيس إبليس: ص١٣٢.
(٤) المستطرف ١/ ٩٢.

سهولة الحجاب وشدته وطبقات الحجُّاب

ربما كان بعض الملوك سهل الحجاب وفي الحقيقة يكون كأنه حاجب نفسه بنفسه وإنما أقام شخصاً بالباب وسماه حاجباً ليظهر أُبهة الملك وعظمة السلطان، ومنهم من كان شديد الحجاب والغاية عنده في التشديد نزاهة النفس الملوكية عن الأختلاط بمن هو دونها ذهاباً بنفسه في البذخ والتعاظم أن لا يرى له كفواً في مملكته فيتخذه نديماً أو جليساً محدثاً وهذا خلق وعر وطبع شرس.

يذكر عن جذيمة الأبرش المعروف بالوضاح أنه كان ينادم الكواكب ذهاباً بنفسه أنه ليس له نظير حتى ينادمه ولا كفؤ فيجالسه.

ومنهم من يشدد الحجاب لأستهتاره بالفواجر والفجور من المعازف والمطربات والمشروبات الروحية فلا يمر عليه وقت إلا وهو منغمس في لذة طرب أو نشوة سكرة أو معتنقاً أمرداً أو محتضناً مومسة أو راقصاً ثملاً أو مائساً سكراً وهذا خلق يتصف به كثير من بني أُمية وبني العباس؛ فمن الأمويين يزيد بن معاوية وهو المعروف عند أهل زمانه بيزيد الفجور، يزيد الخمور، منادم الفهود، المسابق على القرود لأنه كان يلعب بالكلاب والفهود ويسابق في الحلبة بقرد يسمى أبا قش على أتان وحشية، وهناك حكايات كثيرة أستوفيناها في كتابنا «السياسة العلوية».

منها ما ذكره البيهقي الشافعي في المحاسن والمساوي[١]: قيل: شرب يزيد بن معاوية ذات يوم وعنده الأخطل فلما ثمل قال: يا أخطل! أهجني ولا تفحش، فأنشأ يقول:

ألا أسلم سلمت أبا خالد ... وحياك ربك بالعنقز
وروى عظامك بالخندريس ... قبيل الممات ولم تعجز
أكلت الدجاج فأفنيتها ... فهل في الخنابيص من مغمز
ودينك حقاً كدين الحما ... ر بل أنت أكفر من هرمز

فرفع يده ولطمه وقال: يا أبن اللخناء! ما بكل هذا أمرتك.

وقال الدميري الشافعي في حياة الحيوان[٢]: قد درب قرد ليزيد على ركوب الحمار وسابق به مع الخيل وفيه يقول يزيد لما سبق بأتان ركبها فارساً:

من مبلغ القرد الذي سبقت به ... جواد أمير المؤمنين أتان

---

(١) المحاسن والمساوي ١/ ٢٠٤.
(٢) حياة الحيوان ٢/ ٢١٢.

تمسك أبا قش بها إن ركبتها فليس عليها إن هلكت ضمان

إنتهى، ذكرناها بصورة أوسع من هذه في ترجمة يزيد بن معاوية وذكرنا الأبيات كلها.

ويزيد بن عبد الملك بن مروان وهو ٱبن عاتكة بنت يزيد بن معاوية ورث الخلاعة من جده يزيد وهو صاحب سلامة وحبابة وكان مستهتراً بالشراب، وطأ حبابة يوماً وآذنه المؤذن بالصلاة فألبسها ثيابه وأخرجها فصلت بالناس وهي جنب، وغنته يوماً فطرب فقال لها: أطير والله، فقالت: وعلى من تخلف المسلمين؟ فقال: عليك وقبل رأسها، وبلغت هذه الكلمة بعض العلماء فقال: طر إلى النار.

وابنه الوليد بن يزيد أشهر خلق الله بالفجور وأشدهم خلاعة وأعظهم إلحاداً وزندقة، كانت له بركة خمر ينغمس فيها كل يوم خمس مرات فيشرب حتى يقيء، وأخبار هذين الفاجرين أستوفيناها في كتابنا «الميزان الراجح».

ومن بني العباس (الأمين) محمد بن هارون الرشيد وهو ٱبن زبيدة أُم جعفر وهو الخليع المشهور صاحب كوثر المخنف (والمتوكل) جعفر بن المعتصم صاحب عبادة المخنث أشد خلق الله تهتكاً واستهتاراً، يشبه الوليد في بني أُمية، وقتل بين دنان الخمر وآلات الطرب، (وإبراهيم بن المهدي) أُستاذ المغنيين ورئيس المخنثين والطنبوريين لم يفق ساعة من السكر وفيه قيل:

خليفة مصحفه البربط يا معشر الأجناد لا تقنطوا

ومن الملوك من يشدد الحجاب ليتفرغ للنظر في المشاريع السياسية ومناهج الإدارة وهذا كثير من الملوك ذوي الحزم واليقظة وقد يكون التشدد في الحجاب لمحض الجبروتية ووعورة النفس وشراسة الأخلاق كما هو الحال في خلق عبد الملك بن مروان في الأمويين، والمنصور في العباسيين، وكان المنصور لشراسته وغلظته يقول لأولاده: إذا أخذت مجلس الحكم فغيبوا عني أشخاصكم لئلا ينالكم مني مكروه.

أما تعدد الحجاب، فكفانا أمره ٱبن خلدون فإنه جعل الحجاب ثلاثة مترتبة طبقاتهم:

الأول: لحجب العامة، **الثاني**: لحجب الخاصة سوى الندمان، **الثالث**: لحجب كل داخل على الملك حتى الندمان لضرب من السياسة، فقال في

المقدمة[١]: إن الدولة تكون في أول أمرها بعيدة عن منازع الملك فالدولة إن كان قيامها للدين فإنه بعيد عن منازع الملك، وإن كان قيامها بعز القلب فقط فالبداوة التي يحصل بها عز الملك بعيدة عن منازع الملك ومذاهبه فإذا كانت الدولة أول أمرها بدوية كان صاحبها على حال الفضاضة والبداوة والقرب من الناس وسهولة الإذن فإذا رسخ عزه وصار إلى الانفراد بالمجد واحتاج إلى الانفراد بنفسه من الناس للحديث مع أوليائه وخواصه فيطلب الانفراد عن العامة ما استطاع فيتخذ الآذن ببابه على من يأمنه من أوليائه وأهل دوته ويتخذ حاجباً له عن الناس يقيمه وراء بابه لهذه الوظيفة.

ثم إذا استفحل الملك وجاءت مذاهبه ومنازعه أستحالت خلق صاحب الدولة إلى خلق الملك وهي خلق غريبة مخصوصة يحتاج مباشرتها إلى مداراتها، ومعاملتها بما يجب لها، وربما جهل تلك الخلق منهم بعض من يباشرهم فوقع فيما لا يرضيهم فسخطوه وصاروا إلى حالة الإنتقام منه فأنفرد بمعرفة هذه الآداب الخواص من أوليائه وحجبوا غير أولئك الخاصة عن لقائهم في كل وقت حفظاً على أنفسهم من معاينة ما يسخطهم على الناس من التعرض للقائهم فصار لهم حجاب آخر أخص من الحجاب الأول يفضي إليهم منه خواصهم من الأولياء ويحجب دونه من سواهم من العامة، والحاجب الثاني يفضي إلى مجلس الأولياء ويحجب دونه من سواهم، والحجاب الأول يكون أول الدولة كما حدث أيام معاوية وعبد الملك وخلفاء بني أُمية، وكان القائم على ذلك الحجاب يسمى عندهم الحاجب جرياً على مذهب الاشتقاق الصحيح.

ثم لما جاءت دولة بني العباس وجدت الدولة من الترف والعز ما هو معروف، وكملت خلق الملك على ما يجب فيها فدعا ذلك إلى الحجاب الثاني وصار إسم الحاجب أخص به وصار بباب الخلفاء العباسية داران: دار للعامة ودار للخاصة، ثم حدث في الدول حجاب ثالث أخص من الأوليين وهو عند محاولة الحجر على صاحب الدولة وذلك أن أهل الدولة وخواص الملك إذا نصبوا الأبناء من الأعقاب وحاولوا الاستبداد عليهم فأول ما يبدأ به ذلك المستبد أن يحجب عنه بطانة ابنه وخواص أوليائه يوهمه أن في مباشرتهم إياه خرق حجاب الهيبة وفساد قانون الأدب ليقطع بذلك لقاء الغير ويعود ملابسة أخلاقه حتى لا يستبدل به سواه إلى أن يستحكم الاستيلاء عليه فيكون هذا الحجاب من دواعيه، وهذا

---

(١) مقدمة إبن خلدون: ص٢٤٣.

الحجاب لا يقع في الغالب إلا في أواخر الدولة ويكون دليلاً على هرم الدولة ونفاذ قوتها وهو مما يخشاه أهل الدول على أنفسهم لأن القائمين بالدولة يحاولون على ذلك بطباعهم عند هرم الدولة وذهاب الأسبتداد من أعقاب ملوكهم لما ركب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك وخصوصاً مع الترشيح لذلك مع حصول دواعيه ومباديه الخ.

تقريع من شدّد الحجاب:

قال في العقد الفريد[1]: سعيد بن مسلم قال: كنت والياً بأرمينية فغبر أبو دهمان ببابي أياماً فلما وصل إلي مثل قائماً بين السماطين وقال: والله إني لأعرف أقواماً لو علموا أن سف التراب يقيم من أود أصلابهم لجعلوه مسكة لأرماقهم إيثاراً للتنزه عن عيش رقيق الحواشي، أما والله لا يثنيني عنك إلا ما يصرفك عني، ولئن أكون مقلاً مقرباً خير من أن أكون مكثراً مبعداً، والله ما نسأل عملاً إلا ونضبطه، ولا مالاً إلا ونحن أكثر منه، وهذا الذي قد صار إليك وفي يدك قد كان في يد غيرك فأمسوا والله حديثاً؛ إن خيراً فخيرا وإن شراً فشر، فتحبب إلى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب فإن حب عباد الله موصول بحب الله، وبغضه موصول ببغضهم، لأنهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من أعوج عن سبيله، إنتهى.

أوردنا كثيراً من أمثال هذه القصص في كتابنا «السياسة العلوية» وذكرنا وصايا لبعض الملوك وحكماً وأشعاراً فراجعها، وقد استبان من جميع ما ذكرنا أن الحجاب خلق الجبارين والمتكبرين.

الاستئذان

أما الاستئذان في زيارة الصديق لصديقه والرحم لذوي رحمه والضيف لمضيفه والسائل الطارق في الأوقات التي هي مظنه الوحشة أو الخلوة فإن ذلك من الأداب المحبوبة والسنن المؤكدة التي ينبغي مراعاتها عقلاً والمواظبة عليها شرعاً فالالتزام بها نجات من إسداء الإسائة لمقصوده فإن الإنسان إذا انفرد وخلا بنفسه وأمن نظرات الناظرين تبذل بخلع الملابس وفعل ما ينافي الأحتشام ويضاد الوقار ملابسة لحال الاختلاء ومجانسة لصفة الانفراد، والنساء المصونات والعقائل المخدرات في الحجول والأكلة يرفعن أروقة الحجب ويزلن ستور الحجل

(١) العقد الفريدة ١/ ٤٠.

أُنساً بخلو القاعة من النظار وخلوداً إلى غيبة المطلعين، وربما سقط الخمار وأنكشف الرأس، وربما وقع الإزار والعباءة فلا تبادر إلى لبسه أتكالاً على حجابها واعتماداً على سدتها المسدولة عليها، وثقة بحصانة الدار ومنعة البيت، وتيقناً أن لا يدخل داخل مفاجئ، فإذا خرق الطارق سياج الآداب وهتك حرمة الاحترام بترك الاستئذان ودخوله غفلة وعلى حين غرة من أهله ودهمهم على غير أستعداد من دون أشعار صادف من رب المنزل ما يكره لأنه قد رآه على غير ما يحب ويهوى.

وبهذا الأدب الديني البديع أدب الله عبادة خاصة وعامة فقال في خصوص بيوت رسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾[1]، وقال في خصوص الخدم والأولاد ما سمعت من الآية الكريمة التي تقدمت، وقال في عموم الناس: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَآ﴾[2] وغيرها من الآيات الشريفة في معناها.

وفي الخبر المشهور: من اطّلع في بيت بغير إذن فقئت عينه فهي هدر، وفي معناه أحاديث كثيرة، وإجماع الفقهاء على وجوب الاستئذان في الجملة واستحبابه المؤكد في جميع الوجوه عملاً بسيرة رسول الله ﷺ وأئمة أهل البيت «عليهم السلام» فقد كان رسول الله ﷺ وهو كالأب للمسلمين لا يدخل دارا حتى يسلم ويستأذن بل حتى بيت أبنته فاطمة الزهراء «عليها السلام» فكان إذا أراد زيارتها أقبل حتى يقف على باب حجرتها ويقول: السلام عليكم أأدخل، وفي ذلك أحاديث كثيرة ذكرناها في فضائلها «عليها السلام» وذكرنا بعضها في رسالتنا «ردع الناكب» كحديث عمران بن حصين وجابر بن عبد الله المرويين بطريق أهل السنة والشيعة وسواهما من الأحاديث، وكذلك كانت سيرة أمير المؤمنين علي والسبطين الحسن والحسين والأئمة «عليهم السلام» جميعاً ولا يحتمل هذا الكتاب نقل الأحاديث فأطلبها من غيره.

حجابة العباس الأكبر للحسين «عليهما السلام»

حجابة العباس الأكبر «عليه السلام» كيف كانت؟

قد عرفت بالبيان الذي رسمناه لك أنه لم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأحد من عترته «عليهم السلام» جميعاً حجاب وليس هذا الكتاب موضع نقل الأحاديث في

---

(١) الأحزاب: ٥٣. (٢) النور: ٢٧.

هذا المعنى فليس لهم كما للملوك الجبابرة وطواغيت الأمم حجبة وبوابون وإنما لهم خدم وعندهم رجال مختصون مخصصون لقضاء حوائجهم يلازمون أبوابهم في سائر الأوقات أشبه شيء بخدم الخاصة للملوك من غير عبيدهم ومماليكهم يسمونهم بوابين إشعاراً بالاختصاص وإشارة إلى المواظبة ويطلق عليهم إسم الحجاب توسعة في الكلام على ضرب من المجاز تمييزا لهم عن العبيد الأرقاء وموالي العتاقة لأنهم أحرار كأنس بن مالك عند النبي ﷺ وجويرية بن مسهر العبدي عند أمير المؤمنين «عليه السلام» وحذيفه الغفاري عند الحسن بن علي «عليهما السلام»، والعباس بن علي وعلي بن الحسين عند الحسين «عليهما السلام».

للمؤلف:

أبو الفضل عند ٱبن النبي مقدم ... بإخلاصه من بين أهل واصحاب
فقد كان مختصاً به ومقرباً ... لديه لهذا لقبوه ببواب
ولم تك عند السبط دار إمارة ... فيحتاج مثل الطائشين لحجاب
فقد كان مستناً بسنة جده ... وسيرته المثلى وافضل آداب
ترى بابه مفتوحة أمها الورى ... يحييهم بشراً بأهل وترحاب
إذا ما لقى المحتاج يلقاه باسماً ... ولم يمزج العطف الجميل بإرهاب
ومن رام إرشاداً وعلماً يمده ... ومن رام إسعافاً حباه بإيجاب
فهاتيك أخلاق النبي وهذه ... شمائله الحسنى تفيض بإرغاب

فحجابة العباس لأخيه الحسين «عليهما السلام» من نمط ما ذكرنا عن النبي وعترته فإنه كان يلازم بابه ليقوم بقضاء حوائجه ومهماته، فإذا أراد أمراً يتعلق بشأن من شئونه التي هي خارج السدة الشريفة آمر أخاه العباس أو ولده علي الأكبر «عليهما السلام» بذلك فسارعا إلى قضاء ذلك اللازم وأسرعا في إنجاز ذلك المهم الذي عرض له «عليه السلام» لأنهما مخصصان لهذه الوظيفة.

قال أبو جعفر الطبري في التاريخ[1] في حديث كربلاء: فلما دنا منه القوم دعا براحلته فركبها ثم نادى بصوت عال يسمع جل الناس: أيها الناس! إسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم عليّ وحتى أعتذر إليكم من مقدمي

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٢٤٣.

عليكم فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم علي سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوني النصف من أنفسكم ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[1]، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2]. فلما سمع إخواته كلامه صحن وبكين وبكى بناته وأرتفعت أوصواتهن أرسل إليهن أخاه العباس بن علي وعلياً إبنه وقال لهما: سكتاهن فلعمري ليكثرن بكائهن الخ.

وهذه وإن لم تدل صراحة على الحجابة بمعناها السالف لكنها صريحة بملازمتهما له وأختصاصهما به وترشيحهما لما يهمه وقد مرت شواهد كثيرة تدل على مواضبتهما للخدمة الحسينية وخاصة العباس «عليه السلام» الذي لم يدع ملازمته آناً ما سفراً وحضراً حتى في آخر حياته كما سيجيء في مقتله وشهادته عن الشيخ المفيد وغيره أنه «عليه السلام» قصد المسناة وبين يديه أخوه العباس «عليه السلام».

فقد ظهر مما ذكرناه أن للعباس «عليه السلام» عند أخيه الحسين صلوات الله عليه أربعة وظائف مهمة هي السفير والعميد والمرافق والحاجب سوى وظائف عسكرية أُخرى تلقاها يوم العاشر من المحرم أقتضتها حراجة الموقف سنشير إليها في الخطط العسكرية وهذه الوظائف الأربعة وظائف سامية ورتب نبيلة كما عرفتها. للمؤلف:

جمعت وظائف ساميات جمة ... للشهم عباس بن ساقي الكوثر
فله السفارة والحجابة دائماً ... وهو المرافق بل عميد العسكر
قد خصه فيها الحسين فزاده ... فضلاً على فضل له لم ينكر
بذّ الكرام بما حبى من رتبة ... وصفاته العليا وطيب العنصر
قرم مشا للموت دون إمامه ... طلق المحيا مشية المتبختر
باع النفيس ونفسه في كربلاء ... لكن سوى طيب الثنا لم يشتر

---

(١) يونس: ٧١. (٢) الأعراف: ١٩٦.

تشكيل الخطط الحربية بكربلاء وغيرها

الخطط الحربية تتشكل بشكلين لا ثالث لهما: خطة هجوم وخطة دفاع عند سائر الأُمم الحاضرة والغابرة وفي جميع الحروب النظامية وغير النظامية وسواء كانت الطريقة هي الكر والفر أو الأصطفاف أو الكردسة أو تفرقة الجند على طريقة الحضارة الحادثة كل ذلك سواء في طريقي الهجوم والدفاع لا يشذّ عن هذا غير أُسلوب اللصوص وخطط القرصان وقطاع الطريق وأهل الغارات والسرايا المغيرة والبعوث التي ترسلها الملوك وقوات الثغور المرابطة قد تتبع هذا النظام وقد تغايره لكن الجيوش المنظمة المتقابلة هذه خططها وهذه أنظمتها سواء تكافأ الجيشان في القوة أم أختلفا لا بد من تنظيم خطتين: أحدهما للهجوم، والأُخرى للدفاع كما ستعرف.

فالحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهما السلام» اختار خطة للدفاع بديعة جداً نظراً منه لقلة عسكره وضخامة جيش الأعداء وانقطاع المدد من جيشه الصغير واتصال الأمداد بجيش عدّوه الكبير فإن القوات تتلو القوات والجحافل تقفو الجحافل حتى قيل:

ملأوا القفار على ٱبن بنت محمد جنداً وملؤ صدورهم ذحل
بجحافل بالطف أولها وأخيرها بالشام متصل

أما قائد قوات الأعداء عمر بن سعد فقد أختار في تنظيم جيشه الكبير المقابل لجيش الحسين الصغير ما تفعله الجيوش الصغيرة في مقابلة الجيوش الكبيرة وتعتمده الأجناد القليلة في ملاقات الأجناد الكثيرة وهو الكردسة.

وهذا النظام الذي اختاره عمر بن سعد يدل أن قوة ثبات جيش الحسين «عليه السلام» الصغير أعظم من قوة جيشه الجرار وهو كما ظن الخبيث فإن السبعين فرساً في جيش الحسين «عليه السلام» لم تقف أمامها العشرة آلاف فرس في جيش عمر بن سعد كما جيء تحريره وهذا مقام يستدعي التوسع فإن معرفة تشكيل الجيشين يوم كربلاء تجر إلى بيان الأنظمة العسكرية التي تستعملها الأُمم

قديماً وحديثاً، وكيف كان رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي «عليه السلام» ينظمان جيوشهما ومعرفة هل الطرز الحديث المدني هو النظام المستحدث أم القديم وحصلت فيه تعديلات وتحسنات وزيدت فيه زيادات لمناسبة الأسلحة النارية الجديدة كالبنادق والمدافع واستحداث الآليات كالطائرات والدبابات والسيارات المدرعة والمصفحة والبوارج والطرادات والناسفات والغواصات وكيفية استعمال الطوربيد وإلقاء القاذفات المتلفة من القنابل والطاقات وإطلاق العيارات النارية والخراطيش وماشابه ذلك ونحن قد كتبنا في «السياسة العلوية» شرح عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» فصلاً أطول مما نكتبه هنا بكثير مستوعباً لعامة التنظيمات الحديثة والقديمة.

ونحن نبدأ بتعبئة الجيشين المتقابلين في كربلاء: جيش سيد الشهداء الحسين أبن علي «عليهما السلام» وجيش قائد القوات الأموية الكوفية عمر بن سعد فإني لم أجد أحداً من المهرة الفنيين والأساتذة القديرين من رسم لنا الخطتين بصورة مفهومة وانا أرسم ذلك إن شاء الله مستنتجاً ما أُحرره من أسفار التاريخ ومقتضباً له من مجموعة الأثار المتصدية لإيراد وقائع ذلك اليوم الفظيع والموقعة المؤلمة والمذبحة النكراء التي هي أفضع مذبحة بشرية واجهها التاريخ ضحي فيها بسلالات الأنبياء، وأضع أمام ذلك خريطة ليفهم القارئ أن جيش الحسين «عليه السلام» كان في ضمن جيوش الأعداد كنقطة في دائرة أو خرزة في وسط حلقة.

وخذ رسم الخريطة:

خطة الدفاع

الخطة التي رسمها الحسين «عليه السلام» لجنده اليسير في الدفاع والدفع لذلك الجيش العرمرم ولا خفاء أن جيش عمر بن سعد على أقل ما روي اثنان وعشرون ألفا فيه عشرة الاف فارس، وجيش الحسين «عليه السلام» قيل ألف رجل وهذا قول المسعودي في مروج الذهب وهو محمول على أنه كان قبل أن يأمر الأعراب بالتفرق وإلا فيعتبر شاذاً لأنه «عليه السلام» تبعه أُناس من أعراب وأرباب أطماع حسبوا أن ملك العراق له فلما أعلمهم بخذلان أهل الكوفة له وتظاهرهم بعداوته وانه قادم على الأسنة والسيوف لا محالة تركوه وتفرقوا عنه في مياههم ويواديهم فبقي معه خلص أصحابه وخواص شيعته.

وقيل: سبعون ويحمل على الفرسان منهم، وقيل: مائة وعشرون: وقيل:

مائة وخمسون: وقيل: مائة وأربعون وهو المروي عن الإمام الباقر «عليه السلام» وأختاره الطبري المؤرخ وهو أعدل الأقوال إن شاء الله فكان معه «عليه السلام» سبعون فارساً وسبعون راجلاً، وفي جيش عمر بن سعد عشرة آلاف فارس وعشرة آلاف رامي بناء على ما هو أعدل الأقوال وهو المروي عن الإمام زين العابدين «عليه السلام» والإمامين الباقر والصادق «عليهما السلام» أن جيش عمر بن سعد ثلاثون ألفاً وهذا أصح ما قيل وهو وسط بين القول بالزيادة والنقصان.

فهذا الجيش الضخم أحاط بجيش الحسين «عليه السلام» من جميع الجهات، وإن الحسين «عليه السلام» رأى عند نزوله بكربلاء تلاعاً ثلاثة متقاربة ترسم بصورة هلال فتيقن أنها تكون مكناً ومكمناً لخيول الأعداء وذلك حيث يقول لنافع بن هلال: خرجت أتفقد هذه التلاع مخافة أن تكون مكناً لخيول الأعداء يوم تحملون ويحملون، فهذا أوجب عنده أن يحتاط منها لئلا يأتيه العدو من خلف كما وقع لجيش النبي ﷺ يوم أُحد وجيشه لقلته لا يستطيع الممانعة والمدافعة مستقبلاً ومستدبراً، وإذا فرقته الحملة لم يستطع أن يحمي ما وراء ظهره وإنما يستطيع الممانعة والمدافعة للعدو بأجتماعه وأنضمام بعضه بعض فرأى من لوازم الحزم واليقظة أتخاذ وسيلة لصد هجمات العدو عليه من خلفه وليضطره إلى المكافحة من أمام فأحتفر خندقاً من وراء المخيم يحيط بجميع الخيم من جهات ثلاثة على شكل هلال أيضاً فكان الخندق محيطاً بجيشه ومخيمه من الجنبات الثلاثة: اليمين واليسار والوراء، وملأه بالحطب حتى إذا شب القتال ونشبت الحرب أضرم فيه النار فيمنع من أراد الأقتحام من ناحيته ويرد من حاول الهجوم عليه من هذه الجنبات فيكون قتاله للأعداء من جهة واحدة ويلقاهم من وجه واحد لأن الخندق المضطرم بالنار لا يقتحمه فارس ولا يقتحمه راجل فأصبح هو والتلال الثلاثة المشرفة كأمنع حصن وأحصن سد وأقوى أستحكام يقيمه محارب لجيش مصحر لعدوه.

تعبئة الحسين «عليه السلام» لجنده

ثم إن الحسين «عليه السلام» عبأ أصحابه وقسم جنده إلى ثلاثة أقسام فتكونت له ثلاث كتائب صغيرة فجعل واحدة في الوسط وهو القلب واثنين مجنبتين ميمنة وميسرة، وهذا التقسيم للرجالة المشاة فجعل قائدة المجنبة اليمنى وهي عشرون رجلاً زهير أبن القين البجلي، وقائد المجنبة اليسرى وهي أيضاً عشرون

رجلاً حبيب بن مظاهر الأسدي، وجعل قائد كتيبة القلب وهي ثلاثون رجلاً أخاه العباس بن علي «عليهما السلام» ودفع إليه لواء العسكر وهو لوائه الأعظم، ووضع له كرسي فجلس عليه في مركز القلب خلف موقف حامل اللواء.

وهذه الكتائب الثلاثة أقامها حرساً للأخبية والبيوت ولتصد هجمات العدو على تخوم ذلك المناخ، وجعل قائد القوات جميعاً أخاه العباس «عليهما السلام»، وجعل له حرساً خاصاً أقامه على رأسه ليدفع عنه من قصده من مردة الأعداء، وهذا الحرس مؤلف من أربعة أبطال من أنصاره وهم: نافع بن هلال الجملي البجلي، وحنظلة بن أسعد الشبامي الهمداني، وأبو ثمامة الصائدي الهمداني، وسعيد بن عبد الله الحنفي، ورأس عليهم ابنه علي الأكبر «عليه السلام»؛ فعلي الأكبر «عليه السلام» رئيس الحرس الحسيني الخاص، ونافع بن هلال تلقى وظيفة إمارة الرماة فكان من رجال الحرس الخاص و قائداً للرماة.

ثم ألّف «عليه السلام» كتيبة رابعة وهي كتيبة الخيالة الفرسان ويبلغ عدد فرسانها سبعين فارساً جعلها كبكبة واحدة تحت قيادة الحر بن يزيد الرياحي التميمي وجعل كتيبة الرماة أمام كتيبة الخيل حامية لها من هجمات الأعداء المفاجئة وجعلها صفاً واحداً أمام فرسانه، وفي هذه الكتيبة من مهرة الرماة الفنّانين وخبرائهم ومن لا تخطئ له رمية إلا نادراً؛ أمير الكتيبة نافع بن هلال وأبو الشعثاء يزيد بن المهاصر الكندي أحد بني هند وكانت معه مائة نبلة نثلها أمام قدمي الحسين «عليه السلام» وكان يقول: «بنو بهدلة فتيان العرجلة» فأخطأ بخمس نبال وأصاب بخمسة وتسعين نبلة، وكان كلما رمى نبلة قال الحسين «عليه السلام»: اللهم سدد رميته وأجعل ثواب عمله الجنة، وكذلك فعل نافع بن هلال وكان يكتب على النبلة إسمه وإسم أبيه فيرمي فلا يخطئ، وأطلب تراجمهم من كتابنا «أعلام النهضة الحسينية) وكتابنا «الميزان الراجح».

تعبئة جيش عمر بن سعد «لعنه الله»

أما عمر بن سعد «لعنه الله» فجعل تلك الخيل الكثيرة كراديساً (والكردوس تعرفه العوام بالصموم) وهو عبارة عن كوكبة واحدة مجموعة من فرسان وأمرها أن تحوم على عسكر الحسين «عليه السلام» من جهاته الأربعة وجعل على الخيل كلها عزرة أبن قيس الأحمسي البجلي، وعبأ العسكر تعبئة الحرب على النظام المعمول به في تلك العصور: فقسم إلى ميمنة وميسرة وهما المجنبتان، وقلب وساقه،

وجعل قائد المجنبة اليمنى الميمنة عمرو بن الحجاج الزبيدي المذحجي، وجعل لكل كتيبة وسرية قائداً، وعلى المجنبة اليسرى الميسرة شمر بن ذي الجوشن الضبابي من بني كلاب بن عامر، وجعل اللواء لواء العسكر الاعظم لدريد مولاه وهو على القلب، ووضع له كرسي في مركز القلب فجلس عليه من وراء الحامية وخلف الصفوف، وجعل على خيل الكشف والطلائع التي تمنع القاصدين إلى الحسين «عليه السلام» عن الالتحاق به وترد الخارجين لطلب الميرة أو لأستنهاض قبيلة الأزرق الشبامي من همدان وهو الذي حارب الأسديين الذين أستنهضهم حبيب ٱبن مظاهر لنصرة الحسين «عليه السلام» فردهم على أعقابهم وحال بينهم وبين الوصول إلى الحسين «عليه السلام» بقوته التي لم تكن لهم طاقة بمقاومتها فرجعوا إلى حيهم وأرتحلوا من ليلتهم مخافة أن يبيتهم عسكر ٱبن سعد، وقتل هذا الشقي التعيس قتله القاسم بن الحسن فيما قيل.

وجعل على كردوس من الخيل كثير بن عبد الله الشعبي شعب همدان وكان فاتكاً فاجراً شيطاناً مارداً أموي العقيدة عثمانياً متصلباً قاسي القلب لئيم المحضر عديم الحياء فهو من شر خلق الله وأخبثهم وأجرأهم على سفك دم محترم وهو القائل لعمر بن سعد لما ندبه لمواجهة الحسين «عليه السلام» ليسأله عن مقدمه إلى العراق وما يزيد به، قال: والله إن أمرتني أن أفتك به فعلت، فقال: لا ما آمرك أن تفتك به ولكن سله ما الذي أقدمه علينا، فأتجه اللعين يحمل خبثاً وشرارة ويضمر غشاً ودغلاً وينوي فجوراً وغدراً، ولما رآه الحسين «عليه السلام» مقبلاً سأل عنه فقال أبو ثمامة الصائدي من همدان (رحمه الله): يا أبا عبد الله! هذا والله شر أهل الأرض وأجرأهم على دم وكتبنا ترجمته في «الميزان الراجح» فراجعها.

وجعل ٱبن سعد على كردوس آخر مسروق بن وائل بن حجر الحضرمي الكندي وكان عاقلاً فرجع عن حرب الحسين لما رأى استجابة دعائه سريعاً على عبد الله بن حوزة.

ثم صف ٱبن سعد الرجالة صفوفاً ويقال كردسهم أيضاً قبالة الحسين «عليه السلام» وأعطى القيادة العامة على كتائب المشاة لشبث بن ربعي من بني عمرو بن تميم وكان مؤذّن سجاح المتنبئة في الردة مع ٱبن النواحة مؤذنها الآخر.

وصفّ ٱبن سعد الرماة أمام الخيل المكردسة صفوفاً وهم عشرة آلاف رامي، وجعل قيادتهم لمدير شرطة ٱبن زياد حصين بن تميم التميمي وهو الذي كان على القادسية ووجه الحر الرياحي ليجعجع بالحسين «عليه السلام» إن لقيه، وهو الذي

قبض على رسول الحسين «عليه السلام» قيس بن مسهر الصيداوي فأرسله إلى ٱبن زياد فقلته، ولهذا اللعين أخبار رديئة أُطلب ترجمته من كتابنا «الميزان الراجح»، وفي هذا الخبيث جاء ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» وأنه خطب أهل الكوفة يوماً فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، فقام إليه تميم بن أُسامة أبو حصين هذا فقال: يا علي! كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر؟! فقال «عليه السلام» إني لأعرف ذلك وأعلمه ولكن أين برهانه، وأن على كل شعرة من شعر رأسك ولحيتك ملك يلعنك وشيطان يغويك، وآية ذلك إن في بيتك سخلاً يقتل ٱبن رسول الله ﷺ، وكان ابنه حصين فطيماً يدرج.

ثم نظم ٱبن سعد «لعنه الله» كتائب القبائل وجعلها أربعة فرق كما هي عادة قبائل أهل الكوفة وكل فرقة تشتمل على أفواج فجعل أهل العالية هم أهل المدينة فرقة وهؤلاء قريش وكنانة والأنصار ومزينة وغيرهم، وولي قيادة هذه الفرقة عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي وهذا الخبيث قاده الشقاء إلى هذا الموطن وإلا فقد كان من أصحاب أمير المؤمنين علي «عليه السلام» وشهد معه حروبه وهو ٱبن أخي مخنف بن سليم وكان مخنف صحابياً شيعياً ومات على ذلك ولم يبدل كما بدل ٱبن أخيه هذا الشقي، اللهم نعوذ بك من عاقبة السوء.

وجعل على الفرقة الثانية التي تجمع كندة وربيعة وحضر موت ومن معهم قيس ٱبن الأشعث بن قيس الكندي وهذا الخبيث هو الذي أستلب قطيفة الحسين «عليه السلام» فعيرته العرب بذلك ولقبوه بقيس القطيفة ولا يلام هذا الرجل فهو ملعون من بيت شقاوة ملعون هو وأبوه وأخوه وابن أخيه كلهم أشقياء؛ فأبوه الأشعث خارجي وشارك ٱبن ملجم وأعانه على قتل أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأخوه محمداً بن الاشعث قتل مسلم بن عقيل وشارك في قتل الحسين «عليه السلام»، وابن أخيه عبد الرحمٰن بن محمد هو الجاسوس على مسلم بن عقيل وأشار على مصعب بن الزبير بقتل أصحاب المختار فذبح منهم أربعة آلاف صبراً بعد أن أعطاهم الأمان، وأُخته جعدة بنت الاشعث سمت الحسن بن علي «عليهما السلام».

وجعل عمر بن سعد على الفرقة الثالثة التي تجمع تميماً وهمدان شبث بن ربعي التميمي بعد أن كان الحر هو القائد لهذه الفرقة فتركها ولحق بالحسين «عليه السلام» وشبث هذا كما عرفته ممن أرتد مع سجاح وكان يؤذن لها وراجع الإسلام وشهد صفين مع أمير المؤمنين «عليه السلام» ثم تحول خارجياً وراجع ظاهراً

وأعتقد الخارجية باطناً وهو شريك بن عمر بن حريث وجرير بن عبد الله البجلي والأشعث بن قيس في مبايعة الضب وخلع بيعة أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، ثم خرج إلى حرب الحسين «عليه السلام» ثم حارب المختار فهو يتقلب في الضلالة أولاً وأخيراً.

وجعل ٱبن سعد على الفرقة الرابعة التي تجمع مذحجاً وأسداً ومن معهم عبد الرحمٰن ٱبن أبي سبرة الجعفي من مذحج وهذا الخبيث كان صحابياً وبطلاً من أبطال العرب وشجعانهم ولكنه كان أموي الرأي عثماني العقيدة وهو من شهود الزور الذين شهدوا على حجر حتى قتله معاوية.

ثم رتب عمر بن سعد حرس الشرائع فجعلها كتائب وكان حرس الشرائع قوياً والشرائع كلها على ضفاف نهر العلقمي وهو شعبة من الفرات الأعظم يسمى بالفرات الأصغر فمنها شريعة الغاضرية وتسمى اليوم أرض الحسينية وتبعد عن معسكر الحسين «عليه السلام» بمقدار ميلين تقريباً، وأمير حرس هذه الشريعة عمرو بن الحجاج الزبيدي في سبعمائة مسلح من الكماة وقيل أربعة آلاف مدجج من الأبطال ولعله الأصح.

وشريعة نينوى أو أراضي السليمانية اليوم وهذه المشرعة تبعد عن عسكر الحسين «عليه السلام» بمقدار ميل ونصف ميل تقريباً وأمير حرسها الأزرق الشبامي ـ وفي قول اسحاق بن حيوة ـ.

وشريعة المسناة أو قنطرة العلقمي وهذه الشريعة تبعد عن معسكر الحسين «عليه السلام» بنصف ميل فهي أقرب الشرائع إلى معسكر الحسين «عليه السلام» ومنها أستقى العباس «عليه السلام» وعلى ضفتها سقط وبالقرب منها مرقده الشريف، وأمير حرسها إسحاق بن حيوة الحضرمي ويقال الأزرق الشبامي.

وشريعة النواويس وهي بالقرب من مرقد الحر الرياحي اليوم وتبعد عن معسكر الحسين «عليه السلام» بما يزيد على ميلين وتعتبر أبعد الشرائع عن مخيم الحسين «عليه السلام» وأمير حرسها حسان بن أسماء بن خارجة الفزاري وهذا الخبيث كان مع أبيه أسماء ومحمد بن الأشعث لما خدعا هاني بن عروة فقاداه وأسلماه لابن زياد فقتله وله يقول هاني: يا ٱبن أخي إن نفسي أحست ببعض الشر الخ.

وكل واحد من هؤلاء القواد يتلقى وظيفتين وأكثر في جيش عمر بن سعد؛ فإن الأزرق الشبامي كان على خيل الكشف وأمير الحرس الماء، وعمرو بن

الحجاج على المجنبة اليمنى الميمنة وعلى حرس الماء وعلى خيل الطلائع، والشمر على المجنبة اليسرى وعلى قطعة من الخيالة وعلى حرس المشاة ليلاً، والحصين بن تميم على الشرطة وعلى الرماة من الجنود، وعزرة بن قيس على فرق الخيالة وعلى الحرس الليلي وهكذا كثير من الباقين.

اختيار آبن سعد للكردسة شأن الضعيف مع القوي

بقي علينا أن نفهم لم أختار عمر بن سعد «لعنه الله» الكردسة وإنما يختار الكردسة الضعيف في قبال القوي وتعول عليها القلة في جنب الكثرة وقوة العدو القوية وتفوقه في الاستعداد فتخشى منه الغلبة فيخاف الجيش الصغير أن يحطمه الجيش الكبير ويغلبه بكثرته فيركن إلى الكردسة حين تظهر له أمارات عدم المقاومة لذلك الجيش الضخم المستعد فيضطر القائد المجرب إلى الكردسة ليبين اثرها إذا اجتمعت وتظهر نكايتها في الصدمة.

وقد فعل هذا خالد بن الوليد المخزومي يوم اليرموك فإنه كردس الخيل لقلة جيشه وعدم أستعداده ولياقته لمقابلة جيش الروم الذي يفوقه عُدة وعدداً بكثير فإنه لما رأى قوة جيش الرومان وكثرة عدده البالغ على ما قيل مائتي ألف مع الاستعداد التام والأهبة الكاملة لأن المقابل للعرب المسلمين في اليرموك حكومة الرومان وقوتها واستعدادها معلومان لأنها من أقوى دول العالم في ذاك العصر وجيش العرب المسلمين ضعيف من الوجهتين العُدة والعدد إذ كان عدد جيشهم ستة وثلاثين ألف مقاتل، ومن حيث عدم الاستعداد إنهم عرب أهل بداوة بعيدون عن أستعداد المتحضرين، وقاصرين عن مساوات الحضارة الدولية فلا يملكون إلا الرماح والسيوف وبعض الاقواس وقل من يملك غير سيف واحد ورمح واحد، ومن كان له رمحان أو سيفان قيل له ذو الرمحين وذو السيفين تعظيماً له.

فرأى خالد بن الوليد بعد أن أقنع القواد بالخضوع له أن الموقف أزاء العدو المقتدر الذي يفوق عدداً وعُدة خطر جداً وحرج للغاية فجعل القائد جيشه الصغير صفوفاً يشرف به على الخطر ويورده مورد التلف فأضطر للكردسة ليتوهم العدو كثرتهم ولتكسر سورة طيشهم وحدة خيلائهم وغيظهم على المسلمين فإن سرايا الفرسان وكتائب الخيالة إذا أقبلت متتالية متعاقبة كبكبة على أثر كبكبة وقطعة تلو قطعة أرتاع لها العدو وأرهبه ذلك، ومن وجهة ثانية إنها إذا هجمت على جبهة من الجبهات حطمتها وأزالتها لا محالة ولا تتضرر كثيراً تضرر المصطفين وإن هاجمها

العدو لا يظفر منها بطائل لا عتصامها واحتماء بعضها ببعض.

فخرجت جنود خالد كراديس فبلغت ستة وثلاثين كردوساً لكل كردوس قائد من حمات الصحابة ونوابغ القواد ومهرة الأبطال، والكردوس عدده ألف، فكان فوجاً.

وهكذا كان يصنع مروان بن محمد المرواني المعروف بالحمار والجعدي آخر ملوك بني أُمية فينال بالكردسة ما يريد وعلى هذا كانت تسير قواد الخوارج من الأزارقة والصفرية والأباضية والنجدات وغيرهم، وقديماً ما كان هذا النظام معروفاً وأستعمله من العرب جذيمة الأبرش الملقب بالوضاح وبعض ملوك التبابعة فيدرك من أستعمله مطلوبه وينال بذلك الظفر من عدوه.

فهل ترى عمر بن سعد أستقل جيشه الكثير الجرار المتلاحق الإمداد أم أستكثر جيش الحسين «عليه السلام» الصغير الفاقد المدد؟ كلا، لا هذا ولا ذاك ولكنه استعظم جيش الحسين «عليه السلام» بثبات رجاله الأفذاذ لأنهم من أهل الحفاظ والبصيرة في الدين والمستميتين وهم فرسان العرب وأبطالهم المتميزون بالنجدة والشجاعة شهدت لهم الوقائع الإسلامية والفتوحات وحروب الجمل وصفين والنهروان بالبطولة، وتحامتهم الأبطال في المعارك وحادت دون لقائهم الكماة، فتيقن آبن سعد أن جيشه الكبير لا يثبت أمام صدمتهم ولا تقف خيله الكثيرة لخيلهم القليلة وليس لجيشه أستماتتهم ولا تبصرهم في دينهم فإنما جله فساق طماعون ومراق مخادعون وإن كانت عندهم حمية العرب وتعصب القبائل الجاهلي فإنه سيندك أمام صدمة التبصر الديني وينهار عند الأحتكاك بأسطوان الأستماتة المحكم، ورصيف التفاني الثابت على أُسسه القويمة.

فرأى من التدبير الفني الحربي والحالة هذه التعويل على الكردسة لعلمه أن أصحابه وإن كثر عددهم واستكملت عددهم وأضعفوا على جيش الحسين «عليه السلام» أضعافاً كثيرة إذا لو قسم ذلك الجيش لكان سهم الواحد من أصحاب الحسين «عليه السلام» وحصته من جيش آبن سعد المائة وأكثر حسبما يقتضيه الحساب الحقيقي لكن عزم كل فرد من أفراد هذا الجيش الصغير أقوى بالضعف المضاعف من عزم ذاك العدد المتكانف بالكثرة، وفرق بين من يقاتل طمعاً وخوفاً وتعذيراً وبين من يقاتل تديناً وتبصيراً وأستماتة وتفانياً.

وعمر بن سعد وقواده يعرفون شجاعة أصحاب الحسين «عليه السلام» وبسالتهم ونجدتهم في الحروب معرفة دقيقة، معرفة حقيقية، معرفة واقعية، معرفة

٩٢ ـــــــ

لقد أصحرتهم كالأُسود كريهة يحامون عن ثقل الهدى والعقائل
رعوا لرسول الله فيهم وصاية وقد جالدوا عنهم بغاة الغوائل
غداة أثار الغدر حرباً عليهم فسار بجيش ذا قنا وقنابل
ومن بايعوهم بعد توكيد عهدهم غدو بين حربي شديد وخاذل
ولم يحفظ العهد الوكيد بنصرهم سوى نفر غر كرام قلائل
سروا في ركاب السبط للموت عنوة وما كانت الدنيا لديهم بطائل
فقد بذلوها أنفساً عز مثلها فداء حسين خير حاف وناعل
وقالوا هي الفردوس لا شيء غيرها فسيروا إلى ريحانها سير عاجل

فآبن سعد «لعنه الله» كردس الخيل لهذا الغرض وقد أستشعر أهل الكوفة هذا من أصحاب الحسين «عليه السلام» فلذلك أستقبلوهم بكمال الأستعداد خوفاً على عطب جيشهم الكبير وأستئصال عددهم الكثير بيد ذلك العدد النزر والجيش الصغير فأحتاطوا لذلك بكردسة الخيل وقدموا كتائب الرماة ثم كتائب المطاعنة أهل الرماح المشرعة التي لا تقدم على أسنتها الخيل وأضافوا إليها أصحاب المقاليع الذي يقذفون الحجارة بالمقلاع ومع ذلك كله فقد أستبان الخلل في الكوفيين وظهر عياناً عند المقاومة وساعة الالتحام، وإن تلك الخيل المكردسة كراديساً أو كما تقول العوام ((سربه)) للخيل «وصمصوم» للرجالة فإن العشرة آلاف فرس المكردسة والعشرون ألفاً المشاة أنهارت أمام حملات أصحاب الحسين «عليه السلام» وأختلت أنظمتها وسبعون فارساً يقاوم عشرة آلاف فارس أو أكثر كما قال السيد الهندي (رحمه الله) في أستنهاض الإمام المهدي المنتظر «عجّل الله فرجه» ويرثي بلك جده الحسين «عليه السلام»:

هب إن جندك معدود فجدك قد لاقى بسبعين جيشاً ما له عدد

ولهول الصدمة من هجمة السبعين فارساً على العشرة آلاف فارس واندحار العشرة آلاف أمام السبعين بل الثلاثين أرسل قائد كتائبها وأمير سراياها العام عزرة آبن قيس الأحمسي إلى القائد العام عمر بن سعد يشكو إليه عدم ثبات خيله أمام هذه الخيل اليسيرة ويستنجده ويستعين به في تقوية خيله بالقوة المرامية وهي عشرة آلاف لتعقر الخيول التي يمتطيها أصحاب الحسين «عليه السلام» وهذا لفظ الطبري في تاريخه[1]: وقاتلهم أصحاب الحسين «عليه السلام» قتالاً شديداً وأخذت

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٢٤٩.

خيلهم تحمل وإنما هم إثنان وثلاثون فارساً، وأخذت لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفته فلما رأى ذلك عزرة بن قيس وهو على خيل أهل الكوفة وإن خيله تنكشف من كل جانب بعث إلى عمر بن سعد عبد الرحمٰن بن حصن فقال: أماترى ما تلقي خيلي منذ اليوم من هذه العدة اليسيرة، إبعث إليهم الرجال والرماة، فقال لشبث بن ربعي: ألا تقدم إليهم بالرماحة؟ فقال: سبحان الله! أتعمد إلى شيخ مضر وأهل المصر عامة تبعثه في الرماة لم تجد من تندب لهذا أو يجزي عنك غيري؟ قال: وما زالوا يرون من شبث الكراهة لقتاله.

قال أبو زهير العبسي: أنا سمعته في إمارة مصعب يقول: لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً ولا يسددهم لرشد، ألا تعجبون إنا قاتلنا مع علي بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين ثم عدونا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية ضلال يالك من ضلال!

قال: ودعا عمر بن سعد الحصين بن تميم فبعث معه المجففة وهم خمسمائة من المرامية فأقبلوا حتى إذا دنوا من الحسين «عليه السلام» وأصحابه رشقوهم بالنبل فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم وصار رجالة، إنتهى.

فهذا قائد كتائب الخيالة وسرايا الفرسان يستغيث بأمير الأُمرار وقائد القوات العام من سرية خيل عدد فرسانها إثنان وثلاثون وما صبرت كتائبه وسراياه لها حتى عززت قوته بقوة المرامية من أصحاب الأقواس والمقاليع الذين يقذفون الحجارة والسهام وهم عشرة آلاف على ما رواه غير الطبري.

وهذا قائد المجنبة اليمنى عمرو بن الحجاج الزبيدي يهجن عقل أصحابه ويقيل رأيهم ويستحمقهم في المبارزة لأصحاب الحسين «عليه السلام» لأنه قد عاين أنه ما برز منهم أحد لأصحاب الحسين «عليه السلام» إلا وقتل وكان خبيراً ببطولتهم وفروسيتهم وعارفاً بشجاعتهم المدهشة حيث كانت تجمعه وإياهم الملاحم في الفتوحات والمغازي وأيام الجمل وصفين والنهروان فلهذا يتقدم لأصحابه بالنصيحة وينذرهم بالخطر في مبارزتهم ويعرفهم أنه سفه واغترار كما تحدث الطبري في التاريخ[1] بما نصه: فصاح عمرو بن الحجاج بالناس: ياحمقاء! أتدرون لمن تقاتلون؟ فرسان المصر قوماً مستميتين لا يبرزن لهم منكم أحد فإنهم قليل وقل ما يبقون، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم، فقال عمر بن سعد: صدقت الرأي ما رأيت وأرسل إلى الناس يعزم عليهم لا يبارز رجل منكم رجلاً منهم الخ.

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٢٤٩.

وخذ إليك نبذة من أعتراف أهل الكوفة بتفوق أصحاب الحسين «عليه السلام» شجاعة ونجدة في الأفراد والجماعة كل ذلك عن تاريخ الطبري:

منها قول شبث بن ربعي التميمي في مسلم بن عوسجة الأسدي في قصة أستشهاده «رضوان الله عليه»، قال[١]: فصاحت جارية له فقالت: يا بن عوسجتاه! يا سيداه! فقال أصحاب عمرو بن الحجاج: قتلنا مسلم بن عوسجة الأسدي، فقال شبث: ثكلتكم أُمهاتكم إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم وتذللون أنفسكم لغيركم، تفرحون أن يُقتل مثل مسلم بن عوسجة، أما والذي أسلمت له لرب موقف له قد رأيته في المسلمين كريم، لقد رأيته يوم سلق أذربيجان قتل ستة من المشركين قبل أن تتام خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون؟!.

وقول أيوب بن مشرح الهمداني الخيواني في الحر بن يزيد اليربوعي الرياحي واللفظ[٢]: إن أيوب بن مشرح الخيواني كان يقول: أنا والله عقرت بالحر بن يزيد فرسه حشاته سهماً فما لبث أن أرعد الفرس وأضطرب وكبا فوثب الحر عنه كأنه ليث والسيف في يده وهو يقول:

إن تعقروا بي فأنا آبن الحر أشجع من ذي ليث لبد هزبر

قال: فما رأيت أحداً قط يفري فريه، قال: فقال له أشياخ من الحي: أنت قتلته؟ قال: لا والله ما أنا قتلته ولكن قتله غيري وما أُحب أني قتلته، فقال له أبو الوداك: ولم؟ قال: زعموا أنه كان من الصالحين فوالله لئن كان ذلك إثماً لأن ألقى الله بإثم الجراحة والموقف أحب إليّ من أن ألقاه بإثم قتل واحد منهم، فقال له أبو الوداك: ما أراك إلا ستلقى الله بإثم قتلهم أجمعين، أرأيت لو أنك رميت هذا فعقرت ذا ورميت آخر ووقفت موقفاً وكررت عليهم وحرضت أصحابك وكثرت أصحابك وحمل عليك فكرهت أن تفر وفعل آخر من أصحابك كفعلك وآخر وآخر كان هذا وأصحابه يقتلون أنتم شركاء كلكم في دمائهم، فقال له: يا أبا الوداك! إنك لتقنطنا من رحمة الله وإن كنت ولي حسابنا يوم القيامة فلا غفر الله لك إن غفرت لنا، قال: هو ما أقول لك، إنتهى.

أبو الوداك هذا هو آبن نوف البكالي صاحب أمير المؤمنين «عليه السلام» وكان أبو الوداك كأبيه نوف شيعياً وله بلاء عظيم في حروب الطلب بثأر الحسين «عليه السلام» أيام المختار، ترجمناه في كتابنا «الميزان الراجح» تجد هناك أخباره.

---

(١) نفسه ٦/ ٢٤٩. (٢) نفسه ٦/ ٣٥٠.

ومنها قول ربيع بن تميم الهمداني من أهل الكوفة في عابس بن أبي شبيب الهمداني الشاكري ولفظه[١]: عن رجل من همدان يقال له ربيع بن تميم شهد ذلك اليوم قال: لما رأيته مقبلاً عرفته وقد شاهدته في المغازي وكان أشجع الناس، فقلت: أيها الناس! هذا أسد الأسود، هذا آبن أبي شبيب لا يخرجن إليه أحد منكم، فأخذ ينادي: ألا رجل لرجل؟ فقال عمر بن سعد «لعنه الله»: إرضخوه بالحجارة، قال: فرمي بالحجارة من كل جانب فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره ثم شد على الناس فوالله لرأيته يكرد أكثر من مأتين من الناس ثم إنهم تعطفوا عليه من كل جانب فقتل، قال: فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عُدّة هذا يقول أنا قتلته وهذا يقول أنا قتلته، فأتوا عمر بن سعد «لعنه الله» فقال: لا تختصموا، هذا لم يقتله سنان واحد ففرق بينهم بهذا القول، إنتهى، وفي رواية غيره: لم يقتله إنسان واحد.

وهل حدثك التاريخ في غابره وحاضره مثل هذا الرجل؟ إن الأبطال مهما بلغوا في البطولة يعتصمون بالحصون والمعاقل ويتخذون الأدراع والمغافر للوقاية حتى أن بعضهم ليظاهر بين درعين ويلبس بيضتين أو بيضة ومغفراً، وهذا البطل المستميت يلقى درعه ويرمي مغفره وترسه عجب في البطولة وفريد في الرجولية.

ومنها قول قاتل برير بن حضير الهمداني المشرقي وخذ القصة بنصها وطولها[٢]: عن عفيف بن زهير بن الأخنس وكان شهد مقتل الحسين «عليه السلام» قال: وخرج يزيد بن معقل من بني عميرة من ربيعة وهو حليف لبني سليمة من عبد القيس فقال: يا برير! كيف ترى صنع الله بك؟ قال: صنع الله والله بي خيراً وصنع بك شراً، قال: كذبت وقبل اليوم ما كنت كذوباً، هل تذكر وانا أُماشيك في بني لوذان وأنت تقول إن عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفاً وإن معاوية بن أبي سفيان ضال مضل، وإن إمام الهدى والحق علي بن أبي طالب؟ فقال برير: أشهد أن هذا رأيي وقولي، فقال يزيد بن معقل: أشهد أنك من الضالين، فقال برير بن حضير: هل لك فلأباهلك ولندعو الله أن يلعن الكاذب ويقتل المبطل ثم أخرج فلأُبارزك، قال: فخرجا فرفعا أيديهما إلى الله يدعوانه أن يلعن الكاذب وأن يقتل المحق المبطل ثم برز كل واحد منهما إلى صاحبه فأختلفا ضربتين فضرب يزيد بن معقل بريراً ضربة خفيفة لم تضره شيئاً وضربه برير بن حضير ضربة قدت المغفر وبلغت الدماغ فخر كأنما هوى من حالق وإن سيف آبن

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٢٥٤.
(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٢٤٧

حضير لثابت في رأسه فكأني انظر إليه ينضنضه من رأسه وحمل عليه رضي بن منقذ البعدي فأعتنق بريراً فأعتركا ساعة ثم إن بريراً قعد على صدره فقال رضي: أين أهل المصاع والدفاع؟ قال: فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدي ليحمل عليه فقلت له: هذا برير بن حضير القارئ الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد! فحمل عليه برمح حتى وضعه في ظهره فلما وجد مس الرمح برك عليه فعض بوجهه وقطع طرف أنفه فطعنه كعب بن جابر حتى ألقاه عنه وقد غيب السنان في ظهره ثم أقبل عليه يضربه بسيفه حتى قتله.

قال عفيف: كأني أنظر إلى العبدي الصريع قام ينفض التراب عن قبائه ويقول: أنعمت عليّ يا أخا الأزد لا أنساها ابداً.

قال: فقلت: أنت رأيت هذا؟ قال: نعم رأي عيني وسماع أُذني.

فلما رجع كعب بن جابر قالت له أمرأته أو أُخته النوار بنت جابر: أعنت على آبن رسول الله وقتلت سيد القراء؟! لقد أتيت عظيماً من الأمر والله لا أُكلمك من رأسي كلمة أبداً، وقال كعب بن جابر:

سلي تخبري عني وأنت ذميمة غداة حسين والرماح شوارع
ألم آت أقصى ما كرهت ولم يخل عليّ غداة الروع ما أنا صانع
معي يزني لم تخنه كعوبه وأبيض مخشوب الغرارين قاطع
فجردته في عصبة ليس دينهم بديني وإني بابن حرب لقانع
ولم ترى عيني مثلهم في زمانهم ولا قبلهم في الناس إذا أنا ياقع
أشد قراعاً بالسيوف لدى الوغى ألا كل من يحمي الذمار مقارع
وقد صبروا للطعن والضرب حسراً وقد نازلوا لو أن ذلك نافع
فأبلغ عبيد الله إما لقيته بأني مطيع للخليفة سامع
قتلت بريراً ثم حملت نعمة أبا منقذ لما دعا من يماصع

قال: وزعموا أن رضي بن منقذ العبدي رد بعد على كعب بن جابر قوله فقال:

فلو شاء ربي ما شهدت قتالهم ولا جعل النعماء عند آبن جابر
لقد كان ذاك اليوم عاراً وسبة تعيره الأبناء بعد المعاشر
فياليت إني كنت من قبل قتله ويوم حسين كنت في رمس قابر

إنتهى.

وللمؤلف يرد على كعب بن جابر قوله السابق بقوله:

أيا كعب كعب الكلب شر عظامه نباحك في غاب الضراغم ضائع
تبجحت في لدن الكعوب ومرهف وما ذاك في نادي المفاخر نافع
تجرده فيمن تخالف دينهم فمالك منهم أيها الرجس شافع
ودينهموا دين الإلٰه ووحيه بأبياتهم يتلى وتملى الشرائع
وحسبك إذ خالفتهم متديناً بدين آبن حرب للصلاح تنازع
أبوه أبو سفيان خصم لجدهم وللشر في نفس آبن حرب منازع
فهاجر عنهم نحو طيبة فأحتمى بأنصاره إذا لم ترعه الروائع
وعيناك لم تنظر شبيهاً من الورى لعصبة حق عن حسين تدافع
ولا نظرت عيناً سواك مثيلهم ومظهر أفذاذ الرجال الوقائع
قتلت بريراً مستطيلاً بقتله ففخرك مردود عليك وضائع
فلو كنت قرماً يحتمي الذم لم تجئ على غرة للؤم فيك مشارع
لقد جئته مستدبراً فطعنته وليث الشرى فوق الفريسة راكع
فهلا لك الخزي الطويل أذنته ليعلم أي الفارسين الممانع
ولو كانت الأُنثى مكانك أدركت فقد كان ألهاه الكمي المصارع
وتدعو عبيد الله عبداً مجدعاً وليس ندا أهل الشقاوة نافع

ومنها ما رواه الطبري في غير موضع وغيره من العلماء أن بعض أهل الكوفة لام صديقاً له ممن شهد قتل الحسين «عليه السلام» وقال له: قتلتم آبن رسول الله ﷺ والعباد الصالحين وقراء أهل المصر! فقال: ثارت إلينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها لو ونينا عنهم ساعة لأتوا على الجمع بحذافيره فما نصنع لا أُم لك؟ إنتهى وكفاك هذا المقدار.

وسائل الظفر التي اتخذها جيش العدو

إن آبن سعد «لعنه الله» كان على يقين من أن كثرة جمعه لا تجديه نفعاً في مقاومة هؤلاء الكرام الذين هم نخبة العالم وصفوة الإنسانية وزبدة البشرية ولباب الكائن في ذاك العصر ومن هذه الوجهة حكمت التجارب الحربية في نفسه كردسة

الخيل وتقديم المرامية والتطويق والحصار ومنع المنازلة وإلقاء الذعر في نفوس النساء والصبيان بكل ما وجد إليه سبيلاً ليوهن عزم المحاربين وأمثال هذه.

أما اللعين آبن زياد فقد كان من أوثق عرى الغلبة عنده وأقوى حبال الظفر في نفسه حتى من جيشه الجرار الذي ملأ الفضاء وسد الآفاق منع الحسين «عليه السلام» وأصحابه الماء لاعتقاده أن هذه العدة اليسيرة في جيش الحسين «عليه السلام» وإن قلت، والعصبة المستنزرة العدد التي قطع مددها ولم تستكمل أهبتها وعددها لا يقاومها مقاوم فلا وسيلة أقرب إلى القضاء عليها سريعاً وإبادتها عاجلاً وإتلافها باسرع وقت إلا بمنعها من ورد الماء لتموت عطشاً فإن الحياة لا بقاء لها مع العطش ولا يمكن أن يعيش ذو روح بغير ماء وخصوصاً الإنسان فكانت هذه النية الخبيثة والفكرة الملعونة تختلج نفسه الشريرة أنها ستكون من أهم التحوطات وأقوى وسائل الدفاع في نفس ذلك الشيطان المتمرد واللقيط الجبار، والدعي المنبوذ بأقبح الالقاب فصدر أمره الرسمي إلى أمير أُمرائه وقائد قواته المرتكس في الضلال عمر بن سعد: أما بعد؛ فحُل بين الحسين وأصحابه وبين الماء وأمنعهم أن يذوقوا منه قطرة الخ.

فبادر آبن سعد على الفور لأمتثال ذلك الأمر القاسي بتنظيم الحرس على الشرائع الأربعة فنظمها كما سمعت وقواها بالأسلحة وجعل لها قوات إضافية احتياطية فلم يضعضع ذلك أصحاب الحسين «عليه السلام» ولا أدخل وهناً عليهم بل زادهم بصيرة وثباتاً وعزماً ونشاطاً فتقوت عزائمهم وإن ضعفت الأبدان وقد صار العطش بُينهم وبين السماء كالدخان لكن صرخة النساء وضجة الأطفال الذين نفذ صبرهم لشدة الظمأ أثرت في أنفسهم كسراً وفي قلوبهم صدعاً وجرحاً لا يندمل كما ينبئ عنه كلام عميده العباس بن علي «عليهما السلام» في قوله لأخيه الحسين «عليهما السلام» كما سمعته سابقاً.

لكن قابلوا هذه الشدة الشديدة والمحنة الصعبة العظيمة بالصبر والأحتساب لكل ما أصابهم في جنب الله، إن أمتلاك الشريعة والغلبة على الماء وتقوية حرسه بالأستحكامات المنيعة وحمايته بالقوة القوية التي لا يتمكن المقابل من خرق خطوطها الأمامية ولا الأستيلاء عليها له الأثر التام في الرجحان الحربي وإنه الكفيل بتفوق من ملك الماء وضمين له بالغلبة إذا أستحكمه أستحكاماً منيعاً وجعل عليه خط دفاع قوي يصد هجمة المقابل فإن الرجحان الحربي يكون له لأن نفوس من منعوا الماء تضعف وهممهم تقل وعزائمهم تنكسر وتهن، وإن كانوا غالبين

أبتداء يصبحوا مغلوبين بالتالي بهذا قضت التجارب ودلت الاختبارات العديدة.

حيث أن الماء ضروري للحياة وهو مادة البقاء وجزؤها المقوم كما يكون زيت البترول أو النفط مادة المصابيح، والبطل وغيره إذا أصابه العطش الشديد ربما يصل إلى درجة لا يكاد يبصر ما أمامه وما خلفه وقد لا يقوي على حمل السلاح فضلاً عن المجالدة وربما تلف كما تلف كثيرون ممن أحتال عليهم أعداؤهم فأضلوهم في المفاوز العديمة المياه فهلكوا عطشاً كشمر بن أفريقس الحميري أحد الملوك التبابعة من عرب اليمن ففي أساطير التاريخ العربي إنه أضله الدليل في مفاوز التبت فهلك، وكفيروز الساساني ملك الفرس الذي أضله دليله في بعض صحاري الهياطلة وغيرهما مما هو مدرج في التاريخ العربي والفارسي.

وسواء كانت هذه اساطير تاريخية كما يزعمه المتجددون أم وقائع حقيقية إنها لقضية مسلمة وظاهرة وجدانية يعرفها كل أحد لذلك كانت أُمية الفاجرة تستغل هذه الفرصة الهمجية وتستعمل هذه الأعمال المنكرة القبيحة القاسية الفظة الصارمة المخالفة لمناهج الإنسانية المحضورة في الديانة السماوية فلا يزالون يحصرون أعدائهم في البوادي والمفاوز إذا سبقوا إلى شرائع الماء ويصرون على منعهم من ورد المباح المشترك بين البشرية وغيرها وهو موزع على الإنسانية بالسواء كما قال رسول الله ﷺ في الخبر المشهور: ثلاثة الناس فيها شرع سواء: الماء والنار والكلاء.

فمنع بني أُمية الماء لمن حاربهم من الناس مخالف لسلك البشرية والقاعدة الدينية كما صنع جيش اللعين يزيد بجيش الحسين «عليه السلام» يوم كربلاء وإن هذا الخبيث في أعماله أقتدى وتأسى بأبيه معاوية مبتدع كل قبيح في الإسلام ومخترع كل مشوّه لسمعته فأنه بصفين حصر جيش أمير المؤمنين علي «عليه السلام» في البيداء ومنعهم من الماء لأنه سبقهم إلى النزول على شريعة الفرات وقال في جملة ما أجاب به من هاه عن منعهم الماء، دعوهم يعطشوا يوماً فإنهم إذا لم يشربوا أنصرفوا وكان أنصرافهم هزيمتهم، وهذا رأي فايل وتفكير خاطئ خاب مرتئيه، وضل مدبره، أيظن أنصراف جيش قوي القوة عظيم الأستعداد والأهبة فيه فرسان العرب وأبطال المسلمين وأرباب الحفيظة من أهل العراق والحجاز واليمن وقائدهم الأعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أشجع الناس؟! هيهات نجاح أبن آكلة الأكباد، إن أبا الحسن القرم وجه كتيبتين من جنده كتيبة من المشاة الرجالة بقيادة الأشعث وكتيبة من الفرسان الخيالة بقيادة الأشتر عدد

وسائل الظفر التي اتخذها جيش العدو ـــــــ

إذا أنت لم تجمع لنا اليوم أمرنا وتلقى التي فيها عليك التشتت
فمن ذا الذي تثني الخناصر بأسمه سواك ومن هذا إليه التلفت
وهل من بقاء بعد يوم وليلة نظل عطاشى والعدو يصوت
هلموا إلى ماء الفرات ودونه صدور العوالي والصفيح المشتت
وأنت امرىء من عصبة يمنية وكل امرىء من غصنه حين ينبت

فيثور هذا الزعيم مغضباً كما ثار زميله الأشتر مصممين على أغتصاب المشرعة، طالبين من أمير المؤمنين أن يفسح لهما مجال الجلاد على الأحساب والكفاح على المجد فشدا بفيلق انتخبا رجاله الفرسان والمشاة بما عرفتهم إياه التجارب وقد خيرا جندهما الناهض حمية بين ورد المنون أو ورد المعين فشدت الرجالة مشرعة الاسنة وأغارت الخيالة مصلتة السيوف فأقحموها شريعة الفرات وطار الجيش الشامي كاليعافير إلى قلب البادية وفروا كحمر مستنفرة إلى حيث تقيم الاضبة واليرابيع وصمم العراقيون على منع الشاميين من الورود إيفاء للكيل بالكيل ومقابلة للوزن بالوزن.

فأبى أبو الحسن إلا الكرم والرأفة ومقابلة الإسائة بالإحسان فإن العفو من سماته والصفح من شمائله فأباح لأهل الشام الورود فكانت الشريعة مورد الجمعين على الاشتراك وليست نسبة جيش أمير المؤمنين الباسل المتميز بكثرة العدد كنسبة جيش الحسين «عليه السلام» المستميت في قلة العدد فإن جيش أمير المؤمنين علي «عليه السلام» على أقل ما قيل تسعون ألفاً، وجيش الحسين «عليه السلام» لا يزيد على مائة وخمسة وأربعين رجلاً على ما نختاره في رواية عمار الدهني عن الإمام محمد الباقر «عليه السلام» فكان هذا الجيش مع قلة العدد أقوى عزماً وأشد ثباتاً وأعظم صبراً من جميع الجيوش الجرارة الملتحمة في المعارك الطاحنة.

وليست تحوطات أبن زياد من حركة أصحاب الحسين «عليه السلام» مقصورة على هذا بل أتخذت عامة التدابير للتحوطات وقد ذكرناها في كتابنا الميزان الراجح في تراجم التوابين فراجعه وكل ذلك لم يوهن عزمهم ولم يفت في أعضادهم بل زادهم إقداماً وتسرعاً إلى الموت والعادة قاضية بأن القوة القوية تضعف معها عزائم المعارضين والطبيعة حاكمة بجبن القلة أمام الكثرة إلا هذه العصابة فإن عزائمها تقوى كلما أزدادت قوة الأعداء وتستأسد وتستبسل كلما تكاثرت جموع المحاربين لهم وهذا مما لم يشهد التاريخ مثله في قديم أزمنته وحديثها جزاهم الله أحسن الجزاء.

أنظمة الأُمم في تعبئة الجيوش

كلمة المؤلف حول هذه الأنظمة حيث أنك قد عرفت نظام الجيشين يوم كربلاء وجب أن تعرف أنظمة الأُمم في تعبئة الجيوش وترتيب العسكر وتخطيط مراكزه الحربية وتشكيلات خطط الدفاع والهجوم في شكلي الأصطفاف والكر والفر لأجل أن يتضح لك السبب في اختيار الحسين «عليه السلام» في نظامه لجيشه وتعبئة جنده على شكل هلالي ولا خفاء في أن أنظمة الأُمم للجيوش تختلف قديماً وحديثاً وقد كتبنا في «السياسة العلوية» في أنظمة الجيوش فصلاً مطولاً نورد منه هنا ما يتعلق بالأنظمة في ساحة الحرب خاصة وندع ما تعلق بشأن تمرين الجنود وتدريبها لأجل الطواري فذاك موكول لكتابنا «السياسة العلوية» من أراده فليطلبه منه.

وقد كنا عنوّناه بعنوان الجيش أو العسكر والخميس وهو إسم للجمع المؤلف للدفاع أو المهاجمة في الحرب داخلاً وخارجاً ولهذا الجيش نظام وترتيب على وجوه شتى وأنواع عديدة تسمى قديماً بالتعبئة فإن لجيش الهجوم نظام لا يكون لجيش الدفاع؛ فإن جيش الدفاع يتخذ التدابير اللازمة لصد هجمات العدو ويكثر التحوطات من تمكين العدو من الهجوم عليه ويحافظ على ضبط النقاط التي تحول بين الجيش المرابط للدفاع القائم في وجه العدو وبين عدوه المهاجم له كما أن الجيش المهاجم لا يجوز أن يغفل عن حركات جيش عدوه المرابط في مركزه لدفاعه فلا بد له من الأستطلاع على رحكاته فيبث الطلائع لكشف الأمكنة وأستطلاع ما يقوم به جيش العدو من الحركات وليعرف هل له وراء هذه الخطط المرابط بها والأستحكامات والمواضع حفريات مخفية واستحكامات مستترة تختبئ فيها قوّة احتياطية أعدها للهجوم عند أغتفاله أو تكون خديعة ينخدع بها عدوه إذا أنهزم أو أنكسر أو أنسحب إلى أن يتجاوزه بعدوه خطوطها فيعطف عليه وتطبق عليه القوتان ويلتف عليه الجيشان وهذا ما تسميه القدماء بالكمين.

وإن يكثر الاحتراس والأستطلاع لما ورائه كأستطلاعه لما هو أمامه خوفاً أن يكون للجيش المدافع قطعات أُخرى قد سلكت طريقاً آخر لتأتيه من خلفه فيحصل له بذلك نوع من التطويق لا أقل من أنه يقتسم قوته فيضعفه ويجب أن يحترس تمام الاحتراس من تطويق الجيش المهاجم له خصوصاً إذا كان أكثر منه فيستعد بجعل قوة كافية تضبط كل ناحية يخشى منها التطويق وكذلك لا يجوز للجيش الهاجم

إغفال هذه المهمة فإنه أيضاً معرض لخطر التطويق بأن تكون للعدو القائم للمدافعة قطعات من الجيش قد أعدها لتطويق عدوه فأخفاها في أستحكامات مخفية ومواضع غير بارزة أو أرسل قوات من جبهة ثانيه لتحيط به وليحيط به وليحذر من أنسحاب الجيش بأنتظام أن يكون ذلك مكيدة إلى غير ذلك من التعاليم الدفاعية والهجومية وللقدماء تمارين تخالف تمارين العصريين لاختلاف أنواع الأسلحة ولكن تعاليم القدماء وإن كانت بسيطة لكنها كانت أصلاً لتعاليم العصريين.

ولكن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» الذي هو بطل العالم البشري كله لا بطل الإسلام خاصة بمهارته الحربية قد أبقى من التعاليم الفنية للحرب وأساليبها ما بقي منهجاً دولياً معمولاً به حتى اليوم وهو «عليه السلام» وإن لم يصف القتال بالبوارج والغواصات ولا نعت حرب الدبابات والمصفحات ولا الطائرات والمناطيد ولكن الترتيب الذي رتبه لجيش الخيالة يعرف منه كيفية المقاتلة بكل الأنواع وتعلم منه جهات الاحتراس من جميع المتلفات فهو في الحقيقة أُستاذ الفنون الحربية ومعلمها الماهر الخبير وهو واضع أُسس تعاليمها ومشيد مدرسة التمارين الجامعة وكلية التدريب الناجحة طلبتها وتلاميذها فله في التمرين والتدريب الحربي أبدع طرز وأتقن أُسلوب.

وكان بعض قدماء الملوك يأمرون بالتعليم الحربي ويحضرون بأنفسهم في الميدان في ساحة التدريب والتثقيف ساعة التمرين كما كان كسرى أنو شروان الساساني ملك الفرس يفعل ذلك.

التعبئة والنظام العسكري القديم

وبيان هذا يستدعي أولاً معرفة معنى الجيش والعسكر والخميس، ثانياً تقسيمه وترتيبه وتعبئته قديماً وحديثاً، وثالثاً: النظام القديم والحديث على اختصار.

الأول: معنى الجيش والعسكر والخميس: وأشتقاق الجيش من الجيشان وهو الغليان، يقال: جاشت القدر إذا غلت، قال الراجز:

كمرجل الصباغ جاش بقمه

وجاشت الناس إذا هاجتها الحرب فغلت قلوبها على الأعداء فتجمعت للانتقام.

والعسكر معناه تلك القطع الجائشة إذا اجتمعت في محل واحد عسكرت به

أي اجتمعت ومحل اجتماعهم المعسكر أي المجتمع الحربي أو مقر الجيش وهو قراركاه بلغة العجم.

والخميس معناه الخمسة أقسام لأن الجيش عن القدماء مقسوم إلى خمسة أجزاء أبداً في الميسر والمناخ وعند التحام الحرب كما سنحررة إن شاء الله.

قال في المصباح: الجيس معروف والجمع جيوش، وجاشت القدر تجيش جيشاً غلت.

وقال أيضاً: الخميس لغة ثالثة وهو جزء من خمسة أجزاء.

وقال أيضاً: العسكر الجيش.

وقال في القاموس: جاش القر والبحر غلا، والعين فاضت، والوادي زخر.

ثم قال: والجيش الجند والسائون لحرب وغيرها.

وقال أيضاً: الخميس الجيش لأنه خمس فرق: المقدسة والقلب والميمنة والميسرة والساقة، وما أدري أين خميس الناس، أي جماعتهم.

وقال أيضاً: العسكر الجمع الكثير من كل شيء فارسي، وعسكر القوم تجمعوا والموضع معسكر.

نقد المؤلف لمن ادعى استعارة العرب لألفاظ العجم

هذا صاحب القاموس وتبعه آخرون يقولون: عسكر معرب وأصل ذلك الجواليقي الحنبلي في كتابه: المعرب من الكلام الأعجمي، وهذا نصه[١]: قال أبن قتيبة: والعسكر فارسي معرب، قال أبن دريد: وإنما هو لشكر بالفارسية وهو مجتمع الجيش الخ، وتبعه الفيروزآبادي والخفاجي فقال في شفاء الغليل[٢]: عسكر معرب لشكر وهو مجتمع الجيش، وسمى به الجيش نفسه.

ونقله عنه في الشرح الجلي[٣] وهكذا يتناولها كثير ممن لم يحقق من أهل اللغة فيقول: عسكر معرب لشكر.

وهذه اللفظة لفظة لشكر توجد في لغة عجم وكونها قد أستعارتها العرب وهذبتها وأدخلتها في كلامها فإن لم يكن ضرباً من الهذيان فهو من أغلاط اللغويين فيها كما يغلطون في غيرها فيقولون: لفظ تنور معرب أي مستعار من لغات الأعاجم فهم أهل أغلاط كثيرة وجمود على نصوص السابقين من نقلة

---

(١) المعرب من الكلام الأعجمي: ص٢٢٠.

(٢) شفاء الغليل: ص١٢٤.

(٣) الشرح الجلي: ص١٥٩.

الألفاظ كما تجمد المتفقه على نصوص الأحاديث والفقيه معذور واللغوي لا يعذر لأن الفقيه يتعلل بأن مخالفة المنصوص يلزم منه التشريع المحرم الذي يوجب نسخ أحكام الشريعة والخروج عليها بما يخالف تشريعها، فمخالفة النصوص محاربة للسنة وليس كذلك اللغوي الجاحد فإن جموده على نصوص السابقين ممن يسرع إليه الوهم والغلط والأشتباه أو يظن برأيه وأجتهاده محق للشريعة ومحو لنظامها الادبي ومسخ لبهجة ألفاظها المتناسقة والرائعة من نظمها وبراعتها ووضوح دلالتها كدعوى أن التنور معرب، والحصب معرب، وأمثالهما ليس هو من الغلط اللغوي فقط بل ترق في القبح والشناعة في نسبة العجر إلى كلام الله الفصيح ودعوى افتقاره إلى الاستعارة وليس بغني من أستعارة آلة غيره.

لقد أغربوا في دعواهم أن في كلام الله تعالى القرآن المعجز كلاماً دخيلاً من لغات أجنبية مستعربة وكذلك كلام الرسول البالغ في فصاحته حدّ الإعجاز بعد القرآن المجيد وقد كان كلام من قلده بعض أهل اللغة كابن قتيبة والجواليقي الذي أراد أن يؤلف كتاباً هذا موضوعه لو أستعمل التحقيق لما يسر أن يدخل في هذا المعجم الضخم عشرين لفظة لا يجوز أن تجعل كتاباً في نظره فذهل السابق وتحامق اللاحق وتغابى لا بل هو غباوة حقيقية لا تغابي وحماقة وجهل مفرط لا تحامق وتجاهل ناشئ عن غير تحقيق وتدقيق، ومنبعث عن عدم علم ومعرفة بحقيقة كلام الله تعالى الذي قال: ﴿أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[1]، وقال: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[2]، يعني بالمبين الفصيح الخالي عن اللكنة الأعجمية.

والعقل يحكم بمنع أن يكون في القرآن كلام مستعار من لغة أُخرى لأن الذي يستعير الشيء هو العاجز عن تحصيله أو من لا يجده في دولته ومملكته ولا في بيته وداره، فلا يستعير السلاح من وجد السلاح، ولا يستعير الثياب إلا الفقير المضطر، والباري سبحانه وتعالى مالك الكلام فلا يعجزه منه شيء عالم بدقائق لغات العرب ومختلف لهجاتها التي لم يضبط اللغويون عشر معشارها وما تضمنت معاجمهم الكثيرة المبسوطة إلا القسم منها وبقي ألفاظ أستدركها عليهم المتأخرون فكم تجد في تاج العروس ما أغفله القاموس، وكم من ألفاظ عربية لم تجدها في المعاجم اللغوية ولا في أسفار جامعة الألفاظ وإنما تجدها أشتاتاً في كتب الأدب العربي أو في محاورات لفصحاء الأعراب وفي نوادر الخطباء الأفذاذ.

---

(١) يوسف: ٢.
(٢) النحل: ١٠٣.

فيا ترى إنك إذا فقدت أمثال هذه الألفاظ العربية في متون معاجم اللغة تحكم بعجميتها طريف جداً ومضحك، إن أهل متن اللغة أغفلوا كثيراً جهلاً وقصوراً وتقصيراً عن البحث ومنزل القرآن قادر وعارف ومطلع فهذه حقيقة أسفار اللغة وهذا جهدهم ومقدورهم ثم هناك ناحية توسع نطاق اللفظ العربي ما شاء لها الفكر الدقيق نام عنها اللغويون واسيتقظ لها الأُصوليون هي ناحية الاشتقاق فإن لها ميداناً فسيحاً واسع المجال لمعرفة ألفاظ العرب.

وأيضاً نزول القرآن بصفة الإعجاز وتفهيم الخطاب يمنع من أستعارة كلام أجنبي لأنه لا يكون معجزاً إلا إذا ورد بمثل ما يعرفون ويفهمون فيبدو عنهم الفهم عجزهم ويظهر عند المعرفة نكولهم وإلا فكل أُمة عاجزة عن تأليف كلام صحيح المعنى من كلام أُمة أخرى فكل كلام أجنبي معجز عند العرب على هذا الرأي الباطل وعليه تسقط فضيلة التحدي لأن كل عربي عاجز عن إيراد لفظة أعجمية لها معنى مقبولاً فضلاُ عن تأليف فصول لها معان تقابل نهج المتحدي إني لأعجز عن تدقيق أسهل لفظ في الرطانة فضلاً عن تأليف فصول.

وأيضاً من جهة فهم الخطاب فينبغي على هذا الرأي السخيف الساقط توقف الفائدة على بعث مترجمين من الأُمم الأجنبية يفهمون العرب معنى كلامهم الموجود في القرآن من الروم والفرس والحبشة كالتنور والحصب والسجيل في مثال لها بزعم هؤلاء الحمقاء فيفوت الغرض من نزول الخطاب للتفيهم عن وقت الحاجة إليه وما أجاب به بعض علماء البيان من أنه عربي الأُسلوب والنظم فلا يخرجه اشتماله على بعض ألفاظ من غير العربي وما أستشهد به من كلام الشعراء الجاهليين ومثلوا له بشعر امرء القيس وغيره فتكلف بارد وجواب ركيك واعتذار سقيم نحن في غناً عنه بعون الله.

ومن رأى كلام هؤلاء ظنه شيئاً وهو لا بشيء من حيث أنّا لا نمنع نطق العرب بالإعلام الإعجمية مع بقائها على عجمتها لكنهم يسهلونها لأجل القدرة على النطق كاَستراباد لمدينة فارسية، وهرقل لملك روماني وما شاكلها من الأعلام والألآت وغيرها فهذا مما نطقت به العرب وإنما لم تبدله بما يطابقه من لغتها لأنه لم يعرف ذلك المسمى وهذا ما جاء في أشعار فصحاء العرب كأمرء القيس وأضرابه، وجاء في القرآن المجيد كثير منه كإبراهيم وهو لفظ سرياني علم لنبي من أُولي العزم وسليمان لفظ عبراني لنبي إسرائيلي وغيرهما.

وإنما نمنع إدخال اللفظ من لغة العجم في لغة العرب على التوسعة في لغتها

لقصور كلامها وتجعله أصلاً من أُصولها لضيق لغتها كما يزعم بعضهم كالتنور والحصب والعسكر على أن التنور قديماً ما عرفه العرب كما عرفوا الحصب وسموا بعض قبائلهم بيحصب وسموا الحصا بالحصباء، وريح حاصب هي التي تحمل الحصا، وفلان حصبه القوم يعني رموه بالحصباء، ويترنم شاعرهم بقوله:

ألا رجـــال ألا فـــرســـان عـــاديـــة ألا تـجـشـأكـم حـول الـتـنـانـيـر

ومثل ذلك لفظ العسكر الذي ورد في أقدام المصادر التاريخية لمولك العرب القدماء من المعينيين والسبئيين والحميريين، أما استيفاء الأقوال المتعارضة في النفي والإثبات فندعه للمطولات ونجيب بعون الله تعالى بما فهمنا الله إياه ووقفنا لمعرفته فنقول: إن لغة العرب هي أغنى اللغات ألفاظاً وأوسها أداة وأكثرها شعباً وفروعاً، والدليل على عظم ثروتها اللفظية وغنائها الأدائي واتساعها المنطقي وهو الاشتقاق والترادف في كلامها:

أما الاشتقاق فيسهل جر المعنى الواحد إلى المعاني الكثيرة ويلبس كل معنى ثوباً من أصله كما يقتطع الثوب من طاقة القماش وتفصل الطاقة الباقية إلى أنواع ترجع كلها إلى أصل هذه المادة التي تسمى مثلاً بالحرير الأحمر فهذا اللون والوصف في هذه الطاقة يكون للقباء والسروال والقلنسوة والقميص معان شتى وألفاظ بقدرها وترد لأصلها ومادتها فثوب حرير وقباء حرير وقلنسوة حرير إلى ما لا يتناهى ولا ينكره المجازف فالاجتنان وهو الأختفاء والتستر والغيبوبة عن العيون يرينا الجني ضد الإنسي لغيبوبته عن أعيننا وأستتاره منا، والجنة التي هي الروضة يفتح الجيم لا ستتار أرضها بشجرها والجُنة التي يلبسها المحارب وهي بضم الجيم يستر بها المحارب رأسه في الحرب تسمى جُنّة ومجنّاً فتكون الجِنة بالكسر والجَنة بالفتح والجُنة بالضم مشتقة بعضها من بعض ومادتها وأصلها التستر والأختفاء ولك أن تجرها بحسب الاشتقاق إلى كل ما يشتمل عليه هذا الوصف فتذكر المجنون الذي أستتر عقله وتغيب رشده، والجنين الذي تغيب في الرحم وأستتر بالبطن وتقول: جنني الليل إذا سترك ظلامه، وتقول لصاحبك ما أجنك عنا أي ما غيبك وهكذا فالاشتقاق أوسع الأبواب في لغة العرب إفتناناً ومن وجد عنده الاشتقاق فلغته واسعة غير محتاجة إلى الاستعارة من غيرها وهو من خواص لغة العرب ومن كراهة العرب لعدم الإفصاح يذمون العربي ويصفونه بالأعجم كما قال الحطيئة في وصف الشعر إذا ادعاه غير شاعر هذا المصراع:

يـريـد أن يـعـرِّبـه فـيـعـجِّـمـه

وقد ذموا شاعراً مفلقاً من شعرائهم فسموه زياد الأعجم إما لأنه غير فصيح كما يريدون أو لوجود لكنة في كلامه، ولو كان في القرآن لكنة كما زعم الجاهلون لعابها المشركون وأعتدوا بها على النبي محمد ﷺ.

واما الترادف اللفظي ويقال له الأشتراك اللفظي فإن عند العرب للشيء الواحد ألفاظاً كثيرة هي أسماء لذاك المسمى فقد يكون له مائة إسم وقد يكون له مئات.

حتى أدعى بعضهم وصول بعض الأسماء المترادفة إلى ألف كالسيف الذي زعم بعضهم أن له ألف إسم، وللرمح والقوس والفرس والبعير والخمر أسماء كثيرة بعضها يبلغ المائة وبعضها يزيد، وبعضها ينقص.

أما الاشتراك المعنوي فهو نوع من الاشتقاق أو لاحق به وهو صدق اللفظ الواحد على المعانى الكثيرة سواء تضادت أو تماثلت كالهلال والنعل والنحب والعين وكالجون في المتضادات وما لا يتسع الكتاب لإيراده، ومن كان كذلك كيف يستعير ألفاظ غيره وقد علمت أن العقل يحكم بأن الذي يستعير الشيء إنما هو فاقده، ومن وجد عنده لا يستعير من غيره، وهل يصلح أن يقال: إن السلطان استعار إبريق الجابي وتقمص ثوب الحارس وتمنطق بمنطقة الفراش؟! كلا.

فالأُمة العربية غنية بألفاظها لا تحتاج إلى استعارة لفظ من غيرها، نعم توجد ألفاظ متشاكلة في اللغات متقاربة في المخارج فيظن من لا معرفة له أنها مستعارة وذلك جهل أو قلة تدبر إذ كما أن الخواطر تتوارد في المعاني تتوارد الألسن في الألفاظ فكم ترى فيلسوفاً دله صفاء ذهنه وجودة عقله وأرشده تفكيره إلى تحقيق معنى حكمي فحققه ونقحه وأتمه بأساليب متقنة فيبقى زمناً أو يموت ولا يدري أن أحداً أهتدى إليه أو توصل إلى فهمه وبعد حين يجد في الكتب أو يجد غيره ذاك المعنى بعينه أنه قد سبقه إليه بعض الحذاق من الفلاسفة وأساتذة الحكمة فيعلم أن ما أبتكره بتفكيره وأخترعه بتأمله العميق قد تطرق إليه بعض الفلاسفة وعرفه بعض نوابغ الحكماء، ولا يصح أن يقال أن الثاني أخذه من الأول وعول عليه في تحقيقه، غاية ما يقال: إنه قد سبقه إلى هذا المعنى البديع فلان الفيلسوف ولا ينسب إلى الأخذ عنه إلا بعد العلم به والوقوف عليه وهذا كثير في الفلسفة خصوصاً قبل أنتشار الكتب بالطباعة.

ومثال هذا في المخترعات عندهم الإبرة المغنيطيسية يقولون قد أخترعها المسلمون مع قولهم قد سبقهم إليها أهل الصين ومعنى ذلك أن المسلم والصيني

قد عرفها كل بتفكيره مستقلاً عن معرفة تفكير الآخر إذ وسائط الاطلاع عسيرة جداً لعدم طبع الكتب وعدم سهولة السفر إلى تلك المحيطات بالسفن الشراعية التي تحطمها الأمواج في الخلجان، فقل من يجسر على المخاطرة بنفسه في ركوب هذه الأهوال على متون هذه السفائن الضعيفة، هذا هو رأي الفلاسفة.

أما علماء البيان فيثبتون أن في الأشعار تواتراً وأفردوا له فناً في علم البديع سموه توارد الخاطر وصيروه من المحسنات في النظم وأخرجوه عن دائرة السرقة والأخذ في المعاني والألفاظ أو في أحدهما وأدخلوه في دائرة الأستجادة والاستحسان بعد أن وسموا السرقة وأستعارة بعض الألفاظ أو المعاني بالسلخ والمسخ ومثلوا لتوارد الخاطر بأمثلة كثيرة منها قول امرء القيس في معلقته:

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أساً وتحمل

وقول طرفة بن العبد في معلقه:

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أساً وتجلد

وله عندهم أمثلة كثيرة ويعدونه من محسنات الأشعار البديعة والعجب منهم كيف لم يجعلوا توارد اللغات في الألفاظ كتوارده في لغة ولا يعدون منثور الكلام كمنظومه، ومن المعلوم أن بعض الألفاظ التي أدعوا تعريبها لا يدعونه في من نشأة معد بن عدنان ولا يعرب بن قحطان ولا الأزمنة المتلاحقة بعدهما حين كانوا يعيشون في قلب الجزيرة العربية ولب البادية وهم قطعة كبد العروبة لا يعرفوا ما الفرس وما الرومان وما الحبشة فتلك دعوى زائفة ومبهرجة لا علاقة لهؤلاء العرب بهؤلاء الأُمم أصلاً، ما حدث للعرب المعرفة بهذه الأُمم وهذه الأجناس البشرية إلا بعد تشريع الرحلتين وتفرق العرب فيهما للتجارة وهذا كائن في عهد هاشم بن عبد مناف فمن أين استعاروا كلاماً لم يعرفوا أهله فضلاً عن الخلطة التي تسبب الأخذ والاستعارة؟

فهم لم يعرفوا حقائق الأُمم فضلاً عن أقتباس كلامهم، ولم يبلغهم عنهم إلا ما حمله إليهم الخبر النادر من عابر سبيل أو طارق على عجل يحدثهم على غير تركيز للحديث في نفوسهم أن هنالك حكومة تسمى حكومة الفرس وأُخرى تعرف بدولة الروم وترتبط بهم دولتان عربيتان تعرف أحدهما بالمناذرة والأُخرى بالغساسنة لا يعرفون أكثر من ذلك ولا تحج البيت هاتان الحكومتان العربيتان؛ إما غسان فلمكان النصرانية، وأما آل المنذر فللمجوسية والنصرانية ولم يفد منهم إلى هاذين الحكومتين أحد إلا أفراد في غاية القلة والندرة لا تنتشر بسببهم لغة أجنبية

في شعب متوحش لا يألف غير لغته ولا يدين بغير عاداته فلا جامعة بين العرب والأعجام إلا بعد الرحلتين، ولم ينقل أنهم بعد الرحلتين نقلوا ألفاظاً أعجمية للعرب وحملوا معهم ما يلزم التسمية له بعجميته فهل حمل تجارهم تنوراً من فارس أو حصباً من الحبشة؟! ومدعي التعريب لا يدعي ذلك وأقصى ما عنده إجمال القول بأن في لغة العرب بعض الألفاظ الأعجمية.

على أن التتبع يشهد على أنفة العرب من ألفاظ الدخلاء في عصر الدولة العباسية وكان فيصل التحاكم إلى عرب الجزيرة وهم سكان البوادي الذين لم يختلطوا كأهل الحاضرة بالأعاجم عند الفتوحات، ومن تتبع أحوال النحات وأهل اللغة من كوفيين وبصريين والحوادث المتنازع فيها وتحاكمهم إلى هؤلاء كقصة سيبويه والكسائي تيقن أن لا دخيل في العربية إلا بعد أزمنة الفتح الإسلامي.

وإلى زماننا هذا الذي تحطمت به العربية وأنهارت صروحها توجد في قلب الجزيرة العربية بعض القبائل التي لا تستطيع التكلم إلا باللغة الفصحى فطرة، وقد تحدث الواسعي في تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن بما هذا لفظه[1]: يوجد بشمال اليمن قبيلة بعسير وهي قبيلة ثقيف تتكلم باللغة العربية سليقة الأطفال مع النساء ولقد وصلت في بعض السنين ووجدت أطفالاً يلعبون حول قرية من هذه القبيلة في نحو الست سنين والسبع فرأوني وعلى عيني المبصرة التي تسمى في غير اليمن النظارة فأستغرب ذلك الأطفال وصاحوا بأجمعهم يقولون: في عينيه جوهرتان. فعجبت لمعرفتهم بإعراب المثنى في حالة رفعه وجره وهم أطفال، ثم مشيت قليلاً وجاوزتهم فوجدت امرأة في حقل لها فكلمت غلامي يأخذ علفاً للدابة من المرأة فسألها: أيتها المرأة بيعي منا علفاً للدابة، فصاحت وقالت: لست بامرأة أنا بنت لم أدرك، إنتهى.

فإن كانت هذه القبيلة لحد الآن تحافظ على لغتها وإذا كانت الجامعة العربية تضع أزاء كل مستحدث لفظاً عربياً مع الأضطرار للتلفظ به في عجمته فراراً من تفوق اللغة الأجنبية على العربية وأنفة من استعبادها لها فما بال العرب الأقحاح يستعيرون ألفاظاً من الأعاجم ومن فيض لغتهم تغترف الجامعة ومن معين ألفاظهم تستمد؟.

وموضوع بحثنا العسكر بزعم الاستعراب فيه وللجيش عند العرب أكثر من عشرين إسماً ضبطها صاحب الشرح الجلي منها: الفيلق والجحفل، فما الملزم

(١) فرجة الهموم والحزن: ص٣١٨.

لهم وهذه سعتم واقتدارهم أن يستعيروا لفظة واحدة وإدخالها في لغتهم الضرورة أحوجتهم وهم أغنياء؟ أم حباً للكنة وهم فصحاء؟ كل ذلك لم يكن وما كان لزعم الزاعمين من أثر بل القضية بالضد والأمر على العكس ولم يفهم ذلك اللغوي الزاعم التعريب أن الفرس قد أستعاروا لفظة عسكر من العرب وما أستطاعوا أن ينطقوا بها كذلك وعجزوا عن التلفظ بها عربية كما نجده في الفرس اليوم إذا حاولوا النطق بالألفاظ العربية فإذا قال كذلك قال: كزالك بالزاء وغير المعزوب عليهم ولا إلزالين، بدل المغضوب والضالّين، ولو سجلنا لك أمثالها لملأنا سفراً كاملاً.

فالعسكر أستعار الفرس لفظه من العرب فما قدروا على النطق به عربياً فقالوا: لشكر كما صنع الإنكليز في الحرب العظمى عند سقوط البصرة بأيديهم وأندحار جيش الأتراك أمامهم فنزلوا نهر معقل وما قدروا أن يلفظوا به عربياً كاملاً فحرّفوه إلى مأكَل لعدم قدرتهم على النطق بالعين حيث لا عين في لغة الإفرنج وحرفه العامة إلى ماركيل وقد فعلت مثل فعلهم أسبانيا في دار الصناعة أي محل عمل البوارج الحربية التي كان يعملها العرب في الغرب ويسموها دار الصناعة فما تمكنت الإفرنج أن يتلفظوا بها كذلك لعدم قدرتهم على إخراج العين أو لعدم وجود حرف العين في لغة الإفرنج فقالوا: دار سنا بدل دار صنعة، ثم زادوا عليها لام النسبة عندهم فقالوا: دار سنال وعند الإفرنج علامة النسبة هي اللام وعند العرب الياء، وجاء الأتراك العثمانيون فعجزوا عن النطق بها عربية وأفرنجية فحرفوها إلى لسانهم فقالوا: ترسانه، نص عليه الأمير شكيب أرسلان في كتابه تاريخ العرب في الغرب فنحن بحمد الله أغنى الأُمم بثروتنا الدينية والعلمية والعقلية ولغتنا أوسع اللغات وأرقاها عند الأُمم ولا تمدنا بل نمدها وتستعير منا ولا نستعير منها[١].

التعبئة والترتيب

الثاني وهو أهم أُمور هذا الباب لأنا نبحث فيه من وجوه ثلاثة:

الأول: تعبئة الجيش في الإسلام.

الثاني: نظام الأُمم الغربية في المدتين الأُولى والمتوسطة.

الثالث: في أنظمة العصر الحديث.

---

(١) راجع: تاريخ العرب وغيره من كتب المسيحيين الجدد تجده مملوءاً بما أخذته أُوربا وفارس من لغة العرب.

الأول: وهو نظام الإسلام

لا خفاء أن شارع ملة الإسلام ومقرر قواعدها وهو نبينا محمد ﷺ أبقى للعالم المتمدن مثالاً في كل الحقائق الصادقة في عامة أنواع الرقي والحضارة لكن مع حفظ النواميس الدينية التي لا يجوز الشذوذ عنها إرضاء للغرب بالتزلف إليه في تطبيق أنظمتها على منهاجه المردود ولم ينبغ في ملة الإسلام بعده من كان قدوة في تعاليم الإصلاح الديني الحيوي للدنيا وللأخرى معاً في كل نوع من أنواع المعارف الراقية والسياسات الدينية المحكمة والتي تُعد أساساً قوياً في التشريفات النظامية الحديثة، نابغة فني تعد تعاليمه أصلاً لسن قوانين النهضة في عصر النهضة وتتخذ مناهجاً لأعمال الرفعة والتقدم سوى ٱبن عمه ووصيه وخليفته الحقيقي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ذاك القائد العظيم والبطل الروحاني العالمي الذي أبهر بشجاعته العقول وأدهش بتعاليمه الفكر والألباب لم يكن قائداً حربياً فقط ولا أميراً سياسياً فحسب، ولا عميداً دينياً ليس إلا، ولا بطلاً مقداماً خاصة كما يظن من لم يتعمق في فهم صفاته ولم يتنور بمعرفة حقائقه وسماته، بل هو كلية معارف ومدرسة حقوق وجامعة إصلاح وتهذيب، فهو أُستاذ الأُمم الناهضة ومعلمها الأعظم ومهذبها الأكبر، ويكفي برهاناً على ما نقول العهد الذي شرحناه وهو عهده لمالك الأشتر وسمينا شرحه بـ«السياسة العلوية» والعهد الذي كتبه لمحمد بن أبي بكر وهو عامله أيضاً على مصر ذاك العهد الذي لم يصنف مثله في السياسة، وعند ظفر معاوية بن أبي سفيان بمحمد المذكور أستولى على هذا العهد وعول على العمل به في سياسة المملكة؛ فمعاوية داهية العالم على ما يُذكر أصبح تلميذاً من أصغر تلاميذ علي بن أبي طالب «عليه السلام» وإن كان أكبر الدهات الخدّاعين.

أما الخلفاء الثلاثة قبله فعن رأيه يصدرون، وبمشورته وإرشاده وفتياه يعملون، فأستقامت الأُمور بسياسته التي يريد بتقريرها إصلاح أمة محمد ﷺ وحفظ نظام الشريعة واستقامتها حتى التوى الثلاث بآراء مروان المتعجرف السخيف فأختل النظام السياسي، ولحرص أمير المؤمنين «عليه السلام» على مصلحة الأُمة يظهر في تنازله عن حقوقه خوفاً على الإسلام من الأنقلاب ومحافظة على نظامه من التبعثر والشتات فأصحبت تعاليمه روح الاجتماع في حياة الخليفتين أبي بكر وعمر حتى رفض الأعتناء بها الثالث وعول على آراء سفهاء أغمار لا خبرة لهم بشئون السياسة وأطوار الإدارة فكان نتيجة ذلك الويل الطويل ولم يمض

على رفضه لإرشادات أمير المؤمنين علي «عليه السلام» إلا زمن قصير حتى أصبح ذلك الخليفة المسيطر على الأُمة كبشها الذي ضحت به.

فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» تناول قرني العلم التعليمي والتجربي ولا غرو فإنه ذو قرنيها أقتبس العلوم القرآنية والنبوية تعليماً وإرشاداً من رسول الله ﷺ فأستحق أن يقول فيه رسول الله ﷺ لكمال أستعداده وقوة ملكته وتمامية قابليته لما يفيض عليه العرفان النبوي من معارف وفنون: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» و «أنا مدينة الحكمة وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب».

فهذه التعاليم الواسعة النطاق والتي يحق له أن يقول بسببها «هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله ﷺ، علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب، إن هاهنا لعلماً جماً ـ يشير إلى صدره ـ لو أصبت له حملة» صحيح لم يصب له حلة لأن قسماً كبيراً لم يدخلوا إلى العلم النبوي من بابه فتعسفوا في مجهلة، وقسم ضلوا بعيدين عن ذاك الباب نفرة عنه وبغضاً له فدام موصداً في وجوههم.

وهذه العلوم الوافرة التي هي أُصول لمناهج صلاح الإنسانية وضع موادها رسول الله ﷺ وأستحصل نتائجها أمير المؤمنين علي «عليه السلام» بتفكيره الثاقب وقد أوصلته إلى استنتاجها نفسه المتلئلئة ذات الصفات والصقالة، وأبرزت له قوة ذهنه الوقاد وأظهرها له حدسه المصيب حقاً ينفتح له من كل باب ألف باب وقد ضم إلى هذه العلوم التجارب والاختبار للوقائع والتجربة عقل مستقل يقال له العقل التجربي وعلم مستأنف يقال له الأجتهاد، وبالعقل التجربي تم لعلماء النهضة الفكرية اختراع المخترعات العجيبة وليس المراد بهم خصوص من أُطلق عليهم الفلاسفة التجربيون أمثال ديكارت بل المراد بالتجربة مطلق الاختبار.

فالعقل الغريزي أو الفطري أو ما شئت فعبر عن العقول الفلسفية لا تجدي نفعاً ما لم يكن معها علم مستفاد بالتجربة هو العقل التجربي لأحتياج التفكير إلى التطبيق العملي وأختبار الوقائع وقد قال أمير المؤمنين علي «عليه السلام» في ذلك:

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
ولا ينفع بمسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

ومن هذا النوع اكتسابه «عليه السلام» معرفة الفنون الحربية فعلمه على قسمين: قسم أستفاده تعليماً من رسول الله ﷺ وأخذه إرشاداً من آيات القرآن الحكيم وهو القانون الإلٰهي الذي ينقسم في العلوم إلى علم بما مضى وعلم بما يأتي وعلم في الوقت وكل هذه العلوم عند أمير المؤمنين علي «عليه السلام» بتعليم النبي ﷺ له خاصة دون غيره لا يجحد هذا إلا مكابر.

وقسم تجربي وكل من درس التاريخ البشري يعلم أنه «عليه السلام» قد مارس الحروب وغمس نفسه في المعارك ولم يبلغ العشرين من العمر ثم أستمر يمارسها طول حياته حتى أناف على الستين فحصلت له من تلك الممارسة الطويلة مهارة فنية أوجبت له أن يكون المقدم في صف معلمي الفنون الحربية وكل الوقائع التي مارسها ذات أهمية ولها شأن في التاريخ العالمي الحربي فما شهرة نابليون بونابرت الفرنسي وفردريك الكبير الألماني وشارلمان الغاليسي والإسكندر المقدوني وهلاكو التتري وتيمور المغولي وغيرهم من مشاهير القواد إلا دون شهرته «عليه السلام» فإن قيادته الجنود وأستيلائه على الأعداء في جميع الغزوات وسائر المعارك فمما لا ينبغي إلا الإذعان به وأنه صاحب الفوز والظفر.

وأما الفتوحات والمغازي أيام الخلفاء الثلاثة فهي وإن لم يشهدها بنفسه فقد شهدها برأيه وإرشاده لهم عند المشورة له فقد أخذوا بقوله وعملوا برأيه وإشارته ولولاه لتمزقت تلك الجنود وحطمتها القوى الرومانية والفارسية ولكن وفق الله المسلمين للأنقياد إلى العمل بمشورته والأخذ بآرائه وهي الآراء الثاقبة المصيبة فأصاب الخلفاء الرشد في العمل بقوله ودانوا بأتباعه فيما أرتئا لهم فأندحر الكافرون بيمن إرشاده وغلب المشركون ببركة تعاليمه.

وفي علمه التجربي يقول «عليه السلام» ردا على قريش فيما وصفته به من الإقدام الفارغ من التفنّن في خطبة له يقول فيها: حتى لقد قالت قريش إن ٱبن أبي طالب رجل شجاع لا بصر له بالحرب، لله أبوهم وهل أشد مراساً لها مني! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها أنا قد ذرفت على الستين لكن لا رأي لمن لا يطاع، الخ.

فهذه الممارسة في ظرف هذه المدة الطويلة قد ثقفته تثقيفاً حربياً كاملاً ودربته تدريباً عسكرياً عجيباً على أحسن طراز وأبدع أُسلوب حتى أصبح بتعاليمه التي قررها لقواد جيوشه وأُمراء أجناده كالأشتر النخعي ومعقل بن قيس التميمي الرياحي وزياد بن النضر المذحجي الحارثي وأمثالهم موضع أندهاش العقول

ومحل حيرة الأفكار والألباب، وهذه المناهج العالية من ذلك الفنان الوحيد بقيت إلى اليوم دستوراً للتنظيمات الدولية والتداريب المدنية للحكومات الحرة الحاضرة أقروا لها وأذعنوا أم جحدوا وكابروا هو الأُستاذ الأكبر والمعلم الأول أعترفوا أم ناكروا سيّان في ذلك.

فإنه «عليه السلام» لم يغفل عن مهم من مهمات الحرب، ولم يتغافل عن إيجاب الأخذ بالتحوطات والتدابير اللازمة، ولم يترك شيئاً ينبغي أن يفعله المحارب من إشهار الحرب بعد الإخطار والإنذار وهذه القاعدة تستعملها الدول المتمدنة في العصر الحاضر بل هي عندهم من الحقوق الدولية القانونية التي يجب الالتزام بها فلو أن حكومة هاجمت حكومة أُخرى بدون إنذار أستوجبت مقت الدول وسخطها عليها وعدو فعلتها همجية بربرية ووحشية مسترذلة وأخرجوها عن دوائر الحكومات المدنية إلى القرصنة والتلصص.

ومن الاستعداد الكافي والذي يعبر عنه بالأهبة بحشد الجنود أولاً، وأقتناء الأسلحة والأدوات النقلية كأدوات الأزواد والماء وآلات النقل والركوب برية كالخيل والإبل والبغال أو نهرية كالسفن ثانياً، واجتماع الجنود في المعسكر لأجل تقسيمه إلى فرق فأفواج فكتائب فسرايا ففصائل ثالثاً، وتعيين الأُمراء والقواد والضباط فلكل فصيل ضابط، ولكل سرية أمير، ولكن كتيبة قائد، وترتيب أُمراء الألوية لكل لواء أمير، وتعيين أركان الجيش ويجعل لكل قوة مرجعاً أعلى هو أمير أُمرائها وقائد قوادها رابعاً، ثم التعبئة على النظام المتعارف في الأزمنة بجعله خمسة أقسام خامساً، ثم يتقدم بتعاليم لسير العسكر وكيفية ذلك السير في تقديم المقدمة وهي قطعة من الجيش تسير أمامه ولا بد أن تكون قوية لأنها ربما أصطدمت بقوات جيش العدو قبل أن يلتحق بها جيشها ثم يسير الجيش خلفها على مهل على صفة طير تقدم رأسه وهو المقدمة وجسده القلب وجناحاه الأيمن والأيسر وذنبه الساقة فيكون من المجموع المقدمة والمجنبتان والقلب والساقة صورة طائر:

ميسرة

مقدمة قلب ساقة

ميمنة

والمجنبتان أو الجناحان الميمنة والميسرة في الحرب كل واحدة منهما مؤلفة

من قوة خيالة فرسان وقوة مشاة رجّالة وحامية خلف الجيش يقال لها الساقة لئلا يأتي العدو من خلف الجيش وترد المنهزم وترفع الساقط من أزواد الجيش وأمتعته ويلحق بها المنقطع وتحمل من فقد راحلته.

والقطعة المتقدمة من الجيش هي دائماً تكون أمام الجيش حامية له من أن يأتيه العدو مفاجأة ومكتشفة أمامه ما يلزم إصلاحه من جسور وقناطر وقطع أشجار وكل ما يعوق سير الجيش ليسهل مروره وفي المقدمة سرية الهندسة وسرية الاستطلاع وسيرة المخابرة وإدارة بريد فيفرض على المقدمة إرسال سرية من الخيالة أمامها وهي الطلائع وخيل الكشف والاستطلاع أو (كشف قول) بلسان الترك تسير هذه السرية أمام المقدمة وتسميها البدو في عصرنا الصبر ومعناها أنتظار حركات الأعداء والتجسس على أوائل الغارات ويجمعونها على (صبور) والقصد من إرسال هذه القطعة من الخيل هي أختبار مكامن الأعداء والوقوف على كمناء لهم لو كان، والتجسس على حركات الجيوش المعادية حتى تنذر المقدمة فتنذر المقدمة الجيش وتختبر الأوضاع التي ستؤل إليها الحالة الحربية وتسبر المواضع التي ينزلها الجيش عند وصوله إليها وتتعرف ما يتجدد.

وتتقدم سرية الهندسة بعد أكتشاف الطليعة وهذه السرية عند القدماء تطلق على رجال خبراء فنانين لهم مهارة بالفنون الحربية ليختبروا صلاحية الأرض لنزول الجيش وهل يصلح للمحاربة أم لا؟ فتأخذ خريطة الأرض وصفتها ونعتها بما فيها من سهل وحزن ومنبطح وتضاريس وتختبر المياه وهل هي كافية أم لا؟ وإذا كانت غزيرة متدفقة تنظر هل لها سدود يمكن العدو أن يحتلها فيبثقها على الجيش وتتعرض مواضع الاحتراز منها إلى غير ذلك من التدقيقات الراجعة لسرية الهندسة فتقدم جميع ذلك في خريطة إلى آمر القوة المقدمة فيرفعه إلى المرجع الأعلى ليعرف حال تلك الأرض وصفة تلك المنطقة، وبعد هذا يعلمهم كيفية النزول بالجيش بأن ينزلوا في أرض واطئة سهلة خالية من الوعورة بحيث تكون لائقة لنزول الجيش وصالحة لحفر مواضع لا تمتنع بصلابة ولا تنجرف برخاوة ولا تنز بنداوة بلل ويؤكد على قائد الجيش العام أو أمير الفيلق التوصية بأن لا ينزل في محل كثير الروابي حذراً أن تكون مكمناً للعدو ولا في أرض تكون معرضاً لخطر بثق الأنهار إذا العدو بثقها وقد هلك بهذا جيوش كثيرة وخصوصاً أيام بني العباس عند طغيان الفيضان.

ويفرض عليهم تحتيماً أنهم إذا نزلوا بأرض ذات وعورة تشتمل على سلاسل

جبال أو تحيط بها حلقات تلال وروابي مشرفة أن يجعلوها خلف ظهورهم لتكون لهم كالحصن تمنع العدو أن يأتيهم من خلف ظهورهم ليكون قتالهم من جهة أو جهتين، وأن يقيموا على رأس أرفع الروابي وأعلى التلال رجلاً من النظارة يتطلع نحو جهة العدو فإذا أحس بحركته أنذرهم ويقال لهذا النظار العين والربيئة.

وإذا كانت الأرض سهلة منبسطة واطئة لا روابي فيها ولا تلال ولا تضاريس يلزمهم أن يقيمواه الأحراس على جوانب معسكرهم وأن يترسوا بالرماح والأترسة وأن يقيم قائد تلك القطعة من الجيش أو قائد الجيش رجلاً على أرفع موضع ينظر إلى الجهات الأربعة لأجل مراقبة حركات العدو ويكون حديد البصر فطناً حاد السمع حتى إذا أحس بجرس أو وطئ أسرع بإعلام القوة لتستعد وتحتاط.

وبعد هذا يعلمهم «عليه السلام» ما يلزمهم العمل به عن التحام الحرب فيعلمهم أولاً دعوة الخصم للطاعة والأنقياد وإظهار كلمة الحق والتمسك بالعدل وترك الجور والأعتداء وتأمين السبيل وأمثالها بالترغيب في الإحسان إليهم والإكرام لهم وإعطائهم الرتب العالية والرواتب الوفيرة إن أجابوا إلى الطاعة وأنابوا إلى العدل ثم التذكير بالجزاء الأُخروي الجزيل الموعود به أهل الطاعة وأهل العدل والإحسان ثم الترهيب والتهديد أولاً بما يقع عليهم من القتل والأسر ونهب الأموال وسبي الذراري والحرمان من العطاء وأمثال ذلك والتخويف لهم بعقوبة الله وعذابه الأليم في الآخرة.

ثانياً إذا أصروا على العناد وواظبوا على التمرد والمعصية وثابروا على العدوان واقفوهم فإن كان العدو يندفع بالمواقفة حسب كبعض الثوار فهي وإلا فسل السيوف وإشراع الرماح.

التعاليم الحربية في الالتحام

يجعلها «عليه السلام» في قسمين: قسم في كيفية الاصطفاف والمقابلة، وقسم في كيفية الجلاد والمقاتلة.

أما كيفية الأصطفاف وتنظيم الخطط الحربية في ساحة القتال فقد كان «عليه السلام» يكتب الكتائب ويعبئ الجنود على أبدع أُسلوب في عصره فيجعل أولاً للجيش مركزاً عسكرياً يلقي فيه أثقاله وأمتعته ثم يجعل أمامه قوة الجيش القوية ويقيم فيه القائد العام للقوات العسكرية جميعاً وأمامه يركز لواء الجيش الأعظم ويسمى هذا بالقلب ثم يجعل فيلقاً عظيماً مؤلفاً من أفواج وكتائب خيالة ومشاة

(بيادة) بالعدد الكاملة والتسلح الفائق، ويجعل فيه فريقاً عسكرياً يتولى تنظيم ذلك الفيلق وتنسيق خططه الدفاعية والهجومية ويقيمه على يمين قوات القلب وهذه هي الجبهة اليمنى المجنبة اليمنى في المسير وتسمى فيهما معاً الميمنة أتصلت بمركز القلب أو أنفصلت عنه ويقال لها أيضاً الجناح الأيمن، ثم يقيم على يساره كذلك فيلقاً بقيادة فريق آخر وهذه هي الجبهة اليسرى والمجنبة اليسرى والجناح الأيسر أو الميسرة أو ما شئت سمي به هذه الألفاظ.

ويجعل في كل من المجنبتين أكابر القواد وأركان الجيش لأن هاتين القوتين بمنزلة جناحي الطائر إذا كسر أحدهما لم يستقل الطائر بالطيران فلذلك ينتخب نخبة القواد الماهرين بفنون الحرب والمدربين على القتال والمجالدة والكفاح مع كونهم من أهل النجدة والبسالة والإقدام ثم يقيم فيلقاً قوياً خلف العسكر مؤلفاً كذلك من أفواج وكتائب يجعله درءا للجيش ويسمى بالردء كما كان يسمى بالساقة في المسير وقد تسمى بالقوة الاحتياطية، ويعد هذه القوة لأمور ثلاثة خطيرة:

أحدهما: لصد هجمات العدو التي تجيء من خلف العسكر.

وذكر نصر بن مزاحم في حديث صفين[١]، وملخصه: إن علياً «عليه السلام» أرسل إلى ربيعة أن أنهدوا، قالوا: كيف ننهد وهذه الخيل من ورائنا؟ يعني خيلاً لأهل الشام تراقبهم لتصيب منهم الغرة، فراجع القصة بطولها.

فالردء يدفع مثل هذه ويرفع الخطر، وعلمت بما جرى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحد لما أخل الردء بمركزه واستدبرت خيل المشركين للمسلمين.

ثانيها: تعويض القوة ما فقد منها فإذا أُبيد فوج أو أسر يخلف من الردء أو القوة الاحتياطية وهذا ما قاله رئيس عك مسروق لمعاوية حين عبأهم لهمدان العراق: إجعل لنا فريضة ألفي رجل في ألفين ومن هلك فابن عمه مكانه[٢].

ثالثها: لرد المنهزم من الجيش وجميع هذه الأُمور لا يستغني عنها الجيش المحارب.

ثم يقدم «عليه السلام» أما الجيش وقدام خطوطه الأمامية المعدة للهجوم كتيبة من الفرسان وهي الكتيبة المطاردة وفائدتها إنشاب الحرب والتحريش في الأحتكاك بالعدو في التعرض له ولهذا سمتها عوام عصرنا بالحرشة، والعرب تقول: أرش الحرب يعني أثارها أي آثارها كما قال شاعرهم:

لحى الله قوماً أرشوا الحرب بيننا

---

(١) وقعة صفين: ص٢٤٢ طبعة بيروت. (٢) انظر: وقعة صفين: ص٣١٤.

وقد جاء في وقعة بدر أن سفهاء من سفهاء قريش خرجوا إلى جيش النبي ﷺ فتعرضوا للمسلمين وأرشوا الحرب بينهما بورودهم الحوض الذي صنعه النبي ﷺ لأصحابه وكان هذا برأي أبي جهل مراغمة لعتبة بن ربيعة الذي كان يأمر بالكف عن الحرب.

ثم يقدم «عليه السلام» كتيبة أُخرى مؤلفة من مثيري الشعور والعواطف ومهيجي الحماس يسمى هؤلاء بالمحرضين وهم القصاص والقراء والشعراء والخطباء يقصون الأقاصيص الحماسية وينشدون الأشعار المثيرة للحفاظ المهيجة لعواطف الجند المحاربين حتى تتغلغل الحمية في أدمغتهم وقد أستعاض بعض الدول الحديثة عن هذا بالموسيقى المحزنة (الحزايني) فيلقىٰ الخطباء الخطب الرنانة المحببة للتفاني في سبيل إحياء المجد والتفادي لحفظ نظام الدين وحماية الوطن والدفاع عن القومية فيقدمون بجد وشوق وتقدم أمام الجيش نساء مبرزات من ذوات الجلد والنباهة ولهن صوت وصيت وفصاحة يجودن الخطابة في التحريض ويحببن إلى الرجال الصراع في ميدان القتال ويشجعنهم في ساحة الجلاء على النزال لأن النساء مهيجات العواطف في أدمغة الأحرار تسميهن العوام بـ«العماريات» كما صنعت أم عمارة الهمدانية والزرقاء الكنانية وغيرهما يوم صفين، وكذلك كان لرسول الله ﷺ محرضات فإن جيشه لا يخلو من نساء محرضات كأم عمارة النجارية المازنية وغيرها من النساء وقد كان في جيش عتبة أبن غزوان المازني التميمي أمير الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وقائد جيشه الغازي في شرق العراق الذي فتح الأبلة (بليان) نساء محرضات منهن زوجته أزدة بنت الحارث بن كلدة القائلة:

إن يهزموكم يولجوا فينا القلف

وكذلك كانت حروب العرب في الجاهلية قبل الإسلام وباقية لحد الآن في العشائر والحكومات وقد أثرت في عواطف الشعب الفرنسي وأثارت الحماس في قلوب الأجناد الفرنسية في حرب السبعين سنة مع الأنكليز أمرأة قروية فرنسية فتاة فتانة بصباحتها خلابة بلامحها وذلاقة لسانها هي جان دارك الشابة الحلوة الفتانة الفنانة التي ذهبت ضحية المشنقة التي رفعتها عليها أنكلترا الديمقراطية لأنها أثارت حماساً عظيماً في نفوس أهل فرنسا فترجحوا على إنكلترا في الحرب بعد الأندحار ففدت هذه الفتاة وطنها وشعبها بعد أن آل إلى الدمار فلذا يقدسها الشعب الفرنسي وقد كان في جيش سيد الشهداء الحسين بن علي «عليهما السلام»

محرضات منهن العجوز القائلة:

أنـا عـجـوز سـيـدي ضـعـيـفـة

وكأم وهب النمرية زوجة عبد الله بن عمير الكلبي وغيرهما.

ثم يتقدم أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى قواد الجيش وضباط القوات الأمامية والخلفية دفاعية وهجومية بتنظيم كتائبهم من تقديم لابسي الأدراع والجواشن على الحسر الذين لا أدرع لهم ولا مغافر، وتسوية الصف كقص الشارب وهذا النظام أبطله تنظيم البنادق والمدافع الذي يستوجب تفريق الجنود في مواضعها ومكانها فإنه إذا كان صفاً واحداً أو صفوفاً يبيدها الرشاش وأمثاله.

ويأمر «عليه السلام» المحاربين بإشراع الرماح وهذا يقوم مقامها تسديد البنادق اليوم لقذف الطلقة ويأمر بسل السيوف بعد قلقلتها في الأغماد وفائدته الاختبار بسهولة الجذب حذراً أن يستعصي عند المجالدة ومنازلة القرن فإذا حركه تحريكاً قوياً سهل أجتذابه وتيسر أختراطه، وفي القلقة تكون قعقعة للسلاح يحصل بها إرهاب للعدو وتعتريه دهشة كما تحصل من جذب محركات البنادق (الزند) رهبة وإرعاب.

ثم يضع «عليه السلام» الرماة صفين أمام الجيش: صف أهل الأقواس الناشبة، وصف أهل المقاليع المرامية عن يمين القلب ويساره ويصف أهل الرماح في القلب والمجنبتين صفاً واحداً أمام المقاتلة فإن الخيل لا تقدم على الرماح ويفرض على كل محارب تعهد سلاحه من سيف أو رمح أو قوس أو مقلاع وهذا هو عمل الدول المتمدنة في عصورنا هذه فإن القائد للجيش والشرطة معاً يحتم على كل جندي وشرطي تعهد بندقيته والمدفعي مدفعه قبل إطلاق النار حذراً من تعطيل بعض آلاتها في وقت لا يمكن معه الإصلاح.

القسم الثاني: أنظمته في نفس القتال فإنه «عليه السلام» يتقدم بنفسه ويأمر القواد جميعاً بتوصية الجنود المحاربين أن يتلقوا السيوف بالدرق والجحف، وأن يعضوا على نواجذهم عند الضرب، وإذا أُشرعت إليهم الرماح ليلتوا كي تزل عنهم الطعنة ويمور السنان وقد تحدث نصر بن مزاحم في حديث الماء يوم صفين وذكر من قتلهم الأشتر من أبطال أهل الشام، فيقول في مالك بن أدهم السلماني ما نصه[1]: ثم شد على الأشتر فلما رهقه التوى الاشتر على الفرس ومار السنان فأخطأه، الخ.

---

(١) وقعة صفين: ص١٢٨.

ويأمرهم «عليه السلام» أنهم إذا لقوا العدو وعليه الأدراع المشمرة وهي القصيرة التي تبلغ الركب أو أنصاف السوق أن يضربوا سوقهم وخدمهم وهي مواضع الخلاخيل من رجل الإنسان وانهم إذا كانت عليهم دروع كذلك قصيرة غير فضفاضة ولا ضافية على أرجلهم وأعترضت أسياف العدو سوقهم وخدمهم أن يبركوا كما تبرك الجمال ليحموا أرجلهم من السيوف وهكذا حدث في صفين لما عبئت همدان لعك وكانت على عك الدروع المشمرة نادى سعيد بن قيس زعيم همدان: يا معشر همدان خدموا وصاح مسروق العكي زعيم عك: يامعشر عك برك كبرك الجمل، بعد أن أعترضت سيوف همدان سوقهم وخدمهم ويوصيهم «عليه السلام» أن يتساندوا في الحرب أي يجعل كل واحد منهم ظهره سناد الظهر الآخر فيحمي بعضهم بعضاً ويستقبلوا القوم بوجوههم.

وبهذه التعاليم وفي نفس هذا الإرشاد نجت القطعة التي اقتطعها جيش أهل الشام من جيش أهل العراق يوم صفين وجلها من ربيعة فإنه «عليه السلام» شق عليهم صفوف أهل الشام وأستنقذهم لم يفقدوا رجلاً وعلى هذه التعاليم مشت قواد العرب بعده وقد كان أصحاب الحسين «عليه السلام» يوم كربلاء إذا أستلحموا وطوقهم جيش عمر بن سعد تساندوا كما صنع ذلك عمرو بن خالد الصيداوي وأصحابه الثلاثة حتى شد أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين «عليه السلام» واستنقذهم ثم عادوا فأستشهدوا، وكذلك صنع الحر بن يزيد التميمي الرياحي وزهير بن القين البجلي كانا متساندين فإذا استلحم أحدهما جاء الآخر حيث يشد مصلتاً سيفه عليهم ثم إنهم بكثرتهم أقتطعوا الحر من صاحبه فقتلوه ثم قتلوا زهيراً بعده وهذه الفذلكة العجيبة ليست عند الدول اليوم فإن قطعة الجيش إذا طوقها العدو استأسرت والباعث على هذا هو الرغبة في الحياة مع مذلة الأسر وهوان الأستسلام للعدو وقد كان العربي الكريم لا يرغب فيهما وحتى ترنم فارسهم الشاعر في أُنشودته:

هو الموت فأختر ما علا لك ذكره ولم يمت الإنسان ما حيي الذكر

فمن كانت له هذه المهارة الفنية والخبرة الكاملة والمعرفة التامة بالتنظيمات الحربية والدراية الحقيقية بالتدريبات التي يتفوق بها على كل ما هو عسكري وخبير فني من جهة أخذ التدابير اللأزمة والتحوطات التي لا بد منها في ساحة القتال والتي أصبحت محور المدارات للخطط الدفاعية والهجومية في المراكز الحربية الدولية حتى اليوم لا يعاب بعدم المعرفة ولا ينبز بقلة الخبرة، كلا.

إن قريشاً لم تجد طرقاً للقدح في بسالته المشهورة وليس لها مجال لجحود شجاعته البالغة درجة الإعجاز فأنحرفت عن هذه الوجهة وأتجهت إلى خطة هي أدق واخفى منها في رأيها الرائج على من لا علم له ولا إلمام بسبر الحقائق ولا بصر له بتدقيق مباحث التاريخ الحربي فوجهت الطعن إليه بالجهل بأساليب الحرب وفنونها وقدحته بقلة المهارة والخبرة فلهذا أستغرب «عليه السلام» هذه المقالة فقال: وقالت قريش الخ.

والعارف المنصف يرى أن قوله «عليه السلام» هو الصحيح لأن من مارس شيئاً مدة طويلة لا بد أن تحصل له ملكة يمتاز بها على من لم يمارس أو كان أقل ممارسة منه ولا خفاء أن قريشاً إنما نفت عن أمير المؤمنين علي «عليه السلام» المعرفة بفنون الحرب لأمرين:

أحدهما: أنه «عليه السلام» لا يستعمل المكايدة ولا يستحل المخادعة والحيل الحربية التي يستغلها غيره من المحاربين وخصوصاً قريش فإن الغالب في رجحانهم الميداني وتفوقهم الحربي في حروبهم العدوانية إنما هو بالمخادعة والمكايدة ودليله القطعي حروب بني أمية ولا شاهد أعظم من خداع معاوية ومروان وعبد الملك فقد سمعت يوم الفرات وما ذبح أهل المدينة في غارة بسر ويوم الحرة إلا بالخديعة ولا قتل عمرو الأشدق إلا كيداً وخداعاً، فقريش خداعة قريش ماكرة، وعلي «عليه السلام» لا يستحل الخديعة ولا يستبيح المكر.

نقد المؤلف لزعمهم أن الحرب خدعة

وزعمت قريش أن رسول الله ﷺ قال ـ ولم يصح ذلك ـ أن الحرب خدعة وهو مثل جاهلي نسب لرسول الله ﷺ وهذه الكلمة لها عندنا نظران: نظر في الإثبات ونظر في النفس:

أما الإثبات فنذعن بصدورها عنه ﷺ ونسلم أنها قالها مجاراة للخصم فهي مع تسليمنا لها لا تدل على مطلوبهم حيث أنه أخبر فيها عن حقيقة الحرب وأنها خدعة يعني طبيعتها وماهيتها الخداع لا أنه يجوز فيها الخداع كما يقول الطبيب الحشيشة مخدرة فلا يعني إلا وصف خاصيتها لا أنه يأمر بتناولها، وكما يقول القائل: البصرة حارة لا يعني إلا وصف جوها ولم يأمر بإتيانها وهذا شيء متداول في المحاورات عند عامة أهل اللسان: فالحرب خدعة صفتها الخداع لا أنه أمر بالمخادعة فيها.

هب أنا سلمنا ذلك وسلمنا قوله خذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة فلا يعني إلا المخادعة التي يسوغها الشرع وتبيحها الملة لا المحضور شرعاً المذموم عقلاً فإن مورد النص إن كان كما يزعمون ذلك يوم الأحزاب وقوله لنعيم بن مسعود الأشجعي: خذل عنا ما أستطعت فسعى بينهم حتى فرق كلمتهم وشتت شمل أجتماعهم فأنصرفوا متخاذلين وكفى الله المسلمين شرهم؛ فهذا شيء محبوب وهو من الخدع الجائزة والمكائد السائغة بل الراجحة في الدين فإن تصدع جيش جرار بفتل الحازم في الذروة والغارب خير من سفك الدماء وأفضل من إزهاق النفوس.

فأين هذا من خدع معاوية وٱبن العاص وفجرة قريش التي طمسوا بها معالم الدين وأراقوا دماء المسلمين في السهل والجبل، وسبوا المسلمات وباعوهن بيع المشركات فليست الحرب خدعة لهذا الفجور وهذا الجور، هذا لا تقبله الإنسانية جمعاً فكيف تقبله الملة السمحاء ذات العطف والحنان؟ أم كيف ترتضيه نفس النبي الطاهرة ذات الشفقة والحنو على كل حي.

أما من حيث النفي فنقول: كيف يأمر النبي ﷺ بالخديعة وقد نهى عن كل ما يلزم منه وقد ذم الله تعالى المكر والخديعة في كل موضع ذكرها فيه من كتابه المجيد وقوله ﷺ: الإسلام قيد الفتك، والفتك من أهم مطالب الحرب خدعة.

الأمر الثاني عابته قريش بإضاعته الفرصة عند الإمكان كما فعل مع أهل الجمل وصفين وقد ملك شريعة الفرات بصفين فلم يمنعهم كما منعوه من شرب الماء، وكلا الأمرين لا يستعملهما إلا الضعيف العاجز والقوي الفاجر الذي لا يدين له يحجزه عن إرتكاب ما حرم الله، وأمير المؤمنين علي «عليه السلام» لم يكن بالضعيف العاجز ولا القوي الفاجر، ولم يتركهما لعدم علم ولا لقلة إدراك وفهم، ولا عن قصور معرفة بأن الظفر يكون فيهما ويقارنهما الفوز والغلب هو على يقين وكن أنت على ثقة ويقين بأنه «عليه السلام» يعلمه ويعرفه حق المعرفة، ويتركه تديُّناً وترفعاً عن ظلم الابرياء وتحرجاً عن الجور على الضعفاء، فإن جيشاً كبيراً لا بد أن تشتمل جريدته على كثير من الضعفاء والذين أُخرجوا كرهاً، وكثير من المستريبين الذين يرزقون التبصر فيما بعد كما أستبصر أبو نوح وأبو شجاع الحميريان وغيرهما من رجالات أهل الشام فأمثال هؤلاء من المستريبين والمكرهين كنصير والد موسى ٱبن نصير والضعفاء من الخدم والنساء والأطفال والقاصدين للأصلاح بين الجيشين والوارين الحاجات لهم مع أهل الجيوش

كالمطالبة بدين وأقتضاء حق والماردين مع المسافرين ليقضوا وقتاً ثم ينصرفوا بعد الأستراحة، وكل هؤلاء يحتوي عليهم الجيش، والخدعة لا تميز هذه الأصناف من المحاربين المتبصرين وإتلافهم لا تبيحه الشريعة ولا تحل قتلهم.

ألا تسمع قول الله في صرف النبي ﷺ عن مكة يوم الحديبية: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1]. وكما أن الشرع لا يحل ذلك ولا يبيحه فالعقل أيضاً لا يسمح في إتلاف أُناس بذنوب غيرهم، فالخدع والحيل والمكائد في الأستئصال وفي إتلاف الكل إنما يلوذ بها الجبان العاجز، ويتدرع بها الضعيف المستضعف، وأمير المؤمنين علي «عليه السلام» معتمد على حد صارمه، متكل على نصل رمحه، واثق ببأسه وبسالته ومضاء عزمه في الظفر وبالمتصلبين في الديانة من أبطال جنده وفرسان عسكره الذين زحزحوا عسكر معاوية الكثيف على المشرعة وزجوا به في الفلاة الجرداء وهم إثني عشر ألفاً، وجيش معاوية على أقل ما روي مائة وعشرون ألفاً وقيل أكثر، وكله أناخ على شريعة الفرات.

أما أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ذاته فهو القائل: لو ظاهرت العجم على العرب ما وليتهم ظهري.

وهو القائل وقد ليم على اتخاذه درعاً لا ظهر لها: إن وليت عدوي ظهري فلا أبقى الله عليه إن أبقى علي.

وهو القائل لأهل الكوفة بعد تخاذلهم عنه فأنكمشوا في بيوتهم وهناً وذلاً: أنحجرتم في بيوتكم أنحجار الضباب، ويحكم أخرجوا معي ثم فروا عني فو الله لألف ضربة في سبيل الله بالسيف خير من موتة على فراش.

وهو القائل يوم البصرة ذاك المعترك الرهيب والموقف الحرج وقد طلب شراباً فأتوه بعسل، فقال لمن أتى به: إن عسلك هذا لطائفي، فيقول له أبن أخيه جعفر: عجباً منك يا عم في مثل هذا اليوم تعرف العسل الطائفي من غيره! فيقول له: يا أبن أخي! والله ما ملأ صدر عمك من جمعهم شيء.

وقالوا: إنه كان يخفق نعاساً أمام صفوف أصحابه وسهام أهل البصرة كشآبيب المطر حتى قتل أبن بديل وجرح غيره.

وله يقول رسول الله ﷺ يوم خيبر وقد فر صاحباه: لأُعطين الراية غداً رجلاً

---

(١) الفتح: ٢٥.

يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه.

وفيه يقول رضوان خازن الجنان يوم بدر وجبرئيل أمين الوحي أُحد:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

وبه باهى الله الملائكة الكروبيين ليلة مبيته على فراش رسول الله ﷺ عند الهجرة، أمثل هذا يحتاج إلى استعمال المكائد والخداع؟! إنما يخادع من أمتطى فرسه ليهرب فحبسه جنده ومنعوه من الفرار وقد نجا أخوه عشرين فرسخاً في هربه، ومن دعي إلى البراز فنكل وشتم وزيره الذي أشار عليه بملاقات القرن الذي دعاه ويتضاحك يوماً حيث ملأ بطنه من ثيران الغوطة وباقلائها من وزيره ذاك المشير عليه بالبراز فيقول له: ما يضحكك أيها الأمير أضحك الله سنك؟ فيقول: أضحك من جودة ذهنك حيث أتقيت سنان ٱبن أبي طالب بسوأتك! فيجيبه هذا: إني إلى جنبك وقد دعاك إلى البراز فأنتفخ سحرك وتغير لونك وبدا من أسفلك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فأضحك، فهذا الجبان المنتفخ السحر المتغير اللون الذي يبدر أسفله بالنطق قبل لسانه خوفاً ورعباً هو صاحب المكائد والمضطر إلى الخديعة والمكر ليست الحرب خديعة.

ولم يبلغنا أن رسول الله ﷺ كايد عدواً أو خدع محارباً سوى ما زعموا من أمره نعيماً بتخذيل الأحزاب وهذا إن صح فليس من هذا الباب لأن أهل المدينة لما طوقهم جيش الأحزاب أصبحوا في ضيق شديد من الحصار حتى نجم نفاق المنافقين فأحب رسول الله ﷺ سرعة رفع الحصار عنهم بتفرق الأحزاب وانفضاض جمعهم لتحصل لأهل المدينة الراحة السريعة وليست هذه من خدع الحرب ومكائدها وإنما هي من الحزم والتيقظ فإن جيشا لا يندفع إلا بعناء شديد وعنت ثقيل سيندفع بسياسة عاقل مجرب غير متهم عندهم بسهولة وقد كان أمير المؤمنين علي «عليه السلام» يفعل مثل هذا.

أتاه الأحنف بن قيس التميمي السعدي يوم الجمل فقال: يا أمير المؤمنين! أتحب أن آتيك بمن أطاعني من بني سعد فأشهد مشهدك أم أقعد في بيتي وأكف عن قتالك أربعة آلاف سيف تسل عليك من بني سعد! فقال: كف عني بني سعد فكفى بذلك نصرة.

وأرسل عبد الله بن عباس إلى الخوارج وقد أعتزلوه ولم يزل يرسل إليهم مرة بعد أخرى ويمضي إليهم بنفسه حتى تفرق أكثرهم وبقي الأقلون فقتلهم بالنهروان.

فهذه سياسة الحازمين وتلك خديعة المحتالين، إنما الحيل والخديعة مكايدة الأعداء بما يوجب عطبهم كالانسحاب أمامهم كأنه منهزم وقد أكمن لهم الكمناء حتى إذا جاوز بهم الكمين عطف عليهم ويستظهرهم الكمين فيبيدهم أو يشتتهم ويبيِّتهم ليلاً ويطرقهم وهم غارون بدون إنذار أو يرشوا بعض عشاق المال فيدله على عورة فيقتحم عليهم من حيث لا يشعرون كما فعل مروان يوم الحرة وكان في جيش يزيد بن معاوية فإنه رشا بني حارثة فأدخلوا جيش أهل الشام المدينة أو يبثق عليهم بثقاً في سد يندفق منه الماء فيغرقهم أو يرسل عليهم قواذف النار كالمكاحل النفطية فيحرقهم أو يمنعهم من شرب الماء فيهلكوا عطشاً كما جرى لبعض الملوك الساسانية في غزو الهياطلة وغير ذلك مما حرم الشرع أكثرها بل كلها لا تتفق مع دين الرسول محمد ﷺ وأمير المؤمنين علي «عليه السلام» على منهاجه كيف وهو القائل قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها حاجز من تقوى الله وله كلام في معناه.

تعاليم القرآن المجيد وأنظمته

نورد مختصراً من أنظمة هذا الدستور الإلٰهي والقانون الرباني الأعلى لتعرف أنظمته المثلى وإرشاداته العليا فإن فيه تبيان كل شيء، ثم نعقبه بتعاليم معلم الإنسانية جمعاً ومرشد البشرية على الإطلاق نبينا محمد ﷺ ثم نعقبه بتعاليم وصيه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين «عليه السلام» فإن ما قدمناه هو كلامنا الذي اقتضبناه من كلامه ولا بد من إيراد ألفاظه في وصاياه ليتقن القراء ذلك النظام إتقاناً ويتيقنه تيقناً ويعرف أن ما ذكره من الكلام هو تفسير لما نورده هنا.

نظام القرآن ومِثْله العليا:

قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1]. هذه الآية الشريفة لو شرحت تفصيلاً لجاءت وحدها كتاباً تمرينياً مفصلاً بديعاً لأنها بلفظها الوجيز آمرت بكل ما توجد به القوة على العدو وإرهابه، أما الخيل فمعلوم إنها بوقع حوافرها تثير الدهشة وتودع الرعب في قلوب الأعداء وهذا أمر وجداني محسوس فإن وطئها على الأرض وضربها بحوافرها عند الإغارة يوجد من الإرهاب في تلك الأزمنة والعصور ما لا يوجده ذوي أسراب الطائرات وأرتال الدبابات والسيارات اليوم وليس الأمر في هذه الآية مختص

(١) الأنفال: ٦٠.

بالاستعداد من الخيل بل هو عام لجميع ما ذكرنا من الآليات الجديدة والمخترعات الحديثة لأن الجميع من القوة ومن الأدوات الإرهابية، وإنما ذكر الخيل لأنها المعروفة في زمن الخطاب ووقت التكليف بالجهاد في صدر الإسلام ومعنى الأمر عام لكل ما فيه قوة من الأسلحة النارية وما فيه إرهاب من الأليات ولفظه خاص.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾[1]، والثبات في الزحف وجبهات القتال مما تمرن عليه الدول الحرة اليوم جنودها وتمتاز به شعوب على شعوب وأُمم على أُمم، وليس الأمر بالثبات هو توطئة النفس وتطمين القلب وتقويته على الأستهانة بالموت خاصة واستسهال سبيل ملاقات الحتف فقط بل المراد بالثبات تهدأة الحواس واستحضار الشعور والإحساس لمعرفة فنون الحرب فإن من الثبات يحصل كمال الاطمئنان للنفس الجائشة والقلب الطائش، وبه يحصل سكونه من الاضطراب المذهب للتروي والتفكير، فإن المحارب إذا ثبت واطمأن وكان ماهراً فنياً ومدرباً حاذقاً، أستعمل تفكيره وأخذ التدابير والتحوطات للظفر والنجاة معاً وعرف كيف يحتاط لنفسه ولجنده عن العطب، وكان على حذر من غوائل الحرب من الخدع والمكائد سريع الالتفات إلى ما يكتنفه من المتألف، ويحدق به من المهالك التي ترصدها له أعداؤه فيسلم من غائلة الوقوع في أشراك الأعداء التي يجر إليها غالباً نفس الاضطراب القلبي والانزعاج العضوي الحيوي محفظة التفكير ويدرك أيضاً إذا كان كامل الثبات مضار التهور في الإقدام بدون منفعة كبيرة وبدون فائدة موثوق ببلوغها، فالثبات معدل الأستقامة وسمت وسط بين التهور والانزعاج يمكنه من النظر في كيفية مقاومة الأعداء ومكائد الأضداد.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[2]، في هذه الآية الكريمة من فنون الحرب وطرق الفوز والظفر والانتصار على الأعداء والنجاة من الأخطار ما لا يخفى على عارف بأساليب الحرب:

أولاً: قتال الذين يلونهم ويكونوا في جبهتهم من الكفار يسبب لهم الظفر والسلامة من حيث أنهم إن قاتلوا غير من يليهم أستدبرهم من يليهم ووقعوا بين خطرين أحدهما من الإمام والثاني من الخلف وفي ذلك العطب فإذا قاتلوا من وليهم ولم يمكنوه من ظهورهم لم يبالوا، ولو أجتمع عليهم الكل إنما المضر

(١) الأنفال: ٤٥ (٢) التوبة: ١٢٣.

التطويق التطويق ولو أستقبلوا الجميع من وجه واحد لم يبالوا بهم لأنه إما أن تكون الغلبة لهم أو الانسحاب بانتظام تقهقراً على أعقابهم فينجون من الضرر وإنما الضرر من التطويق لأنه إما الإبادة أو الأسر فإن من أكتنفه العدو من أمامه ومن خلفه هلك إما قتلاً أو أسراً وقد أوقفك التاريخ على ما أصاب أصحاب النبي ﷺ يوم أُحد.

ثانياً: إن قتال من يليهم يسهل عليهم الظفر ويقرب الفوز لهم بالأعداء لأنهم إما أن يستولوا عليهم فيضعف العدو المتأخر عنهم في الجبهة الأُخرى أو يهزموهم فيلحقوا الرعب بالآخرين ولا ينفع المهزوم أصحابه وإنما يلحق بهم ذلاً ورعباً، وربما هزم المنهزم بهزيمته الثابتين كما ورد مثل ذلك في صفين أنهزمت ميمنة أهل العراق لأهل اليمن فمضى أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى الميسرة وفيها ربيعة ليقوي عزائمهم فأنكشف القلب وفيه مضر راجع التاريخ.

وإما أن يصدوهم ولا يمكنوهم من الحصول على فائدة وهذا أيضاً يوجب ضعف همة العدو ويفل من حده ويكسر حدة جرأته وإما أن يقتلوا فترتفع عنهم اللائمة لأخذهم بالحزم وسلوكهم طريق اليقظة والاحتراس، ومن أخذ بأحوط الإمرين فهو ممدوح على الحالين غَلَبَ أم غُلِب.

واما الواغل في العدو المتوغل في صفوفه فإنهم يتعطفون عليه ويتداعون من كل جانب فإما أن يقتل أو يقبض عليه، وما يمدح به من الجرأة والإقدام لا يقابل ما ذم به من التهور وعيب عليه من الإفراط.

ثالثاً: أنه آمر بالغلظة على الكفار وأراد بها الشدة في الحرب لا شراسة الأخلاق والشدة أينما وقعت فهي فعالة تأثر آثرها وإن قل عدد الأشداء، ويدلنا أنه أراد من الغلظة هي الشدة وقوله في الآية الأُخرى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾،[1] وقد قال الشاعر في مرثية شهداء الطف:

أشداءكم حلوا معاقد شدة بشد المواضي قبل شد التمائم

وقوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[2] الآية.

بيّنت هذه الآية الكريمة بعد النهي عن الهزيمة فنين من فنون الحرب عظيمين:

---

(١) الفتح: ٢٩. (٢) الأنفال: ١٥.١٦.

أحدهما: التحرف والأنكماش إلى ناحية يأمن بها من العطف أو يصيب بها غرة من العدو وتسميه العرب بالمحارف، وهذا يتصور على نحوين:

(١) أن ينسحب ويظهر لعدوه أن انسحابه رهبة منه وخوفاً منه أو يأساً من الظفر فيه لاعتصامه في الخنادق والمواضع الحصينة الأستحكامات حتى إذا تبعه العدو كر عليه كما صنع المسلمون بالفرس في موقعة تهاوند التاريخية، وكان شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي رأس الصفرية يفعل ذلك في حروبه مع الحجاج فإنه يفر أمام جيوشه حيلة فإذا أوغلوا في طلبه وهم على غير أنتظام كر عليهم فأبادهم وشتتهم.

(٢) أن يدع المحارب بعض أصحابه في وجه العدو يشغله بالمناوشة معه ويستدبر هو راجعاً منهم ليأتي العدو من ناحية أُخرى قد أغفل الاحتراس منها فيصيب منه غرة وينال مقصوده وهو الظفر.

وكلا الأمرين من أساليب الحرب التي يمرن عليها إلى اليوم وتدرب عليها القوات في عصورنا هذه فبينا أنت تسمع بالتقاء جيشين في نقطة من نقاط الحرب إذ سمعت بأنفصال قوة إلى جهة أُخرى قد تستوجب أنسحاب القوة المرابطة وقد تستوجب أنقسامها إلى ملاقات تلك ومرابطة هذه.

ثانيهما: التحيز إلى فئة يعني ينحاز إلى كتيبة من كتائب أصحابه أو يلتحق بجمع من جموعهم في ناحية أُخرى يتقوى بهم على العدو فإن في أنفراده عطبه وهلاكه، وفي عطبه وهن جيش المسلمين فيرجع مستدبراً لعدوه ليلتحق بالمحاربين من أصحابه أو ترجع قطعة من الجيش كانت واغلة في جيش العدو أو منفردة من قطعات جيشها ووحدانها أو مصحرة للأعداء فلا يجوز أن تقيم في نحر العدو القوي الشكيمة الشديد النكاية والبطش إذ لا تقدر على مقاومته منفردة فتنضم إلى بعض وحدات جيشها وإلى أقرب قطعة من قواتها إليها كما صنع أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» الذين كانوا في مقدمته إلى صفين فإنهم ساروا على خط البادية وسار أمير المؤمنين علي «عليه السلام» على طريق الجزيرة وكان نهر الفرات يفصل بينهما فأستقبلهم جيش أهل الشام ومع معاوية جميع الفيلق وكان كبيراً جداً، فقال قائلاً مقدمة أمير المؤمنين علي «عليه السلام»: ما هذا لنا برأي يلقانا عدونا ونحن منقطعين عن أمير المؤمنين «عليه السلام» وبيننا وبينه البحر ـ يعنون الفرات ـ فعبروا إليه ولحقوا به فصوب رأيهم.

وبيّن تعالى كيفية الاحتراس من العدو كما في آية تشريع صلاة الخوف في

قوله جل اسمه: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾،[١] ثم يقول في الأمر بالاحتراس: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾[٢] الآية، وهذا بيان واضح أن قائد الجيش الديني لا يجوز أن يهمل الفرائض ولا بد من تأدية الصلاة لكنه يكون حذرا متيقظا يراقب حركة العدو فإن العدو يترقب الفرصة ويتطلب الغرة ولا بد له من أن يقيم قوة في وجه العدو تكفي لدفعه ودحره لو أراد هجوما، وكيفية صلاة الخوف يرجع إلى معرفتها إلى كتب الفقه.

وبيّن تعالى كيفية القتل كما بين كيفية القتال فقال: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[٣] الآية الشريفة، وهذا ظاهر فإن الضرب على العنق قتال، والمضروب على عنقه لا ينجو إلا نادراً، والدول لو كان تمرينها على كيفية الضرب بالبنادق وإطلق الرصاص والقنابل لكن لا بد لهم من علم هذه الكيفية لأجل النجاح فكم بين من أطلاق الرصاص على مقتل كالرأس والقلب، وعلى معطل عن أستعمال الآلة كاليد، وبين إطلاقه على غير مقتل ولا معطل كالفخذ وما ماثله من الأعضاء التي لا تؤثر قتلاً وتعطيلاً؛ فلا بد من تمرين الجندي على تعيين هدف الرمية من جسد العدو عند إطلاقها، وأما إذا آلت النوبة إلى استعمال السلاح الأبيض فلا بد من الأخذ بما ذكره الله في كتابه وليس ذكر العنق والبنان مختص بالضرب بل هو عام لكل مقتل ومعطل وإنما ذكره لأنه أظهر أفراده.

وعطف البنان على العنق الحامل للرأس وعلة حركته وهو أشرف الأعضاء دليل على أن البنان هي قوة اليد التي هي أشرف الأعضاء الظاهرة بعد الرأس وبدونها لا تنفع شيئا، فقطع الأصابع تعطيل لعمل اليد وفيها إشارة لما فيها من أسرار تشريحية وقد ذكر إبراهيم الراوي في كتابه الفلسفة الإسلامية لإظهار الحقانية[٤] أن عليها مدار الأعمال وبها قوام الأشتغال وذكرنا كلامه بطوله في كتابنا «إعجاز القرآن»[٥].

ثم بين تعالى كيفية لقاء العدو وما ينبغي أن يفعل المحارب في قوله تعالى:

---

(١) النساء: ١٠٢.
(٢) الآية نفسها.
(٣) الأنفال: ١٢.
(٤) الفلسفة الإسلامية لإظهار الحقانية: ص١٨.
(٥) إعجاز القرآن فيما اكتشفه العلم الحديث من أسراره، مطبوع في مجلدين والمجلد الثالث مخطوط ـ الناشر ـ.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾[1] الآية الكريمة، والأمر فيها ظاهر من أنه ليس للعدو المحارب إلا القتل حتى يثخن فيه فإذا عظم القتل فيهم ضعفوا فإذا ضعفوا أسلموا أنفسهم للاسر، فإذا أسروا فالتخبير بين إطلاقهم بفدية وتسميه العوام (خسر) وإما مناً عليهم أي يطلقون مجاناً حتى يعرفوا قدر فضيلة الإسلام ليرغب فيه العاقل، وهذا منهج من مناهج الفضل الذي أسداه القرآن المجيد إلى الإنسانية والشفقة عليها وإن كانت جادة في حربه جاهدة على كسر شوكته.

وبين سبحانه كيفية العمل مع أهل الكتاب المتمردين على الإسلام والخارجين عن حدود أحكامه والمحاربين لأهله كما بين قتال المشركين بما سمعت فقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[2]، فدلت هذه الآية على أن السيف لا يرفع عن كافر أهل الذمة إلا أن يؤدي الجزية وهي ضريبة يفرضها عليه النبي أو الإمام أو أحد الأُمراء المسلمين بما تقتضيه المصلحة، وعرفنا منها ومن سابقتها أن المشرك المحارب لا يقبل مهه إلا الإسلام فإن أمتنع فالسيف، والكافر والكتابي يدعى إلى الإسلام فإن أمتنع طلب منه الجزية فإن أبي فالسيف، وهذه يد بيضاء أسداها إلى اليهود والنصارى وهم أهل جحود وكفران ما قابلوه إلا بأسوء المقابلة كما هي عادة كل لئيم ودنيء، وإلا ما قيمة دريهمات يحقن بها دمه ويحتمي بها من أعدائه وتصان حرمته وتضمن له حرية دينه وتحفظ أمواله؟ وهل تزيد على ضريبة الدخل وضريبة الأموال التي تأخذها الدول من رعاياها وأهل دينها ولكن سقى الأفعى عسلاً نفث عليه سماً، ومن صب ماء على نار رمته بدخانها.

وبين تعالى قتال البغاة في قوله: ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[3] الآية، وبهذا أحتج معاوية على سعد بن أبي وقاص لما قال له: لم تشهد معنا قتال عدونا؟ فقال سعد: مثلنا كمثل رجل أصابته ظلمة فقال لجمله أخ فأناخ، فقال معاوية: والله ما في كتاب الله أخ وإنما فيه ﴿وإن طائفتان من المؤمنين أقتتلوا﴾ فوالله ما قاتلت الباغية ولا نصرت المبغي عليها، فأفحمه.

وبين تعالى كيفية قتال من أظهر الإسلام نفاقاً فقرنه بالكافر فقال: ﴿جَٰهِدِ

---

(١) محمد ﷺ: ٤.
(٢) التوبة: ٢٩.
(٣) الحجرات: ٩.

﴿ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[١] جهاد الكفار معلوم، وأما جهاد المنافقين، فعن ٱبن عباس: جهادهم باللسان بالوعظ والتخويف، وعن البصري وقتادة: جهادهم بإقامة الحدود، وعن ٱبن مسعود: هو بالأنواع الثلاثة حسب الإمكان؛ ذكر هذه الأقوال الشيخ الطوسي في التبيان.

وهذه الأقوال نسبت لمفسرين على أنها آراء لا روايات فإذن دلالة العطف تقتضي الاشتراك؛ فجهاد المنافق الذي يستحل محارم الله جهاد الكافر الجاحد للربوبية والنبوة يردعان بحد السيف ليدين هذا بالتوحيد وذاك بالعمل ولم يحارب النبي ﷺ المنافقين لعدم شوكتهم ولأنهم لم يعلنوا له حرباً وهدم مسجدهم المعروف بمسجد الضرار ووعده الله أن يغريه بهم فستر عليهم بعد قوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾[٢]، وقوله: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٣]، فالذي جاهد المنافقين هو أمير المؤمنين «عليه السلام» وقد قال رسول الله ﷺ: إن منكم لمن يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله.

فقالوا: من هو يارسول الله؟ قال: خاصف النعل، وكان علي «عليه السلام» يخصف نعل النبي ﷺ، وهذا حيث يقول عمار بن ياسر في يوم شهادته:

نحن ضربناكم على تنزيله واليوم نضربكم على تأويله

وهذا شيء فصلناه في غير كتاب من كتبنا.

وبين تعالى كيفية قتال رؤساء الضلالة بقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾[٤] وأئمة الكفر هؤلاء هم رؤساء الضلالة الذي أتخذوا مال الله دولاً وعبيده خولاً، والحدوا في دينه وأباحوا المحرمات وتركوا الطاعات كلياً.

وبين تعالى كيفية قتال الخوارج والمفسدين من اللصوص وقطاع الطريق ومخيفي السبل بقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾[٥] الآية، كيفية الحكم فيها أن يقتل بالسيف أو غيره من السلاح في الحرب فإذا ظفر به وأُخذ قبل أن يرجع تائباً نادماً يُصلب أو تقطع أحد يديه وإحدى رجليه مخالفاً بينهما بمعنى إذا قطعت اليد اليمنى تقطع الرجل اليسرى

---

(١) التوبة: ٧٣.
(٢) التوبة: ١٠١.
(٣) الأحزاب: ٦٠.
(٤) التوبة: ١٢.
(٥) المائدة: ٣٣.

وبالعكس، أو ينفى من أرض الإسلام إذا لم يستسلم بأن يطرد بالقوة عن أرض الإسلام فيبعد قهراً وبالقوة، وإن تاب قبلت التمكن منه قبلت توبته وسقطت عنه هذه الأحكام على مناقشات طويلة فقهاء الإسلام.

وبين تعالى أن إخافة المشركين واجبة عموماً وقتلهم واجب في كل مكان فإن لم يتمكن من قتلهم فطردهم وهذا حيث يقول: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾[١] وحيث يقول: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾[٢]، وحيث يقول: ﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾[٣] يريد لا تتركوا لهم ملجأ يلجئون إليه ولا طريقاً يسلكونه إلا ملكتموه عليهم.

وتتضمن هذه الكيفية المتضمنة لها هذه الآيات نوعين من الحصار: حرب السلاح وحرب الأقتصاد، أو حصار القوة وحصار قطع المادة: فآية تأمر بالنفير العام وهي «قاتلوا المشركين كافة»، وآية تأمر بالنفي والطرد عن مملكة الإسلام وهي «أخرجوهم من حيث أخرجوكم»، وآية تأمر بالتشديد على المشركين وهي «أُقعدوا لهم كل مرصد» يعني في كل وقت وفي كل موضع حتى يسلبوا الراحة والأمان ويعمهم الرعب والقلق فيدخلوا في دين الإسلام رهبة من سطوة المسلمين.

وأما حرب الاقتصاد فقد حاربهم النبي ﷺ بها فقطع عليهم طرق التجارة والميرة من العراق والشام والجزيرة ونجد وحتى الطائف بعث سرية عبد الله بن جحش تتعرض لقافلة قريش فأصابتها بنخلة قرب الطائف.

وبين تعالى القتال في الأزمنة وما يحل ويحرم وإنه قد أحله للمسلمين مقابلة لعدوان المشركين عليهم فقال: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[٤] فالمعتدي يجازى بمثل فعله ويقابل بمثل عمله ولو في الأشهر الحرام التي هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم.

وقال في آية أُخرى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[٥] فمقابلة لهذه الأفعال التي أرتكبها المشركون من صدهم عن سبيل الله يعني ينهون من أراد الإسلام عنه وإظهار كفرهم بالله وأستحلالهم

---

(١) البقرة: ١٩١.
(٢) التوبة: ٣٦.
(٣) التوبة: ٥.
(٤) البقرة: ١٩٤.
(٥) البقرة: ٢١٧.

المسجد الحرام بأعمال الرجس والشرك وإخراج أهله وهم المسلمون منه وفتنة من أسلم عن دينه قهراً كل هذه أحلت للمسلمين قتلهم في الأشهر الحرم.

وبين تعالى القتال في الأمكنة كما بينه في الأزمنة فقال: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١] فأباح للمسلمين القتال في حرم مكة وبين الشرط في إباحته وهو إذا خرق المعتصم به حرمته ومن خرق الحرمة وهتك ستر الاحترام يقتل مقايضة له بعلمه وتنكيلاً له بفعله في هتكه الحرمة المحترمة وعدم مراعاته لحقوق تقديس الكعبة.

ويختلف الفقهاء في مفاد هذه الآية: فمنهم من يراه عاماً لسائر العصور والأزمنة متعللاً أيضاً بقوله ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢]، والعذاب الأليم هو القتل، ومنهم من يذكر أنه من خصوصيات النبي ﷺ وأنه خطب خطبته المشهورة بتحريمها وقال: أُحلت لي ساعة من نهار ويصرف معنى الآية في الملحد إلى الحصار والتضييق حتى يخرج من الحرم وهو العذاب الشديد، ولا يهمنا الترجيح بين القولين فإنها مسألة فقهية تخالف ما نحن فيه.

وبين تعالى كيفية الإنذار قبل إشهار الحرب بقوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[٣] ومعناها ظاهر وألمعنا إلى ذلك في مقدمة البحث في كلمتنا التمهيدية.

وبين الله تعالى الغرض من القتال الديني والغاية المقصودة منه إذ كل محارب لا بد له من غاية ومقصد بقوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[٤]، فبيّن سبحانه أن الغرض من قاتل المشركين قطع جراثيم الفتن المنشعبة بالأهواء المضللة والمكتنفة بالآراء الفاسدة المقترنة بالعمل الجبروتي والفعل العدواني الجائر وذلك أن مردة قريش وطواغيت العرب كانوا يفتنون الرجل المسلم عن دينه بأن يعذبوه بأنواع التعذيب فمن ضعفاء المسلمين من ثبت تحت العذاب على دينه حتى نجا، ومنهم من مات في التعذيب، ومنهم من أعطاهم بلسانه وأعتقد بقلبه حتى نجا، ومنهم من أفتتن وهلك على فتنته مرتداً.

ومن هؤلاء المفتونين فتية من قريش قتلوا يوم بدر من المشركين منهم علي بن أُمية بن خلف الجمحي والعاص بن منبه ابن الحجاج السهمي والحارث بن زمعة بن الأسود الأسدي أسد قريش وأبو قيس بن الفاكه ابن المغيرة المخزومي

---

(١) البقرة: ١٩١.
(٢) الحج: ٢٥.
(٣) الأنفال: ٥٨.
(٤) الأنفال: ٣٩.

وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة الخزومي أخو خالد بن الوليد قتلوا كلهم ببدر مع المشركين فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[1].

وبقتل الجبابرة وإبادة العتاة يحصل الاجتماع على دين الحق وهو دين الإسلام، هذه هي الغاية الشريفة التي يقصدها المؤمنون بجهادهم وينحوها الموحدون بقتالهم، وليست بغايات الاستعباد الغليظة ولا بمقاصد الاستعمار الجائرين التي يقودها الشره العدواني والجشع السبعي الذي يفغر فاة ليلتهم الأقطار المغلوبة وينشب براثن جوره ليستعبد الشعوب المقهورة ويلتهم مرافقهم الحيوية التهام الكواسر للعصافير، ويشفي نهمة عدوانه بالتشفي من أعيانهم ونابهيهم كما تشتفي الأفعى بمص دم الضفادع، ولنقتصر من تعاليم القرآن الحربية على ما ذكرنا وندع كثيراً إلى موضع آخر.

تعاليم النبي محمد ﷺ وأنظمته

أما تعاليم سيدنا ونبينا رسول الله ﷺ فكثيرة ونحن نورد بعضها إيثاراً للاختصار:

ومنها: كتابة الجند وإحصائهم في السجلات فعله النبي ﷺ وبقي دستوراً لمن بعده ويسمى ديوان الجند، أي دفتر النفوس أو دفتر الجندية خاصة وهو اليوم دائرة عسكرية من أكبر الدوائر التي ترتبط بوزارة الدفاع وكانت قديماً على هذا الشكل سوى أنها لم تكن إجبارية بل كانت اختيارية يسجل فيها إسم الجندي ونسبه ولقبه وسنه، وإنه من المرتزقة براتب مقدر، حدث بعد عصر النبوة عند ولاة الأُمر وفي عصر النبوة كان بحصة من المغنم أو ما يقسم من الحقوق أو متطوع والمتطوع هو المحارب المجاني يجاهد أحتساباً ويتصدق براتبه على أهل الإسلام، وبعد عصر النبوة يوفر به على صندوق الدولة ومثل هذا يسمى بلسان العامة في هذا العصر فزاع، والجيش المتطوع فزع، والاستنفار له فزعة، فيسجل المتطوع كما يسجل المرتزق، وتسجل الغزوة التي يريد أن يغزوها الأمير ووظيفة الجندي في الجيش وعطاء المرتزق وهو راتبه ويسمونه رزقاً وعطاءاً وإنما سموه كذلك لأن الدين يفرض عليهم الجهاد وأُجرتهم فيه الثواب الأُخروي، فكأن هذا

---

(١) النساء: ٩٧.

الراتب المدفوع إليهم مجانياً في نظرهم لا استحقاقاً بالخدمة في الجيش فكان عطاءاً ورزقاً.

وتسجل صفة الجندية مؤقتة أم دائمية فإنهم لا يعتبرون حداً للأسنان إذا سلم من درجة الضعفين المفرطين الطفولية والشيخوخة، وهذا الدائم يقال له المرابط ولا يختص بمن لازم الثغر وإن اشتهر به، ويقال له الدائمي أيضاً ويسمى الموقت بالغازي، وإذا رجع الغازي يرجع إلى بيته فإذا جاءت غزوة ثانية نظر الأمير في ديوان جنده فطلب المسجل إسمه ويسجل الصنف كالخيالة والمشاة ومهنته كالحدادة والنجارة.

هذا ما عرفناه في صدر الإسلام، وتطور الوضع بتطور المقتضيات وترقي بحسب الأزمنة والحاجات حتى إنتهى إلى عصورنا هذه فزيد على تلك القيود تاريخ بدء الخدمة وتاريخ الولادة والجنسية أي التابعية وأسنانه التي يكون بها صالحاً للخدمة ومشخصاته البدنية كأعور اليمنى مثلاً أو في صدره شامة سوداء أو في جبهته شجة، وربما أعتنى بها القدماء أيضاً فيكتبون أعلم الشفة العليا أو السفلى يعنون الأثرم مشقوق الشفة، ويقولون: الأثرم يعنون ساقط الثنية، ويزيد في هذا العصر صفة قده أي قامته كطويل أو قصير أو مربوع، ولونه كأبيض وأسود أو أسمر الخ.

وربما سجلها القدماء ولكن مقيدة بما إذا اتفق إسمان وأتفق إسما أبويهما وبلادهما يضرعون لهذه المشخصات لأجل التفرقة، ونقص اليوم صفة اللباس لأن ألبسة الجند متفقة على لون واحد وشكل واحد هو رسم الحكومة وشارتها، والقدماء إلى عصر بني العباس كانت جنودهم مختلفة الألبسة فيسجلون ألوانها كصاحب القباء الأحمر، والطيلسان الأخضر، والطيلسان الأزرق، والقلنسوة البيضاء، ويسجل اليوم فرقة الجندي ولوائه وفوجه وسريته وفصيلته وصفة صنعته كمسلح أو ساق أو طاهي، وفي المشاة أو الخيالة أو المدفعية أو المخابرة إلى أمثالها على أن القدماء يكتفون بأسم الجيش والأمير الذي هو تحت قيادته.

ويدلك عليه ما كتبه الفرزدق إلى بعض القواد في الهند في إطلاق رجل إسمه حبيش وحيث لم تكن السجلات كافية لتشخيص الجندي وكان حبيش جماعة وخميس آخرون وهو يشتبه بحبيش، أطلق القائد كل من هو بهذين الإسمين إكراماً للفرزدق وسرحهم، وأنظر القصة في كامل المبرد.

أما نبينا محمد ﷺ وهو الشارع والمشرع ونظامه النظام الإلٰهي فلم يأمر

بكل هذا بل أمر بتسجيل إسم الغازي المتطوع واسم أبيه ورهطه وبلده ليعرف إذا فقد أو أُسر أو قتل وكل هذا عظيم عميم الفائدة.

قال الشيخ محمد بخيت المطبعي في حقيقة الإسلام وأُصول الحكم[١]: عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: أكتبوا لي من يلفظ بالإسلام، فكتبنا ألفاً وخمسمائة رجل.

وعن آبن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر امرأة إلا مع ذي رحم، فقام رجل فقال: يارسول الله! إن أمرأتي خرجت حاجة وإني أكتتبت في غزوة كذا وكذا، فقال ﷺ: إنطلق، فحج بامرأتك.

وكان حذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ، إنتهى.

فرض العطاء والرزق وهو تقرير راتب الجند الشهري أو المعاش كما يسمى أحياناً، وفرق بين الصدر الأول والإسلامي ونعني به النبوة والخلافة الأولى وعصر الدول بعدها لحد الأن: إن عصر النبي ﷺ وأمير المؤمنين علي «عليه السلام» والخلفاء هو أنهم يحصون أسماء المسلمين في سجل ويقسمون الواردات عليهم بالسواء بلا مفاضلة فهذا هو العطاء والرزق، وفاضل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فزاد أهل السابقة والبلاء والغناء في الإسلام فزاد بعضاً ثم سرت في الملوك، وهذا ما سمي فيما بعد بشرف العطاء، ثم أمال محورها الخليفة الثالث إلى حيث يشتهي ففضل رهطه وأخصائه ولم ينظر في السابقة والبلاء، فكان هذا أول أستبداد منفر وأول عمل جائر يمس بكرامة الأُمة ويحط من مكانة رجالها، فإن من يرضى بتفضيل البدري والبطل العظيم عليه لا يرضى بتقديم الطليق والشاب الغر الذي لم يمارس الحروب، فكان هذا أول أفتراق في أُمة الإسلام.

ثم آل الأمر إلى الملوك وتحولت الخلافة سلطنة، والإمامة ملكاً، فرأوا تشييد الملك الاستبدادي بالسياسة الدنياوية الجائرة أولى من رعاية الحق وجبر الدنيا بثلم الدين، ضالتهم المنشودة وهو فوق جبر الدين بثلم الدنيا فجندوا الأجناد وقرروا الرواتب ووزعوها على حسب مقدرة الجندي ومقدار وظيفته من جندي بسيط إلى فريق ركن، من ضابط عادي إلى وزير دفاع، ثم الفاضل على هذه الرواتب والمخصصات يوضع في خزانة الدولة وصناديق الملك ليصرف شطره الأوفى في سبيل لذاته ويبقى الباقي للنوائب وقد يتنفذ الإسراف في الخلاعة كل

(١) حقيقة الإسلام وأُصول الحكم: ص١٤٢.

مال الدولة فتضعضع كيان الدولة وتضعف.

وقد كان بيت المال في عصر الخلفاء بعد أن توفر دخل الجباية في الفتوح يجمع للتقسيم على الأُمة لم يختص به المحارب ويوزع على المسلمين عموماً رجالاً ونساءً، أقوياء وضعفاء، وخزينة الدولة الأموية تقليداً لأولها توزعها لمصلحة السياسة فقط، أما النبي محمد ﷺ وعلي بن أبي طالب «عليه السلام» فلم يرصدا من الأموال شيئاً لحاجة الدولة وفقرها كما رصده الخليفتان أو الخليفة الثاني بل تقسيمه عندهما متعين في حال وقته وهذه سياسة الدين وهذه قاعدة العدل.

قال المطبعي[1]: عن عوف بن مالك: إن رسول الله ﷺ كان إذا أتاه الفيء قسمه في يومه فأعطى الآهل حظين وأعطى الأعزب حظاً، فدعينا وكنت أُدعى قبل عمار فدعيت فأخذت حظين وكان لي أهل فدعي بعدي بعمار بن ياسر فأُعطي حظاً واحداً.

ثم قال المطبعي: فثبت بهذا أن النبي ﷺ آمر بكتابة الناس في الجيش وأنهم كتبوا في عصره وأنه ﷺ كان يقسم الفيء، وهذا لا ينافي ما قاله أهل السير من أن عمر أول من وضع الديوان في الإسلام وفرض الأعطيات فإنهم إنما يعنون أنه دون الدواوين للعطاء ورتب الناس فيها، والذي كان في عهد رسول الله ﷺ كتابة الناس بإحصاء من تعين في البعوث والغزوات لم تكن في وقت معين حيث لم يكثر الناس كثرتهم أيام عمر، ولا جبيت الأموال ولا تأكدت الحاجة وإلا فأصل الديوان ونوعه موجود في عهد رسول الله، وكتابة الأسماء فيه بعد عرضهم عليه موجود، إنتهى.

هذا اعتذار عن عمر لا يروج إلا على البسيط الساذج الذ حرم الإرشاد والأهتداء بنور الحقيقة والاستضاءة بشعاع العلم والمتعصب خارج عن سمت الأعتدال ومتنكب عن جادة الإنصاف، وكيف ينصح غيره من غش نفسه، وأنّى يرشد سواه من أضل نفسه، هؤلاء أُناس يسرهم وصف عمر بالكامل وإن وصف النبي ﷺ بالنقص، ويرضيهم القدح بالرسول إذا أحترمت شخصية عمر،اللهم أشهد إنا نشهد لنبيك محمد ﷺ بالكمال ولغيره بالنقص مهما كلفتنا السلطة الضيقة من العنت.

أيها المسترشدون دعوا الطيش وجانبوا الزيغ، إن الديوان الذي كان في عهد

(١) حقيقة الإسلام وأُصول الحكم: ص١٤٣.

النبي ﷺ كان على ميزان العدل وقدم المساوات بين أهل الإسلام وعدم المفاضلة وصريح أقواله التي منها المسلمون أُسوة ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وأما ديوان فديوان الانحراف عن سمت العدل والميل عن خط الإنصاف، فصح ما قال أهل السير أول من دون ديواناً عمر يعنون به المفاضلة وبهذا كان أول ديوان شط عن المساواة الإسلامية وأنحرف عن فرض القرآن والسنة إلى الآراء الكسروية والقيصرية فهو كما قالوا: أول من أخذ بالسياسة الكسورية[١] وبقيت الدواوين فارسية حتى عربت في زمن بني أُمية، والحكايات مبثوثة في صحائف التاريخ.

وقصة لبيد بن ربيعة والأغلب العجلي التي ذكرها ٱبن سلام الجمحي في طبقات الشعراء وغيرها، وفيها: إن عمر آمر عامله أن يحط من عطاء الأغلب خمسمائة ويزيدها في عطاء لبيد، والنبي ﷺ لا يرى مثل هذا من العدل، ولو قال أحد الرجلين أقترحوا علي من الشعر ما شئتم أقوله رجزاً كان أو قصيداً، وقال الثاني كفاني كتاب الله عن قول الشعر فهذا لا يعاقب بهضم راتبه وذاك لا يجازى بمغصوب من حق صاحبه، هذا لا ترضاه عدالة النبي ﷺ وإنما يرتضيه جنف السياسة.

ومن أنظمة النبي ﷺ عرض الجيش وحيث لم تكن الجندية في عهد رسول الله ﷺ والخلفاء إجبارية وليست هناك دوائر للفحصين الأبتدائي والنهائي، ولا دائرة للفحص الطبي وليست الأعذار فيها كالأعذار اليوم من الإعالة وأمثالها إنما هي الأعذار التي ذكرها القرآن من العمى والعرج والمرض حيث يقول: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾[٢]، واعذار أُضيفت إليها من النبي ﷺ لأن الخدمة في الجيش اختيارية جهاد على الدين فيعرض عليه الجند المتطوع فيرى من بلغ سن القابلية للقتال وهي الستة عشر يعني إكمال الخامسة عشر أجازه في الجيش، ومن نقص رده كما صنع يوم بدر وأُحد وغيرهما على ما ذكره أهل السير، وكذلك الطاعن في السن من المشائخ لا يجيزه لضعفه عن تحمل أعباء الحرب، فقد خلف يوم أُحد في المدينة حسلاً المعروف باليمان والد حذيفة ثابت بن وقش الاشهلي ثم إنهما لحقاه فأُستشهدا ومنع عمرو بن الجموح الخزرجي من شهود الوقعة ولكنه توسل إليه وأجازه، وإنما رده لكونه كان أعرجاً،

---

(١) وإلا فما معنى تفضيل أُم المؤمنين عائشة بالعطاء على أبطال الصحابة الذين يخوضون غمار الحرب لتقوية الدين وهي جالسة في بيتها راقدة؟!

(٢) النور: ٦١.

فقال: ألا تحب يارسول الله أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة؟ فأبستشهد ذلك اليوم.

وكذلك كان يترك أهل الأعذار فقد خلف حنظلة الغسيل غسيل الملائكة لأنه يريد الدخول بزوجته ليلة الكائنة في أُحد ثم لما سمع النداء بقتل النبي أعجله ذلك عن الأغتسال فشهد الوقعة وأُستشهد فغسلته الملائكة وهذا عذر سقط في المدنية الحاضرة اعتباره وشتان بين الرقة والقسوة، والرحمة والغلظة، وفرق واضح بين منقذ الإنسانية وبين متلفها، ومحي البشرية ومهلكها.

وكذلك يخلف من لا يجد أبواه سواه وهذا عذر مقبول في المدنيّة الحاضرة لكنه بشروط قاسية منها لا بد من ضعف الأب وعجزه عن الكسب، ومنها أن لا يكن للأُم قريب منها كأخ مثلاً ولو كان في غاية القسوة عليها ولا يرحمها ولو بكلمة فارغة، ولو استطاع لسد عليها منافذ الهواء ومجاري الماء، والنبوة ترى رحمة الوالدين وشفقتهما على وحيدهما هي وحدها كافية لأن تكون عذراً للولد فيترك كان الوالد قوياً أم متمولاً أم ضعيفاً وفقيراً على السواء، وجدت الأُم معيلاً سواه أم لم تجد، هذا هو العدل في الإنسانية، هذا هو الفضل على البشرية لا الحضارة الجائرة ولا المدنية القاسية.

قال المطبعي[١]: عن أبن عمر قال: عرضت على رسول الله ﷺ في جيش وانا أبن خمسة عشر سنة فقبلني، ثم ذكر حديث سمرة بن جندب وغيره وقد ذكرناها في كتابنا «الميزان الراجح» في ترجمة سمرة هذا وترجمة البراء بن عازب وترجمة رافع أبن خديج.

ومنها: جعله رؤساه أجناد وقواد جيش أو هم العرفاء.

قال المطبعي[٢] وذكر حديثاً مطولاً عن البخاري في رده على هوازن سبيهم يقول في آخره: فقال الناس: قد طيبنا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: أنا لا أدري من أذن في ذلك ممن لم يأذن فأرجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا.

ومنها: الحشر والاستنفار، قد عرفت أنه لم تشكل في زمنه ﷺ دوائر للتجنيد بقسميه الإجباري والاختياري وإنما تسجل أسماء الجنود الذين شهدوا الغزوة والبعث ولم يبذل لجندي راتباً وإنما هو التطوع، وقسمة الغنيمة، وقسمة الحقوق، وحيث لا إجبار ولا مرتب فإنما هي الدعوة إلى الجهاد ويسمى النفير

(١) حقيقة الإسلام وأُصول الحكم: ص١٤٣.
(٢) حقيقة الإسلام وأصول الحكم: ص١٤٥.

والاستنفار وهو المعروف عند العامة اليوم بالفزع والفزاعة فيبعث من قبله رجلاً إلى الأطراف كأهل العوالي وأهل السافلة وسكان البوادي مستنفراً يحثهم على الجهاد يسمى بالحاشر والحاشد والمستنفر كما تسميه عوام العصر المحشم والمفزع والنخاي.

وهذا الاستنفار مرة يكون عاماً كاستنفاره إياهم لغزو مكة المشرفة عام الفتح وغزوة العسرة تبوك، والتخلف عن النفير العام حرام، ودلت عليه الآيات القرآنية الكثيرة كقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾[٢]، وكقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[٣]، إلى غيرهن من الآيات، ومرة يكون الاستنفار خاصاً كاستنفاره إلى بدر وسائر البعوث ولا يكون التخلف عنه حراماً إلا أن ينص على شخص أو أشخاص بأعيانهم فيتعين وتحرم مخالفته.

قال المطبعي[٤]: أما المستنفر فهو من يطلب إنفار الناس للسفر وقد بعث رسول الله ﷺ بشر بن سفيان الخزاعي من بديل بن أُم أصرم إلى خزاعة يستنفرهم إلى قتال أهل مكة وبعث أيضاً سفيان المذكور إلى مكة عيناً فأخبره خبر قريش وجموعهم في الطريق الخ.

ومنها: أنه ﷺ يبعث المبشرين بالفتح كما صنع ذلك يوم بدر حين أرسل عبد الله بن رواحة إلى أهل السافلة، وزيد بن حارثة إلى أهل العالية يبشرانهم بما فتح الله على رسول الله ﷺ حيث لم تكن البشائر ترسل برقياً ذلك الوقت ولا تلفونياً، وإنما هي الرسل والبرد.

ومنها: ترتيب الأُمراء والقواد كان النبي ﷺ يؤمر الأُمراء ويقود القواد ويجعل لكل كتيبة وسرية قائداً أو أميراً يعني ضابطاً يدفع إليه اللواء وتمثل لك الحقيقة غزوة الفتح فأنتظر.

ومنها: تقسيم الجيش وتعبئه وترتيبه على النظام المألوف في تلك العصور فجعله خمسة أقسام كما ذكرنا، ويصفه صفوفاً كما وقع ذلك يوم بدر اتباعاً لإرشاد القرآن المجيد بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ

---

(١) التوبة: ٤١.
(٢) التوبة: ٣٦.
(٣) التوبة: ١٢٠.
(٤) حقيقة الإسلام وأُصول الحكم: ص١٦١.

مَّرْصُوصٌ﴾[١] ويجعله كتائب وسرايا كما وقع ذلك في غزوة الفتح.

قال المطبعي[٢]: كان ﷺ يقسم جيشه خمسة أقسام: مقدمة ومجنبتان: مجنبة يمنى تسمى الميمنة ومجنبة يسرى تسمى الميسرة وقلب وساقة وبهذا يسمى الجيش خميساً لقسمته على خمسة أقسام، وجعل النبي ﷺ صاحب المقدمة يوم الفتح أبا عبيدة بن الجراح، ويوم حنين خالد بن الوليد، وجعل رسول الله ﷺ يوم الفتح خالد بن الوليد على الميمنة والزبير على الميسرة، وجعل أبا عبيدة على البيادقة وهم الجند الرماة ويسمون اليوم بيادة، وأما المقدم على الساقة فكان قيس بن أبي صعصعة الخ وفيه خبط ظاهر، ونظام النبي ﷺ يوم بدر هكذا: قال ٱبن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة[٣]:

قال الواقدي: وصف رسول الله ﷺ أصحابه قبل أن تنزل قريش فطلعت قريش ورسول الله ﷺ يصف أصحابه وقد أترعوا حوضاً من السمر وقذفت فيه الآنية ودفع رسول الله ﷺ رايته إلى مصعب بن عمير فتقدم بها إلى الموضع الذي أمره أن يضعها فيه، ووقف رسول الله ﷺ ينظر إلى الصفوف فأستقبل المغرب وجعل الشمس خلفه الخ.

يوم أُحد: قال[٤] دعا النبي بثلاثة أرماح فعقد ثلاثة ألوية: فدفع لواء الأوس إلى أُسيد بن حضير، ولواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر، وقيل إلى سعد بن عبادة، ولواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب «عليه السلام»، ويقال: إلى مصعب بن عمير.

وقال[٥]: أستعمل على الحرس محمد بن مسلمة في خمسين رجلاً.

وقال[٦]: وصف أصحابه وجعل الرماة خمسين رجلاً على عينين (جبل قرب أُحد) وعليهم عبد الله بن جبير ويقال سعد بن أبي وقاص، والثبت أنه عبد الله بن جبير، وجعل أُحداً خلف ظهره وأستقبل المدينة.

أما غير ٱبن أبي الحديد من علماء السيرة فيذكر أنه جعل مجنبتين في إحدى المجنبتين بني حارثة من الأوس وفي الأُخرى بني ساعدة من الخزرج وهذا هو الصحيح وهو مذكور في الوحي الصادق في قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ

---

(١) الصف: ٤.
(٢) حقيقة الإسلام وأُصول الحكم: ص١٦٢.
(٣) شرح نهج البلاغة ٣/ ٣٣٠.
(٤) شرح نهج البلاغة ٣/ ٣٦٣.
(٥) شرح نهج البلاغة ٣/ 1٣٦٤.
(٦) شرح نهج البلاغة ٣/ ٣٤٥.

مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾[١] والطائفتان هما المجنبتان.

وكان له في هذه الغزاة مقدمة وساقة ومجنبتان وقلب، وكتيبة حرس للجيش، وكتيبة حرس خلف ظهر العسكر هي كتيبة الرماة، ولحقته كتيبة ضخمة لتحارب معه مؤلفه من اليهود والمنافقين يقودها ٱبن أبي الخزرجي رأس المنافقين ولها زجل فردها النبي ﷺ وقال: لا نستعين بالكافرين على المشركين وهذا منه ﷺ امتثال لأمر القرآن المجيد في قوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[٢] لئلا يقال أنه لو كان نبيّاً ما استعان بمن هو كافر عنده.

وأما فتح مكة فقد قسم جيشه فيها تقسيماً مدنياً ورتبه ترتيباً تقرّه الحضارة العصرية فجعله أفواجاً ثم كتائباً فسرايا ففصائل، وجعل لكل كتيبة قائداً، ولكل فصيل ضابطاً، وجعل هذه المجموعة من الأفواج تسير منظمة على تقسيم القدماء: المقدمة فالجناحان فالساقة والقلب في الوسط من الجميع، وسرية الطلائع خيل الكشف تسير أمام المقدمة، وجعل للخيل وازعاً، ومعنى الوازع هو الذي يوزع الخيل أي يقسمها على النقاط الحربية يوجه كل قطعة من الخيل إلى جبهة من جبهات القتال، فكان على الطلائع الزبير بن العوام في مائتين من الخيالة.

قال ٱبن أبي الحديد في شرح النهج[٣]: قال الواقدي: فلما خرج رسول الله ﷺ بالألوية والرايات بعد العصر من يوم الأربعاء لعشر خلون من شهر رمضان لم يحل عقده إنتهى إلى الصلصال والمسلمون يقودون الخيل وقد أمتطوا الإبل، وقدم أمامه الزبير بن العوام مائتين.

وقال في حديث أبي سفيان وقد حبسه العباس بن عبد المطلب بمضيق الوادي لتمر به كتائب النبوة فيراها وذلك بأمر من النبي ﷺ فمرت به القبائل على قادتها والكتائب على راياتها فكان أول من مر به خالد بن الوليد في بني سليم وهم ألف ولهم لواء أن يحمل أحدهما العباس بن مرداس والآخر خفاف بن ندبة، وراية يحملها المقداد، فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟ فقال العباس: بنو سليم عليهم خالد بن الوليد، ثم مر به على أثره الزبير بن العوام في خمسمائة فيهم جماعة من المهاجرين وقوم من أفناء الناس معه راية سوداء، فقال: من هذا؟ قال العباس: هذا الزبير، ثم مرت به بنو غفار في ثلثمائة يحمل روائهم أبو ذر ويقال: إيماء بن رحضة، ثم مرت به أسلم في أربعمائة يحمل لوائها بريدة بن الحصيب

---

(١) آل عمران: ١٢٢.
(٢) الكهف: ٥١.
(٣) شرح نهج البلاغة ٤/ ٢٠٧.

ولواء آخر مع ناجية بن الأعجم، ثم مرت به خزاعة في خمسمائة يحمل لوائها بشر بن سفيان، ثم مرت به مزينة في ألف فيها ثلاثة ألوية مع النعمان بن مقرن وبلال بن الحارث وعبد الله بن عمرو، ثم مرت جهينة في ثمانمائة فيها أربعة ألوية مع معبد آبن خالد وسويد بن صخر ورافع بن مكيث وعبد الله بن بدر، ثم مرت بنو كنانة في مائتين يحمل لوائهم أبو واقد الليثي، ثم مرت به أشجع وهم آخر من مر به قبل أن تأتي كتيبة رسول الله ﷺ وهم ثلاثمائة يحمل لوائهم معقل بن سنان، ولواء آخر مع نعيم بن مسعود، فلما طلعت كتيبة رسول الله ﷺ طلع سواد شديد وغبرة من سنابك الخيل وجعل الناس يمرون حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبة الخضراء فكان في تلك الكتيبة وجوه المهاجرين والأنصار وفيها الرايات والألوية وكلهم منغمسون في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، الخ.

أما الوازع فذكر قبل التحام الحرب بمكة[1] في حديث أبي قحافة وكان أعمى وأصعدته ابنة له على أبي قبيس تقوده، فلما أشرفت به قال: يابنية! ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً مقبلاً كثيراً، قال: يا بنية! تلك الخيل فأنظري ماذا ترين؟ قالت: أرى رجلاً يسعى بين ذاك السواد مقبلاً ومدبراً، قال: ذاك الوازع، فأنظري ماذا ترين؟ قالت: قد تفرق السواد، قال: قد تفرق الجيش البيت البيت، الخ.

ومنها[2]: الحرس للجيش وغيره وقد صدر منه كثيراً واستيفاؤه تطويل، منها ما سمعت في أُحد، ومنها في يوم بدر كان أمير حرسه سعد بن معاذ الأشهلي.

واما الجاسوسية فذكرنا لها فصلاً مستقلاً في كتابنا «السياسة العلوية» وهذا الجاسوس تسميه العرب العين فكانت لرسول الله ﷺ عيون وجواسيس منهم عمه العباس بن عبد المطلب كان عيناً له بمكة على قريش، وبعث سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمٰن بن عوف قبل غزوة بدر يتجسسان له أخبار قافلة قريش.

وكان يبعث عمرو بن أُمية الضمري بتجسس له بمكة وحديثه مع عناق مشهور تاريخياً، وغير هؤلاء مثل حذيفة بن اليمان الذي بعثه يوم الخندق يتجسس له على الأحزاب.

ومن أنظمته «عليه الصلاة والسلام»: توظيف الضباط لأصحاب المهن والصنائع وإن شئت سميتها بإدارة الأشغال العسكرية وقد قلد هذه الوظيفة لجماعة منهم أبو رافع مولاه، وكركرة مولاه الآخر.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤/ ٢٠٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ٤/ ٣١٠.

قال المطبعي[١] في صاحب الثقل: ـ بفتح الثاء والقاف متاع المسافر ـ وكان يتولى ذلك في عهد رسول الله ﷺ كركرة مولاه، وكان أيضاً أبو رافع مولى النبي على ثقل النبي ﷺ، إنتهى وحسبنا هذا.

النصوص في تنظيمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» الحربية

ما مر في صدر البحث من كلمتنا التمهيدية فهو استنباط منا وأستخراج لتعاليمه «عليه السلام» من نصوص التاريخ، وهنا نورد النصوص التاريخية لتقوي حجتنا فلا تعده تكراراً وفضولاً ولا غلواً وإغراقاً، فإن أمير المؤمنين «عليه السلام» كانت مملكة الإسلام في زمنه واسعة جداً، مترامية الأطراف، بينما كانت في عهد النبوة محصورة في جزيرة العرب فهي في عهد خلافته قد مدت ظلها على أرمينية والإفغان وأفريقية والعراق وسوريا والجزيرة الفراتية وخراسان وغيرها من الأقطار فأستدعت الحروب إلى أنظمة أكثر مما سبق مضافاً إلى ذلك أن جهة الحروب في عصره أنحرفت من مدارها وزالت عن محورها، بينما كان الجلاد في عصر النبوة مع الكفار إذا هو في عصره مع المنافقين.

وليست حروب أهل الشرك تشبه حروب أهل الإسلام ولذا وقعت الفتنة الخارجية وظهرت شبه المارقين من عدم قسمته للأموال وسبيه للنساء واستملاك الأسرى الحربيين وما هو موضع أستنكار من لا علم له بأحكام الشرع فهذه الناحية توسعت أنظمتها في عصره توسعاً خطيراً، وتغيرت تغيراً محسوساً، وأنظمته التي أستفادها من كتاب الله وسيرة رسوله ضم إليها تجاربه الطويلة التي أستفادها من حروبه الكثيرة، فمن هذا وذاك أصبح مثال البطولة الأعلى وسرها الأقدس ولذا كانت مناهجه الحربية قانون القيادة العالمية، وإليك أمثلة من ذلك الناموس الحربي الذي كان مضمراً في قلب الكون فظهر بعد أختفائه زمناً غير قصير.

فمن مؤسساته الحربية التي هي أُسس للمدنية والحضارة حتى في عصورنا الحاضرة وأول مشروع حربي هو الإخطار والإنذار للأعداء قبل إشهار الحرب عليهم وله «عليه السلام» إخطارات كثيرة في وقائع شتى وعلى هذا تسير دول الحضارة وحكومات المدنية في هذه العصور.

إن الملك المدني الدمقراطي إذا خالفه شعب أو عارضته دولة في مصالحه

---

(١) حقيقة الإسلام وأُصول الحكم: ص١٧٤.

أو رفضت مقترحاته حكومة أخطرها وأنذرها بالحرب لأنها إذا رفضت مذكرته وردت مقترحاته فقد بدأته بالعداء وتحدته بالحرب فيراه تحرشاً وأحتكاكاً به فيضع منشوراً أو يلقى خطاباً بواسطة سفارته في تلك البلاد يعذر فيه إلى من خالفه ويتهدده ويتوعده فإن قبل وأناب تقرر الأمن وسكن الاضطراب بين الشعبين أو الحكومتين وإلا وجه قواته إلى حدود بلاده وهاجموه ويتردد هذا كثيراً في الكتب والصحف الرسمية والمجلات، ولا تزال تسمع أن الدولة الفلانية أشهرت الحرب على الدولة الفلانية.

وقد كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك وقد أخطر بني قينقاع اليهود قبل أن يشهر عليهم الحرب وكذلك أخطر بني النضير وغيرهم، وأصل ذلك القرآن المجيد كما عرفت.

أما إنذارات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» فقد كاتب أهل البصرة وحذرهم من الفتنة والشقاق وأرسل إليهم الرسل فأصروا على العناد وابوا إلا النفاق فأشهر عليهم الحرب وقاد إليهم الفيالق فأستباحهم.

أما أهل الشام فكم كاتب معاوية وخوفه عاقبة البغي والعدوان، وأرسل إليهم وجوه العرب وأعلام المسلمين كجرير بن عبد الله البجلي والأصبغ بن نباتة التميمي المجاشعي والطرماح بن عدي الطائي وصعصعة بن صوحان العبدي هذا وهو بالكوفة، ولما حل بصفين وقابل جيشه جيشهم في قاعها أرسل صعصعة بن صوحان وشبث بن ربعي التميمي وعدي بن حاتم الطائي وأبا عمرة بن محصن الأنصاري ويزيد بن قيس الهمداني الأرحبي وزياد بن خصفة الربعي التميمي، وغير هؤلاء من الوجوه، وجميع هذه القصص مشهورة في التأريخ.

وأما الخوارج فقد تكررت إخطاراته إليهم وتنوعت أنواعاً منها مباشرة بنفسه ومنها مكاتبة ومنها مراسلة، يرسل مندوبين من قبله كسفراء وقتيين ومن هؤلاء السفراء من قتلوه كالحارث بن مرة العبدي كما قتل أهل البصرة رسوله إليهم مسلماً، ومنهم من أرادوا قتله وسلم من غائلتهم كعبد الله بن العباس وعدي بن حاتم وغيرهما فأبوا كل صلح وأصروا على المنابذة والعدوان، وأزدادوا في إفسادهم وتعديهم على المسلمين فأضطر إلى طحنهم بالنهروان فطحنهم طحن الرحى ولم يقتصر على هذا بل لا بد من الإنذار في ميدان الحرب قبل إيقاع القتال.

قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين[١]: فلما أنسلخ المحرم وأقبل صفر وذلك سنة (٣٧) بعث علي «عليه السلام» نفراً من أصحابه حتى إذا كانوا من عسكر معاوية حيث يسمعونهم الصوت قام مرثد بن الحارث الجشمي فنادى عند غروب الشمس: يا أهل الشام! إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» وأصحاب رسول الله ﷺ يقولون لكم: والله ما كففنا عنكم شكاً في أمركم ولا بغياً عليكم وإنما كففنا عنكم لدخول المحرم وقد أنسلخ، وإنا قد نبذنا إليكم على سواء إن الله لا يحب كيد الخائنين، فتحاجز الناس وثاروا إلى أُمرائهم.

وقال في حديث آخر: لما انسلخ المحرم آمر علي «عليه السلام» مرثد بن الحارث الجشمي فنادى عند غروب الشمس: يا أهل الشام! ألا إن أمير المؤمنين «عليه السلام» يقول لكم قد أستبذلتكم واستأنأتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا إليه وأحتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم إليه فلم تتناهوا عن طغيان ولم تجيبوا إلى حق وقد نبذت إليكم على سواء فإن الله لا يحب الخائنين، فثار الناس إلى أُمرائهم ورؤسائهم.

تعبئة الجيش عند أمير المؤمنين علي «عليه السلام» وترتيبه:

يقسمه على عادة القدماء إلى خمسة أقسام، ففي الاستعداد لحرب أهل الشام في المدينة المنورة قبل فتق البصرة وحركة الناكثين يقول الطبري المؤرخ: دعا علي «عليه السلام» محمد بن الحنفية فدفع إليه اللواء وولي عبد الله بن عباس ميمنته وعمر ابن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ول﴿اه مسيرته ودعا أبا ليلى عمر بن الجراح بن أخي أبي عبيدة فجعله على مقدمته.

وقال[٢] في مسيره «عليه السلام» إلى طلحة والزبير: وخرج علي «عليه السلام» يبادرهم في تعبئته التي تعبى بها إلى الشام وذكر أُموراً تقدمت في مبحث اللواء، فراجعه.

تقسيم الجيش إلى سرايا وكتائب:

ذكر الطبري وغيره أنه «عليه السلام» بعث المقدمة إلى صفين تحت قيادة قائدين عظيمين من أصحابه ومجموع جندهما إثنى عشر ألف زياد بن النضر الحارثي وهو القائد الأول والأمير العام في ثمانية آلاف إذا انفرد عنه القائد الثاني وإذا اجتمعا فهو قائد الكل، القائد الثاني شريح بن هاني الحارثي في أربعة آلاف

---

(١) وقعة صفين: ص ١٠٥ طبع إيران. (٢) وقعة صفين: ص١٠٦.

وهو قائد جيشه إذا أنفرد وينوب عن القائد الأول إذا اجتمعا، ثم أرسل «عليه السلام» فيلق الطليعة ثلاثة آلاف فارس تحت قيادة معقل بن قيس التميمي اليربوعي الرياحي وامره أن يأخذ على الموصل حتى يوافيه.

أما تكتيب الكتائب والفصائل وتوظيف القواد والضباط ففي تاريخ الطبري[١] في ترتيب عسكره بصفين ما لفظه: إن علياً «عليه السلام» بعث على خيل أهل الكوفة الأشتر، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف، وعلى رجالة أهل الكوفة عمار بن ياسر، وعلى رجالة أهل البصرة قيس بن سعد وهاشم بن عتبة معه رايته، ومسعر بن فدكي على قراء أهل البصرة، وصار قراء أهل الكوفة إلى عبد الله بن بديل وعمار بن ياسر[٢].

وعلى قوله كتائب القراء ثلاثة: كتيبتان لأهل الكوفة يقود أحدهما أبو اليقظان ويقود الأُخرى ذو السيفين، وكتيبة واحدة لأهل البصرة يقودها ٱبن فدكي الذي تحول خارجياً فيما بعد.

وعلى قول غيره ولعله الأصح لكثرة القراء: إنها ستة كتائب: ثلاثة من أهل الكوفة اثنان بقيادة من عرفت، والثالثة بقيادة المرقال، وثلاثة كتائب لأهل البصرة يقود أحدها من عرفت، ويقود الثانية عروة بن أدية التميمي أخو مرداس ٱبن أدية، وأدية أُمهما وأبوهما مرداس وكلاهما صار من الخوارج فيما بعد، والكتيبة الثالثة من قراء أهل البصرة أختلف في قائدها والأقرب إنه حرقوص بن زهير التميمي وهو ذو الثدية قتله علي «عليه السلام» مع الخوارج بالنهروان.

تعبئة الجيش في ساحة القتال:

فذكر أبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال ونصر بن مزاحم في كتاب صفين والتفاوت بينهما يسير ولفظ نصر[٣]: إن علياً «عليه السلام» ومعاوية أمرا الأُمراء وكتبا الكتائب.

وأستعمل علي «عليه السلام» على الخيل عمار بن ياسر، وعلى الرجالة عبد الله بن بديل ٱبن ورقاء الخزاعي، ودفع اللواء إلى هاشم بن عتبة المرقال، وجعل على الميمنة الأشعث بن قيس، وعلى الميسرة عبد الله بن عباس، وجعل على رجالة الميمنة سليمان بن صرد الخزاعي، وعلى رجالة الميسرة الحارث بن مرة العبدي، وجعل القلب مضر الكوفة والبصرة، وجعل الميمنة اليمن، وجعل الميسرة ربيعة.

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٢٦٥.
(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٦.
(٣) وقعة صفين: ص١٠٧.

وعقد ألوية القبائل فأعطاها قوماً بأعيانهم جعلهم رؤسائهم وأُمرائهم: جعل على قريش وأسد وكنانة عبد الله بن عباس، وعلى كندة حجر بن عدي، وعلى بكر البصرة حضين بن المنذر، وعلى تميم البصرة الأحنف بن قيس، وعلى خزاعة عمرو بن الحمق، وعلى بكر الكوفة نعيم بن هبيرة، وعلى سعد ورباب البصرة جارية بن قدامة السعدي، وعلى بجيلة رفاعة بن شداد، وعلى ذهل الكوفة عبد الله أبن جحل العجلي، وعلى تميم الكوفة عمير بن عطارد، وعلى الأزد واليمن جندب بن زهير، وعلى ذهل البصرة خالد بن المعمر السدوسي، وعلى عمرو وحنظلة الكوفة شبث بن ربعي، وعلى همدان سعيد بن قيس، وعلى لهازم البصرة حريث بن جابر الحنفي، وعلى سعد ورباب الكوفة الطفيل أبا صريمة، وعلى مذحج الاشتر مالك بن الحارث، وعلى عبد القيس الكوفة صعصعة بن صوحان، وعلى قيس الكوفة عبد الله بن الطفيل البكائي، وعلى قيس البصرة قبيصة بن شداد الهلالي، وعلى اللفيف من القواصي القاسم بن حنظلة الجهني، الخ.

هذا ما ذكره نصر في هذا المقام ولكن أستقصاء الكتاب يعرفك بعامة قواده وضباط جيشه فإنه في هذه التعبئة أهمل كثيراً وذكرهم في مواضع من كتابه مثل كنانة أمر عليهم أبا واثلة عامر بن الطفيل، وذكره في قصة الأيام، وبني أسد ولى عليهم قبيصة بن جابر الأسدي وذكره في الأيام عند غضب مضر على ربيعة.

وخثعم أمر عليهم أبا كعب الخثعمي، وبجيلة ولى عليهم أبا شداد قيس بن المكشوح الأحسمي، ولعل رفاعة كان الأمير الأول، والأزد أمر عليهم مخنف بن سليم وجندب بن زهير على كتيبة منهم، وعلى طي عدي بن حاتم وله قصة ذكرها حين نازعه الحرمزي، وعلى قضاعة مسروق بن الهيثم النهدي وهؤلاء قواد الأفواج، ومن قواد الأفواج صبرة بن شيمان الحداني على أزد البصرة، وعلى مذحج البصرة شريك بن الأعور الحارثي، وعلى الأنصار سهل بن حنيف، وغير هؤلاء تركنا ذكرهم.

وهذه الأفواج مترتبة على كتائب ولكل كتيبة قائداً مثال ذلك بنو تميم ثلاث كتائب كبرى يعني أفواجاً من أهل الكوفة فوج لبني حنظلة وحلفائها، وفوج لبني سعد وحلفائها، وفوج لبني عمرو وحلفائها، ويقابلها مثلها من أهل البصرة لأن المبرد ذكر أن تميم البصرة إذا ركبت مع حلفائها ومواليها ركبت في سبعين ألفاً فقس عليها تميم الكوفة وتدخل في تميم ضبة وقبائل الرباب وسنشير إلى بعض القواد منهم.

واما ربيعة فهي الميسرة وحدها وكتائبها الكبرى وأفواجها والفوج هنا غير ما أصطلح عليه الدول أخيراً فإنه يكون أُلوفاً وهذه الكتائب الكبيرة هي أربعة:

عبد القيس واللهازم وهما عجل وحنيفة وبكر وتغلب، ويدخل معهم عنزة والنمر آبن قاسط فتبلغ ثمان، فقد كان من عنزة وحدها مع علي «عليه السلام» في صفين أربعة آلاف مجفف، وتوصف عبد القيس إذا جاءت بأنها غمامة سوداء، وعلى هذا لتفهم أن ما ذكره في التعبئة ناقص فإنه لم يذكر من قواد تغلب أحداً مثل كردوس آبن هاني وأمثاله ولا ريب أن هؤلاء القواد دونهم قواد عرفنا بهم التاريخ فإن مذحج من أضخم القبائل، قالوا: إنها ركبت مع حلفائها ومواليها ركبت في ثلاثين ألف.

وهذه الأفواج تقسم إلى كتائب، والكتائب إلى سرايا، والسرايا إلى فصائل، ولكل كتيبة قائد، ولكل سرية أمير، ولكل فصيل ضابط، وخذ ما أستخرجناه من التاريخ ملخصاً في مذحج: قائد قواتهم هو الأشتر، وفي النخع قواد وضباط منهم كميل بن زياد والحرث بن صبهان والحر بن الصياح وعلقمة بن قيس، ومن قواد جعفي بن سعد العشيرة من مذحج زحر بن قيس والحارث بن جمهان وعبد العزيز، وفي مراد من مذحج قواد منهم هاني بن عروة وأبوه عروة وغيرهما.

وفي بني الحارث بن كعب من مذحج منهم زياد بن النضر وشريح بن هاني وشريك بن الأعور وغير هؤلاء ممن لو عددناهم لأسهبنا كثيراً وفاتنا الغرض.

أما همدان فقائد قواتهم سعيد بن قيس السبيعي، وفي البطون قواد ورؤساء مثل يزيد بن قيس ومالك بن كعب وعمر بن سلمة في أرحب، وفي بني وداعة أبو حميضة الوادعي، وفي خيوان عبد خير الخيواني وسعيد بن نمران، وفي شبام أبو القلوص الشبامي، وأُستشهد منهم في يوم واحد إحدى عشر رئيساً.

وفي كل بطن من بطون شاكر والثوريين والشعبانيين والأوزاع وغيرهم أُمراء ضبط أسمائهم التاريخ وندعهم خوف الإطالة ونورد أسماء أكثر مشاهير القواد لا كلهم مقتصرين عليه:

الدرجة الأُولى من القواد:

أبو اليقظان عمار بن ياسر العنسي من مذحج حليف لبني مخزوم صحابي من السابقين، ومن المهاجرين الأولين المرقال هشام بن عتبة بي أبي وقاص الزهري آبن أخي سعد بن أبي وقاص صحابي قرشي، أبو إبراهيم مالك الأشتر النخعي من عظماء التابعين، أبو النضر زياد بن النضر الحارثي المذحجي من أعيان التابعين،

أبو القاسم محمد بن علي بن الحنفية الهاشمي العلوي من عظماء التابعين، أبو العباس عبد الله بن العباس الهاشمي حبر الأُمة صحابي عظيم هو قائد المجنبة اليسرى، الأشعث بن قيس عرف النار الكندي صحابي منافق يحذوا في إمامة علي «عليه السلام» حذو آبن أُبي في نبوة النبي ﷺ وهو قائد المجنبة اليمنى، حجر الخير بن عدي الكندي المعروف بابن الأدبر صحابي عظيم، أبو طريف عدي بن حاتم الطائي صحابي عظيم سيد الطلس.

قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الساعدي سياف النبي ﷺ من عظماء الصحابة ذو السيفين، عبد الله بن بديل الخزاعي صحابي عظيم، سليمان بن صرد الخزاعي صحابي عظيم رأس التوابين، مخنف بن سليم الأزدي أبو عبد الرحمٰن صحابي محترم، عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي الدارمي تابعي من الأشراف، معقل بن قيس التميمي أحد بني رياح بن يربوع من أبطال التابعين مؤذن سجاح المتنبية، شبث بن ربعي التميمي أحد بني عمرو بن تميم صحابي منافق، أبو بحر الأحنف بن قيس التميمي السعدي أحد بني منقر الحليم المشهور من أعيان التابعين.

جارية بن قدامة التميمي السعدي المنقري صحابي جليل القدر، سعيد بن قيس الهمداني السبيعي سيد كهلان وعظيم همدان تابعي محترم، عبد الله بن الطفيل العامري البكائي صحابي أو تابعي على القولين من أبطال المسلمين، أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني صحابي مقدَّر، قبيصة بن جابر الأسدي صحابي محترم، حسان بن محدوج الربعي الذهلي صحابي فاضل، خالد بن المعمر البكريّ الربعي تابعي بطل، صعصعة بن صوحان العبدي الربعي تابعي جليل ويقال صحابي، شقيق بن ثور البكري السدوسي تابعي معظم، كردوس بن هاني التغلبي تابعي مقدر، جندب بن زهير الأزدي تابعي وقيل صاحبي، نبيل أبو عمرة بشير بن محصن الخزرجي صحابي من أعيان، ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت الخطمي الأوسي من أعلام الصحابة، ذو السيفين مالك بن التيهان أبو الهيثم حليف بني عبد الأشهل من نقباء رسول الله ﷺ من أعلام الصحابة، سهل بن حنيف الأنصاري من السابقين من أعلام الصحابة، أبو أيوب خالد بن يزيد النجاري الخزرجي صاحب منزل النبي ﷺ من أعلام الصحابة، الحارث بن مرة العبدي الربعي تابعي من أعيانهم وغير هؤلاء من القواد في الدرجة الأولى.

الدرجة الثانية من القواد:

أيضاً كثيرون: عمر بن الحمق الخزاعي من أعيان الصحابة، أبو جعفر عبد الله الجواد بن جعفر الطيار ابن أخي علي «عليه السلام» صحابي مقدّر، أعين بن ضبيعة المجاشعي التميمي تابعي شهير ويقال صحابي، عبد الله بن الكواء اليشكري بن ربيعة تابعي فصيح تحول خارجياً آخر الأمر، حريث بن جابر الحنفي الربعي تابعي أحد مشاهير الأجواد، كميل بن زياد النخعي تابعي عظيم من أعيان العلماء، حضين بن المنذر الرقاشي البكري تابعي بطل، يزيد بن قيس الأرحبي الهمداني تابعي محترم.

شريح بن هاني المذحجي تابعي مقدّر ويقال صحابي وهذا غير شريح القاضي من كندة وهذا من مذحج، الحارث بن جمهان الجعفي من مذحج تابعي شهير، المرتفع بن الوضاح الزبيدي زبيد مذحج تابعي شجاع، عياش بن شريك العبسي وفائد بن بكر العبسي كلاهما من عبس من غطفان تابعيان من شجعان الكوفة يقال لهما صحبة، زحر بن قيس الجعفي تابعي من عظماء المنافقين شهد مقتل الحسين «عليه السلام» أخيراً، هاني بن عروة الغطيفي المرادي تابعي والأصح صحابي عظيم من الوجوه، سعيد بن نمران الهمداني تابعي مقدر، عبد خير الخيواني الهمداني صحابي مبجل، مالك بن كعب الأرحبي تابعي من الأبطال، أبو كعب الخثعمي تابعي مشهور.

قيس بن المكشوح الأحمسي من بجيلة حليف، مراد أبو شداد صحابي من الأعلام وهو قاتل الأسود العنسي الكذاب مدعي النبوة في عصر النبي ﷺ، حازم بن أبي حازم أخو قيس بن أبي حازم البجلي الفقيه تابعي شهير، علقمة بن قيس النخعي الفقيه تابعي من أعيان الزهاد، عتبة بن جويرية التيمي تيم الرباب تابعي بطل، مالك بن حري النهشلي التميمي تابعي وهو غير حارثة بن بدر الغداني صاحب زياد بن سمية المشهور بشرب الخمر وقد حقق ذلك بعض العلماء وذكرناه في بعض كتبنا، زيد بن أرقم الخزرجي من أعيان الصحابة، أبو قتادة بن ربعي الخزرجي من أعلام الصحابة، ثابت بن قيس بن الخطيم الأوسي من أعلام الصحابة وغير هؤلاء تركنا ذكرهم لأن الكتاب لا يحتمل ذكرهم.

الدرجة الثالثة من القواد:

أبو العمرطة قيس بن يزيد الكندي من شجعان التابعين، قيس بن فهدان الكندي ثم الطمحي تابعي شجاع، الحارث بن صهبان النخعي تابعي، مالك بن

يسار الحضرمي تابعي، عبد العزيز بن الحارث الجعفي تابعي من فرسان مذحج، شمر بن ذي الجوشن الضبابي المارق من عظماء الجبارين شهد مقتل الحسين «عليه السلام» أخيراً، عبد الله بن خليفة الطائي البولاني تابعي شاعر طي ولسانهم، زيد بن الحصين الطائي من زهاد الخوارج قتل بالنهروان مع المارقة، مرثد بن الحارث الجشمي من هوازن تابعي شجاع.

عبد الله بن قلع الأحمسي من بجيلة تابعي شجاع، مسروق بن الهيثم بن سلمة النهدي من قضاعة تابعي بطل، أبو مسبح بن عمرو الجهني من قضاعة تابعي شجاع، سلمة بن عدي بن جرثومة النهدي من قضاعة تابعي شجاع، يزيد بن المغفل الأزدي صحابي شجاع، جندب بن عبد الله الأزدي تابعي وقيل صحابي وهو قاتل الساحر مالك بن اللجلاج وهو ابن العقدية تابعي بطل، غنثر بن خالد المحاربي تحول خارجياً فيما بعد وخرج مع فروة الأشجعي، فروة بن نوفل الأشجعي صاحبي تحول خارجياً وهو رأس الخوارج الذين قتلهم أمير المؤمنين علي «عليه السلام» بالنخيلة بعد وقعة النهروان ولنترك الباقين فقد أسهبنا كثيراً.

أما وقعة النهروان فقد تبدلت فيها أنظمة هذه القيادة لأن هؤلاء القواد أُستشهد بعضهم بصفين ومات بعضهم بعدها وتحول بعضهم خارجياً وجماعة شكوا فتحيزوا فلم يكونو معه ولم يكونوا مع الخوارج فأقتضى ذلك تبديلاً في الأنظمة فكان على ما ذكر الطبري على ميمنة علي «عليه السلام» في النهروان حجر بن عدي، وعلى ميسرته شبث بن ربعي أو معقل بن قيس وهو الصحيح لأن شبث من الخوارج وإن لم يشهد معهم النهروان فكان فيمن أعتزل من الشكاك، وعلى الخيل أبو أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة أبو قتادة الأنصاري، وعلى أهل المدينة وهم سبعمائة أو ثمانمائة قيس بن سعد بن عبادة، هذا نص الطبري ويخالفه غيره من المؤرخين وليس في ذلك كبير فائدة.

وهذا الترتيب الذي رتبه «عليه السلام» في جعل الأُمراء طبقات وتقسيم الجيش إلى أفواج وكتائب وسرايا وفصائل هو المنهج الدولي اليوم.

ومن أنظمته «عليه السلام» ديوان الجند أو تسجيل النفوس المجندة واللائقة للجندية، وهذه المسألة قد قيل إن عمر بن الخطاب قد سبق أليها وهذا كما يقال لكن سبق عمر إليها كان عن مشورة الصحابة ومقدم أهل المشورة هو علي بن أبي طالب «عليه السلام» فهو المؤسس حقيقة وإن كانت الدولة لغيره والمشرّع القانوني لا يخرج عن كونه مشرّعاً إذا وضع مواده في سلطان غيره؛ فأمير المؤمنين علي

«عليه السلام» واضع هذا النظام في دولة غيره والعامل به في دولته.

تعاليم علي «عليه السلام» في الحرب

قال الطبري في التاريخ[١]: كتب علي «عليه السلام» إلى عبد الله بن عباس مع عتبة بن الأخنس بن قيس بن سعد بن بكر: أما بعد؛ فإنا قد خرجنا إلى معسكرنا بالنخيلة وقد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب فأشخص الناس حين يأتيك رسولي وأقم حتى يأتيك أمري، والسلام.

فلما أتاه قرأه على الناس وأمرهم بالشخوص مع الأحنف بن قيس فشخص معه ألف وخمسمائة فأستقلهم عبد الله بن عباس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: يا أهل البصرة فإنه قد جائني أمر أمير المؤمنين «عليه السلام» يأمرني بإشخاصكم وأنتم ستون ألف سوى أبنائكم وعبدانكم ومواليكم، ألا أنفروا مع جارية بن قدامة السعدي ولا يجعل رجل منكم على نفسه سبيلاً فإني موقع بكل من وجدته متخلفاً عن مكتبه عاصياً لإمامه، وقد أمرت بالأسود الدؤلي بحشركم، الخ.

ثم قال[٢]: فجمع إليه - يعني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» - رؤوس الأسباع ورؤوس القبائل ووجوه الناس، فحمد الله واثنى عليه ثم قال: يا أهل الكوفة! أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على الحق، وصحابتي على جهاد عدوي - إلى أن قال -: وإني أسألكم أن يكتب رئيس كل قوم ما في عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليه ثم يرفع ذلك إلينا.

فقام سعيد بن قيس الهمداني فقال: ياأمير المؤمنين! سمعاً وطاعة وواداً ونصيحة، أنا أول جاء بما سألت وطلبت، وقام معقل بن قيس الرياحي فقال مثل ذلك، وقام عدي بن حاتم وزياد بن خصفة وحجر بن عدي وأشراف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك، ثم إن الرؤوس كتبوا من فيهم ثم رفعوهم إليه وأمروا أبنائهم وعبيدهم ومواليهم أن يخرجوا معه وأن لا يتخلف منهم عنهم أحد فرفعوا إليه أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفاً من الأبناء ممن أدرك وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم وقالوا: يا أمير المؤمنين! أما ما عندنا من المقاتلة وأبناء المقاتلة فمن قد بلغ الحلم وأطاق القتال فقد رفعنا إليك منهم ذوي القوة والجلد وأمرناهم

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٤٤.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٤٥.

بالشخوص، ومنهم ضعفاء وهم في ضياعنا وأشياء مما يصلحنا وكانت العرب سبعة وخمسين ألفاً من أهل الكوفة ومن مواليهم ومماليكهم ثمانية آلاف، وكان جمع أهل الكوفة خمسة وستين ألفاً وثلاثة آلاف ومائتي رجل من أهل البصرة، فكان جميع ما معه ثمانية وستين ألفاً ومائتي رجل، الخ.

هذا الذي ذكره لما أراد الرجوع إلى صفين بعد قتال الخوارج بالنهروان وذكرنا في كتابنا «السياسة العلوية» زيادات في هذا المقام تركناها هنا للاختصار.

وهذا منهج تسري عليه دول اليوم وإن كانت توسعت في المقام بتوظيف موظفين مختصين بهذا في دائرة تعرف بدائرة التجنيد، ومرجع هذه الدائرة دائرة النفوس التي تضبط أنفس الرعايا في سجلات كما كان يفعله علي «عليه السلام» والخلفاء قبله وإن اختلفت المقاصد وتباينت المناحي حيث يكون قصد علي «عليه السلام» والخلفاء في ضبط النفوس في السجلات هو توزيع الوارد عليهم على حسب منهج الخليفة من المفاضلة في العطاء أو المساوات العادلة ومقاصد الدول في ضبطها لدى دائرة النفوس لأجل معرفة اللائق لخدمة العلم فإن دائرة النفوس تقدم سجلاتها إلى ضباط التجنيد لأجل القرعة وشمل من أنتخب لخدمة العلم بعد الفحص عن أعذاره وصحته وأغراض أُخر، ومن هنا اختلاف المقصدان.

وإذا كان التسجيل في عصر الخلافة لأجل توزيع دخل الخلافة على المسلمين فوجب أن يطلب من رئيس العشيرة تقديم القابل للحرب إلى الخليفة حتى ينهض بهم إلى الجهة التي يقصد محاربتها، وقد علمت أن الرؤساء هم المتعهدون بفحص قابلية الجندي وفحص أعذراه فأغنى ذلك عن دائرة فحص كبيرة مؤلفة من أطباء ولجنة يرأسها الحاكم الإداري ورواتب هؤلاء توفر على خزينة الدولة إذا قام الرؤساء بهذه الوظيفة ثم بها تنقطع جراثيم الفساد من نحو التعرض والتحامل والأرتشاء مما يضر بالشعب والحكومة معاً.

الاستنفار والانذار:

أشرنا فيما سبق إلى إنذار الأعداء قبل غزوهم وهذا إنذار الشعب بالحرب ليأخذ أُهبة الحرب ويستعد وذكرنا أن النبي ﷺ كان يستنفر رعيته للحرب وأشار إليها القرآن المجيد في آيات كثيرة.

أما أمير المؤمنين «عليه السلام» فكان إذا أراد حرباً أنذر الشعب الذي تحت رعايته وأخبر الأُمة التي يسوسها بعزمه، وهذه قاعدة أصبحت منهاجاً للحكومات المتمدنة كما علمنا من إنذار ملك اليابان لشعبه لما عزم على حرب روسيا وكذا

غيره من الملوك المدنيين في هذه العصور، وهذه المادة الحربية وضعها أمير المؤمنين علي «عليه السلام» لفوائد مهمة:

منها: أن يأخذ الشعب أُهبته للحرب ويستعد لتنظيم أُموره النفسية والعائلية.

ومنها: أن يحتاط لنفسه فيأخذ الحذر من تلك الجهة التي يريد ملكه غزوها فيقطع معها علاقاته التجارية والودية ويسحب أمواله التي تكون في مستودعاتها.

ومنها: أن يستعد لذخائر الحرب استعداداً كافياً بحيث لا يحتاج إلى إمداد السلطان.

ومنها: أن يراقب الجهة التي يراد عزوها فلا يقترب من حدودها خوفاً أن يقع في أسرها انتشالاً واغتيالاً.

ومنها: أن يتعرف تجارها ومن دخلها مستخفياً ليرفع أمره إلى السلطان مخافة أن يكون جاسوساً أو أتى بقصد سياسي يبذر فيه بذرة الاختلاف في هذه المملكة ألتي أعلنت الحرب.

ومنها: أن يترصد الشعب المساعدات التي تقدمها أرباب الأطماع وبغات الإفساد لتلك المملكة المغزوة لتقوي بها على سلطان هذه المملكة التي أعلنت الحرب.

ومنها: أن يستيقظ الشعب لمصالحه ويتفطن لمهماته ومخلفاته التي لا بد من مباشرتها إما بنفسه أو بوكيله ووصيه فيما لا يفعل إلا بعد موته لأنه قد لا يرجع من سفره هذا بأن يقتل أو يموت أو يؤسر، وفوائد كثيرة من هذا النوع أقتضت في حكمة أمير المؤمنين «عليه السلام» وعلمه تقديم إنذار للشعب وإخطار لرعيته لئلا يفاجئهم الأمر على غير تروي فيخل بمصالحهم الشخصية والمعنوية.

قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين[1]: كتب علي «عليه السلام» إلى عماله حينئذٍ يستنفرهم فكتب إلى مخنف بن سليم: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلٰه إلا هو، أما بعد: فإن جهاد من صدف عن الحق رغبة عنه وهب في نعاس العمى والضلال اختياراً له فريضة على العارفين، إن الله يرضى عمن أرضاه ويسخط على من عصاه، وإنا قد هممنا على المسير إلى هؤلاء القوم الذين عملوا في عباد الله بغير ما أنزل الله واستأثروا بالفيء وعطلوا الحدود وأماتوا الحق وأظهروا في الأرض الفساد وأتخذوا الفاسقين وليجة من دون المؤمنين فإذا ولي لله

---

(١) وقعة صفين: ص٥٦.

أعظم أحداثهم أبغضوه واقصوه وحرموه، وإذا ظالم ساعدهم على ظلمهم أحبوه وأدنوه وبروه فقد أصروا على الظلم وأجمعوا على الخلاف وقديماً ما صدوا عن الحق وتعانوا على الإثم وكانوا ظالمين.

فإذا أتيت بكتابي هذا فأستخلف على عملك أوثق أصحابك في نفسك واقبل إلينا تلقى معنا هذا العدو والمحل بالمعروف وتنهى عن المنكر وتجامع الحق وتباين المبطل فإنه لا غنى بنا وبك عن الجهاد وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنتهى.

إنذارات أمير المؤمنين «عليه السلام» لشعبه بالحرب

وكتب إلى آخرين من عماله على الأطراف ينذرهم بحرب أهل الشام وإن شئت الزيادة فراجع نهج البلاغة تجده حافلاً بهذا وكذلك نصر وغيره.

نسخة إنذار أهل الكوفة بحرب أهل البصرة:

ذكر الطبري في التاريخ[١] قال: لما قدم علي «عليه السلام» الربذة سرح منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر وكتب إليهم: إني قد أخترتكم على الأمصار وفزعت إليكم لما حدث فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً وأيدونا وانهضوا إلينا فالإصلاح ما نريد لتعود الأُمة إخواناً، ومن أحب ذلك وآثره فقد أحب الحق وآثره، ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحق وغمضه الخ.

نسخة إنذار أهل البصرة بحرب أهل الشام:

عن نصر بن مزاحم[٢]: كتب علي «عليه السلام» إلى أبن عباس وإلى أهل البصرة: أما بعد؛ فأشخص إلي من قبلك من المؤمنين والمسلمين وذكرهم بلائي عندهم وعفوي عنهم وأستبقائي لهم ورغبتهم في الجهاد وأعلمهم الذي لهم في ذلك من الفضل، إنتهى.

هذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» بطل العالم الأعظم وقائد الأجيال جميعا لا جيله خاصة بأنظمته وتعاليمه فإن مثلها العليا تجتاز العصور عصراً عصراً وتمر عابرة بالأجيال جيلاً بعد جيل حتى تناولها أيدي المدنية وتقبض عليها بأصابع من حديد، إن هذه المبتكرة النادرة في فن الحرب والفذلكة البديعة في تحريات القيادة تسير مع الأزمنة والعصور مسيرة الأرواح المنعشة وتمر على الأجيال مرور النسائم الارجة فتنتشقها آناف الملوك المتمدنين

(١) تاريخ الطبري ٥/ ١٨٥.
(٢) وقعة صفين: ص٨٥ طبعة بيروت.

وهذا ملك اليابان يصدح بإنذاره لشعبه هاتفا بهم للدفاع عن وطنيتهم وقوميتهم وحرية بلادهم لما أضطره الجور الروسي إلى إشهار الحرب أصدر منشوراً رسمياً[١].

أنظمة أمير المؤمنين «عليه السلام» في الحرب

أمر أمير المؤمنين علي «عليه السلام» جيشه بترتيب بديع: كبث الطلائع التي هي جزء من الجيش واستعمال المراقبة والأستطلاع بتوظيف مراقبين وحياطة الجيش وحراسته وكيفية السير والنزول وكيفية المقاتلة مع العدو وهذه وإن كان بعضها داخل في التدريب وبعضها في التنظيم والترتيب لكن ندرجه في الترتيب لأرتباطه به ولا نعيده هناك.

فائدة بث الطلائع لأُمور شتى:

أولاً: تكون الطليعة أو كتيبة الكشف والأستطلاع مكتشفة بالدقة لما يقوم به العدو من حركات عسكرية ومستطلعة لمراكزه ومواضعه واستحكاماته ومختبرة لما يسهل منه الهجوم عليه فهي في هذا دليل الجيش على ما يحصل له به التفوق والظفر ومرشده للذي يحصل له فيه الفوز عند الاصطدام.

ثانياً: ولا بد فيها من فصيل هندسة لأجل أخذ خريطة الأرض التي بين الجيشين وهي سابقاً وإن لم تضم مهندسين فنيين تخرجوا من الكليات العالية لكنهم مهرة خبراء تجربيون فهم في خبرة تامة بسطح الأرض وعلماء بطقسها وجوهاً وعرفاء بتضاريس سطحها وانبساط أديمها ويقفون على ما فيها من مكامن للعدو أو ملاجئ لجيشهم عند الحاجة ويتحرون النقاط التي يمكن الهجوم فيها على العدو بسهولة، ويختبرون مجاري الأنهار وسدود المياه خوفاً من أن يبثقها العدو على الجيش فيهلك فيقدمون هذه الأوصاف شفهياً للقائد العام فتقوم مقام الخريطة ليكون القائد على ثقة ويقين.

ثالثاً: ولا بد فيها من فصيل أستخبار أي أُناس يتطلعون أخبار الجيش المقابل لينهوها إلى القائد حيث لم تكن ذلك الوقت أسلاك للمخابرة يعرف بواسطتها منازل العدو ومواضعه وحركاته وما يفعل من أشياء يضر إغفالها بالقوة ثم إن هؤلاء يخبرون القائد بحركته إذا تحرك وبمواضع خطوطه إذا أستحكم، وبمقدار قوته كل ذلك مشافهة.

---

(١) أُنظره في: منّجم العمران ٢/ ٢١٧.

وقد كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك، ففي غزوة بدر أرسل أولاً سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمٰن بن عوف للوقوف على أخبار قافلة قريش الصادرة من الشام ثم بعد خروجه بالجيش للقائهم أرسل بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء الجهنيين طليعة له يتجسسان أخبار أبي سفيان قائد القافلة[١].

وهذا الاستطلاع قبل أن يقترب الجيشان بعضهما من بعض، أما إذا تقابلا فالمراقبة وإقامة العين على مرقب يرصد حركة العدو حيث لم يكن المنظار موجوداً في ذاك الوقت فيقام رجل حاد البصر قوي السمع فطناً ـ كما ذكرنا في كلمتنا التمهيدية ـ على أشرف موضع وأعلى مكان يطل على العدو وقد كان يفعله النبي ﷺ ويأمر به سراياه.

ففي السيرة الحلبية في سرية غالب بن عبد الله الجهني وإغارته على بني الملوح يقول عن جندب الجهني: أرسلني القوم جاسوساً لهم ـ يعني أصحابه ـ فخرجت حتى أتيت تلاً مشرفاً على الحاضر، فلما أستويت على رأسه أنبطحت عليه لأنظر إذ خرج رجل منهم فقال لأمرأته: إني أنظر على هذا الجبل سواداً ما رأيته قبل، أُنظري إلى أوعيتك لا تكون الكلاب جرت منها شيئاً، فنظرت فقالت: والله ما فقدت من أوعيتي شيئاً، فقال: ناولني قوسي ونبلي، فناولته قوسه وسهمين فوالله ما أخطأ بين عيني فأنتزعته وثبتُّ مكاني، فأرسل آخر فوضعه في منكبي فأنتزعته وثبتُّ مكاني، فقال: والله لو كان جاسوسا لتحرك لقد خالطه سهمان لا أباً لك، فإذا أصبحت فأنظريهما لأنضخهما الكلاب، ثم دخل فلما أطمأنوا وناموا شننا عليهم الغارة واستقنا النعم والنشاء بعد أن قتلنا المقاتلة وسبينا الذرية الخ.

أوردت هذه القصة لأنها تمثل الثقافة العربية بالرمي كما تمثل ثبات العربي في نجدته وتصلبه في دينه، وخذ هذا النص بلفظه من تعاليم أمير المؤمنين في الأُمور التي ذكرناها.

قال نصر بن مزاحم[٢]: في وصية أمير المؤمنين «عليه السلام» لقائدي مقدمته إلى صفين وهما زياد بن النضر وشريح بن هاني الحارثيين: أما بعد فإني قد وليت مقدمتي زياد بن النضر وأمرته عليها وشريح على طائفة منها أمير، فإن أنتما جمعكما بأس فزياد بن النضر على الناس، وإن أفترقتما فكل واحد منكما أمير على الطائفة التي وليناه.

---

(١) أُنظر السيرة الهاشمية وغيرها. (٢) وقعة صفين: ص٦٧.

وأعلمنا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم، فإذا أنتما خرجتما من بلادكما فلا تسأما من توجيه الطلائع ومن نفض الشعاب والشجر والخمر في كل جانب كيلا يغتركما عدواً ويكون لهم كمين، ولا تسيرن الكتائب إلا من لدن الصباح إلى المساء إلا على تعبئة فإن دهمكم داهم أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم في التعبئة، فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في الأشراف وسفاح الجبال أو أثناء الأنهار كيما يكون ما ورائكم رداً لكم ومقاتلتكم من وجه واحد أو أثنين، واجعلا رقبائكم في صياصي الجبال وأعالي الأشراف ومناكب الأنهار يرون لكم لا يأتيكم عدو من مكان مخافة أو أمن، وإياكم والتفرق فإذا نزلتم فأنزلوا جميعاً، وإذا رحلتم فأرحلوا جميعاً، فإذا غشيكم الليل فنزلتم فخفوا عسكركم بالرماح والترسة، ولتكن رماتكم وراء تراسكم ورماحكم يلونهم، وما أقمتم فكذلك فأفعلوا كي لا تصاب لكم غفلة ولا تلفى لكم غرة، فما قوم يحفون عسكرهم برماحهم وترسهم من ليل أو نهار إلا كانوا في حصون.

وأحرسا عسكركما بأنفسكما وإياكما أن تذوقا نوماً حتى تصبحا لا غراراً أو مضمضة، ثم ليكن ذلك شأنكما ودأبكما حتى تنتهيا إلى عدوكما، وليكن عندي كل يوم خبركما ورسول من قبلكما فإني ولا شيء إلا ما شاء الله حيث السير في أثركما فعليكما في حربكما بالتوادة وإياكما والعجلة إلا أن تمكنكما فرصة بعد الأعذار والحجة، وإياكما أن تقاتلا حتى أقدم عليكما إلا أن تبدأ أو يأتيكما أمري إن شاء الله تعالى، إنتهى.

وهذا الفصل جامع لفنون الاحتراس الحربي وعلى نظامه عمل الدول اليوم وإن اختلفت الآلات وتباينت بالشدة والضعف، ولا ريب أن قوة المدفعية التي تقدم أمام الجيش أقوى من قوة رماة السهام كما أن أكتشاف الطائرات المحلقة أدق من أكتشاف الخيالة، ومد النظارات أنفذ من بصر المترقب، كما أن الألغام المدفونة أمام الجيش وجوانبه أحصن من التراس، ولكن المنهج واحد والنظام فيه نظام أمير المؤمنين علي «عليه السلام»؛ أعترفوا أم جحدوا.

أما مناخ الجيش ومقره ومعسكره فيتخذونه على ما صف «عليه السلام» في معتصم من الأرض منيع فإن لم يكن كذلك أنحسبت القوة عنه عاجلاً، وإذا أضطروا إلى الأستقرار فيه أتخذوا مواضع أحكموها بكل جهودهم من الاستحكامات المسلحة والحفريات والخنادق التي تشاد بالاسمنت وأمثاله من الاشياء الماسكة للأرض الرخوة، وهذه التي تسميها العـ ب خندقاً، والدول

موضعاً، تسميها العشائر اليوم سيباية تجمعها على سوابي كما يجمع الخندق على خنادق، والموضع على المواضع، وكثيراً ما تمدح العرب القائد بالمهارة إذا كان لم يغفل أمر الخنادق على عسكره كالمهلب بن أبي صفرة.

أما مواصلات الأخبار بين الجيش والكشف فعند قدماء الإسلاميين وغيرهم فيخيل الكشف التي أعتاض عنها المتمدنون في عصر الاختراع بالأسلاك واللاسلكيات البرقية لكن النظام هو ذاك النظام إنما تبدلت الآلات والتسب تحسيناً أكثر وعناية زائدة والمنهج واحد وهو علم آمر القوة بما يقدم عليه جيشه ومعرفته بما يفعل مما يكسبه الفوز والظفر؛ فلأمير المؤمنين «عليه السلام» فضيلة التأسيس.

أما التمرين على كيفية القتال فعقدنا له فصلاً مطولاً في كتابنا «السياسة العلوية» فراجعة هناك.

أنظمة أمير المؤمنين «عليه السلام» وتعبئة أهل القرون الوسطى

الثاني: ترتيب أهل القرون الوسطى:

ونظامهم في تعبئة الجيوش وهذا باب واسع أيضاً أوعبنا فيه في «السياسة العلوية».

قال في ذكرى ١٢ ربيع الأول التي تصدرها جمعية الهداية البغدادية ما نصه:

ذكر المحبي الدمشقي في كتابه التكتيب الطريقة التي قسم بها العرب جيوشهم إلى وحدات كبيرة وصغيرة، ومن هذا المرجع النفيس تعرف نقطاً شتى عن الجندية في الإسلام وقد ذكر في هذا السفر الاقسام العسكرية عند الحرب وهي:

اسم الكتيبة	عدد الجنود	اسم الكتيبة	عدد الجنود
الصف	١٩	عصبة صفان	٣٣
زمرة كوكبتان	١٠٢٤	مقنب عصبتان	٦٤
طائفة زمرتان	٢٠٤٨	كردوس مقنان	١٢٨
عسكر طائفتان	٤٠٩٦	جحفل كردوسان	٢٥٦
خميس عسكران	٨١٦٣	كوكبة جحفلان	٥١٣
معسكر خميسان	٨٣٨٤		

وليس في بقية كلامه فائدة كبيرة على ما في هذا من النقاش ولكنا أغمضنا عنه.

قال البستاني في دائرة المعارف: ذكر بعض المؤرخين أن أول من نظم الجند الدولة المصرية الفرعونية فقد جندت جيشاً من الزنوج والأحباش حوالي القرن العشرين قبل الميلاد وخضعت لهم سكان سواحل البحر الأحمر ثم أنتشر أمر التجنيد في الدولة القديمة في آشور وبابل وفينقية واليونان، فالرومان، فالإسلام.

فأما العرب في جاهليتهم فقد كانوا على غير نظام وكانت حروبهم من النوع الذي يعبرون عنه بالكر والفر وذلك أنهم كانوا إذا هموا بالقتال كروا على عدوهم فإذا أحسوا بالضعف فروا ثم يعودون فيكرون وهكذا بلا نظام ولا قاعدة، فلما ظهر الإسلام كان في جملة أوامره ترتيب الناس صفوفاً في الحرب عملاً بالآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1].

وفي الحديث: «المؤمن من المؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً».

وانظر إلى وصيه علي «عليه السلام»: «فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدموا الدراع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس فإنه أنبا للسيوف عن إلهام».

وقال الأشتر يحرِّض الأزد: «عضا على النواجذ من الأضراس واستقبلوا القوم يهامكم وشدوا شدة قوم موتورين يثأرون بآبائهم وإخوانهم حنقاً على عدوهم، قد وطنوا على الموت أنفسهم لئلا يسبقوا بوتر، ولئلا يلحقهم في الدنيا عار».

وبناء على ترتيب الصفوف كانت حروب المسلمين أمام النبي ﷺ صفوفاً وهو ما يعبرون عنه بالزحف فكانوا يسوون الصفوف كما تسوى صفوف الصلاة، ويمشون بصفوفهم إلى الأعداء قدماً واحدة، فحاربوا البدو بنظام لم يعرفوه وكان ذلك من جملة أسباب نصرهم على قبائل العرب أهل الكر والفر، وأعتبر ذلك في تراجم الفاتحين العظام كالإسكندر وسليم العثماني وبونابرت وغيرهم فإنهم إنما علموا العالم هذاالنظام وكان أهل الكر والفر يمنعون رجالهم من الفرار بإبلهم والظهر الذي حمل أظعانهم فيصفونها ورائهم فتكون فئة لهم ويسمونها الجبوزة وهي التي ثبتت أقدامهم في الحرب.

(١) الصف: ٤.

أما المسلمون فكانوا مع ثباتهم في الزحف يجعلون ورائهم الإبل والنساء والولدان والأحمال فيزيدهم ذلك أستماتة في الحرب وصبراً على القتال، كان الجند في أيام النبي ﷺ يرتب صفاً أو صفين تبعاً للكثرة والقلة، فلما تكاثر المسلمون صاروا يجعلونها صفوفاً يرتبونها بأعتبار أسحلتها والأحوال المحيطة بها وإليك وصية علي «عليه السلام» لجنده يوم واقعة صفين فإنها تنطوي على خلاصة تنظيم الجند في الحرب، قال: فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص.

وأول[١] من أبطل الصف في الحروب وصار إلى التعبئة كراديس مروان بن الحكم في قتال الضحاك الخارجي فولى الخوارج عليهم شيبان بن عبد العزيز ويلقب أبا الدلفاء وقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف من يومئذ الخ.

وأخطأ هذا المؤرخ في جعل الكنية لقباً، ومروان بن الحكم خطأ إنما هو حفيده مروان بن محمد بن مروان الملقب بالحمار وبالجعدي.

ثم قال البستاني: وكان الروم إذا نشبت الحرب قسموا جنودهم إلى أقسام يسمونها كراديس (كورئيس) في اليونانية ومعناها الكتلة والكتيبة، ويسوون كل كردوس كتيبة يصنفونها فيجعلون الملك أو القائد العام وحاشيته ورايته في الوسط وشعاره كتيبة تقوم في الوسط ويسمونها القلب وأمامها كتيبة يغلب أن تكون من الفرسان وهي المقدمة[٢] ويقيمون كتيبة أُخرى عن يمين كتيبة الملك يسمونها الميمنة، وأُخرى إلى يساره يسمونها الميسرة وكتيبة وراء يسمونها ساقة الجيش، هذه صورته:

مقدمة

ميمنة قلب ميسرة

ساقة

---

(١) وهم البستاني فقد حارب خالد بن الوليد يوم اليرموك بالكراديس وداومت الخوارج في حروبها على الكراديس وإنما قابلها مروان الحمار مقابلة فلا يكون أول من أبطل الاصطفاف فقد ألغته الخوارج قبله.

(٢) هذا أيضاً خطأ تلغي المقدمة في المقابلة وعند الأصطفاف للقتال كما عرفناك إنما هي قطعة خيل محرضة ومنشبة للحرب تسمى سرعان الخيل والمحرشة والناشبة يقولون: خرج فوارس كذا فأنشبوا الحرب كما يقولون: حرش وأرش بينهم فلان وفلان، وهذه القطعة من الخيل أو من الرجالة بلا فرق لا تكون غير القلب والمجنبتين بل تكون من واحدة منها أو تلتئم من القلب والجناحين كما قالوا في موقعة صفين: خرج ألف فارس من أهل العراق فركزوا رماحهم بين الصفين وخرج إليهم مثلهم من أهل الشام فأقتتلوا فلم يرجع عراقي ولا شامي.

وترى التعبئة على هذه الكيفية خمسة أجزاء: ومنها تسمية الجيش بالخميس ويتقدم الخميس كوكبة من الفرسان يقال لها الطليعة لأجل الأستكشاف على مواقف العدو فإذا ترتب الجيش على هذه الصورة زحف على العدو زحفاً وربما جعلوا ورائهم ما يثبتهم كما كان يفعل الفرس فإنهم كانوا يتخذون الفيلة في الحروب يحملون عليها أبراجاً من الخشب أمثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح والرايات يصفونها ورائهم في حومة الحرب كأنها حصون فتقوى بها نفوسهم، وربما جعلوا ملجئهم الأسرة فينصبون للملك سريره في حومة الحرب وراء المقاتلة ويحف به خدمه وحواشيه وجنوده ممن زعم بالأستماتة دونه، وترفع الرايات في أركان السرير ويحدق به سياج آخر من الرماحة والرجالة فيعظم هيكل السرير ويصير فيئاً للمقاتلة وملجأ لهم، وكثيراً ما كانت العجم تحارب بمثل ذلك.

فأضطر العرب في كثير من وقائعهم مع الفرس والروم في صدر الإسلام أن يحاربوا بالكراديس كما فعل خالد بن الوليد في واقعة اليرموك سنة ١٣ هجرية تعبئ تعبئة لم تعبئ العرب قبلها مثلها: جعل جيشه ٣٦ كردوساً إلى ٣٠ كردوساً، وأقام عليها عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة، وجعل الميسرة كراديس وجعل عليها يزيد بن أبي سفيان وكذلك فعل سعد بن أبي وقاص في القادسية سنة ١٤ لكن يظهر أنهم فعلوا ذلك اضطراب لمحاربة الروم بمثل نظامهم ولم يجعلوا التعبئة قاعدة حروبهم إلا سنة ١٢٨ في عهد مروان آخر خلفاء بني أُمية فإنه أبطل الصفوف ونظم الكراديس فحارب بها الضحاك الخارجي.

على أن بعض دعاة الخلافة من أهل البيب أعتبروا العدول عن الصف إلى الكراديس بدعة في الإسلام فظلوا على الزحف ولو أدى بهم إلى الخطر كما فعل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي لما بعث المنصور عيسى بن موسى لمحاربته فالتقيا بباخمرى على ١٦ فرسخاً من الكوفة فأشار عليه بعض أصحابه أن يجعل جنده كراديس لأن الكراديس أثبت في الحرب وإذا انهزم كردوس ثبت كردوس، أما الصف إذا انهزم بعضه تداعى سائره، فقال إبراهيم: وسائر من معه لا نصف إلا صف أهل الإسلام يعني آلاية الشريفة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1] وبعد رسوخ المسلمين في المدينة تفننوا في تعبئة الجيوش وتعددت حروب التعبئة حتى صارت سبع تعبئات وإنما كانوا لا يستعملونها كلها ولكنهم أدخلوها في شؤونهم الحربية.

(١) الصف: ٤.

التعبئة الأُولى: أن ترتب الجيش بشكل الهلال وهو نوعان: الهلال المرسل والحاد وهو البسيط مثل هلال السماء، والهلال المركب وهو أن يكون إلى جنب الهلال شبه هلالين كأنهما جناحان وهي التعبئة: **الثانية**.

والتعبئة الثالثة: المربع المستطيل.

والتعبئة الرابعة: الهلال المقلوب.

والخامسة: أن ينظم الجيش في شكل المعين والمربع المنحرف.

والسادسة: المثلث.

والسابعة: الدائرة المزدوجة وهي دائرتان أحدهما داخل الأُخرى وكانوا يعمدون إلى هذا الضرب من التعبئة إذا كان جندهم قليلاً وجند عدوهم كثير وهو يشبه آخر ما بلغ إليه المتمدنون من التفنن في التعبئة يعني بونوبارت الذي دوخ به الممالك وهو عمدة الجنود المنظمة إلى اليوم فكان المسلمون إذا عبر الجيش إلى الحرب نظموه إما كراديس أو مربعات أو مثلثات، وجعلوا بعضه كراديس وبعضه مربعات أو هلالياً أو معينياً أو مثلثاً على ما تقتضيه الأُصول.

المعسكر أشبه ببناء فيه الكتّاب والفقهاء والأطباء والكحالون وأصحاب الطبول والاتباع وغيرها، وإذا تهيأ الجيش للقتال في الإسلام نادى قواده النفير النفير وهي خلاصة الهجوم شعار الجند كان العرب في جاهليتهم ألفاظ يتعارفون بها في أثناء الحرب يسمونها شعاراً.

كان شعار الأحزاب في غزوة أُحد بالهبل، وكان شعار تنوخ في الحرب يال عباد، وجعل النبي ﷺ لكل من المهاجرين والأنصار شعاراً: فكان شعار المهاجرين: يا بني عبد الرحمٰن! وشعار الأوس يا بني عبد الله! وشعار الخوارج، إنتهى كلام البستاني على ما فيه من النقد الكثير ولم يذكر شعار الخزرج وهو في التاريخ يا بني عبد الرحيم!.

وتقصد العرب بهذا الشعار إثارة الشعور والحماس كما كان شعار أهل البصرة يوم الجمل: أُمكم أُمكم، وشعار أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» وغيره من أُمراء العلويين: يامنصور أمِتْ، وقد كان شعار أصحاب النبي ﷺ في بعض الغزوات، وهذا ليس هو الشعار القبائلي الذي يعرف بالأنتماء وتسميه العوام اليوم بالنخوة فكانت كل قبيلة تجعل لقبها شعارا لها وينتمي كذلك فيقال: يا آل سعد! يا آل مقاعس! يا آل دارم!.

وهنا قصة ننقل ملخصها شاهداً لنا كما وقع يوم الضقعة وهو يوم الكلاب

الثاني وهذا ما قاله ابن عبد ربه في مقابلة بني سعد بن تميم لبني الحارث بن كعب ورئيس الحارثيين عبد يغوث ورئيس السعديين قيس بن عاصم من جملة القصة[١]: وثبت بعضهم لبعض حتى حجز بينهم الليل ثم أصبحوا على راياتهم فنادى قيس بن عاصم: يا آل سعد! ونادى عبد يغوث: يا آل سعد! قيس يدعو سعد بن زيد بن مناة بن تميم، وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة، فلما سمع ذلك قيس نادى: يا آل كعب! فنادى عبد يغوث: يا آل كعب! قيس يدعو كعب بن سعد، وعبد يغوث يدعو كعب بن مالك، فلما رأى ذلك قيس نادى: يا آل كعب مقاعس! فلما سمعه وعلة بن عبد الله الجرمي وكان صاحب لواء أهل اليمن نادى: يا آل مقاعس! تفائلاً به، فطرح له اللواء وكان أول من أنهزم فحملت عليهم بنو سعد والرباب فهزموهم، الخ.

وقد يكون الشعار فعلاً لا قولاً كما كان تحلاق اللمم شعار بكر بن وائل في بعض حروب البسوس وكان ذلك بأمر الحارث بن عباد اليشكري فارس النعامة.

نظام العشائر في عصرنا

تعبئة العشائر العراقية في عصرنا:

إن ما نتلوه عليك من أنظمتهم هو مما عرفتناه المشاهد لحروبهم وما أوقفنا عليه الفحص الكافي عن نظامهم ومصطلحاتهم، وخذ بعض ذلك أن العشائر اليوم يسمون الحرب (حرابة) والنفير إليها (الفزع والفزعة) والمعركة (العركة) و(العملة) هذا إذا كانت مقابلة في النهار الجموع قبال الجموع وقد تكون كذلك للجموع المتقابلة ليلاً فيقولون: عركة الليل لكنه قليل والغالب عندهم على تسمية واقعة الليل (دكّه)، وكانت العرب تسميها البيات، وكما سمتها العوام دكة سمتها أيضاً (سطوه).

ويسمون الجيش بـ(الجيمة) والفزع والحربية، وقد يخصون بالجيمة ما تسميه العرب المعسكر، ويقسمون الجيمة والفزع إلى ثلاثة اقسام: متقدم ومتوسط ومتأخر؛ فالمتقدم يسمونه (العيالة) والعداية وهو الذي تسميه العرب بالسرعان والرعيل وقد يخصون بهما الخيالة كما يختصون بالناشبة والمورشة ما يسمى اليوم عداية وعيالة، ويسمونه أيضاً حرشة، أما القسم المتأخر وهو الذي يكون ردأ

(١) العقد الفريد ٣/ ٣٦٣.

للجيش للفزع في ظهره قوة له يسمونه الملزومة لأنه يلزم ظهر العراكة ويحميهم ويرد عنهم من أستدبرهم من الأعداء وإذا كسرت العيالة وقفت مع الملزومة في مراكزها وهذا ما عرفته العرب بالساقة والمتوسط هو الجيمة وهو عبارة عن القلب في عرف المحاربين من القدماء وليس عند العشائر جناحان ومجنبتان، أما مخيم العسكر وهو بيوت الفزع سواء كانت خياماً أو صرائفاً من القصب يسمونها (الكنغ) والكناغات وأحدها كناغ، ولعل هذه اللفظة من تراث الاتراك وقد يقتصرون في قسمة الحربية على قسمين هما العيالة والمزومة.

أما المواضع والملاجئ التي يحتمون بها من الرصاص عند الحرب فيسمونها (سوابي) جمع سيباية وهي الخنادق عند العرب والأستحكامات عند الدول ولعل هذه اللفظة باقية عندهم من التراث الفارسي.

أما الشعار عندهم فلهم ألفاظ متداولة عندهم بلسانهم ولهجاتهم يسمونها (النخوة) وكل عشيرة تعرف نخوة الأُخرى إذا وقعت حرب أو كان وقت سلم أُريد به التمايز العشائري تنتمي القبائل بنخوتها، فقد يكون نخوة عامة لأهل مدينة تميزها عن مدينة أُخرى كأولاد علي للمشاهدة أهل النجف أينما حلوا، وأولاد حسين لأهالي كربلاء، وأولاد موسى لأهل الكاظمية، وقد تكون عامة لقبيلة وإن جمعت قبائلاً لتميزها عن قبيلة أُخرى كعشائر بني مالك فإنهم جميعاً ينتمون نخوتهم زيود كما أن القبيلة المكافئة لهم في القوة آل أجود بأسرها وكل بطونها نخوتها يتيم كما أن في عشائر الجزائر في أراضي القرنة تمايز بالنخوة بين رؤساء القبائل العامه كإخوة شيخة للإمارة زعماء المدينة، وإخوة سعد لآل سعد زعماء القرنة، وعامر لآل خيون رؤساء بني سعد.

والعشائر في حروبها العامة تصحب معها العماريات من النساء وهن المحرضات عند العرب، أما حروب البدو في غاراتهم وغزوهم فهو من نوع الكر والفر وقد شاع في بعض قبائلهم كما في قبيلة مطير نخوتهم أهل الردات علوة، أما حروب السفن في الأهوار وهي التي تسمى بالمشاحيف فإنها لا نظام لها عندهم فربما تكون مقابلة وربما يتسلط فريق بشق الأهوار فيخرج عليهم من خفهم من حيث لا يشعرون فيصيب منهم حاجته وذلك لأن الأهوار لا يمكن الاحتراس فيها بكل ما للناس من فن ومهارة.

أنظمة الدول الحديثة

تعبئة الجيوش وأنظمتها الدولية في العصر الحديث:

فهذا هو عصر المدنية والحضارة، عصر المخترعات، فأنا أُورد ما حدّث به أمامي موظف في الجيش العراقي وذلك سنة ١٣٥٧ هجرية وهذا لفظه: نص نظام وزارة الدفاع هو المرجع الأول وهو المسئول عن حسن قيام جميع الضباط والموظفين، يتألف الجيش من قوات:

(١) القوة الجوية.

(٢) الحرس الملكي.

(٣) لواء الخيالة.

(٤) ثلاث فرق مشاة قطعات أُخرى ملحقة لمقر الجيش ومؤلفة من سيارات مدرعة وسيارات مسلحة مدفعية متوسطة، المدارس العسكرية والمؤسسات.

(١) القوة الجوية وهي مؤلفة من أسراب الطائرات تعاون الجيش وأسراب مواصلات ومدرسة طيران ومستودع التصليح والتدريب.

(٢) الحرس الملكي وهو مؤلف من سرايا مشاة وسرايا خيالة.

(٣) لواء الخيالة وهو يتألف من ثلاث كتائب.

(٤) فرقة المشاة وهي مؤلفة من ثلاث ألوية مشاة لوائي مدفعية وفوج مخابرة وسرية هندسة وسرايا نقلية بغال، وسرية نقلية آلية، ومستشفى الميدان، يتألف لواء المشاة من ثلاث أفواج، ويتألف لواء المدفعية من ثلاث بطريات قطعات الجيش هي مؤلفة من كتيبة سيارات مدرعة رشاشات آلية مدفعية متوسطة.

تنظيم الجيش الدولي:

الجيش مؤلف من فرق وأفواج، للأول من الكتيبة ٣٦ وهكذا بقية الأفواج، و ٩ أفواج من الدرك، و٦ أفواج حدود، و٨ سرايا حدود، و٦ بطريات، ولكل فرقة قائد (خطط الحرب) الحرب الجديدة أول ما يتخذ مركز للدفاع كما أتخذت الإنكليز البصرة مركزاً للدفاع (القوات) الإنكليزية في القرنة فكانت مؤلفة مما يلي جهة القورنة ثلاثة أفواج مشاة وأربع مدافع ثقيلة وسرية هندسة وقطعة جساريات وفصيل مخابرة، وكل ذلك بقيادة الجنرال دوبي، وكانت قوات الأتراك في الناصرية مؤلفة من الكتيبة ١٠٤ وسرية خيالة وثمانية مدافع وفوج الدرك السيار،

وكانت الفرقة السادسة من الفيلق الثالث عشر التركي قد رجعت من شمالي خانقين، إنتهى ما وجدته بخطه حرفياً.

وفي الدليل العراقي[١] ما لفظه كلفظه فلذا لا نعيده، وقد كتبنا في «السياسة العلوية» أنظمة اليابان وغيرها تركناه هنا للاختصار.

والنظام الدولي اليوم على نموذج واحد لا تختلف مناهجه إلا ببعض المحسنات، نعم تظهر مهارة المدرب في تثقيف الجند ويبدو أقتدار القائد في ساحة القتال، أما التعبئة فلا تختلف إلا بسعة أقتدار الدولة وقوتها في كثرة الجنود والآليات والأسلحة لكنها مقسومة كلياً إلى ثلاث قوات كبرى: القوة الجوية، والقوة المائية أو الجيش البحري، والقوة الأرضية أو الجيش البري، وكيفية تعبئة هذه القوات لا تختلف مناهجها إلا بحسب الكثرة والسعة، والأنظمة تجري على سنن واحد.

أما القسم الثالث وهو تدريب الجنود على المقاتلة وتثقيفهم على استعمال الآلة بسيطة كانت كما في الأزمنة القديمة أو كانت من الآلات المستحدثة والتمرين على كيفية استعمال السلاح بقسيمه الحديث والقديم والتمرين على تسديد الطلقة والقذيفة فنترك الخوض فيه هنا وإن أسهبنا فيه في كتابنا «السياسة العلوية» فأنك تجد هناك تعاليم القرآن المجيد وتعاليم النبي ﷺ وتعاليم أمير المؤمنين علي «عليه السلام» وقد أوردنا هناك أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» لم يدع باباً من أبواب الثقافة الحربية وتمارين الجنود إلا قرره وفتحه على مصراعيه ليدخل منه القديم والجديد إلى ميدان الحرب الفسيح ويخرج منه حاملاً راية الفوز والظفر فتلك المناهج هي التي تسري عليها الأنظمة الدولية وإن لم تعترف لمبتكرها بفضيلة الاختراع كما هي عقيدة الغرب الذي يجهد على إخفاء كل فضيلة للشرق وطمس كل نور يتألق منه ويحرص كل أن لا يدع له بصيصاً يستضيء به أبن الشرق، وأما الشرق فلقوة السنة في عينيه وتغلب الغفوة على أجفانه لا يبصر بعينيه وإن فتحهما لأن عين النائم لا تبصر، أما إذا أطبقهما كما هو الواقع اليوم فأنى يبصر وكيف يرى؟.

---

(١) الدليل العراقي: ص٤٢٨.

شهادة العباس «عليه السلام»

صفه القتال يوم كربلاء وشهادة العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام»

بعد أن استبان أن العباس بن علي «عليهما السلام» هو عميد العسكر الحسيني وأن مركزه القلب، وعرفت كيفية تنظيم الجيش الحسيني وأن تعبئته هلالية الشكل وعنه أخذ المتأخرون التعبئة الهلالية وصفته هكذا: **جناح أيمن. قلب. جناح أيسر.**

فنحن نذكر الآن كيفية محاربة العباس الأكبر بطل الهاشميين وكيفية شهادته.

وهنا قد اختلف أرباب المقاتل وأضطربت كلماتهم في وقت شهادته «عليه السلام» وكيفيتها وكمية القتل بالذين قتلهم وصفة شهادته ومن قتله.

أما كمية من قتلهم فقد مضى في ذكر شجاعته.

واما قاتله فأصح ما قيل أنه اشترك في قتله زياد بن رقاد الجنبي من جنب من مذحج وحكيم بن الطفيل السنبسي من سنبس من طي، وهذان الفاجران قتلهما المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وزرعة بن شريط الدارمي من تميم وهذا عذبه الله بالنار.

وقت شهادته «عليه السلام»:

فالأقوال في ذلك ثلاثة: أنه قُتل قبل جميع الشهداء «رضوان الله عليهم» وأفرط أهل هذا القول حتى زعم بعضهم أنه قُتل يوم السابع وآخر يوم التاسع كمقتل أبي مخنف الصغير أو المقتل المنسوب إليه، وجزم به بعض متأخرين العجم ونور العين لأبي إسحاق الإسفرائني، ويظهر من كلامه أنه استشهد قبل شهادة الحسين «عليه السلام» بيوم، هكذا يقول في نور العين[1] بعد ذكره لمحاربة العباس «عليه السلام» قال: ثم ضربه رجل منهم بعمود من حديد على رأسه ففلق

---

(١) نور العين ص٢٠.

هامته فأنصرع إلى الأرض وهو ينادي: يا أخي! ياحسين! عليك مني السلام، فحمل الحسين «عليه السلام» على القوم وحاربهم حرباً شديداً حتى قتل منهم ثمانمائة فارس وأتى إليه وحمله وأتى به فطرحه بين القتلى وكان الليل قد أتى عليه فباتوا تلك الليلة وفي الصباح ركب القوم ورجعوا على الحسين «عليه السلام» فتذكر أخاه العباس «عليه السلام» وشفقته عليه وجعل ينادي: وا غوثي بك يالله ياغياثاه، ثم يخرج من قومه فارس بعد فارس وكل منهم يقتل مقتلة عظيمة ثم يقتل فيحمل على القوم نحو المائتين والثلاثمائة والأكثر والأقل ثم يحمله ويأتي به إلى موضع القتلى، ولم يزل حتى قُتل جميع الأنصار والمهاجرين الذين معه وهو يأتي بهم واحداً بعد واحد، الخ.

وهذا القول ضعيف جداً وأضعف منه قول أبي مخنف في المقتل الصغير إن صحت نسبته إليه ولا تصح فإنه يذكر شهادة العباس الأكبر «عليه السلام» يوم السابع وهذان القولان غاية في الشذوذ بل صدمة للقطعي الذي لا يشك فيه أحد أن العباس «عليه السلام» لم يدفن إلا يوم دفن الحسين «عليه السلام» ومما لا يجوز أن يتركه الحسين «عليه السلام» هذه المدة من غير دفن أو يتركه بين جموع أعدائه يمثلون به أشد التمثيل وهو إذ ذاك قوي منيع لا يحول دون مقصده حائل، وسلامة أصحاب الضواري الساغبة إلى طعم المنية لا يعوقها عن حمله عائق فإذن لا يجوز لنا أن نعد هذا قولاً وإن ذكرناه للتنبيه على سخف قاتله وقلة تدبر الجانح إليه.

القول الثاني: وهو الذي عليه عامة أهل التاريخ من أنه «عليه السلام» أُستشهد يوم العاشر بعد شهادة أكثر الأنصار، وأُستشهد قبله فتية من بني هاشم إما كلهم أو بعضهم لأن أهل هذا القول قد اختلفوا على قولين، وبهذا الاختلاف وضمه إلى ذلك القول الشاذ تكون الأقوال ثلاثة.

أحد القولين آنه سبق علياً الأكبر «عليه السلام» بالشهادة وعليه جماعة من أرباب المقاتل منهم فخر الدين الطريحي وتقدم كلامه الذي أوردناه في السقاية عن المنتخب فراجعه.

وعبد الرزاق اليزدي فيقول في مصائب المعصومين[١] بعد شهادة قاسم آبن الحسن وعباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» تقدم علي بن الحسين «عليه السلام» وهو المشهور بعلي الأكبر، الخ.

ومنهم سبط آبن الجوزي الحنفي في التذكرة[٢] فقد قال: قال الشعبي: أول

(١) مصائب المعصومين: ص٢٦٦. (٢) تذكرة الخواص: ص١٤٥.

قتيل منهم العباس بن علي ثم علي بن الحسين الأكبر «عليهم السلام».

ومنهم ملا عبد الله في مقتل العوالم فإنه ذكر شهادة العباس «عليه السلام» سابقة على شهادة علي الأكبر «عليه السلام» وبعد أن أتم الكلام على شهادة العباس «عليه السلام» قال[١]: ثم تقدم علي بن الحسين «عليهما السلام»، وكذا قال الفاضل المجلسي (رحمه الله) في البحار وهو قول محمد آبن شهر آشوب (رحمه الله) في المناقب وسنذكر ذلك إن شاء الله وغير هؤلاء.

ثاني القولين أنه آخر من قتل من بني هشام قبل شهادة الحسين «عليه السلام» وإن أول قتيل من بني هشام هو علي بن الحسين الأكبر «عليهما السلام»، وهذا القول هو المعتمد لأمرين:

أحدهما: أن الإمام صاحب الزمان «عجل الله فرجه» في زيارته للشهداء التي رواها السيد آبن طاوس في كتاب الإقبال وفيها في زيارة علي الأكبر «عليه السلام»: «السلام عليك يا أول قتيل من نسل خير سليل» الخ وهذا نص.

ثانيهما: كثرة القائل به من أهل الضبط والإتقان، وبه قال أبو الفرج الأصبهاني بعد ما نقلناه عنه من قول الشعبي[٢].

وأبو حنيفة الدينوري الفيلسوف المؤرخ في الأخبار الطوال[٣] وهذا لفظه: وبقي العباس بن علي «عليهما السلام» قائماً أمام الحسين «عليه السلام» يقاتل دونه ويميل معه حيث مال حتى قُتل رحمة الله عليه وبقي الحسين «عليه السلام» وحده الخ.

وأبو جعفر الطبري أحد أئمة المذاهب من أهل السنة في تاريخه ذكر أن علي آبن الحسين «عليهما السلام» أول قتيل من بني هاشم.

والشيخ الجليل العظيم رئيس الشيعة المطلق ومحققها أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد (رحمه الله) في كتاب الإرشاد وشيخ الشيعة وأُستاذ العلامة الحلي الشيخ جعفر آبن نما الحلي (رحمه الله) في مثير الأحزان وصاحب النور والكرامات الباهرة السيد رضي الدين علي بن طاوس في كتاب المقتل المسمى بالملهوف ولفظهم جميعاً أنه لما أشتد العطش بالحسين «عليه السلام» فركب المسناة يريد الفرات والعباس أخوه بين يديه فأعترضته خيل آبن سعد فرمى رجل من بني أبان بن دارم الحسين «عليه السلام» بسهم فأثبته في حنكه الشريف

(١) مقتل العوالم: ص٩٥.
(٢) راجع مقاتل الطالبيين.
(٣) الأخبار الطوال: ص٢٥٥.

فانتزع «صلوات الله عليه» السهم وبسط يديه تحت حنكه حتى أمتلأت راحتاه من الدم ثم رمى به ثم قال: اللهم إني أشكو إليك ما يُفعل بابن بنت نبيك ثم اقتطعوا العباس عنه وأحاطوا به من كل جانب حتى قتلوه قدس الله روحه فبكى الحسين «عليه السلام» لقتله بكاءاً شديداً الخ.

وآخرون غير هؤلاء يقولون بمثل هذا القول فلا ينبغي التوقف في أنه آخر من أُستشهد من العلويين، وكلامنا المتقدم في اللواء يعطيك صورة واضحة إلى الجزم بتأخر شهادته عن غيره.

كيفية شهادة العباس «عليه السلام»

أما كيفية شهادته «عليه السلام»:

اختلف فيها الناقلون أيضاً، فمنهم من يذكر أنه مشى أمام أخيه الحسين «عليه السلام» فأقتطعوه منه كما مر.

ومنهم من يذكر أنه بارز مرات قُتل في آخرها، وهذا لا ينافي ما تقدم إذ كان للمرة الأخيرة مشى أمام الحسين «عليه السلام» فأقتطعوه، ولفظهم هذا مجمل لأنه لم يبين صفة اقتطاعه فوجب المصير إلى قول المفصل الذي يقول قطعت يمينه وشماله وفضخت هامته لأن المعارضة بين القولين معارضة المجمل للمبين، والمجمل يحمل على المبين بحسب الأُصول العلمية، ويعنون أن المبين شرح للمجمل، فالذي يقول إنه مشى أمام أخيه الحسين «عليه السلام» لم يورد تفصيلاً ولا بيان كيف كان اقتطاعه ولا بيان كم مرة حمل على القوم إنما قصد أنه آخر مراحل حياته «عليه السلام» كانت كذلك، أما المبين فقد تعرض للكمية والكيفية، كيف قاتل، وكيف قُتل، فذاك آثر الاختصار فأجمل، وهذا أحب التفصيل فبين، وكثير من العلماء اعتماداً على الشهرة لم يذكروا شهادة العباس «عليه السلام» رأساً كالصدوق القمي (رحمه الله) في الأمالي، والشهيد الواعظ الزاهد محمد بن أحمد بن الفتال النيسابوري في روضة الواعظين، وما تركا ذكر مقتله إلا للأكتفاء بشهرته ومعروفيته، وعلى هذا جرى من لم يفعل فإنه أقتصر على ذكر آخر نقطة لفظ بها نفسه النفيسة وروحه الطيبة وخذ المقتل الشريف مفصلاً:

قال رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني في المناقب[1]:

كان العباس السقا قمر بني هاشم صاحب لواء الحسين «عليه السلام» وأكبر

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤/ ٩٧ طبع الهند.

الإخوان، مضى يطلب الماء فحملوا عليه وحمل عليهم وجعل يقول:

لا أرهب الموت إذا الموت زقا حتى أُوارى في المصاليب لقا
نفسي لنفس الطاهر الطُّهر وقا إني أنا العباس أغدو بالسقا
ولا أخاف الشر يوم الملتقى

ففرقهم، فكمن له زياد بن رقاد الجهني من وراء نخلة وعاونه حكيم بن الطفيل السنبسي فضربه على يمينه فأخذ السيف بشماله وحمل عليهم وهو يرتجز:

والله إن قطعتموا يميني إني أُحامي أبداً عن ديني
وعن إمامٍ صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين

فقاتل حتى ضعف، فكمن له حكيم بن الطفيل الطائي من وراء نخلة فضربه على شماله، فقال:

يا نفس لا تخشي من الكفار وأبشري برحمة الجبار
مع النبي المصطفى المختار قد قطعوا ببغيهم يساري
فأصلهم يا رب حر النار

وفي مصائب المعصومين ومقتل العوالم[1] ولفظ الأول: إن العباس لما رأى وحدة أخيه الحسين «عليه السلام» أتى أخاه وقال: يا أخي! هل من رخصة؟ فبكى الحسين «عليه السلام» بكاءاً شديداً ثم قال: يا أخي! أنت صاحب لوائي وإذا مضيت تفرق عسكري، فقال العباس «عليه السلام»: قد ضاق صدري وسئمت من الحياة وأُريد أن أطلب ثأري من هؤلاء المنافقين، فقال الحسين «عليه السلام»: فأطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء، فذهب العباس «عليه السلام» ووعظهم وحذرهم فلم ينفعهم، فرجع إلى أخيه فأخبره، فسمع الأطفال ينادون العطش، فركب فرسه وأخذ رمحه والقربة.

وفي بعض الكتب: إنه جاءت بها سكينة وقالت: ياعم! العطش، فقصد نحو الفرات.

قال الدربندي في حديث أبي مخنف: وقال له العباس «عليه السلام»: سمعاً وطاعة، قال: فضم إليه رجالاً، فسار العباس «عليه السلام» والرجال عن يمينه وشماله حتى أشرفوا على الفرات وفي أطرافه أصحاب ابن زياد «لعنه الله»،

---

(١) مصائب المعصومين: ص٢٥٩، مقتل العوالم: ص٩٢.

فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: من أصحاب الحسين «عليه السلام»، فقالوا: ما تصنعون هاهنا؟ قالوا: كظّنا العطش واشد الاشياء علينا عطش الحسين «عليه السلام»، فلما سمعوا كلامهم حملوا عليهم حملة رجل واحد، فقاتلهم العباس هو وأصحابه فقتل منهم رجالاً أبطالاً وانشأ:

أُقاتل القوم بقلب مهتد أذب عن سبط النبي أحمد
أضربكم بالصارم المهند حتى تحيدوا عن قتال سيدي
إني أنا العباس ذو التودد نجل علي المرتضى المؤيد

قال: فلما فرغ من شعره حمل على القوم ففرقهم يميناً وشمالاً وقتل رجالاً أبطالاً وأنشأ:

لا أرهب الموت إذا الموت رقا حتى أُوارى ميتاً عند اللقا
إني صبور شاكر للملتقى ولا أخاف طارقاً إن طرقا
بل أضرب الهام وأفري المفرقا إني أنا العباس صعب في اللقا
نفسي لنفس الطاهر السبط وقا

قال: فلما فرغ من شعره حمل على القوم وكشفهم عن المشرعة ونزل ومعه القربة فملأها ومد يده ليشرب فذكر عطش الحسين «عليه السلام» فقال: والله لا ذقت الماء وسيدي الحسين «عليه السلام» عطشان، ثم رمى الماء من يده وخرج والقربة على ظهره وهو يقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني فبعده لا كنت أن تكوني
هذا حسين شارب المنون وتشربين بارد المعين
هيهات ما هاذي فعال ديني ولا فعال صادق اليقين

قال: ثم صعد إلى المشرعة فأخذه النبل من كل مكان وهو يقاتل والقربة على كتفه حتى صار درعه كالقنفذ، فحمل عليه أبرص بن سنان فضربه على يمينه فطارت مع السيف، فأخذ السيف بشماله وأنشأ يقول:

والله إن قطعتموا يميني لأحمين جاهداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين سبط النبي الطاهر الأمين
نبي صدق جاءنا بالدين مصدقاً بالواحد الأمين

قال: فحمل على القوم فقتل منهم رجالاً كثيراً ونكس أبطالاً والقربة على

ظهره، فلما نظر عمر بن سعد إلى ذلك قال: ياويلكم! أرشقوا القربة بالنبل فوالله إن شرب الحسين الماء أفناكم عن آخركم، أما هو الفارس ٱبن الفارس البطل ٱبن البطل المداعس، قال: فحملوا على العباس «عليه السلام» حملة منكرة فقتل منهم مائة وثمانين فارساً فضربه عبد الله بن يزيد الشيباني على شماله فطارت مع سيفه فأنكب على السيف بأسنانه وحمل على القوم وهو يقول:

يا نفس لا تخشي من الكفار وأبشري برحمة الجبار
مع النبي سيد الأبرار وجملة السادات والأخيار
قد قطعوا ببغيهم يساري فاصلهم يارب حر النار

ثم حمل على القوم ويداه تنضحان دماً، فحملوا عليه جميعاً فقاتلهم قتالاً شديداً فضربه رجل منهم بعمود حديد ففلق هامته وأنصرع عقيراً على الأرض يخور بدمه وهو ينادي: يا أبا عبد الله! عليك مني السلام، فلما سمع الإمام «عليه السلام» ندائه قال: وا أخاه وا عباساه وا مهجة قلباه! ثم حمل على القوم فكشفهم عنه ونزل إليه وحمله على ظهر جواده وأقبل به إلى الخيمة وطرحه فيها وبكى بكاءاً شديداً حتى أبكى جميع من كان حاضراً وقال: جزاك الله من أخ خيراً لقد جاهدت في الله حق جهاده، إنتهى.

بطل أبوه حمى النبي محمداً في كل ملحمة بحد حسامه
سل عنه أُحداً بعد بدر واعتبر في خيبر النكراء عن إقدامه
والصاحبين الناهضين لمرحب فبرا كلمح البرق من قدامه
والليث حيدر حين زمجر راعه وأقام مبهوتاً على إحجامه
إبليس شجعه فكر وإنه كر سيورده حياض حمامه
قد عاجلته يد الوصي بضربة شطرته متزناً إلى أقدامه
فعلي ناصر أحمد في معرك هاب الصحاب الكل عن إقحامه
هاذي حنين هل أتاك حديثها هي ترجمانك عن علو مقامه
ذا شبله العباس مثل عزمه لما تقدم حاسراً عن لامه
متدرعاً بثباته وحسامه كالنار يلهب في الوغى بضرامه
علم الفخار يرف فوق متونه والجيش ذعراً فر عن أعلامه
أم المسنات التي قد سدها جيش الطغاة بمتقن استحكامه

نسفت قواعدها الحصينة همة ... من يمنع البركان عن إقدامه
حاز الشريعة عنوة ومنكساً ... جيش الدفاع وساحقاً في هامه
مد اليد البيضاء يغرف غرفة ... يروي حشاً قدحت أوار أوانه
فرماه مؤتسياً بسبط محمد ... وبعاطش الأكباد من أرحامه
قل السقاء وسار فيه مبادراً ... نحو الخيام وذاك جل مرامه
كي ترتوي أكباد آل محمد ... ويبل بارده لقلب إمامه

بكاء الحسين على العباس «عليهما السلام»

لم ينفرد هذا الناقل لبكاء الحسين «عليه السلام» على أخيه العباس «عليه السلام» بل هو المشهور عند أرباب المقاتل وقد قلت عند تحبير هذه الكلمة التاريخية مخاطباً للعباس «عليه السلام»:

أبا الفضل أبكيت الحسين وإنه ... صبور على جل الخطوب صليب
فلم يبكه إلا افتقادك إنه ... عظيم له تحت الظلوع ندوب
فلا لوم إذ يبكيك إذ قمت بالذي ... يحق له والناصرون ضروب
فكنت له طوع الإرادة لم تهن ... وانت له دون الحماة حبيب
وقد كان أن يدعو أجبت ملبياً ... فها هو يدعو ما يراك تجيب
ألم تسمع الصوت الذي قد دعا به ... وأنت على شاطي الفرات تريب
وكنت تجيب الصوت من أبعد المدى ... فلم لا أجبت الصوت وهو قريب

وإني كلما تأملت في بكاءاً الحسين «عليه السلام» على أخيه العباس «عليه السلام» أرى أن درجة العباس «عليه السلام» أعظم الدرجات سمواً وأرتفاعاً وأسماها مفخراً، إن من أجرى افتقاده دمعة الحسين الصبور وأسبل مصابه عبرة الإمام الإبي الغيور الذي يأنف أن يشاهد منه العدو الكاشح وهناً وانصداعاً أو يرى خضوعاً وانكساراً فيتجلد تجلد الأُباة ويصبر صبر الكرام وقد بلغ من محافظته «عليه السلام» على هذه الغاية السامية أن لا يدع النساء يبكين خوفاً من شماتة الأعداء، أليس هو القائل لابنه علي الأكبر واخيه العباس وقد سمع بكائهن عصر التاسع في خطابه للأعداء: أسكتاهن فلعمري إن البكاء أمامهن! فهمته العالية وشيمته الشماء التي تلفظ الدنيء وتعاف الساقط لسد منيع بينه وبين المخل

بسيادته، وما الشاعر العربي القائل في أخيه:

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا فإن بها ما يدرك الطالب الوترا
ولست كمن يبكي أخاه بعبرة يعصرها من جفن مقتله عصرا
ونحن أُناس لا تسيل دموعنا على هالك منا وإن قصم الظهرا

بأعظم أنفة وتحفظاً وأشد تنزهاً وترفعاً من سيد الأباة وعميد الأنفين وزعيم أرباب الحفاظ الحسين الذي لم يقدم للعالم إلا المثل العليا والمناهج الراقية فلم تجذبه العاطفة المحضة ويحكم ضميره الحي رتاج الجاذبية الجبلية الخالصة فقط.

نعم، إن في الرجال من يستحق البكاء ويستأهل أن تستدر العظماء عليه حلب أجفانها وتسيل عصارة دموعها، هذا سيد البشر أبو القاسم محمد رسول الله ﷺ لم توازن ثباته الجبال الرواسي، ولم تعدل صبره الصم الصلاد قد جزع لعمه حمزة بن عبد المطلب ورثى لابن عمه جعفر الطيار وبكاهما وأستبكى لهما حيث قال في حمزة: «لكن جمزة لا بواكي له»، وقال في جعفر: «على مثله فلتبكي البواكي»، وما بكاهما إلا لعظمتهما وجلالة قدرهما، وبكى عمه أبا طالب حين توفي وقال: «وصلتك رحم ياعم وجزاك الله خيراً»، وبكى ولده إبراهيم وقد قال بعض العلماء: لو عاش إبراهيم لكان نبياً، فهذا البكاء دليل عظمة المبكى وبرهان سموه.

وفي الشعراء من العرب من يؤثر البكاء على الفقيد العظيم على التسلي، فقال أبو عداس النميري وهو الحارث بن زيد من سادات النمر بن قاسط من ربيعة وكان رئيساً شاعراً أخذ كسرى ابنه عداساً فحبسه، فقال أبوه:

أعداس هل يأتيك عني أنني تغير حلان فطال شحوب
أعداس ما أدراك أن رُبَّ هالك تقطع من وجد عليه قلوب
تخطينه من أن أرى باكياً له فيشمت عاد أو يساء حبيب
وقد كان يخشى أن أرى الموت قبله فبانت به قبلي الغداة شعوب
وإن امرأ يرجو الخلود وقد أرى مصارع فتيان الندى لكذوب
لعمرك ماندري أفي اليوم أو غد ننادى إلى أجداثنا فنجيب

ورأى آخر سفك دمه بدل سفح دمعه، ذاك ٱبن الرومي يقول في علي بن يحيى المنجم:

قد زرت قبرك يا علي مسلّماً ولك الزيارة من أقل الواجب

ولو أستطعت حملت عنك ترابه قد طال ما عني حملت نوائبي
ودمي فلو أني علمت بأنه يروي ثراك سقاه صوب الصائب
لسفكته أسفاً عليك وحسرة وجعلت ذاك مكان دمع ساكب

وأفرط راثي هشام بن المغيرة المخزومي حيث زعم أن يكون بكائه على غير صفة بكاءاً المبكين من الهالكين لأنهم إذا قبسوا إليه فإنهم لا شيء حيث يقول من أبيات:

ألا لست كالهلكى فتبكى بكاءهم ولكن أرى الهلاك في جنبه وغلا
غداة غدت تبكي ضاعة غيثنا هشاماً وقد أعلت بمهلكه صحلا
ألم تريا أن الأمانة أصعدت مع النعش إذ ولى وكان لها أهلا

إن هذا الشاعر في أبيات له سابقة علل وجوب اختصاصه ببكاء خاص أنه ملاذ لهم وكهف لهم في الحرب بشجاعته، وفي السلم بطعامه، وأخيراً ذكر الأمانة فهذه ثلاثة خصال ميزت هذا المبكى عنده عن غيره، وللعباس بن علي «عليهما السلام» هذه الثلاث وثلاث كما عرفت في الجزء الثاني، وزعم شاعر آخر أن المبكى الذي لا يتسلى عنه لعلة واحدة وهي نتيجة الخصال المحمودة أجمع وهي كونه زينة الدسوت الملوكية وزينة القبور ويزعم ذلك محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة الأموي في مسلمة بن عبد الملك الأموي المرواني وإن كذبه الوجدان في هذه الدعوى بقوله:

ضاق صدري فما يجن سواكا عي عن أن يجنه ما دهاكا
قيل ميت أو قيل قبر على الحا نوت لم أستطع عليه تراكا
زائن للقبور فيها كما كنت تزين السلطان والأملاكا

تمحل هذا الأموي شططاً من القول وأرتكب غلطاً فاضحاً، أن مسلمة بن عبد الملك المنبوز بالجرادة الصفراء لا تحمد من خصاله إلا الشجاعة وحسن السياسة والبصر في الحرب وقد يوصف بالعلم وما عدى ذلك من الخصال الحميدة فليس له حظ فيها فقد كان بخيلاً ومنافقاً وجباراً ظلوماً وغير ذلك، ومن كانت هذه صفاته فهو مذموم وممقوت فكيف يعد زينة للملك ولم يرشح كإخوته للخلافة؟ وكيف يزين أهل القبور من هو شقيق هامان؟ إن من يزين الأحياء والأموات مثل أبي الفضل الذي جمع الله له الفضائل في النفس والنسب والأخلاق، ورزقه أعلا درجات الشهادة.

وقد علل الشاعر الأخر استحقاق البكاء لمن شب وشاب على اكتساب المعالي وتحصيل المفاخر كما قال الفرزدق في أبني مسمع وهما مالك ومقاتل من رؤساء ربيعة:

أتبكي على المنتوف بكر بن وائل وتهنئ عن ابني مسمع من بكاهما
غلامان شبا في الحروب وأدركا كرام المساعي قبل وصل حباهما
ولو قتلا من جذم بكر بن وائل لكان على الناعي شديداً بكاهما
ولو كان حياً مالك وابن مالك إذن أوقدا نارين يعلو سناهما

والمنتوف مولى لبني قيس بن ثعلبة من ربيعة كان يخلف يزيد بن المهلب ومالك ومقاتل من صميم قيس بن ثعلبة وهما سيد اللهازم.

وقد تفنن شعراء العرب فنوناً في تعليل الداعي للبكاء على الفقيد العزيز فبعضهم علل بما سمعت وآخرون بأنه عُدّة للنوائب إذا ما طال العمر، وعرضت أمارات الكبر والعجز، وآخرون بأنه ملجأ في الخطوب ومجن من الأعداء إلى غير ذلك.

وانا أرى كل هذه العلل صحيحة وموجبة لا سالبة لكن الذي أبكى النبي ﷺ شديداً على عمه حمزة إنه وقف عليه فرآه ممثلاً به أسوأ تمثيل؛ قد شق بطنه، وبقر عن كبده، وجدع أنفه وأُذناه ومذاكيره كل ذلك من فعل آكلة الأكباد هند جدة يزيد بن معاوية، فأشتد بكاؤه عليه لذلك وقال: وما وقفت موقفاً هو أغيظ لقلبي منه، والحسين «عليه السلام» وقف على أخيه العباس «عليه السلام» فرآه قد مثل به فرأى منه ما أستاء له وتغيظ منه فأحترق قلبه حزناً وترقرقت عبرته وجدا عليه حيث وجده مقطوع اليدين من الزندين، مفضوخ إلهامة، دمه يسيل مختلطاً بمخ دماغه، السهم قد نبت في عينه، ويروى أن سهماً شكه في قلبه ولا ريب إن صح في خروجه من ظهره لأنه لم تبقى له يد ينتزع بها السهم أو يتلقى بها الأرض إذا سقط عن الجواد خصوصاً على المروي الصحيح أن الذي ضربه بالعمود جائه من خلف ظهره فسقط على وجهه، ويروي أنهم احتوشوه لما سقط حتى وزعوه بالسيوف.

وقد ورد في بعض روايات دفن الشهداء أنه كلما حمل منه جانب سقط جانب، ومهما شككنا في صحة بعض الروايات فلا نشك في فضخ إلهامة وقطع الكفين وسهم العين، وإذا كان الحسين «عليه السلام» وجده مكبوباً على وجهه فالحالة محزنة، وإذا كان السهم في القلب فهو لا شك يلاقي الأرض فتدفعه

بقوتها وقوة السقوط من ظهر الجواد المشرف فيخرج السهم من قفاه لا محالة.

نقد المؤلف لمن أنكر وجود نخل بكربلاء

وأستراب بعض مدعي الفقاهة ولا فقاهة له: أن كيف يكمن العدو للعباس «عليه السلام» خلف نخلة؟ زاعماً عدم وجود النخل في أرض الطف الجرداء، ويدعي أنها بيداء قاحلة ومفازة ماحلة لا شجر بها ولا نبات فضلاً عن النخل؟ ويفسرها تفسيراً مضحكاً أشبه عندي بأن يكون فكاهياً منه جدياً، يقول: كمن له وراء نخلة ليست بالفتح على أنها واحدة النخل بل وراء نخله بإضافة نخل إلى الهاء يعني وراء منكبه، وهذا طريف لم تسمح بصحته لغة العرب ويأبى جوازه اللسان الفصيح، وهذا التأويل السخافي الركيك لم يزل يتبجح بنشره على البلداء من الذاكرين والأغبياء من العوام، ومن لم يتنور بنور العلم تردى في مهاوي الجهل.

إن كربلاء كانت على مقربة من نهر الفرات الاصغر المسمى بالعلقمي، وعلى ضفافه حدائق نخل وشجر ومزارعه مشهورة، وعلى شرائعه التي حفت بحرس العدو نخل لسكان الغاضرية ونينوى والعقر وغيرهن من القرى، والعجب ممن يزعم أن نهراً يجري على مسافة بعيدة يخلو من سكان أو أن سكان تلك البلاد وهم من وسط النخل العراقي كما هو موقعهم اليوم لا يعرفون غرس النخل فيحسبهم من سكان الصمان والضلعين! لا أحسب أن العامي يزعم مثل ذلك في أرض كثيرة السكان و أهلها قروية أرباب فلاحة وحرث وبساتين ويقطنون على ضفاف جدول غزير يسقي بساتين تلك البقعة وينصب فاضله إلى الكوفة.

وشرائع هذا النهر مشهورة كما عرفت، وقراه كثيرة معروفة سنذكرها مستقلة، وقد أراد الحسين «عليه السلام» النزول في بعضها فمنعوه وأنزلوه في بعقة جرداء، ومن تلك القرى الغاضرية وهي على ضفاف نهر العلقمي تمتد إلى المسناة التي قُتل عندها العباس «عليه السلام»، وفي المسناة نخيلات لأهل الغاضرية ومنهم أشترى الحسين «عليه السلام» موضع قبره وقبور أصحابه، وعلى هذه المشرعة أستحكام حرس أهل الكوفة القوي وقد وصل إليها العباس ونزل في النهر وملأ القربة منه وقصد بها إلى المخيم فقطعوا عليه الطريق ثم كمنوا له من وراء بعض النخلات فقطعوا يديه.

قال الأُستاذ العلامة المحقق هبة الدين الشهرستاني في كتاب نهضة

الحسين[١]: فتوجه العباس «عليه السلام» نحو الجيوش المرابطة حول الشرائع فأخذوا يمانعونه عن الماء ويستنهض بعضهم بعضاً على معارضته ومقاتلته خشية أن يصل الماء إلى عترة النبي ﷺ، فلم يزل العباس «عليه السلام» يقارعهم ويقاتلهم ويقلب فئة على فئة ويفل العصابة تلو العصابة حتى كمنوا له وراء نخلة من نخيلات الغاضرية فقطعوا يمناه فأخذ السيف بيسراه مثابراً على الدفاع غير مكترث بما أصابه وهو يتلو الأراجيز تلو الأراجيز، ويذكر القوم بمآثر أهل البيت وحسبهم ونسبهم من رسول الله ﷺ فكمنوا له ثانية من وراء نخلة وضربوه بالسيف على يساره فقطعوها فأضحى كعمه جعفر الطيار يدافع عن نفسه وهو مقطوع اليدين، وكأن القوم قد قطعوا بيديه يدي الحسين «عليه السلام» فعند ذلك تقدم إليه دارمي غير هياب له فضربه بعمود من حديد فخر صريعاً وصارخاً: يا أخاه أدرك أخاك! ولم يدرك الحسين «عليه السلام» ظهيره ونصيره إلا بعد أختراق الجموع والجنود، وفي آخر لحظة منه نادباً له وقائلاً: الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي وشمت بي عدوي، إنتهى.

عمود الحديد تسميه العامة اليوم بـ(الدبوس) و (الدنبوس) وهو من أسلحتهم وقد أشتهر بحمله في المعارك الحربية القديمة جماعة من أبطال العرب المسلمين مثل خالد بن الوليد المخزومي والزبير بن العوام ـ على قول ـ والمقداد بن عمرو البهرائي المعروف بابن الأسود وحمزة بن عبد المطلب ـ على ما ذكر ـ ومالك بن الحارث الاشتر، ومن رؤساء الخوارج شبيب بن يزيد الشيباني رئيس الصفرية، وقطري بن الفجأة المازني رئيس الأزارقة؛ فالأول من ربيعة والثاني من تميم.

أما قاتل العباس بن علي «عليهما السلام» فأختلف فيه العلماء فقيل هو زرعة بن شريك الدارمي من تميم، وقيل: زيد بن رقاد الجنبي من مذحج، ويقال جهني من قضاعة.

وقيل: حكيم بن الطفيل السنبسي من طي، وقيل غير ذلك، والدارمي هو الذي صرحت به الزيارة المروية عن صاحب الزمان «عجل الله فرجه»، وأما الجنبي والسنبسي فعليهما نص ثقاة المؤرخين، ولفظ أبي الفرج في المقاتل[٢]: عن أبي جعفر (الإمام محمد الباقر «عليه السلام»): إن زيد بن رقاد الجهني وحكيم بن الطفيل الطائي قتلا العباس بن علي «عليهما السلام»، الخ.

والجمع ممكن بأن يكون على ما صرحت به الأخبار أن الجنبي قطع يمينه

---

(١) نهضة الحسين: ص١٠٥.

(٢) مقاتل الطالبين: ص٣٤.

والسنبسي قطع يساره والدارمي ضربه بالعمود.

وأما رواية سبط ٱبن الجوزي الحنفي في التذكرة من أن قاتل العباس «عليه السلام» حرملة ٱبن الكاهن الاسدي فيمكن حملها على أنه مشترك معهم لأنه صاحب السهم الذي وقع في عينه المباركة فيكون هؤلاء الأربعة قد أشتركوا في قتله، ويؤكده رواية من روى أن حرملة صاحب السهم الذي وقع في قلبه.

انتقام الله تعالى من قتلة العباس «عليه السلام»

أما الدارمي التعيس فقد تقدم ما عاقبه الله به وجعله فيه عبرة لأهل الجور والظلم فيما عاجل الله به قتلة الحسين «عليه السلام» من العقوبة في الدنيا.

واما الجنبي والسنبسي فأخذهما المختار وقتلهما وكذلك حرملة.

صفة قتل الطائي:

ذكر المؤرخان الكبيران الجزري والطبري ـ ولفظ الأخير في تاريخه[1] ـ قال: ثم إن المختار بعث عبد الله بن كامل إلى حكيم بن الطفيل الطائي السنبسي وكان قد أصاب سلب العباس فأتاه عبد الله بن كامل فأخذه ثم أقبل به فذهب أهله فأستغاثوا بعدي بن حاتم فلحقهم في الطريق فكلم عبد الله بن كامل فيه، فقال: ما إلي من أمره شيء وإنما ذاك إلى الأمير المختار، قال: فإني أتيه، قال: فإنه راشداً.

فمضى عدي نحو المختار وكان المختار قد شفعه في نفر من قومه أصابهم يوم جبانة السبيع لم يكونوا نطقوا بشيء من أمر الحسين «عليه السلام» فقالت الشيعة لابن كامل: إنا نخاف أن يشفع الأمير عدي بن حاتم في هذا الخبيث فدعنا نقتله، قال: شأنكم به، فلما انتهوا به إلى دار العنزيين وهو مكتوف نصبوه غرضا ثم قالوا له: سلبت ٱبن علي «عليه السلام» ثيابه، والله لنسلبنك ثيابك وأنت حي تنظر، فنزعوا ثيابه ثم قالوا له: رميت حسيناً «عليه السلام» وأتخذته غرضاً لنبالك وقلت: تعلق سهمي بسرباله ولم يضره، وايم الله لنرمينك كما رميته بنبال ما تعلق منها بك أجزأك، قال: فرموه رشقاً واحداً فوقعت به منهم نبال كثيرة فخر ميتاً.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو الجارود عمن رآه قتيلاً كأنه قنفذ لما فيه من كثرة النبل، الخ.

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ١٢٨.

وبنو سنبس رهط الشقي حكيم بن الطفيل من قبائل طي ومنهم اليوم بالألوية الشمالية عشائر كبيرة مشهورة بهذا الإسم.

صفة قتل آبن الرقاد

أما صفة قتل ابن الرقاد:

فذكرها المؤرخان أيضاً ونص الطبري[1] قال: وبعث المختار عبد الله الشاكري إلى رجل من جنب يقال له زيد بن رقاد وكان يقول: لقد رميت فتى منهم بسهم وإنه لواضع كفه على جبهته يتقي النبل فأثبتُّ كفه في جهبته فما أستطاع أن يزيل كفه عن جبهته.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو عبد الأعلى الزبيدي أن ذلك الفتى عبد الله بن مسلم بن عقيل وإنه قال حيث أثبت كفه في جبهته: اللهم إنهم أستقلونا واستذلونا، اللهم أقتلهم كما قتلونا وأذلهم كما ذلونا، ثم إنه رمى الغلام بسهم آخر فقتله فكان يقول: جئته ميتاً فنزعت سهمي الذي قتلته به من جوفه ولم أزل أُنضنض السهم من جبهته حتى نزعته وبقي النصل في جبهته مثبتاً ما قدرت على نزعه.

فلما أتى آبن كامل داره أحاط به وأقتحم الرجال عليه فخرج مصلتاً بسيفه وكان شجاعاً، فقال آبن كامل: لا تضربوه ولا تطعنوه برمح ولكن أرموه بالنبل وأرجموه بالحجارة، ففعلوا ذلك به فسقط، فقال آبن كامل: إن كان به رمق فأخرجوه، فأخرجوه وبه رمق، فدعا بنار فحرقه بها وهو حي لم تخرج روحه، إنتهى.

بنو جنب رهط هذا الشقي من مذحج وهو ستة بطون: منبه والحارث والفلي وسجان وشمران وهفان بنو يزيد بن حرب بن علة بن جلة بن مذحج جانبوا أخاهم صداء وحالفوا سعد العشيرة فحالف أخوهم صداء بني الحارث آبن كعب فاللعين آبن رقاد من هؤلاء، وليس في العرب جنب سواهم وعليهم نزل مهلهل أخو كليب في الجاهلية هارباً من بكر بن وائل حين أجتمعت كلمتهم على تغلب فلم يقوموا لهم، وما أحسنت جنب جواره بل أساءت وأجبرته على تزويج أبنته من بعضهم وكان لا يراهم أكفاء لها وأصدقوها أدماً وهي الجلود المدبوغة وذاك حيث يقول مهلهل:

أنكحها فقدها الأراقم في جنب وكان الحباء من آدم

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ١٢٨.

في أبيات له، وليس قول من نسبه جهنياً إلا على إرادة الحلف أو التصحيف.

صفة قتل آبن الكاهن

أما صفة قتل ابن الكاهن:

فيروي شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (رحمه الله) في كتاب الأمالي[١] بالإسناد إلى المنهال بن عمرو الاسدي قال: دخلت على علي بن الحسين «عليه السلام» منصرفي من مكة فقال: يامنهال! ما صنع حرملة بن كاهن الأسدي؟ فقلت: تركته حياً بالكوفة. قال: فرفع يديه جميعاً فقال: اللهم أذقه حر الحديد، اللهم أذقه حر النار.

قال المنهال: فقدمت الكوفة وقد ظهر المختار بن أبي عبيدة وكان لي صديقاً، قال: فمكثت في منزلي أياماً حتى أنقطع الناس عني فركبت إليه فلقيته خارجاً من داره، فقال: يا منهال! لم تأتنا في ولايتنا هذه ولم تهنئنا بها ولم تشركنا فيها، فأعلمته أني كنت بمكة وأني قد جئتك الآن، وسايرته ونحن نتحدث حتى أتى الكناس فوقف وقوفاً كأنه ينتظر شيئاً وقد كان أُخبر بمكان حرملة فوجه في طلبه فلم نلبث أن جاء قوم يركضون وقوم يشتدون حتى قالوا: أيهاالأمير! البشارة قد أُخذ حرملة بن كاهن.

فما لبثنا أن جيء به فلما نظر إليه المختار قال: الحمد لله الذي أمكنني منك، ثم قال: الجزار الجزار، فأُتي بجزار فقال: إقطع يديه، فقطعتا، ثم قال: إقطع رجليه، فقطعتا، ثم قال: النار النار، فقلت: سبحان الله! فقال: يامنهال! إن التسبيح لحسن ففيم سبحت؟ فقلت: أيها الأمير دخلت في سفرتي هذه منصرفي من مكة على علي بن الحسين «عليهما السلام» فقال لي: يا منهال! ما فعل حرملة بن الكاهن الأسدي؟ فقلت: تركته حياً بالكوفة، فرفع يديه جميعاً وقال: اللهم أذقه حر الحديد، اللهم أذقه حر النار.

قال: فنزل عن دابته فصلى ركعتين فأطال السجود ثم قام فركب وقد أُحرق حرملة وركبت معه وسرنا فحاذيت داري فقلت: أيها الأمير! إن رأيت أن تشرفني وتكرمني وتنزل عندي وتتحرم بطعامي، فقال: يامنهال! تعلمني أن علي بن الحسين «عليهما السلام» دعا بأربع دعوات فأجابه الله على يدي ثم تأمرني أن

---

(١) الأمالي للطوسي: ص١٤٩.

آكل؟! هذا يوم صوم شكراً لله تعالى على ما فعلته بتوفيقه.

حرملة هو الذي حمل رأس الحسين «عليه السلام»، إنتهى.

وسبب دعوة الإمام زين العابدين «عليه السلام» على حرملة خاصة وأفرده بالدعاء عليه دون سائر قتلة الحسين «عليه السلام» لجرأته العظيمة على الله لمقارفته فظائعاً شتى وأفظعها ذبح الطفل الرضيع في حجر أبيه مع أنه رمى العباس «عليه السلام» بسهم أصاب عينه، ورمى الحسين «عليه السلام» بسهم وقع في صدره وهو غير سهم أبي الحتوف المحدد الذي وقع في لبة قلبه، وتمثل قساوته البالغة أقصاها أمتناع العسكر من إجابة عمر بن سعد وإسراعه لما أنتدبه عند إقبال الحسين «عليه السلام» بطفله المشرف على التلف من الظمأ عبد الله الرضيع يستسقي له الأعداء فسارع اللعين متقبلاً ذاك الاقتراح القاسي من الغوي قائد الغوات في أن يحسم نزاع العسكر حول الشفقة على هذا الطفل الذي لم يقم بذنوب الكبار ولم يتلبس بخطايا البالغين بزعمهم إلى أئمة العدوان أئمتهم اللعناء فتحرى عدو الله رقبة الطفل البيضاء التي تبض كوميض بارقة وأستهدف ومضة عنقه اللماعة التي تشع على ذراع أبيه الحنون المنعطف فسدد المشوم رميته صوب هدفه وقرطس بسهمه الناقع سما رقبة الطفل الضعيف الذي يستدر عاطفة الحنان ويستدعي حدب الإنسانية فذبحه من الوريد إلى الوريد.

ويزعم أقسى الخليقة قلباً وأغلظ البشرية كبداً أنه رق لذاك الطفل الذي جيء به يسقى الماء السلسال فسقي من دمه السيال متى زعم هذا العاتي تلك الرقة المزعومة وانكسار الخاطر المكذوب حين أحس الطفل المغمى عليه من العطش بحرارة السهم الحاد فأستخرج يده من القماط لائذاً بالأب العطوف، عائذاً بالوالد الحنون، معتنقاً إياه عناق وداع وفراق لا عناق أستقبال وتلاق.

إن مثل هذه لو صوّرها الخيال على مسرح الفكر لما تيقن صدق هذه المخيلة الشاذة بتصوير مثل هذه البشعة النكراء فكيف إذا كانت حقيقة وواقعة من إنسان العدوان، إنسان القسوة، إنسان الجلفية، قد قلت إنه إنسان إفهاماً وتفهيماً في التمثيل، وعقيدتي إنه شيطان متمرد تشكل بصورة إنسان، ومارد متشيطن تقمص بقالب بشر، بل سبع نهم وذئب مقرم يقضم بأنياب مطامعه لحوم التوحيد، ويقطع بنواجذ شرهه أعصاب الدين.

ولعظم هذه الجريمة وفظاعتها وضع الحسين «عليه السلام» يده تحت نحر الطفل حتى إذا امتلأت من دمه رمى بها إلى أُفق السماء قائلاً: اللهم لا يكن أهون

عليك من فصيل، ولا غرابة أن لا يرجع إلى الأرض من ذلك الدم الطاهر الزكي قطرة، ولا عجب لو ترشفته السماء الصافية الأديم ترشفاً وطرزت به آفاقها وحلت به شفقها المحمر دوماً ليترجم للأجيال القادمة فعال تلك العصابة الشريرة.

وهذا الجرم العظيم وهذه الجرأة البالغة أقصاها أستدعت من الإمام السجاد «عليه السلام» الأهتمام بالدعاء عليه خاصة، ولعل اختيار إعدامه حرقاً، ظاهر السر، الجلي الحكمة: إن هذا اللعين قد أحرق بفعله قلوباً: قلب أُمه الرباب المصابة بوحيدها، قلب أبيه المذبوح طفله على ذراعيه،اللهم أذقه حر النار، استجاب الله لك أبا محمد.

مرقد العباس حيث يزار الآن

بأتفاق الناس لم يخالف في ذلك مخالف لتظافر النصوص الواردة في دفن الشهداء «عليهم السلام» وأنهم دفنوا كلهم حول قبر الحسين «عليه السلام» إلا الحر بن يزيد الرياحي وأخوه العباس «عليه السلام» دفن حيث سقط، ودعوى بعض أرباب المقاتل من أنه «عليه السلام» حمله على فرسه وجاء به إلى الخيمة فمردود بما ذكرنا من الاتفاق حتى من أهل هذا القول في دفن الشهداء أنه «عليه السلام» دفن حيث صرع فالقول بحمله إلى خيمة القتل من الوهم الواضح.

الأسباب في ترك العباس «عليه السلام» في مكانه

السر في إبقائه حيث سقط:

إن الحسين «عليه السلام» لم يحمل العباس «عليه السلام» إلى خيمة الشهداء كما حمل إليها بقية الشهداء من أصحابه وأهل بيته لأنه «عليه السلام» نصب خيمة في وسط المعركة يحمل إليها كل من أُستشهد من أصحابه وأهل بيته وإنما أفردها من المخيم وجعلها وسط المعركة لأمرين:

أحدهما شرعي: وهو أن الشهيد إذا مات في المعركة جري عليه حكم الشهيد بأن لا يغسل ولا يكفن ويدفن في ثيابه، ولا يغسل عنه دم ليقوم عند الحشر محاججاً قاتليه ومخاطباً لهم على قتله ويكون لون ثيابه لون الدم والريح ريح المسك، ومن جرح ومات خارج المعركة فله أجر الشهيد ومرتبة الشهيد ولا تجري عليه أحكام الشهيد فيغسل ويكفن كغيره، فحفظاً لهذا المبدأ ومحافظة على هذا النظام الإسلامي آمر «عليه السلام» بنصب تلك الخيمة في وسط المعركة.

ثانيهما: عربي حفاظي وذلك أنه «عليه السلام» من صميم العرب ولباب أرباب الحفاظ والشيم وسادات أرباب الغيرة والحمية الذين يغارون على الحرم ويغالون في صونها ببذل المجهود وبكل ما في وسع الجهود وفي جيشه نساء مخدرة وعقائل محترمة مصونة بصيانة الجلالة والعظمة، مسترة بستر الاحترام والتجلة، مرخى عليها رواق الحشمة والعظمة، والمرأة مهما كانت محتفظة بوقارها مبالغة في التمسك بسترها إذا رأيت بعينها فقيداً عزيزاً تنذهل وتفقد الوعي والشعور، وقد يغلبها الجزع لعظم الصدمة فتلهوا عن الوقار وتذهل عن الأحتشام وربما تبدو حاسرة أو تظهر سافرة مكشوفة الوجه للنظار فإن المذهول المندهش لخوف شديد أو لصدمة جائحة ممضة لا يحتفظ آنات الأمن والسرور.

فمحافظة على هذه المقاصد العليا والغايات الشريفة أبعد اشخاص الشهداء عن أعين العقائل والعادات قاضية بأن مصاب العظيم من الرجال يسبب أنذهال المصونات فيبدين للنظار سوافر ويبرزن للأعين حواسر، وقد قال الربيع بن زياد أحد الكملة من بني عبس ورئيسهم في الجاهلية في رثائه مالك بن زهير العبسي لما قتلته فزارة:

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأتي نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسراً يندبنه يلطمن أوجههن بالأسحار

فالحسين «عليه السلام» حافظ تمام المحافظة على عدم إزعاج العقائل من خدورهن كي لا تصاب لمذهولة غرة وتنال من مذعورة غفلة بسقوط خمار أو رفع برقع أو كشف نقاب عن وجه محجبة لا زال تصونه النبوة بقداستها ويستره الوحي بجلاله.

فلم يحمل أخاه العباس «عليه السلام» إلى هذه الخيمة التي تجمع الشهداء أنصاره وأهل بيته والتي هي غير بعيدة عن المخيم الحسيني ولا نائية عن أخبية النساء، وراعى في إبقاء العباس «عليه السلام» في موضع سقوطه غير ما ذكرنا أمور أخرى تشف لمتأملها عن عظمة شأنه وترمز إلى شموخ محله وسمو منصبه إذ أنه عنوان الفضائل ورمز الجلالة:

أحدها: إنه «عليه السلام» قصد بذلك إظهار فضيلته المستقبلة وإبانة جلالته في الأجيال الآتية ليعرف قدره ويستبين تفوقه الذي يلتئم مع شخصيته الفذه ويتفق مع أهليته فأحب لذلك أن يبقى هناك ليدفن في موضعه حتى يكون له قبر مشيد بأنفراده وعلم ظاهر ومرقد مشهور فيمتاز بعد وفاته كما أمتاز في حياته وليبقى ذاك

القبر المقدس والضريح المتسامي للضراح والقبة السامعة تفاخر نجوم الثريا شموخاً وأرتقاء ويبقى ذاك المرقد المنيف مقصد العدو الذي يسميه الإمام العباس، والولي الذي يسميه قاضي الحاجات على السواء، وليخضع الجريء في أعتابه فيقول بعاميته: الترهب ببيانه، هذا سر واضح يتجلى لنا نوره متألقاً.

ثانيها: إنه «عليه السلام» حين صرع أخوه العباس «عليه السلام» لم يبقى معه أحد من أنصاره وأهل بيته من يحمله فإن العباس «عليه السلام» كان بطلاً ممتازاً بالجسامة ومعروفاً بالضخامة فيحتاج إلى من يحمله ليحامي عن الحسين «عليه السلام» ويدفع عنه الأعداء فإنه لو حمله هو بنفسه ما وجد له من يحمي ظهره من العدو الغادر الذي يتحين الفرص في قتله ويتحرى الوصول إلى القضاء عليه بكل ما أمكنه من جهود وحيث لا حي في الخيام ممن له قابلية الدفاع لأنهم قتلوا وجرحوا جراحات تمنعهم من الجلاد وفر الضحاك المشرقي وجبن بعض الأرقاء من الجلاد كعقبة بن سمعان فإذن ليس إلا الإمام العليل الذي أسقط عنه الدفاع عدم التمكن من القيام وعدم الأستقلال بالنهوض وحده إلأ متوكئا على شيء أو معتمداً على إنسان، ومن كان بهذه الصفة لا يستطيع أن يحمي ظهر المحارب الذي ألهاه الحمل عن الحملة وهناك صبية صغار ونسوة مذاعير فلا مجال لحمله «عليه السلام» ولم تسنح فرصه لنقله.

ثالثها: إن الحسين «عليه السلام» لما وصل إلى أخيه العباس «عليه السلام» عقيب ندائه أدركني يا أخي وشق إليه الصفوف العدوانية المتكدسة على مصرعه شقاً وصدع جموعها بجولته ألفاه بآخر رمق من الحياة يكاد أن يلفظ آخر نفسه له وما كلمه تلك الكلمات والوجيزة الحارة اللاذعة إلا ولفظ مع آخرها روحه الزكية وختم بها حياته الطيبة ولا معنى لحمل من يعالج سكرات الموت ويكابد آلام الاحتضار مع أن الغرض الذي يحمل من أجله الشهداء وهو الخوف من أن يجهز العدو على الجريح قد زال بوفاته والغاية الشرعية بموته في المعركة حاصلة فأبقاه في موضعه.

رابعها: إن في المخيم من نساء وأطفال وأعبد ضعفاء النفوس وجرحى في خيمة القتلى كانوا جميعاً غير مرتاعين ولا منزعجين وحياة العباس «عليه السلام» قائمة، واثقين شبحه قائماً في المعركة يجالد الأعداء فهم في منعة واملهم وطيد بأنه سيدفع عنهم التعديات العدوانية وإنه يقوم بالدفاع المشترك مع أخيه الحسين «عليه السلام» والتعاون معه وبذلك الدفاع الثنائي من الأخوين سيكون المخيم

كعرينة الليث وسيبقى المنزل العائلي كغابة الأُسود تزأر أمامها السباع الضواري وما دامت الأسود تهدر والنمور تزأر لا تدنو الوحوش فلا تقترب الذئاب الساغبة فيها فإذا هذا الصوت الأسدي الصاخب من ناحية أقتحمها الذئب المخاتل هذا ويرون أن حياة الحسين «عليه السلام» مضمونة بضمان السلامة ما قام أبو الفضل ينافح عنه ويكافح دونه وقد جعل نفسه وقاية له وحياته فداء لحياته فإذا حمله إلى الخيمة فإنهم ولا شك إذا رأوه قتيلاً يرتاعون أشد الارتياع ويندهشون أعظم الأندهاش ويخالجهم الرعب والذعر الذي لم يخالجهم وشخصه بالوجود ويحسبون لقتل الحسين «عليه السلام» ألف حساب وقد عقدوا فيه آمالهم، فإذا قتل العباس «عليه السلام» فإنه سيستقتل ويستهدف للأعداء ويصحر لهم وقد فقد المحامي والمدافع لا ريب في ذلك لأنه مطلوب أهل الكوفة والغاية المقصودة من تحشدهم وقد فتحت الثغرة بقتل العباس «عليه السلام» ولاحت الثلمة في الحص لرامقها فترك العباس «عليه السلام» في موضع سقوط متعين لهذه المصلحة الحربية والحسين «عليه السلام» لا تنكر مهارته الحربية ولا خبرته بفنون القتال فهو القائد المحنك والزعيم المجرب فإبقاء الفقيد العزيز في موضعه أقرب للمصلحة الحربية من تهايج النساء المذعورة وهيجان الصبية المرعوبة فإن إزعاجها وقلقها يزعج راحة قلب الغيور ويقلقه ويلهيه عن التفكر في مقدمة الحربي ويشغل حواسه من التبصر بكيفية القتال وملاقات العدو المسرف بهدوء وتفكير.

خامسها: إن بعض أهل المقاتل يصرح بمحبة العباس «عليه السلام» للبقاء وأنه أختار ذلك لأمرين:

أحدهما: ما ذكرنا في نزول الموت به.

وثانيها: الأستحياء من خلف موعده لسكينة «عليها السلام» بإحضار الماء لها ولم يأتها به لحيلولة الأقدار دون ذلك فأقسم على أخيه الحسين «عليه السلام» بحرمة جده رسول الله ﷺ أن يدعه في مكانه ولا خفاء أن خلف الوعد ولو كان لسبب قهري صعب عند ذوي الشهامة والمروة، والاعتذار قبيح عند صاحب الإباء والحفيظة، ونفسية العباس «عليه السلام» الحرة وشعوره الحي ويقظته الوقادة تأبى أن تتوسم في ملامحه أو ترتسم في أسارير غرته الغراء آثار الخلف وعدم الوفاء بالموعود ولو كان بغير اختيار لغلبة الأقدار وحيلولة القضاء بينه وبين مبتغاه وعرقلة المنية لنجاح مسعاه، وإن أجله المبادر أحبط أمله الذي كان يدعمه ظن الفوز والظفر بموعوده.

هكذا تجد النفوس الزكية والأرواح الطيبة أن نظر الموعد إلى وجه الموعود كسراً وهضماً إذ لم يبلغه الأمل ولم يوصله إلى البغية ولم يمكنه من المراد.

ويظهر من بعض المقاتل ما ينبغي أن نعده سبباً سادساً وهو أن جسد العباس «عليه السلام» قد وزعته أسلحة الأعداء توزيعاً وفصلته مفاصلاً وآراباً بحيث لا يمكن حمله لتساقط أعضائه فيحتاج في حمله إلى وعاء (سدية) لتجمع أعضائه الموزعة وهذا غير بعيد عن النظر الدقيق فإن التفكر في قسوة الجيش الكوفي وغلظة أكباد أُمرائه وقواده وجلفيتهم وأخلاقهم الجافية في عموم بني الإنسان فإذا أُضيف إلى هذا بغضهم لآل علي «عليه السلام» الذي أباد أسلافهم في حروبه ونظر إلى حنقهم الزائد على العباس خاصة وتأثرهم من حد صارمه الطائش في ساحة الجلاد والذي نثر جماجم أعيانهم وهام أبطالهم على وهاد كربلاء قادهم إلى التشفي الغليظ الشائك منه بتوزيع أشلائه المباركة غيظاً وحنقاً عليه.

وهنا يقول اليزدي في مصائب المعصومين[1]: روي في بعض المقاتل أنه لما رأى الحسين «عليه السلام» أخاه العباس «عليه السلام» قد وقع على الأرض مقطع الأعضاء مزمل بالدماء بكى بكاءاً عالياً فقال له: هل من وصية؟ قال: يا أخي! وصيتي أن لا تحملني إلى الخيام ما دمت حياً، فسأله عن سببه؟ قال: إني أستحي من سكينة لأني ما قدرت على إتياني لها بشربة من الماء، ثم أرتحل روحنا لروحه الفداء.

وروي في بعض الكتب أن من كثرة الجراحات الحالة عليه لم يقدر الحسين «عليه السلام» أن يحمله إلى محل الشهداء فترك جسده الشريف في محل مقتله ورجع «عليه السلام» باكياً إلى الخيام، إنتهى.

وتقدم كلام الدربندي في كبش الكتيبة والقائلون من أرباب المقاتل أن الحسين «عليه السلام» حمل أخاه العباس كصاحب المنتخب ومن وافقه من أرباب المقاتل فهم خصوم أنفسهم ومحاكموها بما ذكروه من دفنه على ضفاف العلقمي حيث مزاره الآن فإنهم جزموا بذلك ولم ينقلوا أن علي بن الحسين «عليهما السلام» نقله عند دفن الشهداء إلى هذا الموضع ولا حمله الأسديون، ثم ما الفائدة في النقل إلى هذا الموضع بخصوصه وإبعاده عن مرقد أخيه ولوجب أن يكون لو نقل أقرب الناس إلى الحسين «عليه السلام» كما أن ابنه علي الأكبر فلا ينبغي التردد والارتياب في أنه «عليه السلام» بقي حيث سقط على المسناة.

---

(١) مصائب المعصومين: ص٣٦٠.

ويلزمنا هنا بيان أمرين:

أحدهما: دفن الشهداء كيف كان؟

ثانيهما: التعريف بكربلاء القديمة وبعض قراها لتعرف من هي الغاضرية ومن نينوى والعقر؟

فقد زلت هنا أقدام فطاحل من العلماء وكبا آخرون من المؤرخين في هوة الوهم.

دفن الشهداء وأين دفنوا؟

فإن أبا الفضل بدون أرتياب ولا تشكيك دفن على مسناة العلقمي وهذا متواتر في النقل وعليه عمل الشيعة من حين دفنهم إلى يومنا هذا.

قال فخر الدين الطريحي (رحمه الله) في المنتخب[١]: كلهم دفنوا مما يلي رجل الحسين «عليه السلام» في مشهده فإنهم حفروا لهم حفيرة عميقة وألقوا فيها جميعاً وسوي عليهم التراب رحمة الله عليهم، وأما العباس «عليه السلام» فإنه دفن ناحية منهم في موضع المعركة عند المسناة وقبره ظاهر على ما هو الآن وليس لقبور إخوته وبني عمه الذين سميناهم أثر ظاهر إنما الزائر يزورهم عند رجلي الحسين «عليه السلام» ويومي إلى الأرض ويشير إليهم بالسلام وعلي بن الحسين «عليهما السلام» من جملتهم، وقيل: إنه أقرب منهم إلى قبر أبيه «عليه السلام»، وأما أصحاب الحسين «عليه السلام» الذين قتلوا معه فإنهم دفنوا حوله وليس لهم أجداث على الحقيقة ولا شكل أنهم في الحائر المقدس على ما نقل عن الثقاة والحائط محيط بهم «رضوان الله عليهم أجمعين».

وقال السيد الداودي في العمدة[٢]: وقبره ـ يعني العباس «عليه السلام» ـ قريب من الشريعة حيث أُستشهد وكان صاحب راية أخيه الحسين «عليه السلام» ذلك اليوم، إنتهى.

وقال الشيخ المفيد (رحمه الله) في الإرشاد[٣]: ولما رحل عمر بن سعد «لعنه الله» خرج قوم من بني أسد كانوا نزولاً بالغاضرية إلى الحسين «عليه السلام» وأصحابه فصلّوا عليهم ودفنوا الحسين «عليه السلام» حيث قبره الأن ودفنوا ابنه علي بن الحسين الأصغر عند رجلي الحسين «عليه السلام» وحفروا للشهداء من

---

(١) منتخب الطريحي ١/١٨.

(٢) العمدة: ص٣٢٣.

(٣) الإرشاد: ص٢٥٨.

أهل بيته وأصحابه الذين صرعوا العباس بن علي «عليهما السلام» في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغاضرية حيث قبره الآن.

وقال ملا محمد حسن القزويني في رياض الأحزان[١]: أتفق أهل السير وأرباب الخبر على أن قوماً من بني أسد جاؤوا إلى مصرع الحسين «عليه السلام» بعد أن خلت ساحة ذلك البر من سواد العسكر لدفن تلك الجثث الشريفة والأجساد المطهرة والأبدان المنورة ولم يتعرض أحد ممن يعتمد عليه لبيان موجب أنبعاثهم لذلك، نعم حكى السيد الجزائري أن ما رآه زارع العلقمي وسمعه دعاه إلى ذلك من غير ذكر منه وبيان أنه أخبر بني أسد بما ظهر له فوافقه منهم جماعة على عزيمة الدفن أم لا؟ وإن كان شراء الحسين «عليه السلام» ما شراه من أرض كربلاء من أهل الغاضرية مع إخباره إياهم بشهادته وشهادة أصحابه وكانت تلك الأرض مدفناً لهم وحفرة وتربة وشرط عليهم ما شرط بعد حبس الأرض أنهم جاؤوا لدفنه وفاء ببعض ما شرطوا له «عليه السلام».

وفي بعض ما ألف في المقتل أن نساء الغاضرية بعد ما مضى الموعد وشاع ذكر قتله «عليه السلام» اجتمعت وقالت للرجال: ألا تذهبون إلى مصارع آل الرسول تواروهم وتحرسونهم من السباع وعسلان القاع؟ أما تخافون الله؟ أما تؤمنون برسول الله ﷺ؟ فقالوا لهن: نعم لكن نخاف من العتلّ الزنيم عبيد الله بن زياد أوما علمتن ما صنع بآل الرسول وأولاد فاطمة البتول؟ فقلن لهم: إن كنتم تخافون على أنفسكم وعلينا منه فإنا لا نخاف على أنفسنا وعليكم ونذهب الآن إلى دفن أجساد الشهداء وأنفسنا لهم الفداء والله يعطي الجزاء، فلما قلن ذلك صحن وضججن وتهيئن للخروج بآلات الحفر للقبور فحين ما رأى الرجال والفتيان هذا من النسوان أخذتهم الغيرة والحمية وأقبلوا لمصارع الشهداء لدفنهم ومواراتهم.

وفي المنتخب: فلما ارتحلوا إلى الكوفة وتركوهم على تلك الحال ـ يعني الحسين «عليه السلام» وأصحابه ـ عمد أهل الغاضرية من بني أسد فكفنوا أصحاب الحسين «عليه السلام» وصلوا عليهم ودفنوهم.

قلت: فيه دلالة على أُمور ثلاثة:

الأول: إنه لم يتعرض فيه لكفنهم ودفنهم الحسين «عليه السلام» وإنما بين

---

(١) رياض الأحزان: ص٣٨.

كفن أصحابه فلعلة منه بل هو إخفاء للأمر وإشارة إلى أن الإمام لا يلي أمره إلا الإمام.

الثاني: تصريحه بكفنهم إياهم هو غير موجود في الأنصار وكلام الأخيار لكنه موافق للاعتبار فإن الشهيد المجرد عن ثيابه يكفن ويصلى عليه ويدفن، وغير المجرد يدفن بثيابه والظاهر بل المقطوع به أنهم جردوا جميع الشهداء معه «عليه السلام».

ومما يدل على أن المجرد يكفن ما ثبت أن رسول الله ﷺ كفن حمزة وحنطه لأنه كان قد جرد؛ رواه أبان بن تغلب، وفي روضة الشهداء: إن أهل الغاضرية جهزوهم فصلّوا عليهم ودفنوهم.

الثالث: إن المتولي لدفنهم هم أهل الغاضرية كما صرح به غير واحد من الكتب فقال الطبري في التاريخ: إن جسد الحسين «عليه السلام» مع من كان معه من الشهداء كان ملقى ثلاثة أيام في عرصة كربلاء فجائهم أهل الغاضرية، والغاضرية قرية على شاطئ الفرات وكانوا من بني أسد فأقبلوا إليهم وقالوا: ياللمسلمين! تلك الجثث والأجساد تأكلها الأسود والذئاب كلا والله فأتقو الله وأحذروا من غضبه فأجتمع عند ذلك كلهم وجاؤوا إليهم فأخبروهم ودفنوا جثة الحسين «عليه السلام» هناك بلا رأس ودفنوا علي بن الحسين عند رجليه وسائر الشهداء في الموضع المعروف إلا العباس بن علي «عليهما السلام» فإنهم دفنوه في مصرعه على طريق الغاضرية، إنتهى.

وليس هذا من كلام الطبري كله وإنما نص لفظ الطبري[1]: ودفن الحسين «عليه السلام» وأصحابه أهل الغاضرية من بني أسد بعد ما قتلوا بيوم ولنا نظرة في مقالة هذا في الأمر الثاني في تقوية قول المنتخب في تكفين الأسديين لشهداء كربلاء بزعم سلبهم ثيابهم دون الحسين «عليه السلام» هذه الدعوى البادرة التي لا يدعمها برهان ولا تقيمها حجة بل هي مصادرة غريبة ولا غرابة في الفهم الضعيف والسليقة المعوجة أن الذي تشهد له التواريخ المعتمدة وتصرح له الأحاديث الصحيحة ويتناقله أهل المقاتل الموثوق بهم سلب الحسين «عليه السلام» خاصة وتجرده من ثيابه، وما أتفق عليه الناقلون أنه «عليه السلام» أخذ برنسه مالك بن النسر البدي من كندة، وقطيفته قيس بن الأشعث، وأخذ سراويله أبحر بن كعب إلى آخر ما ذكر الطبري وغيره من المؤرخين وحتى صار الأمر ميداناً فسيحاً تجول

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٢٦١.

فيه سبق جياد الشعر وحلبة تعقدها المجليات من أفكار مؤبنيه فيقول بعضهم:

عار تجول عليه الخيل عادية حاكت له الريح ضافي مئزر وردا

وقال آخر:

أحسين هل وافاك جدك زائراً فيراك مسلوب الثياب مجدلا

وقال دعبل:

عار بلا ثوب صريع في الثرى بين الحوافر والسنابك يقصد

ولا يسعنا أستيعاب ما ذكره الشعراء وأرباب التاريخ ولا أستيفاء نصوص الزيارات والأحاديث ونعود إلى كلام صاحب رياض الأحزان، قال[1]: وفي كامل الزيارة: إنه لما ارتحل عمر بن سعد «لعنه الله» مر بالشهداء قوم من بني أسد مرتحلين من الغاضرية فلما وصلوا كربلاء رأوا حالة الشهداء أقاموا ودفنوا الحسين «عليه السلام» وحده وعلي بن الحسين «عليهما السلام» عند رجليه والعباس بن علي «عليهما السلام» في شاطئ العلقمي والباقين من الشهداء في حفرة عظيمة دفنوهم بأسرهم في موضع واحد، وأشخص أقرباء الحر بن يزيد جثته إلى قبيلتهم فدفنوه هناك، وأطال في نقل الأقوال ولا حاجة بنا إلى الأطالة في النقل بعد العلم بأن المباشر لدفن الشهداء هم بنو غاضرة من بني أسد ويهمنا بيان أُمور: أحدها: أين قبور العلويين وقبور أنصارهم؟ ثانيها: كم مكثوا بلا دفن؟ ثالثها: هل أستقل الأسديون بدفنهم أم أعانهم غيرهم؟.

الجهة الأُولى: تصرح الأحاديث أن الشهداء حفرت لهم حفيرتان: واحدة للعلويين مما يلي رجلي الحسين «عليه السلام»، والثانية لأنصارهم خلف حفرتهم كما صرحت أخبار أُخر أن الحائط أو الحائر على الأصح محيط بهم ولأجل أن نفقه رمز مجموعة الأخبار لتستنتج فهيا صورة واضحة نفهم منها أمتداد هذه الحفرة إلى أين ينتهي يجب علينا أن نفهم عدد هؤلاء الشهداء بالضبط وكيفية الدفن.

لا ريب أن أقل ما روي في شهداء بني هاشم ثمانية عشر إنسان، وفي الأنصار سبعين، هذا هو المتيقن لأنه أقل الأقوال ويتفسح في جانب الكثرة، فإذا قلنا أن الدفن هو الشرعي لا أنهم جمعوهم جمع الحاجيات في المستودعات فلا بد أن يشق لكل واحد في الحفيرة ضريح لا يقل عرضه عن متر واحد فإذا قست ثمانية عشر متراً من رجلي الحسين «عليه السلام» إلى الرواق الشرقي أستوعبت

---

(١) رياض الأحزان: ص٣٩.

قبور الهاشميين الرواق الشرقي كله وربما أخذت من الصحن شيئاً إذ مسافة الساحة من رجلي الحسين «عليه السلام» إلى الرواق الشرقي لا يزيد عن هذا المقدار إن لم تنقص عنه.

وإذا انتقلنا إلى حفرة الشهداء كذلك بجعل الواحد إلى جنب الآخر نحتاج إلى سبعين متراً مبدئين بضريح حبيب بن مظاهر إلى سور الصحن الشرقي إن لم ينقص عن هذا المقدار فلا يزيد عليه فعندي من هذا الأستنتاج أن مساحة مراقد الشهداء أوسع من هذه الدائرة الضيقة المحصورة في الرواق الحسيني ولا يعقل أن يجزم بها إلا على إلغاء الدفن الشرعي وجعلها مستودعات للجثث الواحدة فوق الأخرى كمستودعات أكياس الحبوب وهذا ما لا يجوز التفوه به ومحال أن يفعله الإمام زين العابدين بل حتى لو اقتصرنا على الأسديين محال أن يفعلوا ذلك وهم عقلاء مسلمون أنهضتهم حمية الدين وأقامتهم غيرة الإسلام على موارات خير رجاله ونخبة أبنائه أن يستهينوا بهم ويقذفوا بهم في الحفر كما تقذف السلع في المستودعات، وفيهم من رهط النبي ﷺ ومن عباد الله الصالحين أهل النسك والزهد والعبادة، هذا علمي ومنتهى دقة فكري، ولكل ما أرشده إليه عقله وتفكيره فليعمل من شاء فكره الدقيق ليظهر له ما ظهر لي وأرجو من الله التسديد.

الجهة الثانية: فقد شاع وأشتهر على ألسنة المؤرخين وأقتبسه منهم الشعراء أن الحسين «عليه السلام» بقي ثلاثة أيام بلا دفن وقد يتوهم المتوهم من قول الطبري وابن الأثير وابن كثير من مؤرخي السنة وهما ناقلان عن الطبري، ومن كلام الشيخ المفيد وابن شهر آشوب وابن طاوس من مؤرخي الشيعة أن بني أسد دفنوا الشهداء بعد قتلهم بيوم كما سمعت نص الطبري فيرى أن دفن الشهداء يوم الحادي عشر وهذا خطأ محض قد نص أهل هذا القول على أرتحال عمر بن سعد «لعنه الله» بعد إكمال اليوم الحادي عشر، أنظر قول الطبري في التاريخ بعد أن ذكر أنه أرسل رأس الحسين «عليه السلام» يوم مقتله إلى ٱبن زياد قال[1]: واقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد ثم أمر حميد بن بكير الأحمري فإذن في الناس بالرحيل إلى الكوفة، الخ، ومثله قال ٱبن الأثير وابن كثير.

وأنظر قول الطبرسي (رحمه الله) في إعلام الورى[2]: وأقام هو ـ يعني ٱبن سعد ـ بقية يومه واليوم الثاني إلى الزوال ثم نادى في الناس بالرحيل وتوجه نحو الكوفة الخ.

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٢٦٢.

(٢) إعلام الورى: ص١٤٨.

وهنا نفهم أنه لا يتم لهم رحيل إلا ليلة الثانية عشر ولا تبلغ الأخبار برحيلهم إلى بني أسد إلا يوم الثاني عشر لأنقطاع المارة هيبة ورهبة للجيش فإن كانوا في حيهم نزولاً فقد يجوز أنهم دفنوهم في اليوم الثاني عشر وهو ثالث يوم قتلهم فيكون بقاؤهم بلا دفن يومان ونصف، وإن كانوا في البادية قد فروا من وجه جيش عمر ٱبن سعد «لعنه الله» على ما هو المروي والعمل عليه اليوم فيكون رجوعهم إلى حيهم يوم الثاني عشر بعد التيقن لأرتحال الجيش فيعودون مساءاً يعني ليلة الثالث عشر ويغدون صباحاً على دفن الشهداء لا يكون ذلك الوقت إلا وقت فراغهم من إصلاح منازلهم فتكمل ثلاثة أيام ملفقة وهذا هو الموافق لما نص عليه أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، قال في الأخبار الطول[1]: وأقام عمر بن سعد «لعنه الله» بعد مقتل الحسين «عليه السلام» يومين ثم أذن في الناس بالرحيل، الخ.

وقد أكثر الشعراء من ذكر هذا، قال الشاعر كلّ في رياض الأحزان:

يا عين جودي بالدموع فإنما ... يبكى الحزين بحرقة وتفجع
يا عين ألهاك الرقاد بطيبة ... عن ذكر آل محمد بتوجع
باتت ثلاثاً بالصعيد جسومهم ... بين الوحوش وكلهم في مصرع

وقال الشريف الرضي «رحمه الله تعالى» من قصيدة في رثاء جده الحسين «عليه السلام»:

لله ملقاً على الرمضاء غص به ... فم الردي بعد أقدام وتشمير
تحنو عليه الربى طوراً وتستره ... عن النواظر أذيال الأعاصير
تهابه الوحش أن تدنوا لمصرعه ... وقد أقام ثلاثاً غير مقبور

وللمؤلف يخاطب سيد الشهداء الحسين بن علي «عليهما السلام»:

يا شارع النهضة اللاتي تقدسها ... أحرار كل زمان في نواديها
يا رائد الناس للعليا وقائدها ... إلى النجاح وقد خابت مساعيها
يا منقذاً أنفس الأحرار مفتدياً ... شريعة العدل من جور غدا فيها
وقيت بالنفس دين الله من فئة ... قد كان يزخر بالعدوان واديها
قرأنها الزير حيث العود كعبتها ... والنقر بالدف آذان بناديها
حيث البغايا وحيث الخمر طافحة ... دنانها خاب مسقيها وساقيها

---

(١) الأخبار الطوال: ص٢٥٦.

يستهترون وأهل الدين بينهموا ... لا يسمعون نداء من مناديها
وقادة العرب والإسلام عندهم ... مثل الأرقاء ذل الأسر عاليها
نهضت والسيف سيف الجور منصلت ... فالسفك في حاضر الدنيا وباديها
وكم دماء براء فيه قد سفكت ... لم تجن ذنباً سوى أرضاء باريها
للعدل تدعو وتنهى عن مناكرهم ... كانت جريمتها فيهم نواهيها
شمرت عن ساعد بيضاء لامعة ... تدعو إلى العدل قاصيها ودانيها
ولم تخف سطوة الباغي وحدته ... تستعذب الموت في إرغام باغيها
تدعو إلى الله أهل الله منتهجاً ... طرق النبوة تباعاً لداعيها
وقمت تأمر بالمعروف مبتغياً ... أسعادها ما أقتفت آثار هاديها
فقد أجابك داعي الله طائفة ... قد سدد الله في الدنيا مراميها
وقد رضت أُمة الأطماع أجمعها ... رعاية الذئب عدواً دون راعيها
فما استجابوا إلى رشد دعوت له ... إن الغوات لتقفو أثر مغريها
ما العدل كلا ولا الإصلاح يرغبهم ... إن كنت بالعدل والإصلاح غازيها
إن يقتلوك فإن المصلحين قضوا ... بين الشعوب وذا تاريخ ما ضيها
لكن قتلك فرد في عجائبه ... يحوي فضائع عدى ليس حاصيها
إبانة الرأس أم قطع البنان وفي ... سلب الملابس تبدو لي مساويها
فإن بقيت ثلاث في العراء لقاً ... من غير دفن فذي إحدى مخازيها

الجهة الثالثة: وهي أهمها وذلك في حضور الإمام زين العابدين «عليه السلام» بكربلاء وقت دفن الشهداء لأجل موارات تلك الأجساد الطيبة والأبدان الزاكية وإنزال كل جثمان في حفرته وإلحاد كل جسم مطهر في قبره، فالناس في هذا صنفان وفي إثباته ونفيه فريقان: صنف يقول: دفنهم أهل الغاضرية وسكت ولم يصرح بأنفرادهم وإنهم أستقلوا بدفنهم ولم يصرح بالنفي لأشتراك أحد معهم، الصنف الثاني: يثبت حضور الإمام زين العابدين «عليه السلام» في ذلك الوقت وهو الذي تولى موارات الشهداء ودفنهم وبيده أنزل أباه الحسين «عليه السلام» إلى ضريحه المقدس وهذا هو الأوفق بمنهج مذهب الجعفرية وأُصول قواعد الإمامية بل هذه العقيدة أصل من أُصول مذهب الإثنى عشرية من أن المعصوم لا يتولى أمره إلا المعصوم، وقد دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن أئمة أهل البيت «عليهم

السلام» واحتجوا به على مخالفيهم، وأصل ذلك توصيه النبي ﷺ أن لا يغسله غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وأمر أمير المؤمنين علي «عليه السلام» للفضل بن العباس بن عبد المطلب لما دعاه لمعاونته على تجهيز النبي ﷺ أن يعصب عينيه معللاً ذلك بأنه لا يرى أحد جسد النبي ﷺ إلا طمست عيناه وقد روته أهل السنة في كتبها ولذكره محل آخر ومعناه أن النبي ﷺ معصوم لا يطلع عليه إلا معصوم، وأمير المؤمنين معصوم دون الفضل فأحتاج الفضل إلى شد عينيه دون علي المعصوم وقصدنا هاهنا إيراد ما روته الشيعة فإنه معتقدها وافقها الخصم أم لا.

روى أبو عمرو الكشي (رحمه الله) في كتابه[1] عن إسماعيل بن سهل قال: حدثني بعض أصحابنا وسألني أن أكتم إسمه قال: كنت عند الرضا «عليه السلام» فدخل عليه علي اٌبن أبي حمزة وابن السراج وابن المكاري (هؤلاء من الواقفة) فقال له اٌبن أبي حمزة (هذا هو البطائني): ما فعل أبوك؟ قال: مضى، قال: مضى موتاً؟ قال: نعم، قال: على من عهد؟ قال: إلي. قال: فأنت إمام مفترض الطاعة من الله؟ قال: نعم، قال اٌبن السراج وابن المكاري: قد والله أمكنك من نفسه، قال: ويلكما وبما أمكنت؟ أتريدان أن آتي بغداد وأقول لهارون أنا إمام مفترض الطاعة والله ما ذاك عليّ وإنما قلت ذلكم عندما بلغني أختلاف كلمتكم وتشتت أمركم لئلا يصير سركم في يد عدوكم.

قال له اٌبن أبي حمزة: لقد أظهرت شيئاً ما كان يظهره أحد من آبائك ولا يتكلم به، قال: بلى لقد تكلم خير آبائي رسول الله ﷺ لما أمره الله أن ينذر عشيرته الأقربين جمع أهل بيته أربعين رجلاً وقال لهم: أنا رسول الله إليكم، فكان أشدهم تكذيباً له وتأليباً عليه عمه أبو لهب، فقال لهم النبي ﷺ: إن خدشني خدش فلست بنبي، هذا أول ما أبدع لكم من آية النبوة وأنا أقول: إن خدشني هارون خدشا فلست بإمام هذا أول ما أبدع لكم من آية الإمامة.

فقال له علي (يعني اٌبن أبي حمزة): إنا روينا عن آبائك أن الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله، فقال أبو الحسن (الرضا «عليه السلام»): أخبرني عن الحسين بن علي «عليهما السلام» كان غير إماماً أو كان إمام؟ قال: كان إماماً، قال: فمن ولي أمره؟ قال: علي بن الحسين «عليهما السلام».

قال: وأين كان علي بن الحسين «عليهما السلام»؟ قال: كان محبوساً في يد

---

(١) رجال الكشي: ص٢٨٩.

عبيد الله بن زياد في الكوفة، قال: خرج وهم كانوا لا يعلمون حتى ولي من أمر أبيه ثم أنصرف. فقال أبو الحسن «عليه السلام»: إن هذا الذي أمكن علي بن الحسن «عليهما السلام» أن يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه فهو أمكن صاحب هذا الأمر (يعني نفسه) أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه ثم ينصرف وليس لي حبس ولا في إسائة، إلى آخر الحديث، ورواه الصدوق في عيون أخبار الرضا «عليه السلام» وغيره من كتبه.

وروى ثقة الإسلام الكليني (رحمه الله) في أُصول الكافي[1] باب أن الإمام لا يغسله إلا إمام من الأئمة ثم بعد الإسناد أبو معمر: سألت الرضا «عليه السلام» عن الإمام يغلسه الإمام؟ قال: سنة موسى بن عمران وذكر أحاديثاً غيره.

قال صاحب رياض الأحزان[2]: قد قال أبو إبراهيم (يعني الكاظم «عليه السلام») لمسيب ٱبن زهير في حديث طويل: إن الملعون سندي بن شاهك يزعم أنه يرتكب تغسيلي وتكفيني، هيهات هيهات لا يكون هذا أبداً فإن الأنبياء العظام وأوصيائهم لا يغسلهم ولا يكفنهم إلا نبي أو وصي نبي، إلى آخر ما ذكر فإنه عقد فصلاً لإثبات هذا أطال فيه ولا معنى للتطويل في إثبات أمر هو ثابت عند الإمامية ومن أساسيات عقائدهم.

قال الفاضل الدربندي في أسراره: روى السيد نعمة الله الجزائري في كتاب مدينة العلم عن رجاله عن عبد الله الأسدي أنه قال: كان إلى جنب العلقمي حي من بني أسد فتمشت نساء ذلك الحي إلى المعركة فرأين جثث أولاد الرسول وأفلاذ حشاشة الزهراء البتول وأولاد علي أمير المؤمنين فحل الفحول وأولادهم في هاتيك الصحاري وتلك القفار تشخب الدماء من جراحاتهم وقلن لأزواجهن ما شاهدنه ثم قلن لهم: بم تعتذرون من رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء إذا وردتم إليهم أنكم لم تنصروا أولادهم ولا دافعتهم عنهم بضربة سيف ولا بطعنة رمح ولا بحذفة سهم؟ فقالوا لهن: أنا نخاف من بني أُمية، وقد لحقتهم الذلة وشملتهم الندامة من حيث لا تنفعهم وبقين النسوة يجلن حولهم ويقلن لهم فأتتكم نصرة تلك العصابة النبوية والذب عن هاتيك الشنشنة العلية العلوية فقوموا الآن إلى أجسادهم الزكية فواروها فإن اللعين ٱبن سعد قد وارى أجساد من أراد مواراته من قومه فبادوا إلى موارات أجساد آل رسول الله وأرفعوا عنكم العار فماذا تقولون إن قالت العرب لكم إنكم لن تنصروا ٱبن بنت نبيكم مع قربه وحلوله بناديكم فقوموا وأغسلوا بعض الدرن منكم، فقالوا: نفعل ذلك.

---

(١) أُصول الكافي: ص١٥١.

(٢) رياض الأحزان: ص٤١ وما بعدها.

فأتوا المعركة وصارت همتهم أولاً موارات الحسين «عليه السلام» ثم الباقين، فجعلوا ينظرون الجثث في المعركة فلم يعرفوا جثة الحسين «عليه السلام» من بين تلك الجثث لأنها بلا رؤوس قد غيرتها الشموس، فبينما هم كذلك إذا بفارس مقبل إليهم حتى إذا قاربهم قال: ما بالكم؟ قالوا: إنا أتينا لنواري جثة الحسين «عليه السلام»، فلما سمع ذلك حن وأنّ وجعل ينادي: وا أبتاه! يا أبا عبد الله! ليتك حاضراً وتراني أسيراً ذليلاً، ثم قال لهم: أنا أرشدكم إليه فنزل عن جواده وجعل يتخطى القتلى فوقع نظره على جسد الحسين روحي له الفداء فأحتضنه وهو يبكي ويقول: يا أبتاه! بقتلك قرت عيون الشامتين، يا أبتاه بقتلك فرحت بنو أُمية، يا أبتاه بعدك طال حزننا، يا أبتاه بعدك طال كربنا.

قال: ثم مشى قريباً من جسده فأهال يسيراً من التراب فإذا قبر محفور ولحد مشقوق فأنزل الجثة الشريفة ووراها في ذلك المرقد الشريف كما هو الآن، قال: ثم إنه جعل يقول: هذا فلان وهذا فلان والأسديون يوارونه.

فلما فرغ منهم مشى إلى جثة العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» فأنحنى عليه وجعل ينتحب ويقول: ياعماه! ليتك تنظر حال الحرم والبنات وهن ينادين: واغربتاه! ثم أمر بحفر لحده وواراه هناك.

ثم عطف على جثث الأنصار وحفر حفيرة واحدة واراهم فيها إلا حبيب بن مظاهر حيث أبى بعض بني عمه ذلك فدفنه ناحية عن الشهداء.

قال: فلما فرغ الاسديون من مواراتهم قال لهم: هلموا لنواري جثة الحر الرياحي.

قال: فمشى وهم خلفه حتى وقف عليه وقال: أما أنت فقد قبل الله توبتك وزاد في سعادتك ببذلك نفسك أمام اَبن رسول الله ﷺ.

قال: فأراد الأسديون حمله إلى محل الشهداء، قال: لا بل في مكانه واروه.

فلما فرغو من مواراته ركب ذلك الفارس جواده فتعلق به الأسديون وقالوا: بحق من واريته بيدك من انت؟ فقال: أنا حجة الله عليكم أنا علي بن الحسين جئت لأُواري جثة أبي ومن معه من إخواتي وأعمامي وأولاد عمومتي وأنصاره الذين بذلوا مهجهم دونه وأنا راجع إلى سجن اَبن زياد، وأما أنتم فهنيئاً لكم لا تجزعوا أن تضاموا فينا، فودعهم وانصرف عنهم، وأما الأسديون فإنهم رجعوا إلى حيهم، إنتهى.

الأسباب في ترك العباس «عليه السلام» في مكانه ـــــــ

الأعداء لما قطعوا رأس الحسين «عليه السلام» تركوه مكبوباً على وجهه.

(٣) قد علم الأسديون أن الحسين قد جمع أصحابه الشهداء في محل واحد وبقي هو في محل مصرعه لم يحمله أحد، والأعداء لا حاجة لهم في وضعه مع أصحابه وقد عرف الاسديون ذلك.

(٤) ما نبأهم به الزارع على نهر العلقمي ـ كما سيأتي الحديث ـ أنه شاهد أسداً رابضاً عند جسد الحسين «عليه السلام» يحرسه فهو يشاهده كل ليلة قبل دفنه يأتي حتى يربض عند الجسد المنفرد عن الأجساد فيلثمه ويشمه ويتمسك به ثم يبعد عنه قليلاً فيربض إلى الصباح.

فهذه القرائن لا يحتاج معها الأسديون إلى سؤال عن معرفة الجسد الشريف.

والجواب عن هذا أنهم قد عرفوا جسد الحسين «عليه السلام» بالاعتبارات السالفة لكن ترددهم كان لأمرين:

أحدهما: لزيادة العلم فإن هذا أمر من الأُمور الكبرى التي لها أهميتها العظمى في الأجيال المتعاقبة على زيارة هذه المراقد المسئول عن تعيينها من باشر الدفن وقام بمهمة الموارات فكلما ازداد علماً ويقيناً كان أبلغ في العذر ولا ريب أن بالدلالة الصريحة مع تلك الأمارات تكون الحادثة حادثة علم يقيني لا يتطرقه ريب ولا يتخلله تشكيك.

ثانيها: إن ترددهم حول الأجساد وإكثارهم من الذهاب والأياب لم يكن منبعثاً عن شك في تعيين جثمان الحسين الأقدس فإنه معلوم لديهم بأنواره وهيبته ولكن تردد حيرة وذهول وأصابتهم الدهشة والأنفعال الحاد والتألم الحار اللاذع من فعل أعدائهم أجلاف العرب فيما جنوه عليهم من التمثيل المشوه فقد أحل بهم أرذال البشر ما لا تجنبه الكفرة فضلاً عن المسلمين من الجنايات مستفظة في أموات زهقت نفوسهم وفارقت أرواحهم أجسادهم من قطع الرؤوس والأيدي وسلب الأبدان، هذا أمر عظيم يوجب التفكر فيه والحيرة ويبعث التردد.

وشيء آخر يلزم الأسديين التفكر فيه فيطول لذلك ترددهم ليصيبوا جهة الرأي هو كيفية دفن هذه الأجساد الملقاة بقرب الحسين «عليه السلام» ويبحثون عن معرفة الأعيان منهم لأجل أن يجيبوا عن السؤال المتوجه إليهم فيما بعد عن مراقدهم فهذا موجب تفكيرهم والموحي إليهم التردد عن سرعة الإقدام لا لأن الحسين «عليه السلام» لم يعرف عندهم.

التعريف بالأسديين

من هم الأسديون؟

الذين حصّلوا هذه المأثرة الخالدة والمكرمة الباقية التي تمثل على مسرح الأجيال وتشاد بذكرها القرون، ولها صدى نغمة في آذان المحافل ودوي هائل في أسماع المنتديات والمحاشد والتي تملي لهم الفخر ما دام التذكار الحسيني على صحائف الأعوام وإن طوت الأيام تلك الأُمم، ويتلى في كل دور من أدوار الحياة وإن سكنت نبرات أولئك وخفت جرسهم بخفاء الأجسام ففي كل عام من أعوام الشيعة الثالث عشر من المحرم تشاهد موكب التمثيل الفخم يضم أُلوف الممثلين من الرجال والنساء يحملون القرب والمساحي والمعاول يهرعون إسراعاً بالعويل والصراخ إلى الحائر الحسيني فترى نفسك والحال هذه كأنك بين الأسديين القدامى الذين أنهضتهم الحفاظ وقادهم الحماس الديني لموارات آل الرسول ﷺ.

هؤلاء بطن من بني أسد يقال لهم بنو غاضرة وأنتظر التعريف بهم في الغاضرية وقد كانوا عند قدوم جيش اٰبن سعد نزولاً في قريتهم الغاضرية وبهم سميت الغاضرية، نص عليه الحموي وغيره، فمضى إليهم حبيب بن مظاهر الفقعسي الأسدي «رضون الله عليه» وهذا نص المجلسي في البحار وملا عبد الله في مقتل العوالم ولفظه فيه[1]:

وأقبل حبيب بن مظاهر إلى الحسين «عليه السلام» فقال: يا اٰبن رسول الله! هاهنا حي من أسد بالقرب منا أفتأذن لي فأصير إليهم فأدعوهم إلى نصرتك فعسى الله أن يدفع بهم عنك؟ قال: قد أذنت لك، فخرج حبيب في جوف الليل متنكراً حتى أتى إليهم فعرفوه أنه من بني أسد فقالوا: ما حاجتك؟ قال: إني أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قومه، أتيتكم أدعوكم إلى نصرة اٰبن بنت نبيكم فأنه في عصابة من المؤمنين الرجل منهم خير من ألف رجل لن يخذلوه ولن يسلموه أبدا، وهذا عمر اٰبن سعد قد أحاط به وأنتم قومي وعشيرتي وقد أتيتكم بهذه النصيحة فأطيعوني اليوم في نصرته تنالوا بها شرف الدنيا والآخرة فإني أقسم بالله لا يقتل أحد منكم في سبيل الله مع اٰبن بنت رسول الله ﷺ صابراً محتسباً إلا كان رفيقاً لمحمد في عليين.

---

(١) مقتل العوالم: ص٧٥.

قال: فوثب رجل من بني أسد يقال له عبد الله بن بشر فقال: أنا أول من يجيب إلى هذه الدعوى، ثم جعل يرتجز ويقول:

قد علم الأقوام إذ تواكلوا وأحجم الفرسان إذ تناضلوا
أني شجاع بطل مقاتل كأنني ليث عرين باسل

ثم تبادر رجال الحي حتى التأم منهم تسعون رجلاً فأقبلوا يريدون الحسين «عليه السلام» فخرج رجل في ذلك الوقت من الحي حتى صار إلى عمر بن سعد فأخبره بالحال، فدعا عمر بن سعد برجل يقال له الأزرق فضم إليه أربعمائة فارس ووجهه نحو حي بني أسد فبينما أولئك القوم قد أقبلوا يريدون عسكر الحسين «عليه السلام» في جوف الليل إذ أستقبلتهم خيل اٰبن سعد على شاطئ الفرات وبينهم وبين عسكر الحسين «عليه السلام» اليسير، فتناوش القوم بعضهم بعضاً وأقتتلوا قتالاً شديداً، وصاح حبيب بن مظاهر بالأزرق: ويلك مالك ولنا، إنصرف عنا ودعنا يشقى بنا غيرك، فأبى الأزرق أن يرجع وعلمت بنو أسد أنهم لا طاقة لهم بالقوم فأنهزموا راجعين إلى حيهم فأرتحلوا في جوف الليل خوفاً من اٰبن سعد أن يبيتهم ورجع حبيب بن مظاهر إلى الحسين «عليه السلام» فأخبره بذلك، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، إنتهى.

فمنذ حل جيش اللعين عمر بن سعد وتكاثف وتكانف وتواصلت إمداداته وجعلت القوة تتلوا القوة، والعصابة تقفوا العصابة، والحامية تلحق الحامية وقد غصت البيداء بالمقانب وضاقت الرحاب بالكتائب وأنتشر فساد الجيش وكثر أذاه لسكان تلك الأصقاع وقطان تلك القرى، فغادرها أهلها من قرويين وأعراب فارين طلباً للنجاة ورجاء للسلامة من معرة الجيش الظالم وتعديات الجنود الفاجرة وما تراجعوا إلا غب أرتحاله عن تلك المناطق عقيب مقتل الحسين «عليه السلام».

قال هبة الدين الشهرستاني في كتاب نهضة الحسين «عليه السلام»[1]: هذا وما عتمت عشية الثاني عشر من المحرم إلا وعادت إلى أرياف كربلاء عشائرها الضاعنة عنها بمناسبةالقتال وقطان نينوى والغاضرية من بني أسد وفيهم كثير من أولياء الحسين «عليه السلام» وقليل ممن أختلطوا برجالة جيش الكوفة فتأملوا في أجساد زكية تركها اٰبن سعد في السفوح وعلى البطاح تسفي عليها الرياح وتساءلوا

(١) نهضة الحسين عليه السلام: ص١١٤.

عن أخبارها العرفاء، فما مرت الأيام والأعوام إلا والمزارات قائمة وعليها الخيرات جارية والمدائح تملى والحفلات تتوالى، ووجوه العظماء على أبوابها، وتيجان الملوك على أعتابها، وأمتدت جاذبية الحسين «عليه السلام» وصحبه من حضيرة الحائر إلى تخوم الهند والصين وأعماق العجم وما وراء الترك والديلم يرددون ذكرى فاجعته بممر الساعات والأيام، ويقيمون مأتمه في رثائه ومواكب عزائه، ويجدون في إحياء قضيته في عامة الأيام ويمثلون واقعته في ممر الأعوام، إنتهى.

قد شهد التاريخ لهبة الدين من تعفير جباه الملوك في مرقده الشريف كملوك آل بويه والسلاجقة والتتر والمغول والإيلخانيين والعباسيين والصفويين والقاجاريين وملوك الهند وغيرهم، فمن أعيان ملوك آل بويه بهاء الدولة وعز الدولة وعضد الدولة وغيرهم، ومن آل سلجوق مسعود وغيره، ومن المغول تيمور، ومن الإيلخانيين أويس وابنه حسن وغيرهما، ومن العثمانيين سليمان القانوني ومراد الرابع وغيرهما، ومن الصفوية الشاه إسماعيل والشاه عباس الكبير، ومن القاجار فتح علي شاه وناصر الدين شاه وغيرهما، ومن التتر محمد خدابنده ونظراؤه.

ومن الافشاريين نادر شاه، ومن التركمان الشاه أحمد، ومن العباسيين الناصر وغيره، ومن الهنود آصف الدولة وغيره، وهم كثير لا يتسع كتابنا لذكرهم.

شعر المؤلف في خطاب سيد الشهداء

للمؤلف في خطاب ضريح سيد الشهداء «عليه السلام» في بعض زيارته له في صفر:

يا قبر زرتك والدموع ذوارف ... مني ونيران الأسى نتوقد
يا قبر هل تدري بأنك روضة ... من جنة المأوى وريك أبرد
يا قبر هل تدري بأنك كعبة ... لحجيج زوار الأنام ومقصد
يا قبر أنت مطاف أملاك السما ... منهم ركوع في ثراك وسجد
حسد الضراح ضريح من واريته ... طاب الضريح وطاب فيه المشهد
يا قبر فيك إمامة مهدية ... تهدى بها جل الأنام وترشد
يا قبر فيك وديعة لمحمد ... بل فيك ريحان جناه أحمد
يا قبر قد أصبحت مرقد سبطه ... تالله ما يحكي جلالك مرقد

يا قبر غابت فيك شمس هداية ... للعالمين وحل فيك الفرقد
يا قبر فيك إمام عدل حقه ... فرض به صح الحديث المسند
يا قبر قد واريت جثة سيد ... ما مثله وعلا أبيه سيد
ما للحسين مماثل في سؤدد ... كلا وما مثل ٱبن فاطم يوجد
أبواه حيدر والبتول وجده ... خير الورى وهو النبي محمد
يا قبر هذا الروح بنزل زائراً ... سبط النبي من السماء ويصعد
ووراه أفواج الملائك أهبطوا ... لصلاة بارئهم عليه رددوا
فمسبّح ومهلّل ومكبّر ... منهم ومنهم حامد وممجد
أنا مؤمن يا قبر في أهل الكسا ... والحق حقهموا بذلك أشهد
يا قبر عندي نية لو أنني ... أدركته استشهدت حيث استشهدوا
لكنني أخرت فاشهد أنني ... في نصره بشبا يراعي أجهد
لا زلت يا قبر ٱبن فاطمة عامراً ... تؤتى من الفج العميق وتقصد
يا قبر حدثني فلست بحاضر ... يوما به قتل الحسين السيد
هل شك بالسهم المحدد قلبه ... وأُبين رأس ٱبن النبوة واليد
قل لي وهل داست عوادي خيلهم ... صدراً على علم النبوة يوصد
قل لي وهل سلبت عقائل أحمد ... حتى البراقع سائني ما أوردوا
هل أحرقوا فسطاطه وتناهبوا ... أثقاله والنار فيه أوقدوا
هل رُكبوا فوق الجمال عياله ... حسرى وسائقها عنيف ملحد
هل ربقوها بالحبال وكهفها ... زين العباد مغلل ومصفد
إني سمعت بأنه في شدة ... من سقمه إذ سار وهو مقيد
قل لي فما قالت سكينة إذ رأت ... جسم الحسين حواه قاع أجرد
قل لي وما قالت رباب في ابنها ... مذ كان ملقى والحصى يتوقد
قل لي وزينب كيف كانت حالها ... وشقيقها لثرى الربى متوسد
والشمس تصهره بلفح هجيرها ... والجسم من كل اللباس مجرد
هل أنها همت لترمي نفسها ... يا قبر تقتلني الهموم فأنشد
إني وقفت عليك أذري دمعتي ... حزناً كغادية الحيا لا تجمد

وقصدت قبراً بالشريعة حله ... بدر العشيرة والهمام الأمجد
شبل الإمام أخو الإمام ومن له ... مجد العشيرة حبوة والسؤدد
بطل العروبة في السوابق فخرها ... وزكى نجار أرومة والمحتد
فوقفت أسفح عبرتي ومناشداً ... وكذاك من طلب الحقيقة ينشد
يا قبر عباس بن حيدر ذي العلا ... وافاك عبد الواحد المسترشد
هل أنت يا قبر الشهيد مجيبه ... عما يسائل وهو باك مكمد
هل عينه سهم الأعادي شكها ... وتعمد اليافوخ منه الأعمد
أم هل بروا بري القداح أكفه ... ما يصنع الضرغام أن تبري اليد
قل لي فهل ردت يداه لجسمه ... والرأس حتى ضمهن المرقد
يا مشهد العباس تِه فخراً به ... وأسموا بعلياه فنعم المشهد

تشييد قبر الحسين
والعباس «عليهما السلام»

عمارة المشهدين المقدسين الحسيني والعباسي

في تشييد ضريح الحسين والعباس «عليهما السلام» وعمارة مشهديهما ننقل ما وجدناه في بعض المجلات وفي كتاب معالي السبطين وكلاهما متقارب، وهي رسالة كربلاي معلى، ولفظ المعالي[1]:

في كتاب الحرمين في عمارة المشهدين لثقة الإسلام السيد حسن الصدر قال: وأما قبر سيدنا الحسين «عليه السلام» فقد أخذ الله ميثاق الناس من هذه الأُمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماء أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرجة فيدفنونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام كما في حديث زائدة عن الإمام السجاد «عليه السلام» وقد أخرج الحديث بطوله ابن قولوية في كامل الزيارة وهو صريح في أن الذين دفنوه أقاموا رسماً لقبره «عليه السلام» ونصبوا علماً أي علامة وبناء لا يدرس أثره.

أقول: ولما زاره جابر كان للقبر الشريف رسم وعلامة ولذا قال لعطية: ألمسني القبر.

قال: وفي بعض الكتب: في سنة ٦٥ بنىٰ المختار بن عبيدة الثقفي أول من بنى عليه بناء أيام إمرته ولم أتحقق ذلك.

أقول: وفي بعض الكتب سنة ٦٥ بنى المختار قبر الإمام «عليه السلام» بناء بالجص والآجر وأصبح القبر مزاراً للناس.

قال (قدّس سرّه): وفي الآثار الأخر أنه كان ظاهراً عامراً[2] يقصده الناس للزيارة وقضاء الحوائج ويظهر منه المعجز الباهر فيشهده البر والفاجر حتى أني

---

(١) معالي السبطين: ص١٧٨.

(٢) يشهد له ما ذكره الطبري في التاريخ وابن نما في أخذ الثار أن التوابين أزدحموا على قبره أشد من ازدحامهم على الحجر الأسود.

رأيت في أصل نوادر علي بن أسباط وهو من أصحاب أبي عبد الله الصادق «عليه السلام» أن في أعلام الذي قُتل فيه الحسين «عليه السلام» قصد قبره النساء العقم من أهل أطراف البلاد حتى جاء إلى قبره الشريف نحو مائة امرأة فتخطين قبره الشريف فحملن كلهن وولدن.

ثم ذكر بعض الأحاديث منها ما ذكره السيد ٱبن طاوس في الإقبال عن الحسين ٱبن أبي حمزة أنه قال: خرجت في آخر زمن بني أُمية وانا أُريد قبر الحسين «عليه السلام» فأتيت الغاضرية حتى إذا نام الناس أغتسلت ثم أقبلت أُريد القبر حتى إذا كنت على باب الحائر، وذكر الحديث وهو نص في أن للحائر باب والباب لا يكون إلا لبناء.

ثم قال[1]: قال السيد الجليل محمد بن أبي طالب في كتاب تسلية المجالس: قد بني عليه مسجد ولم يزل كذلك بعد بني أُمية، وفي زمن بني العباس إلا على زمن هارون الرشيد فإنه خربه وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده.

ثم قال: وأخرج الشريف فخار بعد معد ومحمد بن المشهدي في المزار الكبير حديث صفوان الجمال قال: قال لي مولاي جعفر بن محمد «عليهما السلام»: إذا أردت زيارة قبر الحسين بن علي «عليهما السلام» ـ إلى أن قال:ـ فإذا أتيت الباب فقف خارج القبة وأرمي بطرفك نحو القبر وقل.. ثم أدخل رجلك اليمنى القبة وأخر اليسرى وقل.. ثم أدخل الحائر وقم بحذائه بخشوع، وذكر زيارة وارث المعروفة.

وفي البحار والمزار الكبير قال: ووجدت في نسخة قديمة من مؤلفات أصحابنا قال: إذا أتيت باب القبة فأستأذن وقل... ثم أدخل فقف على القبر، إلى آخر ما ذكره.

ثم قال: زيارة أُخرى عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: إذا وصلت إلى الفرات فأغتسل ـ إلى أن قال:ـ وقف بالباب وكبر أربعاً وثلاثين تكبيرة، إلى آخر ما ذكره.

وأخرج ٱبن قولوية بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله الصادق «عليه السلام» قال: إذا أردت زيارة قبر العباس بن علي «عليهما السلام» وهو على شط الفرات بحذاء الحائر فقف على باب السقيفة وقل: سلام الله وسلام ملائكته ـ إلى أن قال:ـ ثم أدخل وأنكب على القبر وقل: السلام عليك أيها العبد الصالح، وذكر كثيراً كله عن السيد بن طاوس.

---

(١) معالي السبطين: ص١٧٩.

ثم قال[١]: أقول: لم يزل مشهد الحسين «عليه السلام» معموراً إلى أيام هارون الرشيد.

ثم ذكر عن الشيخ الطوسي ما معناه أن الرشيد آمر بكرب قبر الحسين «عليه السلام» وقطع السدرة التي عنده وأن جرير بن عبد الحميد رفع يديه عند سماع الحديث وقال: الله أكبر جائنا فيه حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: لعن الله قاطع السدرة ـ ثلاثاً ـ فلم نقف على معناه حتى الآن لأن القصد بقطعها تغيير مصرع الحسين «عليه السلام» حتى لا يقف الناس على قبره.

وقال محمد بن أبي طالب في تسلية المجالس عند ذكره لمشهد أبي عبد الله «عليه السلام» ما هذا لفظه بحروفه: وقد كان بني عليه مسجد ولم يزل كذلك بعد بني أُمية وفي زمن بني العباس إلى زمن هارون الرشيد فإنه خربه وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده وكرب موضع القبر ثم أُعيد زمن المأمون وغيره إلى أن حكم المتوكل من بني العباس فأمر بتخريب قبر الحسين «عليه السلام» وقبور أصحابه وكرب مواضعها وأجرى الماء عليها إلى أن قتل المتوكل وقام بالأمر بعده ابنه المنتصر فعطف على آل أبي طالب وأحسن إليهم وفرق فيهم الأموال وأعاد القبور في أيامه إلى أن خرج الداعيان الحسن ومحمد أبنا زيد بن الحسن فأمر محمد بعمارة المشهدين: مشهد مولانا أمير المؤمنين ومشهد الحسين وامر بالبناء عليهما وبعد ذلك بلغ عضد الدولة الغاية في تعظيمهما وعمارتهما والأوقاف عليهما فكان «رضي الله عنه» يزورهما كل سنة.

وقال في البحار: إن المنتصر لما قتل أباه وتخلف بعده أمر بعمارة الحائر وبنى ميلاً على المرقد الشريف وأحسن إلى العلويين وأمنّهم بعد خوفهم.

أقول: كان تملك المنتصر في شوال سنة ٢٤٧ وقد سقطت عمارة المنتصر ٢٧٣، أخرج الحديث السيد أبن طاوس في أمان الأخطار وذكر مختصر الحديث وأن السقيفة سقطت على زوار الحسين «عليه السلام» فلم تضر منهم أحداً وذلك في ذي الحجة سنة ٢٧٣.

ثم ذكر كلام أبن الأثير في تخريب المتوكل للقبر الشريف وتخريب دور المجاورين وكلام الشيخ الطوسي وليس هذا موضع ذكره.

وقال[٢]: وفي أيام المعتضد وجه محمد بن زيد الداعي ملك طبرستان فبنى المشهد الحائري بناه مشيداً كما نص على ذلك السيد أبن طاوس في فرحة الغري

(١) معالي السبطين: ص١٨٠. (٢) معالي السبطين: ص١٨٢.

ومحمد بن أبي طالب في كتاب المقتل وغيرهما، وكان أبتداء تملك المعتضد سنة ٢٧٩ وانتهائه ٢٨٩ فتكون عمارة محمد بن زيد في أثناء هذه المدة، ثم أستولى عضد الدولة البويهي على العراق ودخل بغداد في شوال سنة ٣٦٣ وعمر المشهدين: مشهد أمير المؤمنين ومشهد الحسين «عليهما السلام» وبلغ الغاية في تعظيمهما والأوقاف عليهما، وتوفي (رحمه الله) في شوال سنة ٣٧٣ وكانت ولايته العراق ٥ سنة وستة أشهر وكان عمره ٧٥ سنة وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين «عليه السلام» فدفن به، فلما كان سنة ٤٠٧ أحترق مشهد مولانا الحسين «عليه السلام» كما في كتاب تواريخ الشيخ المفيد، وكان عمران بن شاهين بنى الرواق المعروف برواق عمران في المشهد الحائري كذا ذكر السيد في فرحة الغري، وجددت عمارة المشهد تجديداً حسناً قبل هذه العمارة الموجودة الآن وكانت للحائر خزانة معظمة أخذها المسترشد بن المستظهر المتخلف سنة ٥١١.

قال أبن شهر آشوب في كتاب الكبير: أخذ المسترشد مال الحائر وقال: إن القبر لا يحتاج إلى الخزانة وأنفق على العسكر فلما خرج قتل هو وابنه الراشد.

ثم قال بعد كلام[1]: فتحصل من مجموع ما ذكرناه أن مشهد مولانا الحسين «عليه السلام» بني خمس مرات غير العمارة الموجودة أو ستة:

الأُولى: أيام بني أُمية كما قد عرفت بني عليه مسجد وله باب شرقي وباب غربي وأنه لم يزل كذلك إلى أيام الرشيد.

الثانية: عمارته بعد كرب الرشيد إلى أيام المتوكل.

الثالثة: عمارة المنتصر إلى سقوطه سنة ٢٧٣.

الرابعة: عمارته بعد هذا السقوط وهي عمارة محمد بن زيد الداعي الحسني.

الخامسة: عمارة عضد الدولة بن ركن الدولة وكانت سلطنته بعد موت أبيه أيام الطائع بن المطيع.

السادسة: عمارته بعد الحريق الحادث سنة ٤٠٧ وهي عمارة الحسن بن مفضّل أبو محمد الرامهرمزي وزير سلطان الدولة الديلمي وهو الذي بنى سور الحائر الحسيني كما حكاه السيد المرعشي في كتاب مجالس المؤمنين في طبقات الشيعة عن تاريخ أبن كثير، وإن الوزير المذكور قتل سنة ٤١٣ وهي العمارة التي

---

(١) معالي السبطين: ص١٨٣.

وصفها ٱبن بطوطة، والسور هو السور الذي ذكره الشيخ ٱبن إدريس سنة ٥٨٨ في كتاب المواريث من السرائر.

السابعة: العمارة الموجودة الأن وليست بويهية لأن تاريخها سنة ٧٦٧ بعد أنقضاء دولة بني بويه بـ ٢٢٠ سنة لأن أنقضاء الدولة البويهية سنة ٤٤٧ فما أشتهر بين الناس أن هذه العمارة الموجودة إلى الأن بويهية لا وجه له وقد ذكرنا موضع تاريخ العمارة وأنه فوق المحراب القبلي مما يلي الرأس وأنه سنة ٧٦٧، وكذلك ظهر توهم من قال أنها عمارة بني العباس لأن دولتهم أنقضت قبل هذا التاريخ سنة ٦٥٦ وقد ذكر لي إسم صاحبها السيد الجليل «سلمه الله» خازن الحرم الحائري السيد عبد الحسين بن السيد الخازن الأواه السيد علي بن السيد الخازن السيد جواد «طاب ثراه» فلم يبقى ببالي ولكن ببالي أنه مكتوب مع التاريخ فراجعه، إنتهى ما في نزهة الحرمين للسيد المرحوم (قدّس سرّه).

وقال السيد الجليل السيد عبد الحسين الخازن: قد ذكرت للسيد متع الله المسلمين بطول بقائه أن البناء الموجود اليوم على قبره الشريف أمر السلطان أويس الإيلكاني.

وفيه أيضاً: قال إبراهيم المجاب بن محمد بن الإمام الكاظم «عليه السلام» وقبره في رواق حرم الحسين «عليه السلام» وهو أول من سكن الحائر من الموسوية كان ضريراً يسكن الكوفة أولاً ثم سكن كربلاء وكان أبوه محمد العابد لكثرة صومه وصلاته.

وقد وهم في إبراهيم المجاب السيد بحر العلوم في الفوائد الرجالية فظنه إبراهيم ٱبن الإمام موسى الكاظم «عليه السلام» وأنه إبراهيم صاحب أبي السرايا وهو وهم.

وقال (قدّس سرّه): إن قبر السيد المرتضى وأخيه السيد الرضي في كربلاء وإن المكان المعروف في بلدة الكاظمية بقبرهما إنما هو موضع دفنهم أولاً ثم نقلا إلى كربلاء، ولا بأس في زيارتهما بهذا الموضع وإنما أبقوا ذلك لعظم شأنهما.

ثم قال (قدّس سرّه): وإبراهيم الأصغر بن الإمام الكاظم «عليه السلام» فقبره في كربلاء خلف قبر الحسين «عليه السلام» بستة أذرع ويلقب بالمرتضى وهو المعقب المكثر جد السيد المرتضى والسيد الرضي وجدّ جدّه أشراف الموسويين ومعه جماعة من أولاده كموسى بن أبي شحمة وأولاده وجدنا الحسين القطيعي وجماعة من أولاده في سردابين متصلين خلف الضريح المقدسة كانت قبورهم

ظاهرة، فلما عمر الحرم العامر الأخير محو آثارهم ومعهم قبر السيد المرتضى والسيد الرضي وأبوهما وجدهما موسى الأبرش وقيل: دفنا مع السيد إبراهيم المجاب في الصندوق وليس بمعلوم، إنتهى ما في كتاب نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين للسيد المرحوم حجة الإسلام السيد حسن الصدر «طاب ثراه» المتوفى سنة (١٢٥٤هـ) المدفون ببلدة الكاظمية، إنتهى ما لخصناه عن معالي السبطين لمؤلفه الشيخ مهدي المازندراني نزيل كربلاء.

والمنقول عنه وهو السيد الصدر (رحمه الله) ثقة معتمد في النقل لكن بعض المواضع فيها مجال فسيح للبحث وميدان واسع للمناقشة طويناها حذر التطويل وقد أوردنا كلامه مختصراً ولم نحكه بطوله.

أما صاحب كتاب كربلاي معلى[1] فقد ذكر مثله إلى حين عمارة أويس الإيلخائي (الإيلكاني) ثم قال: وأتمه ولده السلطان حسين، وفي سنة ٩٣٢ أهدى السطان إسماعيل الصفوي صندوقاً إلى القبر الطاهرة الحسيني، وفي سنة ١٠٤٨ شيد السلطان مراد الرابع العثماني القبة المنورة وجصصها، وفي سنة ١١٣٥ نهضت زوجة السلطان نادر شاه كريمة حسين الصفوي إلى تعمير المسجد المطهر (يعني الصحن الشريف) والقبّة على الطراز الأخضر (يعني الكاشي)، وفي أوائل القرن الثالث عشر أهدى فتح علي شاه أحد ملوك إيران السبيكة من الفضة (يعني الشباك)، وفي سنة ١٢١٦ أمر محمد علي شاة بتزيين الحرم الشريف وتعميره وبذل بذلك مبالغاً ويوجد اليوم في أعلا الأبواب المعظمة فوق الآيات القرآنية فيما يقابل الوجه الشريف وحوالي هذه المنارة أمرت زوجة فتح علي شاه بتذهيب المأذنتين (يعني المنارتين)، في سنة ١٢٧٥ غشيت قبة الحرم بالذهب على نفقه ناصر الدين شاه كما هو مكتوب على حائط فوق الباب بسطر من ذهب.

وفي سنة ١٣٥٨ أهدى إمام الإسماعيلية شباكاً من الفضة عظيم جداً، إنتهى.

وفي بعض هذه العمارات يشارك مرقد العباس مرقد الحسين «عليهما السلام» وسيجيء آخر الفصل ما يختص به العباس «عليه السلام» من العمارة والهدايا والتحف اللائقة بشأنه فانتظره.

المزارات الأربعة لأبي الفضل العباس «عليه السلام»

تشاد لأبي الفضل العباس الأكبر باب الحسين بن أمير المؤمنين علي باب

---

(١) كربلاي معلى: ص١٥.

رسول الله ﷺ أربعة مزارات تزار وتعظم وهذه إحدى الخصائص العباسية التي أختص بها دون سائر الشهداء فإنا لم نعرف لسائر الشهداء بعد الحسين بن علي «عليهما السلام» منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا من شيدت له أربعة مزارات مواضع وكل واحد منها يقصد بالزيارة ويطاف به ويتبرك فيه كما يتبرك بركن البيت الأعظم ويلثم كما يلثم الحجر الأسعد ويلتزم ويستلم كما يمسك الملتزم ويستلم ركن الحطيم.

ليس هذا بعد الحسين ريحانة الرسول ﷺ الذي شيدت له عدة مزارات إلا لحامل لوائه أبي الفضل العباس الأكبر فكانت هذه المزارات الأربعة في التبرك بها من أزمنة قديمة، فمزار الرأس الشريف في العاصمة الأموية دمشق الشام ومزاراته الباقية تشرفت بها كربلاء حيث أحتوت عليها وضمتها جميعاً وإن تفرقت في أرجائها، فمزار الجثمان الأقدس حيث القبّة المشيدة والمرقد السامي والضريح المبارك المشهور ومزار الكفين خارج الصحن كما سنحقق موضعهما.

احتفظت بهذه الأثار شيعة الحسين «عليه السلام» وعظمت هذه المزارات لهذه الأعضاء العباسية الكريمة منذ عصر الشهادة في أول النصف الأخير من القرن الأول الهجري إلى النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، فالخلف يقتفي السلف لأنها قد شهدت لها الأسفار التاريخية بوقوع الكفين القطيعين كل واحدة من ناحية وسقوط الجسد في موضع الضريح الحالي والعضو الرئيس المبارك صلب أو دفن حيث المزار المشاد في دمشق العاصمة لسوريا اليوم.

لم تغفل شيعة الحسين «عليه السلام» على التنقيب والبحث عن الأثار المقدسة لأهل البيت النبوي لتقوم بما ندبها الله تعالى إليه من واجب التعظيم لأوليائه وحثها عليه من احترام السلالة النبوية المحترمة بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1].

إن الله تعالى ليدل الناس على جلالة أوليائه عنده ويرشدهم إلى عظيم منزلتهم لديه ويعرفهم أقدارهم ومحلهم الخطير السامي وعلو مكانتهم الرفيعة ولكن الناس ليصدفون عن الحقيقة اللامعة وينفرون عن البرهان الساطع ويتعامون عن الحق الواضح والحق تطفح غمرته ولا يقاوم تياره ولا يرد سيله الهائل ولا يحول دون جريانه حائل.

---

(١) الحج: ٣٢.

للمؤلف:

دعوا يا خصماء آل أحمد لجاجكم وجانبوا لؤم الجدل
فقد تنكبتم طريق رشدكم غياً وزيغاً ثم بؤتم بالفشل
فقد أشاد الله بالرغم لكم مشاهد الغر بني خير العمل
فلا يضر أحمد أو رهطه جحود من زاغ عناداً وأضل
إن تنصروا الله إذن ينصركم قد قاله رب الورى عز وجل
ومن أطاع الله عز إسمه أطاعه الخلق وما شاء فعل
ويرفع الله الذين آمنوا برحمة منه إلى أسمى محل
فهذه قباب آل أحمد شيدت على التقوى وإخلاص العمل
فهي قذى عيون جاحد يهمو وهي الأعضاء ذوي البغضا شلل
وكل من لام على إتيانها فذاك عندي ذو جنون وخبل
مراقد سمت فخاراً وعلت على الضراح وأرتقت أسمى محل
ترمي على أعتابها تيجانها كل الملوك ومشاهير الدول
لأنهم سلالة طيبة عليهم الوحي من الله نزل

لم يجد المعادي لآل محمد ﷺ سبيلاً إلى القدح في فضائلهم التي هي غرر في جباه الليالي والأيام ولم يرى وسيلة للغض وألح به داء العداء المزمن أخذ يتجه إلى القدح في أعمال شيعتهم ظناً منه أنه قد فتح رتاج مقفل يدخل منه إلى محو آثارهم فشنع عليهم بأن زيارة القبور بدعة وأن الطواف بها حرام.

للمؤلف:

حرّم الله روح من قال هذا روح جناته وأصلاه نارا
إنما أسس الزيارة طاها إذ لقتلى الأصحاب في أُحد زارا
ولقد صحت الرواية عنه إنه زار من توفوا مرارا

أستغوى المنحرف فئة من السخفاء بتمويهه واستجاش عادمي البصيرة والتفكير فنوه بذلك الإنكار الطائشون إعلاناً ناقدين لهذه الفضيلة واسمين لها بالهمجية وهي في الحقيقة نقد لشارع الإسلام وتشنيع على من تلقى الوحي عن الله تعالى الذي أرسله للأُمة بشيراً ونذيراً وليس هذا بنقض على شيعة الحسين «عليه السلام» إنما هو نقض على جد الحسين «عليه السلام» القائل: زوروا القبور فإنها

تذكركم الآخرة، ولم يكتفي بالقول المجرد بل باشر فعلاً فزار قبر أُمه بالأبواء، وزار شهداء أُحد والبقيع وأمر بزيارتهم والإكثار منها، وجعل لبعض صلحاء أصحابه أمثال آبن مظعون علامة يهتدي بها الزائر لقبورهم.

وهكذا أشادت الصحابة الكرام آثار نبيها ﷺ المباركة وتبركوا بجميع ما حل فيه ظهرت فيه بركته من مجالسه حتى شادوا المزارات لمجالسه وآثاره المباركة في البوادي كمسجد الشجرة في الحديبية ومسجد مجلسه أمام العوسجة عند خيمة أُم معبد حتى تخيل من أعوزه الفقه في الدين وأثرى من عدم التفكير أنها ستعبد بتطاول الزمان كما عبدت الأشجار أهل الجاهلية فأمر بطمس تلك الآثار المباركة ومحوها فأُزيلت، الشيعة العلماء رفضوا هذه الحماقة وتركوا هذه الغباوة الفاضحة وأحيوا سنة النبي الهادي ﷺ وأقتفوا أثر الرسول المصلح وتبعوا سنة أصحابه الفقهاء الأخيار والأفاضل العلماء فشيدوا قباب آل محمد ﷺ وتتبعوا آثارهم فجعلوا لها أعلاماً كما جعلت الصحابة لآثار النبي ﷺ أعلاماً تُقصد وابنية يلوذ بها المتوسلون إلى الله ويطوف بها ذوو الحاجات عنده.

ومن تلك الآثار التي أهتم الشيعة بتشييدها المزارات الأربعة لأبي الفضل العباس الأكبر آبن أمير المؤمنين «عليهما السلام» وفي مزارات الحسين «عليه السلام» قد اشترك السنيون مع الشيعيين في تشييد بعضها والإنكار مكابرة كما ستسمع.

للمؤلف:

باب الحسين أبو الفضل بن حيدرة ... الله شاد له أسمى مزارات
ثلاثة بربوع الطف عمرها ... بالزائرين وفرداً عند شامات
فأصبحت مثل بيت الله طاف بها ... من كل فج أُناس أهل حاجات
مزار كفيه معروف ومشهده ... ملاذ زواره في كل أوقات
ترى الملوك على أبواب حضرته ... ترمي بتيجان تمليك ثمينات
كم لاذ في مرقد العباس من ملك ... وذل في بابه من آمر عاتي
ومشهد الرأس في الشامات تقصده ... أهل الحوائج في كل العشيات
صلى الإلٰه على العباس كم ظهرت ... في قبره من كرامات وآيات
عناية الله طول الدهر تحرسه ... إلى النشور وحتى حشر أموات
وكل من عرف الرحمٰن نيته ... بمحض إخلاص تقريب وطاعات

أعطاه ما لا رأيت عين ولا سمعت أُذن فواضل نعماء وخيرات
فخلد الله في الدنيا لذكرهموا وفي المعاد حباهم خير جنات

قد أوقفنا التاريخ على خبر محزن ونبأ مقلق وهو أن الحسين والعباس «عليهما السلام» وزعاً أوصالاً بالسيوف وقطعا آراباً بحدود الأسلحة، وصرح لنا التاريخ بأن الحسين «عليه السلام» أُبين من جسده الشريف أربعة أعضاء: إصبعه الذي قطعه بجدل بن سليم الكلبي لأجل الخاتم، وكفاه اللذان قطعهما الجمال على التكة، ورأسه الذي قطعه الشمر أو سنان أو خولّى أو أخوه شبل على الخلاف.

والعباس «عليه السلام» قد قطع كفه اليمنى حكيم بن الطفيل الطائي السنبسي، وقطع كفه اليسرى زيد بن رقاد المذحجي الجنبي، وقطع رأسه الشريف أيضاً، فنحن قد علمنا هذا من التاريخ فنريد أن نعرف أين دفنت هذه الأعضاء الكريمة المبانة؟.

وقبل أن أُحرر ما ذكره المؤرخ أبدي رأيي وإني لا أشك أن الأعضاء الشريفة المفصولة من الأجساد الطاهرة عدى الرؤوس دفنت مع الأجساد: أما إصبع الحسين «عليه السلام» وكفاه فلأنها لم ترمى بعيداً عن الجثة بل رميت إلى جنبها فدفنها مع الجثة واضح لا خفاء فيه، وأما كفا أبي الفضل فهما وإن وقعا ناحية عن الجثة وعدم وجود من يضمها إليها بعد القتل لكن الذي يقوى في الظن أنهما عند الدفن التقطا ودفنا مع الجثة، والمزاران المشهوران لهما إنما شيدا على موضع قطعهما، وقد ورد في بعض المقاتل أن الإمام زين العابدين «عليه السلام» التقط كفي عمه العباس ودفنهما مع جسده المبارك في الضريح.

أعضاء الحسين «عليه السلام» المبانة من بدنه المقدّس

كيفية فصل أعضاء الحسين «عليه السلام» من جسده:

نحن نقتصر هنا على النقل عن واحد، قال في مصائب المعصومين[١]: أخذ بجدل بن سليم الكلبي خاتمه، ثم أعلموا أنه لشدة ما وقع على يده الشريفة حدثت ورمة[٢] في أصابعه فلم يقدر اللعين بن اللعين على أخذ الخاتم فأخذ سيفه وقطع

---

(١) مصائب المعصومين: ص٣٠٩.

(٢) الورمة لا يعني بها الأنتفاخ الحادث من الألم والتضخم العضوي وإنما يعني الغلظ لتكاثف الدماء وتراكمها على اليد الحسينية الشريفة ولكن الفارسي يضطره عدم القدرة على الإفصاح لمثل هذا.

إصبعه مع الخاتم ولكن الحمد لله أن المختار أخذ ذلك اللعين فقطع يديه ورجليه وتركه يتشحط بدمه حتى هلك.

ومن المصاب الوارد على يده التي كانت معدن الجود والسخاء هو ما صدر من الجمال الملعون وبيانه على سبيل الإجمال كما ذكر في بعض كتب المراثي هو أنه قال اللعين: كنت جمالاً لأبي عبد الله لما خرج من المدينة إلى العراق وكنت أراه إذا أراد الوضوء للصلاة يضع سراويله عندي فأرى تكة تغشي الأبصار بحسن إشراقها وكنت أتمناها تكون لي إلى أن صرنا بكربلاء فقتل مع أصحابه وأُلقي أبدانهم المطهرة في الأرض فأمرتني نفسي بأن أختفي في مكان فإذا جاء الليل أخذت تكة سرواله فلما جن الليل خرجت من مكاني فرأيت في تلك المعركة نوراً لا ظلمة، ونهاراً لا ليلاً، وقتلى مطروحين على وجه الأرض وتتلألأ أبدانهم المطهرة كالكوكب الدري فذكرت لخيبتي وشقائي التكة فقلت: والله لأطلبن الحسين وأرجو أن تكون التكة في سراويله فآخذها.

فلم أزل أنظر في وجوه القتلى حتى أتيت إلى الحسين فوجدته مكبوباً على وجهه وهو جثة بلا رأس ونوره مشرق مزمل بدمائه والرياح سافية عليه، فقلت: هذا والله الحسين، فنظرت إلى سراويله كما كنت أراها فدنوت منه وضربت بيدي إلى التكة لآخذها فإذا هو قد عقدها عقداً كثيرة فلم أزل أحلها حتى حللت عقدة منها، فمد يده اليمنى فقبض على التكة فلم أقدر على أخذ يده منها فدعتني نفسي الملعونة إلى أن أطلب شيئاً أقطع به يديه فوجدت قطعة سيف مطروح فأخذتها وأنكببت على يده فلم أزل أحزها حتى فصلتها ومددت يدي إلى التكة لآخذها فمد يده اليسرى على التكة فلم أقدر على أخذها فحززتها حتى فصلتها ومددت يدي إلى التكة لآخذها فإذا الأرض ترجف والسماء تهتز وإذا بجلبة عظيمة وبكاء ونداء وقائل يقول: وا ابناه! وا مقتولاه! وا ذبيحاء! وا حسيناه! وا غريباه! يا بني قتلوك وما عرفوك ومن شرب الماء منعوك، فلما رأيت ذلك أمتنعت وقمت ورميت نفسي بين القتلى، إنتهى. وأعاد القصة مفصلة ص٣٣٣.

وفيها[1]: إن النبي ﷺ دعا على هذا الشقي بأسوداد الوجه فسود الله وجهه، وهذه القصة تمثل الجلفية البدوية وشقاوة الأعراب ونذالتهم وسقوط أنفسهم الدنيئة، وانا أحسب أن هذا الجمال التعيس من الذين صحبوه من مكارية القافلة المرسلة ليزيد بن معاوية من عامله يحيى بن ريسان الحميري على اليمن فأخذها

(١) مصائب المعصومين: ص٣٣٨.

الحسين «عليه السلام» وخير الجمالة بين أخذ كراءهم والرجوع أو إضعاف أُجرتهم والمسير معه إلى العراق، فرجع بعضهم وصحبه بعضهم كما نص عليه المحققون من المؤرخين كالمفيد والطبري وابن الأثير وغيرهم فغير بعيد أن يكون هذا الشقي من الذين صحبوه إلى العراق.

اختلاف الناس في موضع دفن رأس الحسين «عليه السلام»

هنا معركة هائلة وملحمة نكراء بين حملة الحديث وأهل التاريخ ورجال الدين من الفقهاء والمتصوفة الذين يدعون الكشف والشهود ويزعمون مشاهدة الأعيان المحجوبة بستار الغيوب وأُشيدت على رأس هذا الجدل والخصام لرأس سيد الشهداء الحسين «عليه السلام» مشاهد وبنيت له مزارات:

فمنها ما أشتهر حتى ساوى في الشهرة سائر الآثار.

ومنها ما خفي إلا على الأفذاذ.

ومنها المتوسط.

ومنها ما عاش في بعض الأجيال ثم دثر.

ومنها ما بقي صيته ذائعاً إلى اليوم.

ونحن نورد الكلام في هذه الجهة المقصودة بالبحث ونبدي رأينا في ذلك بعد الاتفاق على حمل رؤوس الشهداء من العراق إلى سوريا إظهاراً للغلبة وإشهاراً لقاعدة الظفر، ومن الأُمور التي يجب أن تعرف أولاً ثلاثة أُمور:

(١) صفة حملها أعلى الرماح كانت أم على أخشاب عادية؟

(٢) كيف صنعوا بها قبل أن يحملوها إلى العاصمة؟

(٣) عددها أهي سبعين رأساً أم أقل أم أكثر؟ وهل قدموها على محامل النساء المأسورات أم أخروها أم وسطوها الظعن بقصد المبالغة بفضيلة العقائل إذا أنصرف أبصار النظار إليهن؟

أما الجهة الأُولى: فالمؤرخين كلما تختلف تتفق على شيء وهو إشهار الرؤوس الكريمة برفعها ليراها الداني والقاصي بعينه، وسواء كانت على قنا أو على أخشاب، وإن رأس العباس بن علي «عليهما السلام» أختص بتعليقه في عنق الفرس عند دخول الكوفة كما سيأتي ذكره منفرداً وحيث أن مقامنا لا يحتمل التطويل نورد لك بعض أقوال المؤرخين.

قال سبط ٱبن الجوزي في تذكرة خواص الأُمة[١] بإسناده إلى أبي محمد عبد الملك بن هشام البصري قال: لما أنفذ ٱبن زياد رأس الحسين «عليه السلام» إلى يزيد بن معاوية مع الأُسارى موثقين بالحبال منهم نساء وصبيان وصبيات من بنات رسول الله ﷺ على أقتاب الجمال موثقين مكشفات الوجوه والرؤوس، وكلما نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من صندوق أعدوه له فوضعوه على رمح وحرسوه طول الليل إلى وقت الرحيل ثم يعيدوه إلى الصندوق ويرحلوا.

فنزلوا بعض المنازل وفي ذلك المنزل دير فيه راهب فأخرجوا الرأس على عادتهم ووضعوه على الرمح وحرسه الحرس على عادتهم وأسندوا الرمح إلى الدير، فلما كان نصف الليل رأى الراهب نوراً من مكان الرأس إلى عنان السماء فأشرف على القوم وقال: من أنتم؟ قالوا: نحن أصحاب ٱبن زياد، فقال: وهذا رأس من؟ قالوا: رأس الحسين بن علي بن أبي طالب ٱبن فاطمة بنت رسول الله، قال: نبيكم؟ قالوا: نعم، قال: بئس القوم أنتم، لو كان للمسيح ولد لأسكناه أحداقنا، ثم قال: وهل لكم في شيء؟ قالوا: وما هو؟ قال: عندي عشرة آلاف دينار تأخذوها وتعطوني الرأس يكون عندي تمام الليلة وإذا رحلتم تأخذوه؟ قالوا: وما يضرنا فناولوه الرأس وناولهم الدنانير.

فأخذه الراهب فغسله وطيبه وتركه على فخذه وجعل يبكي الليل كله، فلما أسفر الصبح قال: يا رأس! لا أملك إلا نفسي وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن جدك محمداً رسول الله، وأُشهد الله أنني مولاك وعبدك، ثم خرج من الدير وما فيه وصار يخدم أهل البيت.

قال ٱبن هشام في السيرة: ثم إنهم أخذوا الرأس وساروا فلما قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض: تعالوا حتى نقتسم الدنانير لا يراها يزيد فيأخذها منا، فأخذوا الأكياس وفتحوها فإذا الدنانير قد تحولت خزفاً وعلى أحد جانبي الدينار مكتوب: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢]، وعلى الجانب الآخر: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٣] فرموها في بردى[٤]، إنتهى.

قال العلامة المجلسي في البحار[٥]: قال السيد ـ يعني ٱبن طاوس ـ: وسار القوم برأس الحسين «عليه السلام» ونسائه والأسرى من رجاله فلما قربوا من

---

(١) تذكرة الخواص: ص١٤٩.
(٢) سورة إبراهيم: ٤٢.
(٣) الشعراء: ٢٢٧.
(٤) بردى نهر بالشام.
(٥) بحار الأنوار ١٠/ ٢٢٣.

دمشق دنت أُم كلثوم من شمر «لعنه الله» وكان في جملتهم فقالت: لي إليك حاجة، فقال: ما حاجتك؟ فقالت: إذا دخلت بنا البلد فأحملنا في درب قليل النظارة وتقدم إليهم أن يخرجوا الرؤوس بين المحامل وينحونا عنها فقد خزينا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذه الحال، فأمر في جواب سؤالها بأن تجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل بغياً منه وكفراً، وسلك بهم بين النظارة على تلك الصفة حتى أتى بهم باب دمشق فوقفوا على باب درج للمسجد حيث يقام السبي، ثم ذكر حديث سهل وأنه حامل الرأس الشريف حتى أخره عن المحامل ولا يتسع النقل لهذه القصص المشهورة.

وإقامة سبي آل الرسول على درج المسجد لم تنفرد بنقله الشيعة كما يقول الناصبي الملحد آبن كثير الدمشقي الشافعي بل صرح به أعيان أهل السنة كالحافظ القرطبي المالكي كما ستسمع كلامه، وغيره من الحفّاظ فلا تنخدع بإلحاد مؤرخي الحشوية الأموية الضالة المضلة.

وقال الشيراوي الشافعي في الإتحاف بحب الأشراف[1]: وأخذ عمر بن سعد بنات السيد الحسين «عليه السلام» وأخواته ومن كان معه من الأطفال وعلي بن الحسين مريض فأدخلهم على آبن زياد وطيف برأس السيد الحسين «عليه السلام» في الكوفة على خشبة ثم أرسل بها إلى يزيد بن معاوية وأرسل معه الصبيان والنساء مشدودين على أقتاب الجمال موثوقين بالحبال والنساء مكشفات الوجوه والرؤوس.

ويقال: إن الذي حضر بالرأس إلى الشام عمر بن سعد بن أبي وقاص وفي عنق علي بن الحسين «عليهما السلام» ويديه الغلّ فدخل بعض بني أُمية على يزيد فقال: أبشر يا أمير المؤمنين فقد أمكنك الله من عدوك قتل الحسين ووجه برأسه إليك فلم يلبث إلا أياماً قلائل حتى جيء برأس الحسين فوضع بين يدي يزيد، إلى آخر القصة.

أما الجهة الثانية: التي أظهروا بها الدناءة الأموية الرذلة والخساسة العيشمية النذلة ومثلوا بها نفسية أبناء المومسات العواهر الساقطة ونذالتهم أولاد العبيد الأدعياء هو ما حدثنا به الحافظ القرطبي قدوة المالكية وحكاه لنا إمام الزهاد من الصوفية الشعراني المالكي في مختصر تذكرة القرطبي بما نصه[2]: قال أهل

---

(١) الإتحاف بحب الأشراف: ص١٨.
(٢) مختصر تذكرة القرطبي: ص١٢١.

السير: ثم أمر عبيد الله بن زياد من فوره بالرأس حتى ينصب في الرمح[١] فتحاماه أكثر الناس فقام رجل يقال له طارق بن مبارك بل هو المشؤوم الملعون المذموم فقوره ونصبه بباب ولد عبيد الله بن زياد ونادى في الناس ثم جمعهم في المسجد الجامع وخطب خطبة لا يحل لمسلم ذكرها، ثم دعا بزياد بن حر الجعفي فسلم إليه رأس الحسين «عليه السلام» ورؤوس إخوته وبنيه وأهل بيته وأصحابه ودعا بعلي بن الحسين «عليهما السلام» فحمله وحمل معه عماته وأخواته إلى يزيد بغير وطاء، والناس يخرجون إلى لقائهم في كل بلد ومنزل حتى قدموا دمشق فأُقيموا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي، الخ.

قال قدوة المتصوفة وإمام المتقشفين اليافعي الشافعي في مرآة الجنان[٢]: روي أنه لما قتل السادة الأخيار، مال الفجرة الأشرار إلى خيام الحريم المصونة وهتكوا الأستار، فقال بعض من حضر: ويلكم إن لم تكونوا أتقياء في دينكم فكونوا أحراراً في دنياكم، وذكروا مع ذلك ما يعظم من الزندقة والفجور وهو أن عبيد الله ٱبن زياد أمر أن يقور الرأس المشرف المكرم حتى ينصب في الرمح فتحامى الناس عن ذلك فقام من بين الناس رجل يقال له طارق بن المبارك بل هو ٱبن المشؤوم المذموم فقوره ونصبه بباب المسجد الجامع وخطب خطبة لا يحل ذكرها، ثم دعا ٱبن زياد بزياد بن حر بن قيس الجعفي فسلم إليه رأس الحسين «عليه السلام» ورؤوس إخوته وبنيه وأصحابه، ودعا بعلي بن الحسين «عليهما السلام» فحمله وحمل عماته وأخواته إلى يزيد على محامل بغير وطاء والناس يخرجون إلى لقائهم في كل بلد ومنزل حتى قدموا دمشق ودخلوا من باب توما وأُقيموا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي، إنتهى.

وقول هذين المؤرخين دعا بزياد بن الحر يريدان به زحر بن قيس فتصحف عليهما ولا منافاة بين القولين لأن الرمح إذا نزع عنه الزج والنصل بقيت القناة وهي خشبة فمن قال رمحاً نظر إليه بأعتباره قبل نزع النصل عنه، ومن قال خشبة نظر إلى جهة نزع الزج منه، أما الشعراء الذين رثوا الحسين «عليه السلام» من حين شهادته إلى اليوم لم يذكروا في أشعارهم حمل الرأس الشريف إلا على رمح أو قناة ومن هذا نعرف أن القناة هي الخشبة التي عناها بعض المؤرخين.

أما الجهة الثالثة: وهي كمية الرؤوس، فالمشهور اثنان وسبعون، ويقال:

---

(١) أحسبه الرمح فصحف إليه الريح.
(٢) مرآو الجنان ١/ ١٣٥.

سبعون، ورأس مسلم ٱبن عقيل وهاني بن عروة؛ فعلى الأول مجموع ما قطع من رؤوس الشهداء أربعة وسبعون رأساً.

قال أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري في الأخبار الطوال[١]: وحملت الرؤوس على أطراف الرماح وكانت أثنين وسبعون رأساً: جاءت هوازن بأثنين وعشرين رأساً، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً مع الحصين بن نمير، وجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً مع قيس بن الأشعث، وجاءت بنو أسد بستة رؤوس مع هلال الأعور، وجاءت الأزد بخمسة رؤوس مع عيهمة بن زهير، وجاءت ثقيف بأثني عشر رأساً مع الوليد بن عمرو، الخ، وهذه غير رأس الحسين «عليه السلام».

وقد قال الطبري[٢] بعد أن ذكر إرسال رأس الحسين «عليه السلام» مع خولّى الأصبحيّ قال: وقطف رؤوس الباقين فسرح بأثنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعزرة بن قيس فأقبلوا حتى قدموا بها على ٱبن زياد، إنتهى.

ولكنه يقول[٣]: قال هشام: قال أبو مخنف: ولما قتل الحسين بن علي «عليهما السلام» جيء برؤوس من قتل معه من أهل بيته وشيعته وأنصاره إلى عبيد الله بن زياد فجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً وصاحبهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن بعشرين رأساً وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً، وجاءت بنو أسد بستة أرؤس، وجاءت مذحج بسبعة أرؤس، وجاء سائر الجيش بسبعة أرؤس فذاك سبعون رأساً، إنتهى.

وبهذا جزم ٱبن الأثير في تاريخ الكامل.

أما الشيخ المفيد فذكر مثلما ذكر الطبري في قوله الأول جازماً به[٤] ولنكتفي بهذا.

رأس الحسين «عليه السلام» ورؤوس الشهداء معه

صلب رأس الحسين «عليه السلام» ورؤوس الشهداء:

أمران أتفق عليها المؤرخون: التطواف برأس الحسين «عليه السلام» وصلبه في عاصمة الأمويين دمشق.

قال الشعراني المالكي في مختصر تذكرة القرطبي[٥] واليافعي الشافعي في

---

(١) الأخبار الطوال: ص٢٥٦.
(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٢٦٢.
(٣) نفسه ٦/ ٢٦٩.
(٤) الأرشاد: ص ٢٥٨.
(٥) مختصر تذكرة القرطبي: ص٣١.

مرآة الجنان[١] ـ واللفظ للقرطبي لأن فيه زيادة شعر لبعض التابعين ـ قال: ثم وضع الرأس المكرم بين يدي يزيد فأمر أن يجعل في طست من ذهب وجعل ينظر إليه وهو يقول:

صبرنا وكان الصبر منا عزيمة وأسيافنا يقطعن كفاً ومعصما
نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

ثم تكلم بكلام قبيح، إلى هنا من كلام القرطبي ونحرر ما حضرنا من أبيات جواباً لهذا الطاغي المتمثل بشعر الجاهلي المتمرد وهو الحصين بن الحمام المري:

صبرت على ماذا ٱبن ميسون بعدما قتلت ٱبن بنت المصطفى سيد الرسل
وأدركت أوتار الطغات كعتبة وشيبة والوغد الزنيم أبي جهل
فأخزاك رب الناس تقرع بالعصا ثنايا حسيناً خير حاف وذي نعل
وكان رسول الله يرشف دائماً ثناياه طفلاً جل قدراً عن الطفل
وأنت ٱبن ميسون البغي قرعتها من الغيظ عمداً بالقضيب بلا مهل
ولكن بيحيى أُسوة لابن فاطم فقد كان أُهدي الرأس منه إلى نغل

ثم قال القرطبي: وأمر بالرأس أن يُصلب بالشام، ولما رأى خالد بن عبيد الله ذلك قال:

جاؤوا برأسك يا ٱبن بنت محمد متزملاً بدمائه تزميلا
وكأنما بك يا ٱبن بنت محمد قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشاناً ولم يترقبوا في قتلك التنزيل والتأويلا
ويكبرون بأن قُتلت وإنما قتلوا بك التكبير والتهليلا

وكان خالد هذا من أجل علماء التابعين وقد أختفى شهراً وهم يطلبونه ليقتلوه فلم يظفروا به، إنتهى.

هذا التابعي هو خالد بن معدان الكلاعي من حمير، تابعي جليل من الطبقة الأُولى من تابعي أهل الشام من كبارهم، يقرن بأبي مسلم الخولاني، وذكر ٱبن عساكر قصة هذه الأبيات وأختفائه شهراً عن أصحابه، وسماه خالد بن غفران[٢].

---

(١) مرآة الجنان ١/ ١٣٥.
(٢) تاريخ مدينة دمشق ٥/ ٨٥.

وقال الأصطخري المعروف بالكرخي إبراهيم بن محمد الفارسي في كتاب المسالك إلى الممالك[١]: وعلى باب جيرون حيث نصب رأس يحيى بن زكريا نصب رأس الحسين ان علي «عليهما السلام»، الخ.

وقال محمد بن حبيب النسابة البصري في كتاب المحبر[٢]: ونصب يزيد بن معاوية رأس الحسين («رضي الله عنه») وقتل معه العباس وجعفر وعثمان وعبد الله ومحمد المكنى أبا بكر بني علي بن أبي طالب «رضي الله عنهم»، وأبو بكر بن الحسن والقاسم وعبد الله أبناء الحسن، وعلي وعبد الله أبناء الحسين، وعبد الله وجعفر وعبد الرحمٰن بنو عقيل بن أبي طالب ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل ومسلم بن عقيل، ومحمد وعون أبناء عبد الله بن جعفر «رضي الله عنهم»، فحملت رؤوسهم إلى يزيد بن معاوية (لعنة الله عليه) فنصبها بالشام وبعث برأس الحسين («رضي الله عنه») فنصب بالمدينة، إنتهى.

رأس الحسين «عليه السلام» عند يزيد وابن زياد

ما مر برأس الحسين بن علي «عليهما السلام» من أبناء الأدعياء:

خفت علينا الحكمة الإلٰهية وأسرار الإرادة الربانية ولم نجد لنا فسحة ومجالاً لأستخراج السر المكتوم والرمز المختفى بأستار العلم المحجوب عن إدراك أفكارنا وهجس خواطرنا حتى نقول لماذا ولأي شيء لم تحل العقوبة العاجلة ويحل البوار السريع ويفجأ الدمار من قرع ثنايا الحسين «عليه السلام» وثغره بقضيبه وشرب الخمر عليه.

لا نستطيع أن ندرك من أسرار تأخير العذاب عن هذه الطائفة الطائشة والفئة الزائغة إلا بمثل ما حصل من إمداد الطواغيت وأُنسأ معاقبة الجبابرة الذين فتكوا بالأنبياء أستدراجاً منه تعالى ذو أناة لا يعجل، إنما يعجل من يخاف الفوت، ولئن أمهل الله الظالم فلن يفوت أخذه، ولأجل أن يمتحن عباده فيرى الممتثل الواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير الممتثل ولو دمر الله الطواغيت وأباد خضراء الجبابرة وفي أتباعهم والملتفين حولهم ممن يبطن النفاق فريق وممن يكتم الإيمان خوفاً فريق آخر فإذا لم تمتد الأوقات ولم تطل الأزمنة ولم يفسح المجال لإظهار المنافق نفاقه ولم يعمل المؤمن.بإيمانه في حالة المحنة والشدة ليعرف كيف

---

(١) المسالك إلى الممالك: ص٦٠ طبع ليدن.
(٢) المحبر: ص٤٩٠ طبع حيدر آباد.

قوة إيمانه ورسوخ عقيدته والمجازات على قدر البلاء، والعقوبة على مقدار المعصية فلذلك أخر الله عقوبة يزيد وابن زياد.

وإليك بعض ما أورد المؤرخون وخذ عن شيخ المؤرخين الطبري ما نصه[١]: عن حميد بن مسلم قال: دعاني عمر بن سعد فسرحني إلى أهله لأُبشرهم بفتح الله عليه وبعافيته، فأقبلت حتى أتيت أهله فأعلمتهم ذلك ثم أقبلت حتى أدخل فأجد اٰبن زياد قد جلس للناس وأجد الوفد قد قدموا عليه فأدخلهم وأذن للناس فدخلت فيمن دخل فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه وإذا هو ينكت بقضيب بين ثنيتيه ساعة، فلما رآه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب قال له: أعل بهذا القضيب عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا إلٰه غيره لقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الشفتين يقبلهما ثم أنفضخ يبكي، فقال له اٰبن زياد: أبكى الله عينيك فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك.

قال: فنهض فخرج فلما خرج سمعت الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه اٰبن زياد لقتله، قال: قلت: فما قال؟ قالوا: مر بنا وهو يقول: ملك عبداً فأتخذهم تلداً، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم اٰبن فاطمة وأمرتم اٰبن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعداً لمن رضي بالذل.

وذكر قصة عبد الله بن عفيف وذكرناها حيث ترجمناه في كتابنا أعلام النهضة الحسينية.

وقال[٢]: عن القاسم بن عبد الرحمٰن مولى يزيد بن معاوية قال: لما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد رأس الحسين وأهل بيته وأصحابه، قال يزيد:

نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فعن أبي عمارة العبسي قال: فقال يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم:

لهمام بجنب الطف أدنى قرابة من اٰبن زياد العبد ذي الحسب الوغل

سمية أمسى نسلها عدد الحصى وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

و[٣]عن القاسم بن بخيت قال: لما أقبل وفد أهل الكوفة برأس الحسين «عليه السلام» دخلوا مسجد دمشق فقال لهم مروان بن الحكم: كيف صنعتم؟

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٢٦٢.
(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٢٦٥.
(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٢٦٧.

فقالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً فآتينا والله على آخرهم وهذه الرؤوس والسبايا، فوثب مروان فأنصرف وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم فقال: ما صنعتم؟ فأعادوا عليه الكلام، فقال: حجبتم عن محمد يوم القيامة لن أُجامعكم على أمرٍ أبداً، ثم قام وأنصرف.

ودخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدثوه الحديث، قال: فسمعت دور الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز وكانت تحت يزيد بن معاوية فتقنعت بثوبها وخرجت وقالت: ياأمير المؤمنين! هذا رأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله؟ قال: نعم فأعولي عليه وحدي على اَبن بنت رسول الله وصريخة قريش عجل عليه اَبن زياد فقتله قتله الله، ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه ومع يزيد قضيب فهو ينكث به في ثغره، ثم قال: إن هذا وإيانا كما قال الحصين اَبن الحمام المري:

نفلق هاماً من رجال أحبة إلينا وهم كانوا أعق وأظلما

قال: فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له أبو برزة الأسلمي: أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين؟! أما لقد أخذ قضيبك من ثغره ما أخذ لربما رأيت رسول الله يرشفه، أما إنك يا يزيد يتجيء يوم القيامة وإن اَبن زياد شفيعك، ويجيء هذا يوم القيامة ومحمد ﷺ شفيعه، ثم قام فولى، إنتهى.

وذكر مثل هذا وغيره اَبن الأثير وآخرون من المؤرخين ونحن نورد كلام اَبن كثير الدمشقي الشافعي فإنه أموي العقيدة، شديد في النصب والعدواة لآل محمد حتى تحرى إنكار القطعيات ونسبها إلى وضع الشيعة بزعمه فلذلك أحكي عنه.

فذكر في البداية والنهاية[1] وحديث زيد بن أرقم عن الطبري وقال: رواه أيضاً أبو داود والطبراني.

وذكر أيضاً[2] حديث وضع الرأس بين يدي يزيد وتمثله بقول الحصين المري وشعر يحيى بن الحكم.

وقال[3]: فضربة يزيد في صدر يحيى بن الحكم وقال: أُسكت.

وذكر حديث أبي برزة الأسلمي وحديث مروان وأخيه يحيى مع الكوفيين[4].

وروى حديث أبي برزة بصفة أُخرى[5] ولا نطيل بإعادة الكلام وتكثير النقل ملل.

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ١٩٠.
(٢) نفسه: ص١٩١.
(٣) نفسه: ص١٩٢.
(٤) نفسه: ص١٩٦.
(٥) نفسه: ص١٩٧.

المزارات للرأس الحسيني «عليه السلام»:

هذه أعظم معركة للآراء وأفظع ملحمة جدلية طال فيها الجدل والخصام وكثر اللجاج بين نقلة الآثار وأنا أُحررها مفصلة وإن طالت ثم أبدي رأيي في المسألة آخر البحث.

رأس الحسين «عليه السلام» في دمشق مدفون

ذهب إلى هذا جماعة من المؤرخين وأختلفوا في موضعه فقال قوم في باب الفراديس، وآخرون في رحبة المسجد، وآخرون بسور البلد، وخذ نصوص هؤلاء:

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان[١]: وفي باب الفراديس مشهد الحسين أبن علي «رضي الله عنهم»ا، إنتهى.

وقال الحافظ أبن كثير الدمشقي[٢]: وأما رأس الحسين «رضي الله عنه» فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السير أنه بعث به أبن زياد إلى يزيد بن معاوية، ومن الناس من أنكر ذلك وعندي أن الأول أشهر والله أعلم، وذكر كلام أبن سعد وسيأتي.

وقال: وذكر أبن أبي الدنيا من طريق عثمان بن عبد الرحمٰن عن محمد بن عمر أبن صالح ـ وهما ضعيفان ـ أن الرأس لم يزل في خزانة يزيد بن معاوية حتى توفي فأخذ من خزانته فكفن ودفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق.

قلت: ويعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم داخل باب الفراديس.

(الثاني) وذكر أبن عساكر في تاريخه في ترجمة ريّا حاضنة يزيد بن معاوية أن يزيد حين وضع رأس الحسين بين يديه تمثل بشعر أبن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

قال: ثم نصبه بدمشق ثلاثة أيام ثم وضع في خزائن السلاح حتى أن زمن سليمان بن عبد الملك جيء به إليه وقد بقي عظماً أبيض فكفنه وطيبه وصلى عليه ودفنه في مقبرة المسلمين، فلما جاءت المسودة ـ يعني بني العباس ـ نبشوه وأخذوه معهم.

وذكر أبن عساكر أن هذه المرأة بقيت بعد دولة بني أُمية وقد جاوزت المائة سنة والله أعلم، الخ.

---

(١) معجم البلدان ٤/ ٨٠.

(٢) البداية والنهاية ٨/ ٢٠٤.

وقال الشبراوي الشافعي في الإتحاف بحب الأشراف[١]: قال أبو الفضل: بعد أن وصل الرأس الشريف إلى دمشق وضع في طست بين يدي يزيد وصار يضرب ثناياه الشريفة بقضيب ثم أمر بصلبه فصلب ثلاثة أيام بدمشق وشكر لابن زياد صنيعه وبالغ في إكرامه ورفعته حتى صار يدخل على نسائه، ثم ترك الرأس الشريف بعد صلبه في خزانة السلاح فلم يزل هناك حتى ولي سليمان بن عبد الملك فبعث إليه فجيء به وقد نحل وبقي عظماً أبيض فجعله في سقط وطيبه وجعل عليه كفناً وصلى عليه ودفنه في مقابر المسلمين بدمشق، فلما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى خازن بيت السلاح يأمره أن يوجه إليه برأس الحسين بن علي «رضي الله عنهما» فأخبره أن سليمان بن عبد الملك أخذه وحمله في سفط وصلى عليه ودفنه، فلما دخلت التيمورية إلى الشام سألوا عن موضع الرأس فنبشوه وأخذوه.

ثم قال[٢]: وحكي عن سليمان بن عبد الملك أنه رأى النبي ﷺ وكان يكرمه فسأل الحسن البصري عن ذلك فقال: لعلك فعلت إلى أهل بيته معروفاً، فقال: إني وجدت رأس السيد الحسين «رضي الله عنه» في خزانة يزيد بن معاوية فكسوته خمسة أثواب من الديباج وصليت عليه في جماعة من أصحابي فقبرته، فقال الحسن البصري: إن النبي ﷺ قد رضي عنك بسبب ذلك الخ.

وهذا حكى ثلاثة أقوال هذا أحدهما ويأتي منها في موضعه.

وحكى سبط ابن الجوزي في التذكرة خمسة أقوال منها[٣]: قال: الثالث: إنه بدمشق، حكى ابن أبي الدنيا قال: وجد رأس الحسين «عليه السلام» في خزانة يزيد بدمشق فكفنوه ودفنوه بباب الفراديس، وكذا ذكر البلاذري في تاريخه قال: هو بدمشق في دار الإمارة وكذا ذكر الواقدي أيضاً.

وقال ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار[٤] ونورد كلامه هنا بطوله وإن كان بعضه ليس هذا موضعه، ونصه: مشهد الحسين بعسقلان كان رأسه بها فلما أخذها الفرنج نقل المسلمون الرأس إلى القاهرة ودفن بها في المشهد المعروف به خلف القصرين على زعم من قال ذلك والأغلب أنه لم يتجاوز دمشق لأنه إنما حمل إلى يزيد بن معاوية وكانت دمشق دار ملكه وملك بني أُمية ومن المحال أن يتجاوز الرأس المحمول إلى السلطان لغير حضرته وله بدمشق مشهد

---

(١) الإتحاف بحب الأشراف: ص٢٣.
(٢) الإتحاف بحب الأشراف: ص٢٤.
(٣) تذكرة الخواص: ص١٥١.
(٤) مسالك الأبصار: ١/ ٢١٩.

معروف داخل باب الفراديس وفي خارجه مكان الرأس على ما ذكروا وقد جاء في أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظم الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن والمدى بعيد بين مقتل الحسين ومبنى مشهد عسقلان وفي هذا المشهد دفن رأس الكامل صاحب ميافارقين وفي ذلك قال ٱبن المهتار الكاتب:

أين غاز غزى وجاهد قوماً أثخنوا بالعراق والمشرقين
لم يشنه إن طيف بالرأس منه فله أسوة برأس الحسين
وافق السبط في الشهادة والـ دفن وقد حاز أجره مرتين
لم واروا في مشهد الرأس ذاك الـ رأس فأستعجبوا من الحالتين

وذكر أبو الفدا في تاريخه[١] هذا أحد أقوال ثلاثة أنه في باب الفراديس.

وذكر القرماني في تاريخه[٢] أقوالاً منها: والأصلح أنه دفن في جامع دمشق وأستمر جسده بكربلاء له مشهد عظيم يزار ويتبرك به.

والخوارزمي الحنفي في مقتله ذكر قصه سليمان بن عبد الملك وذكر ما ينافي السابقة في طلب عمر بن عبد العزيز للرأس وهذا نصه بعد رؤيا سليمان وقصته في دفن الرأس الشريف[٣]: فلما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى المكان يطلب منه فأخبره بخبره فسأل عن الموضع الذي دفن فيه فنبشه وأخذه والله أعلم بما صنع به، والظاهر من دينه أنه بعثه إلى كربلاء فدفن مع جسده، إنتهى.

وذكر السيد عثمان مدوخ الحسيني الشافعي في العدل الشاهد: فالمشهور في زماننا أن للرأس الشريف ثلاث مشاهد تزار: أولها المشهد بدمشق الذي فيه الرأس أولاً ثم المشهد بعسقلان بلد على البحر الأبيض قريب من غزة هاشم بالشام ـ يعني فلسطين ـ وقد نقل إليه الرأس الكريم من مشهد دمشق ثم المشهد القاهري بمصر الذي نقل إليه الرأس الكريم من مشهد عسقلان وهو مستقر به الرأس الكريم إلى الآن، الخ.

وقال ٱبن بطوطة الرحالة الشهير المالكي في رحلته[٤]: وباب شرقي وهو أعظم أبواب المسجد ويسمى بباب جيرون وله دهليز عظيم يخرج منه إلى بلاط عظيم طويل أمامه خمسة أبواب لها ستة أعمدة طوال وفي جهة اليسار منه مشهد

---

(١) تاريخ أبو الفدا ١/ ١٩١.
(٢) تاريخ القرماني: ص١٠٩.
(٣) مقتل الخوارزمي ٢/ ٧٦.
(٤) رحلة ابن بطوطة ١/ ٥٥.

عظيم كان فيه رأس الحسين «عليه السلام».

وقال ٱبن جبير الرحالة المالكي في رحلته[١] بعد وصف باب جيرون: وفي وجه اليسار منه مشهد كبير حفيل كان فيه رأس الحسين بن علي «رضي الله عنهما» ثم نقل إلى القاهرة.

والحافظ المقريزي الشافعي في الخطط[٢] يذكر دفن سليمان بن عبد الملك للرأس الشريف وأن بني العباس نبشوه وأخذوه.

والسيد علي جلال الحسيني في كتاب الحسين[٣]: نقله قبلاً عن ٱبن الوردي وعن السمهودي في وفاء الوفا، والذي ذكره السمهودي[٤] وهو ما حكيناه عن ٱبن أبي الدنيا.

ثم قال السيد علي جلال[٥]: وممن ذكر دفن الرأس بدمشق ياسين ٱبن مصطفى الفرضي في النبذة اللطيفة في المزارات الشريفة المزارات المشهورة للصحابة بدمشق ونواحيها والمشهور منهم بتربة باب الفراديس المسمات بمرج أبي الدحداح إلا أن المسجد سمي مسجد الرأس داخل باب الفراديس في أصل جدار المحراب لهذا المسجد رأس الشهيد الملك الكامل وغربي المحراب المذكور في جدار طاقة على الطريق يقال أن رأس الحسين «رضي الله عنه» دفن بها، قال شيخنا النجم في إشاراته: لذا يقال له مشهد الحسين.

ومثل ذلك روى محمد بن قاسم بن يعقوب في كتاب روض الأخبار المنتخب من ربيع الأبرار المؤلف للسلطان سليمان بن السلطان سليم[٦]: قبر الحسين بن علي «رضي الله عنهما» بكربلاء ورأسه بالشام في مسجد دمشق على رأس أُسطوانة.

وذكر[٧] في القول السابع: روى الذهبي في تاريخ الإسلام عن أبي كرب قال: كنت في القوم الذين وثبوا على الوليد بن يزيد وكنت فيمن نهب خزائنهم بدمشق فأخذت سفطاً وقلت فيه غنائي فركبت فرسي وجعلته بين يدي وخرجت من باب توما ففتحته فإذا بحريرة فيها رأس مكتوب عليه: هذا رأس الحسين، فحفرت له بسيفي ودفنته، إنتهى.

---

(١) رحلة ابن جبير: ص٢١٨.
(٢) الخطط ٢/ ٢٨٩.
(٣) كتاب الحسين عليه السلام ٣/ ١٣٩.
(٤) وفاء الوفا ٢/ ٩٦.
(٥) كتاب الحسين عليه السلام ٣/ ١٤٢.
(٦) روض الأخبار: ص٤٨.
(٧) نفسه.

وعلى هذا نقف في النقل عن أهل السنة.

وذكر هذا القول الفاضل المجلسي في جملة أقوال نسبها إلى أهل السنة وذكر أن أحد أصحابنا لم يقل بها[١].

وذكر صاحب رياض الأحزان[٢] هذا وتعقبه بقوله: ونحو هذا حكى آخر ولا يصغى إليه لوضوح فساده وكان الذي أثبته أراد به إلقاء الشبهة ليوهن بها أمر كربلاء وما يعتقد لأمة المؤمنة من قصدها وزيارتها وسائر ما يتعلق بها دعاه إلى ذلك بغضه وعداوته، إنتهى.

سبحان الله ما أضعف حجة هذا القائل وأسخف ما جادل به الخصوم! إن تكثير المشاهد والمزارات للأعضاء الشريفة لا يوهن أمر الجثمان الطاهر ولا ينقص فضل الجسد المقدس كما تنقص كثرة المساجد فضل الكعبة المشرفة فلكل واحد من المساجد حصة من الفضل والحرمة، وفضيلة الكعبة وحرمتها محفوظة وهي فوق الكل.

وأما رد هؤلاء القائلين بهذا فلا نحتاج إلى رده بأكثر من اضطرابهم ونقض بعضهم على بعض حتى زعم بعضهم كما سمعت أنه دفن بدمشق ثم نقل إلى عسقلان ومنها إلى القاهرة وهي دعوى مجردة لا دليل عنده ولا برهان، وهذا المشهد المشهور بالشام لا يبعد أن يكون موضع صلب الرأس الشريف لا موضع دفنه، وهنا كلام لعثمان مدوخ في العدل الشاهد[٣].

---

(١) أُنظر: بحار الأنوار ١٠/ ٢٢٨.
(٢) رياض الأحزان: ص٣٩.
(٣) قال في العدل الشاهد: كان قبل دفنه بعسقلان مدفوناً بدمشق الشام بمسجد صغير بالقرب من باب الفراديس وقد ظهرت أمارة صحيحة دلت على ذلك بعد سنة ١٢٦٠ وأبتنى على ذلك شهرة ذلك المشهد بدمشق وهو مزار مشهور في وقتنا هذا، والذي أمر بإشهاره بعد ثبوت دفن الرأس الكريم فيه المرحوم المغفور له السلطان محمود خان المتوفى سنة ١٢٧٩.
ثم قال بعد صفات: ومن الأمارات الدالة على صحة ذلك كله ما حصل في دمشق بعد سنة 1260 وذلك أن بعض العلماء عمد إلى مكان قديم قريب من باب الفراديس وشرع في هدمه ليجعله خزانة لحفظ الكتب فعثر على طاق في الجدار محكم السد بحجر كبير مكتوب عليه بالنقش في الحجر ما فهموا منه أن ذلك مشهد رأس الإمام الحسين السبط فرفعوا ذلك إلى والي الشام يومئذٍ فذهب ورأى ذلك بنفسه وأمرهم أن لا يحدثوا في هذا شيئاً ثم رفع الأمر إلى المرحوم السلطان عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان فصدر أمره العالي بكشف هذا المكان بحضور جمهور من العلماء والأمراء ووجوه الناس فأُحضروا إلى الشام ما أمر به السلطان وكشفوا هذا الحجر الذي عليه الكتابة فوجدوا فجوة خالية عن الدفن بعد أن رآها =

المشهد الثاني لرأس الحسين «عليه السلام» بالرقة:

بلدة على الفرات هي ألآن في المملكة السورية وكانت سابقا من جزيرة العراق ويسكنها الرشيد، أستطابة لهوائها، وكان يقطنها آل أبي معيط من بني أُمية وابتني هذا القول على هذه الشبهة.

قال سبط ٱبن الجوزي الحنفي في التذكرة[١]: الرابع: إنه بمسجد الرقة على الفرات بالمدينة المشهورة ذكره عبد الله بن عمر الوارق في كتابه قال: لما حضر الرأس بين يدي يزيد بن معاوية قال: لأبعثنه لآل أبي معيط عن رأس عثمان وكانوا بالرقة فبعثه إليهم فدفنوه في بعض دورهم ثم أُدخلت تلك الدار في المسجد الجامع، قال: وهو إلى جانب سدرة هناك عليه شبيه النبل لا يذهب شتاء ولا صيفا، الخ.

وقال السيد علي جلال في كتاب الحسين «عليه السلام»[٢]: اختلف المؤرخون في موضع دفن راس الحسين «عليه السلام»: فالإسماعيلية كثير من أهل السنة على أنه دفن بدمشق، ونقل منها إلى عسقلان، ومنها إلى القاهرة، وقيل: إنه مدفون بالمدينة، وقيل: بل بالرقة، الخ.

المشهد الثالث لرأس الحسين «عليه السلام» في عسقلان:

عسقلان مدينة مشهورة في فلسطين على ساحل البحر الأبيض وحديث هذا المشهد يرتبط كثيراً بحديث المشهد القاهري كما نحكيه لك وهذه عقيدة سائدة على أهل السنة وخاصة الصوفية وعليها أيضاً الإسماعيلية من الشعية كما تسمعه في مشهد القاهرة.

قال الحافظ المقريزي الشافعي في الخطط[٣]: قال الفاضل محمد بن علي

= الحاضرون أمر بسدها كما كانت ورفع ذلك إلى المرحوم السلطان عبد المجيد خان فصدر مرسومه العالي بإعمال طوق من الفضة حوالي الحجر وكنت أعلم مقدار وزن الفضة وأظن أنه سبعة آلأف درهم والله أعلم بالحقيقة، وهذه الأمارة في هذا الزمان المتأخر دلت على صحة دفن الرأس الكريم بدمشق أولا ثم بعد ثبوت ذلك راينا أنه مكث فيه مائة عام ثم ظهر بعد هذا المشهد مشهد عسقلان إلخ.

وهذا جهل مفرط فلم كان دلالة على نقله إلى القاهرة بمجرد خلوه ولم لا يدل على نقله إلى كربلاء كما ذكروا من نبش العباسية والتيمورية له وأعادوه إلى كربلاء؟ فالاستدلال بهذا على صحة النقل للقاهرة تحكم وعناد.

(١) تذكرة الخواص: ص١٥١. (٢) كتاب الحسين عليه السلام ٣/ ١٣٨.
(٣) الخطط ٢/ ٢٨٣.

بن يوسف آبن ميسر: وفي شعبان سنة ٤٩١ خرج الأفضل آبن أمير الجيوش بعساكر جمة إلى بيت المقدس وبه سكبان وإيلغازي ابنا أرتق في جماعة من أقاربهما ورجالهما وعساكر كثيرة من الأتراك فراسلهما الأفضل يلتمس منهما تسليم القدس إليه بغير حرب فلم يجيباه لذلك فقاتل البلد ونصب عليها المجانيق وهدم منها جانباً فلم يجدا بداً من الإذعان له وسلماه إليه فخلع عليها وأطلقها وعاد في عساكره وقد ملك القدس فدخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين آبن علي بن أبي طالب «رضي الله عنهما» فأخرجه وعطره وحمله في سفط إلى أجل دار بها وعمر المشهد فلما تكامل حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشياً إلى أن أحله في مقره وقيل: إن المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمالي وكمله ابنه الأفضل، إلى آخر ما يجيء في المشهد القاهري.

وقال عثمان مدوخ في العدل الشاهد: قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: إن الرأس الشريف نقل من مدفنه بقرب باب الفراديس من دمشق بعد ما مكث فيه مائة عام ومنها أنه اشتهر رأس الإمام الحسين «عليه السلام» بقلعة بعسقلان وهي قرية على البحر الأبيض قريبة من غزة هاشم من أرض فلسطين وهذا المشهد عمره أمير الجيوش بدر الجمالي بعد سنة ٤٨٠ وعمره ابنه الأفضل شاه شاه أمير الجيوش بعد أن كشف البناء وأخرج الرأس الكريم ووضعها في أجل دار وبعد بناء المشهد أعاده إليه وذاك في سنة ٤٩١، ثم نذكر نقله إلى مصر كما يجيء.

وقال الشبلنجي الشافعي في نور الأبصار[١]: وأختلفوا في رأس الحسين «رضي الله عنه» بعد مسيره إلى الشام إلى أين سار؟ وفي أي موضع أستقر؟ فذهبت طائفة إلى أن يزيد أمر أن يطاف به في البلاد فطيف به حتى إنتهى عسقلان فدفنه أميرها بها ثم ذكر نقله إلى القاهرة.

وبهذا النص في رسالة إسعاف الراغبين للصبان الشافعي على هامش نور الأبصار[٢] ونقتصر على هذا فإنه سيذكر في المشهد القاهري المشهور إلى اليوم.

المشهد الرابع لرأس الحسين «عليه السلام» مشهد القاهر المعزيّة:

أو عاصمة مصر اليوم، وهذا المشهد من المشاهد المعظمة المشهورة عند الناس ويدين بصحة ذلك عامة الإسماعيلية من الشيعة وعامة الصوفية من أهل السنة بل أكثر أهل السنة على صحة هذا، المحققون منهم أنكروا ذلك كما تسمع،

---

(١) نور الأبصار: ص١٢٠.

(٢) رسالة إسعاف الراغبين للصبان الشافعي على هامش نور الأبصار: ص١٨١.

وهنا نتوسع في المقال وإن لم نتمكن من الاستيفاء لطول هذا البحث وكثرة الجدل والخصام بين النافي والمثبت حتى أدعى بعض المثبتين الإجماع عليه وإن كانت الدعوى باطلة.

قال السخاوي الحنفي في تحفة الأحباب[١] بعد ذكر القول في دفنه بالمدينة: وقال بعضهم: كانت ـ يعني الرأس الشريف ـ بعسقلان فلما أخذتها الفرنج نقلت إلى هذا المشهد ـ يعني القاهري ـ والله اعلم بالصواب.

وقيل: لما قتل الحسين بن علي «رضي الله تبارك وتعالى عنهما» بأرض كربلاء طيف برأسه وسير في البلاد إلا بأرض مصر فإن أهلها لم يمكنوهم من الدخول على تلك الحالة البشعة بل تلقوهم بمدينة الفرما وهي أول مدائن مصر وحملوهم في الهوادج وستروها بالستور وأوسعوا لهم في الكرامة وأنزلوهم خير الأماكن بمصر وآووهم زمناً وبنوا لموتاهم المشاهد وأتخذوها مزارات وجعلوا لهم أرزاقاً من أموالهم تقوم بهم، فكان أهل البيت يدعون لأهل مصر ويقولون: يا أهل مصر! نصرتمونا نصركم الله، وآويتمونا آواكم الله، وآمنتمونا آمنكم الله، وأعنتمونا أعانكم الله، وجعل لكم من كل مصيبة فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً.

وهذا المشهد قيل إن الذي أنشأه بسبب رأس الحسين «رضي تبارك وتعالى عنه» هو الوزير طلائع بن رزيك الخ.

وفي تعليقة محمود ربيع مدرس بالأزهر وحسن قاسم مدير مجلة هدى الإسلام عليه[٢] ما نصه: لا نعرف خلافاً في مجيء الرأس الكريم إلى القاهرة فهذه جمهرة من شيوخ المؤرخين قد ذكرت مجيئه الكريم إلى هنا وقد فصلنا أوجه الخلاف وأثبتنا مجيئه ثبوتاً لا مجال للشك فيه في كتابنا تاريخ مشهد الحسين «عليه السلام» وهو مطبوع، وروينا في بحث آخر لنا نشر في مجلة الإسلام رواية شاهد عيان حضر مجيء الرأس الكريم إلى القاهرة، أنظره، إنتهى.

وهذه جهالة وطموح المتجددين يوازن طموح الحصان الذي لم يرض كيف صح له الإجماع وقد خالفت جميع الإمامية وكثير من العلماء السنيين المحققين كالقرطبي وابن كثير وآخرين ممن نسمعك أقوالهم، فدعنا من تهور المتجددين وأسمع ما نحرر.

قال سبط ابن الجوزي الحنفي في التذكرة[٣]: الخامس: إن الخلفاء

---

(١) تحفة الأحباب: ص٩٤.

(٢) في صفحة ٩٤.

(٣) تذكرة الخواص: ص١٥١.

الفاطميين نقلوه من باب الفراديس إلى عسقلان ثم نقلوه إلى القاهرة وهو فيها وله مشهد عظيم يزار وفي الجملة ففي أي مكان كان رأسه أو جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر، قاطن في الأسرار والخواطر، أنشدنا بعض أشياخنا في هذا المعنى:

لا تطلبوا المولى الحسين بأرض شرق أو بغرب
ودعوا الجميع وعرجوا نحوي فمشهده بقلبي

انتهى.

وقال الحافظ المقريزي في الخطط متصلاً بما ذكرنا في مشهد عسقلان[1]: وكان حمل الرأس إلى القاهرة من عسقلان ووصوله إليها في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ٥٤٨، وكان الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها كان القاضي المؤتمن بن مسكين مشارفها وحصل في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور.

ويذكر أن هذا الرأس الشريف لما أُخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجف له ريح كريح المسك فقدم به الأُستاذ مكنون في عشاري من عشاريات الخدمة وأنزل به إلى الكافوري ثم حمل في السرداب إلى قصر الزمرد ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة فكان كل من يدخل الخدمة يقبل الأرض أمام القبر وكانوا ينحرون في يوم عاشوراء عند القبر الإبل والبقر والغنم ويكثرون النوح والبكاء، ويسبون من قتل الحسين «عليه السلام» ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم.

وقال ٱبن عبد الظاهر ـ مشهد الحسين ـ «صلوات الله عليه» قد ذكرنا أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الرنج وبنى جامعه خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا: لا يكون ذلك إلا عندنا، فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرخام إليه وذلك في خلافة الفائز على يد طلائع في سنة ٥٤٩.

وسمعت من يحكي حكاية يستدل بها على بعض شرف هذا الرأس الشريف الكريم المبارك وهي أن السلطان المالك الناصر (رحمه الله) لما أخذ هذا القصر

---

(١) الخطط ٣/ ٢٨٤.

وشىٰ إليه بخادم له قدر في الدولة المصرية وكان زمان القصر بيده وقيل له إنه يعرف الأموال التي بالقصر والدفائن فأخذ وسأل فلم يجب بشيء وتجاهل، فأمر صلاح الدين نوابه بتعذيبه فأخذه متولي العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشد عليها قرمزية وقيل إن هذه أشد العقوبات وإن الإنسان لا يطيق الصبر عليها ساعة إلا تنقب دماغه وتقتله، ففعل به ذلك مراراً وهو لا يتأوه وتوجد الخنافس ميتة فعجب من ذلك وأحضره وقال: هذا سر فيك ولا بد أن تعرفني به، فقال: والله ما سبب هذا إلا أني لما وصلت رأس الإمام الحسين حملتها، قال: وأي سر أعظم من هذا، وراجع في شأنه فعفا عنه، ثم ذكر من جعل فيه مدرسة.

ثم قال: وأحترق هذا المشهد في الأيام الصالحية في سنة بضع وأربعين وستمائة وكان الأمير جمال الدين بن يعمور نائباً عن الملك الصالح في القاهرة وسببه أن أحد خزان الشمع دخل ليأخذ شيئاً فسقطت منه شعلة فوق الأمير جمال الدين بنفسه حتى طفئ وأنشدته حينئذٍ وقلت:

قالوا تعصب للحسين ولم يزل بالنفس للهول الشديد معرِّضا
حتى أنضوى ضوء الحريق وأصبح المسود من تلك المخاوف أبيضا
أرضى الإلٰه بما أتى فكأنه بين الأنام لفضله موسى الرضا

إلى آخر ما ذكر، وأهل هذا القول كثيرون بل هو المشهور عندهم اليوم حتى أدعي الإجماع، ومن جملة الناصّين عليه الشبلنجي والصبان وعثمان مدوخ وأحتج له بأدلة عديدة كلها لم تجده نفعاً.

صفة المشهد الرابع عند الرحالة ابن جبير

عن الرحالة ابن حبير المالكي في رحلته ونصه[1]: فأول ما نبدأ بذكره منها الآثار والمشاهد المباركة التي ببركتها يمسكها الله عز وجل، فمن ذلك المشهد العظيم الشأن الذي بمدينة القاهرة حيث رأس الحسين بن علي بن أبي طالب «رضي الله عنهما» وهو في تابوت فضة مدفون تحت الأرض قد بني عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه ولا يحيط الإدراك به مجلل بأنواع الديباج، محفوف بأمثال العمد الكبار شمعاً أبيضاً، ومنه ما هو دون ذلك، وقد وضع أكثرها في أتوار فضة خالصة، ومنها مذهبة، وعلقت عليه قناديل فضة وحف أعلاه كله بأمثال

(١) رحلة ابن جبير المالكي: ص١٢

التفافيح ذهباً في مصنع شبيه الروضة يقيد الأبصار حسناً وجمالاً، فيه أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع ما لا يتخيله المتخيلون ولا يحق أدنى وصفه الواصفون، والمدخل إلى هذه الروضة على مسجد على مثالها في التأنق والغرابة حيطانه كلها رخام على الصفة المذكورة، وعن يمين الروضة المذكورة وشمالها بنيان من كليهما المدخل إليها وهما أيضاً على تلك الصفة بعينها، والأستار البديعة من الديباج معلقة على الجميع.

ومن أعجب ما شاهدناه من دخولنا إلى هذا المسجد المبارك حجر موضع في الجدار الذي يستقبله الداخل شديد السواد والبصيص يصف الأشخاص كلها كأنه المرآة الصينية الحديثة الصقل وشاهدنا من أستلام الناس للقبر المبارك وإحداقهم به وأنكبابهم عليه وتمسحهم بالكسوة التي عليه وطوافهم حوله مزدحمين داعين باكين متوسلين إلى الله سبحانه وتعالى ببركة التربة المقدسة والمتضرعين بما يذيب الأكباد ويصدع الجماد والأمر فيه أعظم، ومرأى الحال أهول، نفعنا الله ببركة ذاك المشهد الكريم وإنما وقع الإلماع بنبذة من صفته مستدلاً على ما وراء ذلك إذ لا ينبغي لعاقل أن يتصدى لوصفه لأنه يقف موقف التقصير والعجز.

وبالجملة فما أظن في الوجود كله مصنعاً أحفل منه ولا مرأى من البناء أعجب ولا أبدع، قدس الله العضو الكريم الذي فيه بمنه وكرمه، إنتهى.

ونقل محمد سليمان محفوظ في كتاب أعجب ما رأيت بعد كلام آبن جبير هذا ما نصه عن الخطط التوفيقية[1]: الضريح الشريف في الخطط عليه مقصورة من الصفر الجيد الصنعة، بابها منها وفيه حلقتان من الفضة يعلوها قبة من الخشب وعلى القبر المبارك تابوت من الآبنوس مكسو الأستبرق الأحمر المزخرف، وعليه خيش أصفر وأخضر مغطى بكشامير الفرمش، وعليه عمامة شريفة من الحرير الأخضر عليها كشمير فرمش أيضاً وبجوانبه أربعة عساكر من الفضة وداخل المقصورة شبكة من سلوك الحديد لزيادة الحفظ وبدائرة المقصورة والقبة ألواح بديعة فيها الخطوط المذهبة من الخط الثلثي والكوفي، ومنها ما هو لبعض الملوك العثمانيين ولها باب إلى الباب الأخضر وبابان إلى الجامع لكل منها مصراعان من الخشب المصفح بصفائح الفضة المنقوشة، وبأعلى باب الجامع الغربي ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2] وبأعلى الباب الذي يلي المنبر «الشِفاء في تربته والإجابة تحت قبته والأئمة في ذريته» وبينهما شباكان كبيران من النحاس

(١) الخطط التوفيقية ٣/ ١٤٩.
(٢) الشورى: ٢٣.

الأصفر وعلى الجميع ستائر الجوخ الأخضر، وفوق ذلك ألواح فيها آيات قرآنية وأحاديث نبوية مثل «حسين مني وأنا من حسين»، وأما القبة فإنها على بنائها العظيم القديم وهي كبيرة منقوش باطن أعلاها بالليقة الذهبية وجدرانها من الحجر الجيد المنحوت مكسوة بالرخام الملون إلى أكثر من قامتين وبها محراب يكتنفه عمودان من حجر السماق وللقبة أمام غير أمام الجامع وفيها صندوق النذور.

إلى أن قال[1]:

الشعائر الحسينية:

للسيد الحسين «عليه السلام» حضرتان في ليلة الثلاثاء ويوم السبت، ومولده من ١١ ربيع الأول إلى غاية الشهر، كذا في الخطط.

المقام الحسيني بكربلاء:

في الخطط: له «عليه السلام» بمدينة كربلاء مقام جليل قبته مكسوة صفائح الذهب ومقصورته من الذهب المرصع بألماس وعليها سلسلة من الذهب معلقة بالقبة بطرفيها قطعة ياقوت مدلاة على التابوت كبيضة النعامة، وحول المقصورة ٣٧ منارة من الذهب مرصعة باليواقيت كل واحدة كقامة الإنسان، وله خزانة أجتمع فيها سنة ١٢٦١ نحو ٣٢ مليون من الطمان والطمان نصف جنيه إنجليزي، وله جامع بقدر جامع طولون فيه جم غفير من طلبة العلم ولهم مرتبات كافية ويعيشون من الرزق الحسيني.

ثم ذكر للمشهد القاهري كرامات كثيرة وفي ضمنها رؤيا بزيارة النبي ﷺ والصحابة لمشهد الحسين «عليه السلام» وشفاء الشيخ أبي الفضل نقيب الخلوتية من دائه الذي أعيى الأطباء بالحسين «عليه السلام» وذكر هو له كرامات شاهدها في نفسه وهي ستة كرامات ويذكر أن فيه مصحف كريم بالخط الكوفي منسوب إلى الإمام علي «عليه السلام» على رق غزال وطوله ٣٥ سنتيماً وعرضه ٢٠ وسمكه ٣٥ وهو على اليمين وعلى اليسار مصحف كريم منسوب إلى سيدنا عثمان على رق غزال أيضاً طوله كعرضه ٨٠ سنتيما وسمكه متر وبين المصحفين قطعة من الخرقة النبوية المباركة وهي من قميص المصطفى وقطعة من عصاه الشريفة وهي الساج الآبنوس، وعلى اليسار المكحلة من الحجر الأخضر والمرود من الحديد وبينهما واسطة العقد ثلاث (شعرات من اللحية النبوية الشريفة)، هكذا ذكر عن الخطط

---

(١) الخطط التوفيقية ٣/ ١٥٠.

٢٤٢ ـــــــ

بعد ذلك بالمشهد القاهري لأن حكم الحال في البرزخ حكم الإنسان الذي تدلى في تيار جار فيطفوا بعد ذلك في مكان آخر، الخ.

والحمزاوي عن الأجهوري يذكر تواتر ذلك عند أهل الكشف وله هنا كلام مطول نتركه لمؤلفه، وإذا عرفت دعواهم التواتر فنقل الأقوال ملل.

المعارضون لهم بالنفي البات

منهم شافعية ومالكية وحنابلة، أما ٱبن تيمية فلا نعد لقوله قولاً معارضاً كما ذكر علي جلال الحسيني لأن ٱبن تيمية ما زال ينكر المتواترات فجحوده التطواف برأس الحسين «عليه السلام» كجحود الرضا بقتله وإنكاره حمل أهله أُسارى كإنكار الشمس اللائحة ومن تابعة كابن كثير مثله، لكنا نذكر قوله هنا للاعتبار بمقالات الملاحدة.

قال اليافعي الشافعي الصوفي في مرآة الجنان[1]: وما ذكر أنه نقل إلى عسقلان أو القاهرة لا يصح وقد قتل الله تعالى قاتله صبراً ولقي حزناً طويلاً وذعراً، ووضع رأس الخبيث المذمم حيث وضع رأس الحسين الطيب المكرم.

وقال الشيخ محمد بن السيد درويش الحوت البيروتي في أسنى المطالب[2] بعد تمهيد ذكر أمكنة منسوبة للأنبياء وغيرهم لا تصح قال: ومنها المكان المشهور بالمشهد الحسيني بالقاهرة إذ ليس الحسين «رضي الله عنه» مدفوناً به بالإتفاق لأن القاهرة بناها عبد القاهر الفاطمي العبيدي ودولتهم كانت في القرن الرابع فلعل الفاطميين هم الذين عمروا المشهد الحسيني لأنهم عظموا أهل البيت ونسبوا أنفسهم إلى الحسين وهم كاذبون، أما جسم الحسين «رضي الله عنه» فبكربلاء من أرض العراق محل قتله وأما رأسه الشريف فقيل في المشهد ولم يصح لما علمت، وقيل: حمل رأسه إلى الشام وجهزه يزيد بن معاوية وأرسله إلى المدينة ليدفن عند أهله فدفن بقبة العباس عند أُمه وأخيه الحسن، وقيل: وضع يزيد رأس الحسين «عليه السلام» في قبر أبيه معاوية وقيل في المسجد على عمود وستره وقيل على سور البلد وستره والله أعلم.

وأما قول أهل الباطن أن الميت في البرزخ كالحجر في تيار الماء يريدون أنه ينتقل من مكان إلى مكان وأن الحسين نقل في البرزخ إلى المكان المشهور فهذا لا يثبت إلا بحجة صحيحة ولا حجة بذلك فلا يلتفت إليه، إنتهى.

---

(١) مرآة الجنان: ١/ ١٣٦.

(٢) أسنى المطالب: ص٢٩٢ طبع مصر.

وتعقبه السيد علي جلال في كتاب الحسين «عليه السلام»[١]: وقول محمد بن الحوت حق في مطالبة أهل الباطن بالدليل على صحة ما يذهبون إليه من تنقل الميت من مكان إلى مكان وما سوى ذلك من أقواله فباطل إذ لم يدع أحد أن جسد الحسين مدفون بمصر ولا ظن أحد أن الرأس دفن بمصر عقب القتل ولا شك أن القاهرة المعزيّة أحدثها جوهر غلام المعز لدين الله أبي تميم معد بن المنصور إسماعيل لمولاه فلا يعبأ برأي محمد بن الحوت وجزمه بعدم صحة دفن الرأس الشريف بالمشهد المعروف بالقاهرة الخ.

ومن المعارضين الإمام القرطبي المالكي صاحب التفسير المشهور والتذكرة ونصه في مختصرها للشعراني[٢]: قال القرطبي «رحمه الله تعالى»: وما ذكر من أنه دفن بعسقلان في المشهد المعروف بها أو بالقاهرة فهو شيء باطل لا يصح، إنتهى.

وهذا تعقبه الشعراني المالكي فقال: فقلت: قد ثبت أن طلائع بن رزيك الذي بني المشهد بالقاهرة نقل الرأس إلى هذا المشهد بعد أن بذل في نقلها نحو أربعين ألف دينار وخرج هو وعسكره فتلقاه من خارج مصر حافياً مكشوف الرأس هو وعسكره وهي في برنس حرير أخضر في القبر الذي هو في المشهد موضوعة على كرسي من خشب الآبنوس ومفروش هناك نحو نصف أردب من الطيب كما أخبرني خادم المشهد، ثم أحتج برؤيا الثلبي الحشفي لرسول الله ﷺ.

ومن المعارضين الحافظ أبن كثير الدمشقي الشافعي ونصه في تاريخه[٣]: وأدعت الطائفة المسمون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة ٤٠٠ إلى ما بعد سنة ٦٦٠ أن رأس الحسين «عليه السلام» بعد سنة ٥٠٠ وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنو عليه المشهد المشهور به بمصر الذي يقال له تاج الحسين «عليه السلام» بعد سنة ٥٠٠ وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك بطلان ما أدعوه من النسب الشريف وهم في كل ذلك خونة كذبة وقد نص على ذلك القاضي الباقلاني وغير واحد من أئمة العلماء في دولتهم في حدود سنة ٤٠٠.

قلت: والناس أكثرهم يروج عليهم مثل هذا فإنهم جاؤوا برأس فوضعوه في مكان هذا المسجد المذكور وقالوا هذا رأس الحسين فراج ذلك عليهم وأعتقدوا

---

(١) كتاب الحسين عليه السلام: ص١٤٩. (٢) مختصر التذكرة: ص١٢٢.
(٣) البداية والنهاية ٨/ ٢٠٤.

ذلك والله أعلم، إنتهى.

إن هذا المتهور الأحمق لقد شط بهواه وزاغ من قصد السبيل، إننا لا نجد مجانسة بين ادعاء الرأس وإثبات النسب فلو لم يوجد الرأس في مصر لا يدعي الفاطميون النسب هذا أزيغ واضح على أن الناقل للرأس لم يدعي الأنتساب إليه اتفاقاً فقول ٱبن كثير ولجاج صرف ثم قيمة قدح الباقلاني في نسب الفاطميين وما قدر ٱبن كثير في تهجمه، إن ٱبن كثير أقل من أن يعد قدحه قدحاً أو يعتمد على نقله، إن من زعم أن الجسد الشريف نقل من محل الشهادة فدفن بالمدينة كيف يعتمده المسلم ولا غرابة في إنكارهم نسب الفاطميين وقد أنكروا إرث جدتهم فاطمة الزهراء من أبيها رسول الله ﷺ وقد شهدت لها ولادة رسول الله ﷺ لها وشهد لها القرآن الكريم في آياته الكثيرة، ومن تجاسر على رد شهادة القرآن بالرأي والهوى كيف لا يتجاسر على إنكار نسب الفاطميين بالعصبية والغواية والأئمة الذين عناهم مثل ٱبن تيمية لا قيمة لهم في عالم إثبات الحقائق الجلية فلطالما أنكروا الضروريات المسلمة وجحدوا ما أتفق المسلمون على ثبوته، وكم تجاسروا على تكفير الأُمة بما أجمعت عليه من أحكام دينها وضروريات شرعها مدة ثمانية قرون.

ومن المعارضين بإنكار المشهد الحسيني في القاهرة علي القاري الحنفي فيما نقله عنه علي جلال في كتاب الحسين «عليه السلام»[1] وحيث أنه أحتج بابن تيمية وعقيدته كعقيدة ٱبن كثير تيمية تركت قوله فراجعه إذا شئت.

المشهد الخامس لرأس سيد الشهداء الحسين بن علي «عليهما السلام»

بالمدينة النبوية المنورة وهذا رأي جماعة من علماء التاريخ بين جازم ومتردد وأختلفوا في موضع دفنه في المدينة كما أختلفوا في صورة وصوله فقائل يقول أرسله يزيد لعمرو بن سعيد الأشدق مبشراً له بالفتح، وقائل يقول حمله مع السبايا فلما وصلوا المدينة دفنوه، وإليك النصوص في هذا على غير ترتيب.

قال الشبلنجي الشافعي في نور الأبصار[2]: وقيل: دفن بالبقيع عند أُمه وأخيه الحسن وهو قول ٱبن بكار والعلاء الهمذاني وغيرهما، وسنورد بقية كلامه.

---

(١) كتاب الحسين عليه السلام: ص١٤٧.
(٢) نور الأبصار: ص١٢١.

وقال الصبان الشافعي في إسعاف الراغبين[١]: وذهب آخرون منهم الزبير بن بكار والعلاء الهمذاني إلى أنه حمل إلى أهله فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أُمه وأخيه الحسن الخ، ويأتي تتمة كلامه.

وقال عثمان مدوخ الحنفي في العدل الشاهد[٢]: وقال بعض المؤرخين أنهم سافروا به إلى المدينة ودفنوه بالبقيع ولم يعينوا موضع دفنه بالبقيع.

وقال الشبراوي الشافعي في الإتحاف[٣]: في شرح الهمزية لابن حجر: قيل: إن يزيد أرسل برأس الحسين «عليه السلام» وثقله ومن بقي من أهله إلى المدينة فكفن رأسه ودفن عند قبر أُمه بقبة الحسن، الخ.

وقال السخاوي الحنفي في تحفة الأحباب[٤]: فقال بعضهم إن رأس الحسين «عليه السلام» بالمدينة المشرفة.

وقال الخوارزمي الحنفي في مقتله[٥]: ذكر الإمام أبو العلاء الحافظ بإسناده عن مشائخه أن يزيد بن معاوية حين قدم عليه برأس الحسين وعياله بعث إلى المدينة فأقدم عليه عدة من موالي بني هاشم وضم إليهم عدة من موالي آل أبي سفيان ثم بعث بثقل الحسين ومن بقي من أهله معهم وجهلهم بكل شيء ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلا أمر لهم بها وبعث رأس الحسين «عليه السلام» إلى عمرو بن سعيد بن العاص وهو إذ ذاك عامله على المدينة فقال عمرو: وددت أنه لم يبعث به إلي، ثم أمر عمرو برأس الحسين «عليه السلام» فكفن ودفن في البقيع عند قبر أُمه فاطمة «عليها السلام» الخ.

وقال السيد السمهودي الشافعي في وفاء الوفا[٦]: وذكر محمد بن سعد أن يزيد ٱبن معاوية بعث برأس الحسين «عليه السلام» إلى عمرو بن سعيد بن العاص وكان عامله على المدينة فكفنه ودفنه بالبقيع عند قبر أُمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ لكن ذكر ٱبن أبي الدنيا أنهم وجدوا في خزانة ليزيد رأس الحسين «عليه السلام» فكفنوه ودفنوه بدمشق عند باب الفراديس وقيل غير ذلك.

وقال سبط ٱبن الجوزي في التذكرة في جملة الأقوال الخمسة التي ذكرها وفيها[٧]: الثاني: إنه دفن بالمدينة عند قبر أُمه فاطمة «عليها السلام» قاله ٱبن سعد

---

(١) إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار: ص١٨٢.
(٢) العدل الشاهد: ص٥٠.
(٣) الإتحاف بحب الأشراف: ص٢٣.
(٤) تحفه الأحباب: ص٩٤.
(٥) مقتل الخوارزمي ٢/ ٧٥ طبع النجف.
(٦) وفاء الوفا ٢/ ٩٦.
(٧) تذكرة الخواص: ص١٥٠.

قال: لما وصل إلى المدينة كان سعيد بن العاص[١] والياً عليها فوضعه بين يديه فأخذ بأرنبة أنفه ثم أمر به فكفن ودفن عند أُمه فاطمة «عليها السلام».

وذكر الشعبي أن مروان بن الحكم كان بالمدينة فأخذه وتركه بين يديه وتناول أرنبة أنفه وقال:

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين[٢]

والله لكأني أنظر إلى أيام عثمان.

قال ٱبن الكلبي: سمع سعيد أو عمرو بن سعيد الضجة في دور بني هاشم فقال:

عجت نساء بني تميم عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب[٣]

والرواية «عجت نساء بني زياد».

وروي أن مروان أنشد:

ضرب الدوسر فيهم ضربة أثبتت أوتاد ملك فأستقر

وذكر ٱبن كثير الشافعي في البداية والنهاية[٤] قول ٱبن سعد في دفن الرأس الشريف بالبقيع.

وفي مختصر تذكرة القرطبي المالكي للشعراني المالكي[٥] بعد حكاية قول أبي العلاء ما نصه: قال الإمام القرطبي: وهذا أصح ما قيل فيه وبه قال الزبير بن بكار الذي هو أعلم بالأنساب.

واليافعي الشافعي الصوفي في مرآة الجنان[٦] ذكر رواية أبي العلاء وقال[٧]: هذا أصح ما قيل فيه، وكذلك قال الزبير بن بكار وأن الرأس حمل إلى المدينة.

وقال ٱبن العماد الحنبلي في شذرات الذهب[٨]: ولما تم قتله حمل رأسه وحرم بيته وزين العابدين معهم إلى دمشق كالسبايا قاتل الله فاعل ذلك وأخزاه ومن آمر به أو رضيه.

---

(١) سقط في النسخة هو عمرو بن سعيد.
(٢) زاد فيها غيره:
كأنما حف بوردتين شفيت نفسي بدم الحسين
(٣) البيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي.
(٤) البداية والنهاية ٨/ ٢٠٤.
(٥) مختصر تذكرة القرطبي: ص١٢٢.
(٦) مرآة الجنان ١/ ١٣٥.
(٧) نفسه: ص١٣٦.
(٨) شذرات الذهب ١/ ٦٧.

قيل: قال لهم عند ذلك بعض الحاضرين: ويلكم إن لم تكونوا أتقياء في دينكم فكونوا أحراراً في دنياكم، والصحيح أن الرأس المكرم دفن بالبقيع إلى جنب أُمه فاطمة وذلك أن يزيد بعث به إلى عامله بالمدينة عمرو بن سعيد الاشدق فكفنه ودفنه.

وقال أبو الفدا الحنفي في تاريخه[١]: واختلف في موضع رأس الحسين «عليه السلام» فقيل: جهز إلى المدينة ودفن عند أُمه إلى آخر ما ذكرناه سابقاً.

وذكرنا أيضاً قول ٱبن فضل الله العمري جازماً به ونقله عنه القرماني الحنفي في تاريخه[٢] ونقله علي جلال الحسيني عن أبي الفدا وابن الوردي في تاريخيهما[٣].

ونقله أيضاً عن السخاوي والسمهودي ويقول[٤]: وممن روى أن الرأس دفن بالمدينة الإمام البخاري نقل ٱبن عروة الحنبلي في الكواكب الدراري في ترتيب مسند أحمد على أبواب البخاري ج٤١ في أثناء رسالة عن ٱبن تيمية روى البخاري في تاريخه أن رأس الحسين حمل إلى المدينة ودفن بها في البقيع عند قبر أُمه «رضي الله عنهما» وروى هذه الرواية محمد بن سعد في كتاب الطبقات الكبير ج ٥ في ترجمة عمرو بن سعيد ص ١٧٦ الخ.

وعلى هذا نقتصر من كلام أهل السنة وربما يعد لهم شاهداً قول من قال من المؤرخين أن حمل نساء الحسين «عليه السلام» كان من الشام إلى المدينة ولم ينصوا على رجوعهم من طريق العراق مثل ٱبن الأثير والطبري وأبي حنيفة الدينوري والشيخ المفيد وغيرهم.

ونص المفيد في الإرشاد[٥]: وأنفذ معهم في جملة النعمان بن بشير رسولاً تقدم إليه أن يسيرهم في الليل ويكونوا أمامه حيث لا يفوتون طرفه فإذا نزلوا أنتحى عنهم وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم وينزل منهم بحيث إن أراد إنسان من جماعتهم وضوء أو قضاء حاجة لم يحتشم فسار معهم في جملة النعمان ولم يزل ينازلهم في الطريق ويرفق بهم كما وصاه يزيد ويرعاهم حتى دخلوا المدينة، إنتهى.

---

(١) تاريخ أبو الفدا ١/ ١٩١.
(٢) تاريخ القرماني: ص١٠٩.
(٣) كتاب الحسين عليه السلام: ص ١٣٩.
(٤) كتاب الحسين عليه السلام: ص ١٤٣.
(٥) الإرشاد: ص٢٦٣.

لكن يعارض هذا ما صرح به هؤلاء جميعاً أن يزيد لم يبعث برأس الحسين «عليه السلام» إلى عمرو بن سعيد وإنما بعث ٱبن زياد إليه بشيراً بذلك فأطلب ذلك في الإرشاد وفي تاريخ الطبري[١] وغيرهما، وجميع ما تقدم نقلناه عن أهل السنة.

أما الشيعة فذكر ٱبن نما الحلي (رحمه الله) في مثير الأحزان[٢]: وأما الرأس الشريف فأختلف الناس فيه فقال قوم إن عمرو بن سعيد دفنه في المدينة ثم ذكر عن منصور بن جمهور حديث دفنه بالشام على يد سليمان بن عبد الملك دفنه في باب الفراديس عند البرج الثالث مما يلي المشرق وحدثني جماعة من أهل مصر أن مشهد الرأس عندهم يسمونه المشهد الكريم عليه من الذهب شيء كثير يقصدونه في المواسم ويزورونه ويزعمون أنه مدفون هناك، ثم ذكر عليه الرحمة القول الذي عليه المعول وسنذكره في موضعه.

وذكر هذه الأقوال المجلسي في البحار وقال إنها أقوال المخالفين وسيجيء اختياره في موضعه[٣] وكذلك قال غيره من العلماء فهم ينقلونها ولا يعتمدونها.

المشهد السادس لرأس الحسين «عليه السلام» القائم بظهر النجف

يعرف اليوم بالحنانة وسبب تسميته بالحنانة لأمرين ذكرا:

أحدهما: أن سبايا آل محمد لما أُوقفوا هنا صارت لهم حنة.

وثانيها: أن أولاد أمير المؤمنين «عليه السلام» لما مروا بجنازته في هذا الموضع حنوا وبكوا.

وعلى كل حال فقد وجد فيه موضع يزار ويذكر أنه (موضع رأس الحسين «عليه السلام») وفيه رواية ذكرها الإمامية في كتب الحديث.

روى ثقة الإسلام الكليني في الكافي[٤] تحت عنوان «موضع رأس الحسين (ع)» بإسناده عن بريد بن عمر بن طلحة قال: قال لي أبو عبد الله «عليه السلام» ـ يعني الإمام الصادق ـ وهو بالحيرة: أما تريد ما وعدتك؟ قلت: بلى ـ يعني الذهاب إلى قبر أمير المؤمنين «صلوات الله عليه» ـ قال: فركب وركب إسماعيل وركبت معهما حتى إذا جاز الثوية[٥] وكان بين الحيرة والنجف عند ذكوات بيض

---

(١) الإرشاد: ص٢٦٣؛ تاريخ الطبري ٦/ ٢٦٨.
(٢) مثير الأحزان: ص٥٤.
(٣) أُنظر: بحار الأنوار ١٠/ ٢٢٨. (٤) الكافي ٢/ ٣٢١.
(٥) الثوية تعرف بكميل بن زياد، بها قبر كميل النخعي صاحب الإمام علي عليه السلام كانت سجناً للنعمان ثم صارت مقبرة لأهل الكوفة.

فنزل ونزل إسماعيل ونزلت معهما فصلى وصلى إسماعيل وصليت، فقال لإسماعيل: قم وسلم على جدك الحسين «عليه السلام»، فقلت: جعلت فداك! أليس الحسين «عليه السلام» بكربلاء؟ قال: نعم ولكن لما حمل رأسه إلى الشام سرقه مولى لنا فدفنه بجنب أمير المؤمنين «عليه السلام».

وبإسناد آخر عن أبان بن تغلب قال: كنت مع أبي عبد الله «عليه السلام» ـ الصادق ـ فمرّ بظهر الكوفة فنزل فصلى ركعتين ثم تقدم قليلاً فصلى ركعتين ثم سار قليلاً فنزل فصلى ركعتين ثم قال: هذا موضع قبر أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقالت: جعلت فداك! والموضعين اللذين صلّيت فيهما؟ قال: موضع رأس الحسين «عليه السلام» وموضع منزل القائم.

وروى شيخ الطائفة الطوسي في التهذيب[١] بإسناده إلى مبارك الخباز قال: قال لي أبو عبد الله «عليه السلام» ـ الإمام الصادق ـ: أسرجوا البغل والحمار في وقت ما قدم وهو في الحيرة، قال: فركب وركبت حتى دخل الجرف ثم نزل فصلى ركعتين ثم تقدم قليلاً فصلى ركعتين أُخر ثم تقدم قليلاً فصلى ركعتين أُخر ثم ركب ورجع، فقلت: جعلت فداك! ما الأولتين والثانيتين والثالثتين؟ فقال: الركعتان الأوليتان موضع قبر أمير المؤمنين «عليه السلام»، والركعتان الثانيتان موضع رأس الحسين «عليه السلام»، والثالثتان موضع منبر القائم «عليه السلام»، ثم ذكر الحديث الثاني مختصراً وفيه تصريح بالغري.

وذكر السيد ابن طاوس في فرحة الغري بعد حديث صفوان الذي يقول فيه تجوز القائم ـ يعني الحنانة ـ حديث أمره إسماعيل بالصلاة عند رأس جده الحسين «عليه السلام» كما رواه الكليني لكن قال: عن أبي الفرج السندي ثم ذكر حديث أبان ابن تغلب أيضا[٢] وحديث مبارك الخباز، وذكر حديث بريد[٣] ورواه أيضاً عن عمر بن طلحة[٤].

وهذه أحاديث معتمدة لا مجال لطعن فيها لأن الكافي والتهذيب من الكتب المعتمدة عند الشيعة وحكمها حكم الصحاح الستة عند أهل السنة، والكليني إذا قال عدة من أصحابنا لا يناقش في إسناد الرواية، وإن العدة هم جماعة من الثقاة المجمع على وثاقتهم كما نص عليه العلماء، وأحتجاج السيد ابن طاوس بهذه الروايات يكفينا وإن أمكن تخريج بعضها شاهدا للقول الآتي أنه عند رأس أبيه

---

(١) التهذيب ٢/ ١٢.
(٢) فرحة الغري: ص٢١.
(٣) نفسه: ص٢٤.
(٤) نفسه: ص٢٥.

أمير المؤمنين «عليه السلام» وقد كان عند رأس أمير المؤمنين «عليه السلام» في المسجد المعروف بمسجد الكر قريباً من المحراب صخرة بالخط الكوفي قالوا إن هاهنا مدفن رأس الحسين «عليه السلام»، ويحتج له من أثبته بعض هذه الروايات المتقدمة.

قال ٱبن شهر آشوب في المناقب[١]: روى الكليني في ذلك روايتين أحدهما عن أبان بن تغلب عن الصادق «عليه السلام» أنه مدفون بجنب أمير المؤمنين «عليه السلام» والأُخرى عن يزيد بن عمر بن طلحة عن الصادق «عليه السلام» أنه مدفون بظهر الكوفة دون قبر أمير المؤمنين «عليه السلام».

ومثله قال ملا عبد الله في مقتل العوالم[٢].

وقال العلامة المجلسي في البحار[٣]: وقد ورت أخبار كثيرة في أنه مدفون عند قبر أمير المؤمنين «عليه السلام» وسيأتي بعضها، والله أعلم، ثم ذكر الروايات المتقدمة[٤] بإسناده عن يونس عن أبي عبد الله قال: إن الملعون عبيد الله بن زياد «لعنه الله» لما بعث برأس الحسين بن علي «عليهما السلام» إلى الشام رد إلى الكوفة فقال: أخرجوه عنها لا يفتتن به أهلها فصيره الله عند أمير المؤمنين؛ فالرأس مع الجسد والجسد مع الرأس.

قوله «فالرأس مع الجسد» أي بعد ما دفن هناك ظاهراً أُلحق بالجسد بكربلاء أو صعد مع الجسد إلى السماء كما في بعض الأخبار، أو أن بدن أمير المؤمنين «عليه السلام» كالجسد لذلك الرأس وهما من نور واحد.

أقول: وقد روى غير ذلك من الأخبار في الكافي وفي التهذيب تدل على كون رأسه مدفون عند قبر والده، والله أعلم.

قال عبد الرحيم اليزدي في مصائب المعصومين[٥]: يظهر من أحاديث عديدة أنه دفن عند قبر أمير المؤمنين «عليه السلام» بالكوفة مثلما روي عن كامل الزيارة، وذكر حديث إسماعيل الذي يقول بين الحيرة والنجف يعني الحنانة، ثم ذكر الرواية المتقدمة عن البحار المصرحة بأنه رد من الشام إلى عبيد الله بن زياد، ورواية أبان ٱبن تغلب، وفي إعادتها تطويل.

وقد أدركت جماعة من مقدسي العلماء لا يمرون عند رأس أمير المؤمنين بل

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤/ ٨٢.
(٢) مقتل العوالم: ص١١٠.
(٣) بحار الأنوار ١٠/ ٢٢٧.
(٤) بحار الأنوار ١٠/ ٢٣٧و ٢٣٨.
(٥) مصائب المعصومين: ص٣٢٣.

إذا فرغوا من الزيارة رجعوا إلى جهة الرجلين حتى يأتوا الرأس من الناحية الأُخرى معللين أن المرور بين الرأسين خلاف الأدب.

المشهد السابع لرأس الحسين «عليه السلام» مع بدنه الشريف بكربلاء

هذا قول مشهور بني الإمامية وقال به كثير من علماء أهل السنة والجماعة، وقامت على أساس هذا الرأي معركة للأفكار هائلة، وثارت عجاجة شديدة، وأسباب هذا الصراع الجدلي والنزع الفكري أُمور:

أحدها: تصريح أهل الضبط من المؤرخين أن السبايا والإمام زين العابدين «عليه السلام» ساروا من الشام إلى المدينة ودخلوها في العشرين من صفر، حتى أضطر بعض القائلين بهذا القول أن ادعى أنهم بعد دخلوهم المدينة بعثوا بالرؤوس إلى كربلاء بعد ذلك.

ثانيهما: دعوى المدعين أن زين العابدين «عليه السلام» مر بالعراق وأنزلها مع الجثث.

وعورض هذا الرأي بأن المدة أقصر من ذلك، والمسافة بين الشام والعراق بعيدة تستوعب أكثر من عشرين في الذهاب وعشرين في الإياب فأين مدة المكث بالكوفة والشام؟

وأضطر من دافع عن هذا أن يدعي المعجزة وقال: إن الإمام زين العابدين «عليه السلام» جاء بها ودفنها من باب المعجزة.

ثالثها: زعم أُناس أن جابر الأنصاري كان بالحجاز وما بلغ الخبر إلى الحجاز إلا بعد مدة فمتى بلغه الخبر ومتى وصل كربلاء بعد أربعين يوماً من شهادة الحسين «عليه السلام» والمسافة بينهما تستوعب أكثر من ثلاثين يوماً، ولم أجد لهذا جواباً، والظاهر أن جابر كان في العراق في البصرة لا في مكة ولهذا يقول الحسين «عليه السلام» في خطبته التي وعظ بها أهل الكوفة: «سلوا جابر بن عبد الله وزيد بن أرقم وانس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من جدي رسول الله ﷺ يقولها لي ولأخي الحسن «عليه السلام»، ولو لم يكن جابر بالعراق لما كان في إحالة السؤال عليه وجه ولا لقوله فيكم معنى.

رابعها: كيف يلتقي زين العابدين بجابر، وابن زياد ما بعث بالسبايا حتى كاتب يزيد فمتى جاء الجواب ومتى ساروا في الطريق ذهاباً وإياباً في هذه المدة؟

وأضطر بعضهم أن يجيب بما لا يصح أن البريد يمكن أن يسير في ثلاث وأن جابر زار الأربعين وتأخر بالكوفة ثم عاود الزيارة وفي معاودته صادف مجيء زين العابدين «عليه السلام» وهذا جواب ركيك من ناحية أنه لا يمكن للبريد أن يصل الشام في ثلاثة أيام.

ولو قال كانت المراسلة على الطير لكان أولى به.

واما الجواب بأن جابر تأخر ولاقى الإمام زين العابدين «عليه السلام» كما أجاب به صاحب رياض الأحزان فمصادمة للنصوص المصرحة بأن الملاقات في الأربعين والذي يظهر لي أن الزيارة في الأربعين كانت لجابر خاصة كما رواها في بشارة المصطفى وقررها الأئمة «عليهم السلام» ومرور زين العابدين «عليه السلام» بعد ذلك لدفن الرؤوس وكما أُجيب أنهم ساروا بهم سيراً حثيثاً بحيث كانوا يطوون المراحل فيسيرون المرحلتين وينزلون في الثالثة لأجل أتعابهم والمسرع يطوي المراحل فيقصر الطريق كما فعل خالد بن الوليد حين سار من العراق إلى تدمر خمسة أيام وعلى كل حال فخذ نصوص أهل السنة أولاً ثم نصوص الشيعة ثانياً.

نصوص أهل السنة

قال القزويني الشافعي في عجائب المخلوقات على هامش حياة الحيوان[١] في شهر صفر والعشرون منه ردت رأس الحسين «عليه السلام» إلى جثته، إنتهى.

وقال القرطبي المالكي كما في مختصرها للشعراني المالكي[٢]: وقال الإمامية: إن الرأس أُعيد إلى الجثة بكربلاء بعد أربعين يوماً.

وقال سبط ابن الجوزي الحنفي في التذكرة[٣]: وأختلفوا في الرأس على أقوال أشهرها أنه رُد إلى المدينة مع السبايا ثم رُد إلى الجسد بكربلاء فدفن بها، قاله هشام وغيره.

وقال الشبراوي الشافعي في الإتحاف[٤]: وقيل: أُعيد إلى الجثة بكربلاء بعد أربعين يوماً من قتله.

وقال عثمان مدوخ الحنفي في العدل الشاهد[٥]: قال بعض المؤرخين أنهم

---

(١) عجائب المخلوقات على هامش حياة الحيوان ١/ ١١٥.
(٢) مختصر التذكرة: ص١٣٢.
(٣) تذكرة الخواص: ص١٥٠.
(٤) الإتحاف بحب الأشراف: ص٢٣.
(٥) العدل الشاهد: ص٥٠.

دفنوه بكربلاء مع الجثة الكريمة.

وقال الشبلنجي الشافعي في نور الابصار[١]: ذهبت الإمامية إلى أنه أُعيد إلى الجثة فدفن بكربلاء بعد أربعين يوماً من المقتل، قال المناوي في طبقاته: ذكر لي بعض أهل الكشف والشهود أنه حصل له أطلاع على أنه دفن مع الجثة بكربلاء ثم ظهر الرأس بعد ذلك بالمشهد القاهري لأن حكم الحال في البرزخ حكم الإنسان الذي تدلى في تيار جار فيطفو بعد ذلك في مكان آخر، فلما كان الرأس منفصلاً طفى في هذا المحل بالمشهد الحسيني المصري، الخ.

ولولا أني أُريد أن تعرف مقدار سخف أهل التصوف وجهلهم ما حررت هذه الخرافة وسل هذا البليد لم طفى الرأس ولم تطفوا الجثة؟ ولما اختار القاهرة دون غيرها؟ ولم اختار هذا الموضع منها دون المقطم الذي هو عندكم أشرف بقعة؟ ثم ما دليلك أنه بقي ولم يطفو في تيار البرزخ إلى موضع آخر في الغرب أو الشرق؟.

وبهذا اللفظ وهذه الخرافة ذكر الصبان الشافعي في إسعاف الراغبين بهامشه[٢].

وقال علي جلال في كتاب الحسين «عليه السلام»[٣]: والإمامية وبعض أهل السنة على أنه مدفون مع الجسد بكربلاء، الخ.

وجعله عباس محمود العقاد قولاً من أقوال ستة[٤].

نصوص الإمامية

قال السيد جمال الدين بن طاوس في الملهوف على قتلىٰ الطفوف[٥]: فأما رأس الحسين «عليه السلام» فروي أنه أُعيد فدفن بكربلاء مع جسده الشريف وكان عمل الطائفة على هذا المعنى المشار إليه، الخ.

وقال أمين الدين الطبرسي في إعلام الورى[٦]: ذكر الأجل المرتضى «رضي الله عنه» في بعض رسائله أن رأس الحسين بن علي «عليهما السلام» رُد إلى بدنه بكربلاء من الشام وضم إليه، والله أعلم.

---

(١) نور الأبصار: ص١٢١.
(٢) إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار: ص١٨٢.
(٣) كتاب الحسين عليه السلام: ص١٣٩.
(٤) انظر: أبا الشهداء: ص ١٩٨.
(٥) الملهوف على قتلى الطفوف: ص٢٧٥.
(٦) إعلام الورى: ص ١٥١.

وقال الشيخ آبن نما عليه الرحمة في مثير الأحزان[١]: والذي عليه المعول من الأقوال أنه أُعيد إلى جسده بعد أن طيف به في البلاد ودفن معه، الخ.

وقال الشهيد الجليل أبو علي الفتال (رحمه الله) في روضة الواعظين[٢]: إلى أن خرج علي بن الحسين «عليه السلام» بالنسوة ورُد رأس الحسين «عليه السلام» إلى كربلاء.

وقال آبن شهر آشواب (رحمه الله) في المناقب[٣]: ذكر المرتضى في بعض مسائله أن رأس الحسين «عليه السلام» رُد إلى بدنه بكربلاء من الشام وضُمّ إليه، قال الطوسي: ومنه زيارة الأربعين.

ومثله في مقتل العوالم[٤].

ونقل العلامة المجلسي في البحار أكثر هذه الأقوال وقال[٥]: والمشهور بين علمائنا الإمامية أنه دفن رأسه مع جسده، رده علي بن الحسين «عليهما السلام».

وفي حديث المفضل المطول الذي رواه[٦]: ثم تنفس أبو عبد الله وقال: يا مفضل! إن بقاع الأرض تفاخرت ففخرت كعبة البيت الحرام على بقعة كربلاء فأوحى الله إليها أن أسكتي يا كعبة البيت الحرام ولا تفخري على كربلاء فإنها البقعة المباركة التي نودي موسى منها من الشجرة وإنها الربوة التي آوت إليها مريم والمسيح، وانها الدالية التي غسل فيها رأس الحسين «عليه السلام» وفيها غسلت مريم عيسى «عليه السلام» وأغتسلت من ولادتها، وإنها خير بقعة عرج رسول الله ﷺ منها وقت غيبته، ولتكونن لشيعتنا فيها إلى ظهور قائمنا، إلى آخر الحديث الشريف.

وقال عبد الرحيم اليزدي في مصائب المعصومين بعد كلام المرتضى[٧]: «وكان عمل الطائفة على هذا قال الطوسي ومنه زيارة الأربعين» ونسب هذا القوال في العوالم إلى مشهور علمائنا الخ.

وقال ملا محمد حسن القزويني في رياض الاحزان[٨]: إعلم أن المشهور أن السبب في فضل زيارة الحسين «عليه السلام» في هذا اليوم أن الإمام زين العابدين «عليه السلام» مع سائر أهل البيت في هذا اليوم بعد مراجعتهم من الشام ورد

---

(١) مثير الأحزان: ص٥٣.
(٢) روضة الواعظين: ص٢٦٥.
(٣) المناقب لابن شهر آشوب: ٤/ ٨٢.
(٤) مقتل العوالم: ص١١٠.
(٥) بحار الأنوار: ١٠/ ٢٢٨.
(٦) بحار الأنوار: ١٣/ ٢٠٦.
(٧) مصائب المعصومين: ص٤٢٤.
(٨) رياض الأحزان: ص١٥٢.

كربلاء والحق رؤوس الشهداء المقدسة بأبدانهم الشريفة.

وهذا كلام رواه عن الشيخ وذكر أنه استبعده وأطال في التوجيهات الواهية بعد أن ذكر أن جماعة ومنهم الرضي القزويني في تظلم الزهراء ناقلاً ذلك عن المصباح أن ورود سبايا أهل البيت إلى المدينة في اليوم العشرين من صفر.

وهذا الارتباك لا حاجة له إذ قول من قال إنهم مشوا على طريق الحجاز من الشام معارض بقول من يقول إنهم عادوا إلى العراق ومنه مضوا إلى الحجاز، والترجيح لأهل هذا القول إذ يزيد أطلق لهم حرية اختيار الطريق فأختاروا المرور بكربلاء ليجددوا عهداً بالشهداء ويدفنوا الرؤوس مع الأبدان.

وأما استبعاد المسافة وقصر الزمان فلا وجه له وهو تشكيك غير صحيح مبني على أوهام أنهم أقاموا شهراً في الشام وعقدوا المآتم، كل هذا لم تقم عليه أدلة قاطعة وصورة الأمر أنهم وردوا الكوفة في اليوم الثاني عشر من المحرم وخرجوا من الكوفة في اليوم الخامس عشر وساروا سيراً حثيثاً فكانوا يطوون المراحل حتى وصلوا الشام دون عشرة أيام وأقاموا بالشام ثمانية أيام وناحوا بها على الحسين «عليه السلام» وعقدوا المآتم وخرجوا في أول صفر أو في ثانيه فوردوا كربلاء في اليوم العشرين من صفر.

ونقل في رياض الأحزان[1] عن مؤلف حبيب السير الفارسي وقال: هو كتاب معتبر ومؤلفه خواند أمير ابن الأمير خان صاحب روضة الصفا شيعي المسلك إمامي المشرب خلاف أبيه فإنه يميل إلى التسنن، وكتب كتابه على وفق كتب العامة، وكتب ابنه كتابه على وفق كتب الخاصة «رضوان الله عليهم»، قال بالفارسية ما عربيته: فلما سمع يزيد أن الناس يلعنونه على قتل الحسين «عليه السلام» وسبي عترته غضب على الشمر ومن صحبه من أُمراء العراق وقال لهم: كنت أرضى من طاعتكم لي بدون قتل الحسين فلعن الله ابن مرجانة بقدومه على هذا الأمر الشنيع ثم أذن في أنصراف أهل البيت وهيأ أسباب سفرهم وجهزهم وسلم رؤوس الشهداء إليهم وأمر النعمان بن بشير الأنصاري بالمسير بهم إلى المدينة وضم إليه ثلاثين فارساً، فسار الإمام زين العابدين «عليه التسليم والتكريم» والحق الرؤوس بأبدان الشهداء في اليوم العشرين من صفر، ثم قال: أصح الروايات الذي هو مختار شيعة حيدر الكرار وعلماء الأخبار في باب مدفن رأس الحسين «عليه السلام» إنما هو هذا والملخص إدراك العترة لزيارة الحسين «عليه

(١) رياض الاحزان: ص١٥٥.

السلام» في كربلاء من منصرفهم من الشام إجمالاً، الخ.

وأطال (رحمه الله) بالأوهام والخيالات الواهية ويورد كل رواية وكل قول بدون تحقيق لمصدره ويتخيل له ضرباً من الأنتقاد ويولد له نوعاً من الجواب الركيك وكل ذلك لا ينفع القارئ ولا يجدي السامع نفعاً، والتحقيق ما ذكرنا لك من سقوط الأعتراض بأستبعاد المسافة بين الكوفة ودمشق بما قلناه من أنهم ساروا من الكوفة إلى دمشق في الخامس عشر من المحرم وساروا بهم سيراً حثيثاً طووا فيه المنازل فكانت مدة سفرهم في الذهاب عشرة أيام لأن آبن زياد يحب تعجيل السرور ليزيد، وما يقال إنه كاتب يزيد في إرسالهم إليه فباطل لا يُصغى إليه، آبن زياد عارف بهوى يزيد ومحبته لهتك ستر آل محمد ﷺ وإنما أنكر على آبن زياد بعد هيجان الرأي أعلام عليه وثورة فكرة محيطه ناقداً لأفعاله الشنيعة، وأقام السبي عند يزيد دون الأُسبوع وعجل تسريحهم خوفاً من الأنقلاب لأن مجيئهم على هذه الصفة أحدث رجة عظيمة في العواصم الشامية وأضطربت عليه عاصمته اضطراباً شارف فيها حدوث ثورة وخشي من هذه الناحية فتقاً لا يرتق فعجل تسريحهم لتهدأ البلدة ويسكن جيشان ذلك الهيجان فسرحهم في أول صفر مخيراً لهم في اختيار السفر على أي طريق شاؤوا، فأختاروا طريق العراق لزيارة الشهداء فصادفوا جابر الأنصاري وقد أعلمناك أنه كان بالعراق حين قتل الحسين «عليه السلام» بالبصرة، وإذا تبين لك الحق لم تحوجنا إلى الإكثار من النقل.

ونلخص لك المطلب أن المزارات لرأس الحسين «عليه السلام» سبعة: ثلاثة بالعراق وأثنان بالشام وواحد بمصر وواحد بالمدينة؛ ففي العراق كربلاء والنجف والحنانة، وفي الشام الرقة ودمشق، أما عسقلان فقالوا نقل منها، وأما مصر فالقاهرة، وأما الحجاز فالبقيع من المدينة عند قبر الحسن السبط، فهذه هي المشاهد والمزارات للرأس الشريف رأس الحسين «عليه السلام».

أما الأقوال فمجموعها ستة عشر قولاً في دفن الرأس عرفتها مما ذكرنا وهذا تعدادها إجمالاً:

الأول: بكربلاء مع الجسد الشريف.

الثاني: عند رأس أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» بالنجف.

الثالث: بالقائم وهو الحنانة بين الكوفة والنجف وهو إلى النجف أقرب.

الرابع: بالكوفة ولا يعين موضعه منها.

الخامس: في بلدة الرقة على الفرات من توابع حكومة سوريا اليوم.

السادس: في باب الفراديس من دمشق وهو الباب الشرقي.

السابع: في قصر الإمارة الأموية بدمشق.

الثامن: في مسجد بني أُمية وموضعه معروف.

التاسع: خارج باب الفراديس لا يعين موضعه فيما حكي عن دول الإسلام للذهبي.

العاشر: في عسقلان من فلسطين على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

الحادي عشر: في مصر في القاهرة.

الثاني عشر: نبشه بنو العباس من دمشق وأخذوه لا يعلم أين دفن كما قاله بعض من سمعت.

الثالث عشر: نبشه التيمورية تيمور لنك وأصحابه ولا يعلم أين دفن.

الرابع عشر: نبشه عمر بن عبد العزيز المرواني ولا يدري أين دفنه ويظن أنه أرجعه إلى بدنه.

الخامس عشر: إنه بالبقيع مع أخيه الحسن.

السادس عشر: إنه عند جده النبي لا يدري أين موضعه.

قال عبد الرحيم اليزدي في مصائب المعصومين[1] بعد حديث الأربعين الموكلين بالرأس الشريف وأن النبي ﷺ قتلهم جميعاً، قال: قال: فأفتقد الرأس من تلك الليلة فما عرف له خبر.

أقول: أختلف علماؤنا في أن رأسه «عليه السلام» في أي مكان لاختلاف الأخبار الدالة عليه والذي يقتضيه هذا الخبر أن رأسه الشريف المبارك يكون عند رسول الله ﷺ ولم يعلم أنه هل ألحقه ببدنه الطاهر أم لا، الخ.

وقال عثمان مدوخ الحنفي في العدل الشاهد[2]: وقال بعض المؤرخين: إنهم سافروا به إلى المدينة فدفنوه بالبقيع ولم يعينوا موضع دفنه بالبقيع، وقال بعضهم: إنهم أخذوا الرأس الكريم ودفنوه في موضع مجهول خوفاً عليه من حوادث الأعداء، وهذه الأقوال كلها مجردة من الأدلة والأمارات فعلى هذه الأقوال لا يكون لرأس الإمام الحسين «عليه السلام» مشهد مخصوص معلوم، الخ.

---

(١) مصائب المعصومين: ص٤٣٣.

(٢) العدل الشاهد: ص٥٠.

فهذه مجموعة من الأقوال التي أقتصر السيد علي جلال على تسعة منها والعقاد على ستة.

الرأي القاطع في هذه النقول:

رأي علي جلال رأي متزلزل الفكرة والعقيدة معاً لذا يقول ما نصه في كتاب الحسين «عليه السلام»[١]: أقول: تقصيت ما قيل قديماً وحديثاً في مكان الرأس الشريف ولم أر اختيار أحد هذه الأقوال لأن أدلتها جميعاً ليست قاطعة.

ثم يقول[٢]: ويظهر أن قول من ذهبوا إلى وجود الرأس الشريف بمشهد القاهرة أقرب إلى الصواب لما يؤيده من الأدلة وما فيه من التفصيل لولا أنه ينقصه الثبوت القطعي كغيره فإن دفن رأس الحسين بدمشق ونقله منها إلى عسقلان ومن عسقلان إلى القاهرة لم تثبت ثبوتاً تاماً، انتهى.

ومن الجلي لدى المتبحر ارتباك هذا الكتاب ولم يسبب عليه الارتباك إلا الجهل بالحقائق اللامعة ولا عدم العلم بالمظاهر الناصعة وإنما يمنعه من قبول الحق موافقة الشيعة وإلا فالعقل يحكم أن النقل لا يكون إلا لغرض سياسي أو لغرض ديني؛ فإن كان نقل رأس الحسين «عليه السلام» لغرض ديني فيجب أن ينقل إلى المدينة لجوار جده رسول الله ﷺ إذ تربته أشرف الترب وبقعته خير البقاع، وإن كان النقل إلى فلسطين يجب أن يكون النقل للقدس لا لعسقلان فإن القدس أشرف منه بالإجماع، وإن كان النقل للسياسة وإن بني أُمية خافوا من ناحيته اضطراباً فلا يجوز أن ينقلوه إلى عسقلان لقربها من العاصمة فلا بد أن ينقل إلى أقصى البلاد ليبعد عن العواصم التي توجد فيها الشيعة ويجب أن يخفى بحسب السياسة؛ فتصويب الحسيني لهذا الرأي من الغلط في الوجهتين السياسية والدينية.

رأي العقاد:

رأي جميل ومسلكه قريب من الصواب وانا أستحسنه تقديراً لإحسان المحسن وهذا نصه بعد تعداد المشاهد الستة في كتابه الذي سمى أبو الشهداء[٣]: فالأمكان التي ذكرت بهذا الصدد ستة في ستّ مدن هي المدينة وكربلاء والرقة ودمشق وعسقلان والقاهرة وهي تدخل في بلاد الحجاز والعراق والشام وبيت

---

(١) كتاب الحسين عليه السلام: ص١٤٩. (٢) نفسه: ص١٥٠.
(٣) أبو الشهداء: ص١٩٧.

المقدس والديار المصرية وتكاد تشتمل على مداخل العالم الإسلامي كله من وراء تلك الأقطار فإن لم تكن هي الأمكان التي دفن بها رأس الحسين فهي الأماكن التي تحيى بها ذكراه لا مراء.

وللتاريخ اختلافات نسميها بالاختلافات اللفظية أو العرضية لأن نتيجتها الجوهرية سواء بين جميع الأقوال ومنها الاختلاف على مدفن رأس الحسين «عليه السلام» فأياً كان الموضع الذي دفن به ذلك الرأس الشريف فهو في كل موضع أهل للتعظيم والتشريف وإنما أصبح الحسين بكرامة الشهادة وكرامة البطولة وكرامة الأُسرة النبوية معنى يحضره الرجل في صدره وهو قريب أو بعيد من قبره، وإن هذا المعنى لفي القاهرة وفي عسقلان وفي دمشق وفي الرقة وفي كربلاء وفي المدينة وفي تلك الأماكن سواء ويقل الاختلاف أو يسهل التجاوز عنه إلى آخره، هذا كلام جميل وتوجيه بديع.

رأي المؤلف في الرأس الشريف

لا أراني أقف مع أهل هذه الأقوال موقف المجادل المخاصم سوى القائلين بتعمية الدفن ولا أُخاصم من قال في النجف أو الحنانة أو المدينة أو غيرها وإن ترجح عندي القول بإعادة الرأس المقدس إلى البدن الزاكي ترجيحاً يشرف بي على الجزم لكني لا أُنازع الطوائف التي ترجح لها القول بضد ما ترجح لدي إذا الأمر يبتني على عقيدة ونتيجة.

أما العقيدة فحياة الشهداء البرزخية لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] والحي يزور أي موضع شاء، فقولي إن رأس الحسين «عليه السلام» أتصل بجثمانه الكريم لا يمنع أن يزور المشاهد المنسوبة إليه في النجف والبقيع وغيرها، وحديث مر جعفر ـ يعني الطيار ـ في رعيل من الملائكة فسلم علي متفق عليه؛ فالحسين «عليه السلام» أولى من جعفر الطيار وأجّل.

الأحاديث الكثيرة المتفق على صحتها من أن أهل القبور يتزاورون في قبورهم والحسين «عليه السلام» سيدهم فلا يمنع أن يزور هذه الأمكنة والكرامات التي تذكر لهذه المشاهد لا أمنع صحتها لهذه العلة فالحي مختار في قصد أي الأمكنة شاء.

---

(١) آل عمران: ١٦٩.

وأما النتيجة فلأن الغرض من إشادة هذه المزارات وإظهار هذه المشاهد لهذا العضو الكريم إهداء التحية وإرسال السلام إلى روح الحسين الطاهرة والتوجه به إلى الله تعالى والتوسل إليه فيه وطلب شفاعته عن لله وهذا أينما كان يبلغه، وحديث أن الله ملائكة سياحين يبلغونني سلام أُمتي عَلَيّ أينما كانوا يكفينا.

فكيف وقد دلت الأحاديث الكثيرة من طرقنا على هذا في الحسين «عليه السلام» خاصة ومنها حديث: زُر الحسين «عليه السلام» من قريب أدنى ومن بعيد أقصى، وليس هذا موضع إيراد الأحاديث فأطلبها من كتب المزارات كالبحار والوسائل والكافي والتهذيب ومزار ابن قولويه وغيرها فالواقف بمشهد الرأس في النجف متى قال: السلام عليك يا أبا عبد الله فقد أبلغت ملائكة الله تعالى روح الحسين «عليه السلام» تلك التحية.

وقضية: أشهد أنك تسمع كلامي وترد جوابي لا تختص بموضع قبره المقدس فإذن الحسين «عليه السلام» في قلوب شيعته وفي أبصارهم وفي أسماعهم وسواء في ذلك كربلاء والنجف والمدينة وغيرها.

قال الشاعر في محبوبته:

أسائل عنها الركب وهي مع الركب وأطلبها من ناظري وهي في قلبي

وقال المجنون:

لا تقل دارها بشرقي نجد كل نجد للعامرية دار
فلها منزل على كل أرض وعلى كل دمنة آثار

فالحسين في قلبي والحسين في بصري والحسين في سمعي كنت بالنجف أو كربلاء أو أي أرض، وكل مشهد شيد بأسمه ومزار ذكر له فهو مشهد الذكر والتعظيم ومزار التكرمة والتبجيل ومحل الإجلال لتلك الروح الطيبة والنفس المقدسة المطمئنة الراضية المرضية.

للمؤلف:

أي مثوى ترى لرأس الحسين غير قلبي وغير ناظر عيني
فاطلبنه من ناظري وقلبي فهي مثوى أبي الهداة حسين

وللمؤلف:

زُر ما تشاء من المشاهد كلها للرأس رأس ٱبن النبي الأكرم
في كربلاء أو الغري وطيبة أو حيث شئت على ٱبن فاطم سلم

وأيقن بأن تحية تهدى له ... لا شك تبلغه بأقصى موسم
من كان في شرق البلاد وغربها ... بمثابة الداني لمرقده السمي
فالسبط حي والكتاب دليلنا ... ونصوص سيدنا الرسول الأعظم
مثواك يا ٱبن المصطفى لا في الثرى ... بل في صميم القلب قلب المسلم
إني أُعظم ذا الشعائر كلها ... إذ أنها لك يا ٱبن أحمد تنتمي
وأُجدد التذكار فيها معلناً ... وأشيد ذكراها بقلبي والفم

مزارات العباس الأربعة
ومشهد رأسه الكريم

أُعلمك أن الخلاف السابق لم يجر في غير رأس الحسين «عليه السلام» ورؤوس بقية الشهداء، ومنهم أبو الفضل العباس لا يجري فيهم هذا الخلاف وإنما يحصر الخلاف في مدافن رؤوسهم الشريفة في ثلاث مواضع: أحدها الشام، وثانيها بالمدينة حيث بعث يزيد بالرؤوس مع السبايا أو وحدها كما سمعت فدفنت بالبقيع، وثالثها وهو المشهور عند الإمامية أعادها زين العابدين «عليه السلام» فدفنها مع الأجساد الطاهرة في كربلاء، فكربلاء لهذه الهياكل القدسية ضمير أنفصال واتصال، ومحور أفتراق واجتماع، تفرقت فيها أعضاؤها بالسيوف واجتمعت فيها تلك الاوصال، واتصلت الرؤوس بالأبدان بعد الانفصال.

ما جرى على رأس أبي الفضل العباس «عليه السلام»

ذكر سبط ابن الجوزي في التذكرة[1]: حكى هشام بن محمد، عن القاسم بن الاصبغ المجاشعي قال: لما أُتي بالرؤوس إلى الكوفة إذا بفارس أحسن الناس وجهاً وقد علق في لبب فرسه رأس غلام أمرد كأنه القمر ليلة تمامه والفرس تمرح فإذا طأطأ رأسه لحق الرأس بالأرض، فقلت له: رأس من هذا؟ فقال: رأس العباس ابن علي، قلت: ومن أنت؟ قال: حرملة بن الكاهل الأسدي، قال: ولبثت أياماً وإذا بحرملة وجهه أشد سواداً من القار، فقلت له: لقد رأيتك يوم حملت الرأس وما في العرب أنضر وجها منك وما أرى اليوم أقبح ولا أسود وجهاً منك! فبكى وقال: والله منذ حملت الرأس إلى اليوم ما تمر علي ليلة إلا وإثنان يأخذان بضبعي ثم ينتهيان بي إلى النار تأجج فيدفعاني فيها وأنا أنكص فتسفعني كما ترى، ثم مات على أقبح حال، إنتهى.

وقد ذكرناها عن زرعة بن شريك ولا مانع من حصول ذلك لكل واحد منهما.

وإن حرملة بعد هذا التعذيب السماوي عذبه المختار لما قتله.

---

(١) تذكرة الخواص: ص١٥٩.

للمؤلف:

تعلق رأس عباس أُمي بجيد الخيل من حنق عليه
فتدخله إلى كوفان عمداً ويضربه الجواد بركبتيه
وذاك لأنها باللطف كانت بها حل الفنا من راحتيه
فلم تشفي برضخ الرأس منه ولا في قطعها كلتا يديه
وكم باءت أُمية بالمخازي وأخزى الخزي ما اجترمت إليه

بعد أن فعل الشقي برأس العباس «عليه السلام» ما سمعت أمر ٱبن زياد أن يرفع على قناة كسائر الرؤوس ويطاف به معها في السكك والشوارع، ثم ساروا بتلك الرؤوس جميعاً مرفوعة على الرماح حتى دخلوا الشام.

ذكر ملا حسن القزويني في رياض الأحزان عن المنتخب حديث سهل بن سعد ومن جملته[١]: باباً عظيمة وقد دخلت فيها الأعلام والطبول فقالوا: الرأس يدخل من هذا الباب، فوقفت هناك وكلما تقدموا بالرأس كان أشد لفرحهم وأرتفعت أصواتهم وإذا برأس الحسين «عليه السلام» والنور يسطع منه كنور رسول الله ﷺ.

وفي الكامل في السقيفة قال سهل: أول رأس رأيته من الرؤوس رأس العباس ٱبن علي فخلت أنه يضحك، ورأيت رأس الحسين «عليه السلام» في هيبة عظيمة مع نور يسطع منه سطوعاً عالياً بلحية مدورة قد خالطها الشيب وقد خضبت بالوسمة، أدعج العينين، أزج الحاجبين، واضح الجبين، أقنى الأنف، متبسماً إلى السماء، شاخصاً ببصره إلى نحو الأُفق، والريح تلعب بلحيته يميناً وشمالاً كأنه أبوه أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكان على رمح عمر بن منذر الهمداني، وساق الحديث بطوله.

ويذكر[٢] عن التبر المذاب عن الزهري أنه قال: لما جاءت الرؤوس كان يزيد «لعنه الله» على منظرة جيرون فأنشد:

لما بدت تلك الرؤوس وأشرقت تلك الشموس على ربا جيرون
صاح الغراب فقلت صح أو لا تصح فقد أقتضيت من النبي ديوني

ويذكر[٣] عن نسخ المقتل المنسوب لأبي مخنف أن الرؤوس أدخلوها من

---

(١) رياض الأحزان: ص١٠٤.
(٢) رياض الأحزان: ص١٠٥. (٣) نفسه: ص١٠٧.

باب الخيزران وأن رأس الحسين «عليه السلام» مع الشمر، قال: ثم أقبل من بعده رأس الحر آبن يزيد الرياحي وأقبل من بعده رأس العباس «عليه السلام» يحمله قشعم الجعفي «لعنه الله»، وأقبل من بعده رأس علي بن الحسين «عليهما السلام» يحمله سنان بن أنس النخعي «لعنه الله»، وأقبلت من بعده السبايا يقدمهم علي بن الحسين «عليهما السلام»، الخ.

مزار رأس أبي الفضل العباس «عليه السلام» بالشام

قلنا: إن الخلاف في رؤوس شهداء كربلاء غير الحسين ينحصر في ثلاثة مواضع: بالمدينة وكربلاء وقد مضى ذكرهما في مشاهد رأس الحسين «عليه السلام» وبدمشق الشام.

ذكر السيد محسن الأمين العاملي الفاضل المعاصر في كتاب أعيان الشيعة تحت عنوان «مشهد رؤوس العباس وعلي الأكبر وحبيب بن مظاهر بدمشق» ونصه[1]: رأيت بعد سنة ١٣٢١ في المقبرة المعروفة بمقبرة باب الصغير بدمشق مشهداً وضع فوق باب صخرة كتب عليها ما صورته: هذا مدفن رأس العباس بن علي ورأس علي بن الحسين الأكبر ورأس حبيب بن مظاهر ثم إنه هدم بعد ذلك بسنتين هذا المشهد وأُعيد بناؤه وأُزيلت هذه الصخرة وبني ضريح داخل المشهد ونقش عليه أسماء كثيرة لشهداء كربلاء ولكن الحقيقة أنه منسوب إلى الرؤوس الشريفة الثلاثة المقدم ذكرها بحسب ما كان موضوعاً على بابه كما مر.

وهذا المشهد الظن يقوى بصحة نسبته لأن الرؤوس الشريفة بعد حملها إلى دمشق والطواف بها وانتهاء غرض يزيد من إظهار الغلبة والتنكيل بأهلها والتشفي لا بد أن تدفن في إحدى المقابر فدفنت هذه الرؤوس الثلاثة في مقبرة باب الصغيرة وحفظ محل دفنها، والله أعلم، إنتهى.

ويناقش هذا السيد في أمرين:

أحدهما: قوة ظنه تصادم النصوص المصرحة بأن الرؤوس نقلت إلى المدينة ودفنت بالبقيع والنصوص المصرحة بأن الرؤوس الشريفة أُعيدت إلى الجثث بكربلاء ولا قيمة للظن في قبال النص فإذن هذا المشهد بني على أساس صلبها بهذا الموضع أو أنها دفنت إلى حين رجوع السبايا فنبشت وأُعيدت إلى الجثث أو دفنت بالبقيع.

---

(١) أعيان الشيعة ٤/ ٢٠٩ قسم أ.

ثانيهما: حصر النسبة لهذه الرؤوس الثلاثة المقدسة لا مبرر له من نقل ولا من عقل، والذي كتب على الصخرة لا يدل على الحصر في هذه الثلاثة وإنما كتبت أسماء هؤلاء الثلاثة لجلالتهم وأنهم رؤساء الشهداء وأعيانهم فنسب المشهد إليهم ورؤوس الباقين معهم كما اشتهر المرقد الشريف الذي يلي رجلي الحسين «عليه السلام» باسم علي الأكبر وباقي شهداء بني هاشم معه بالاتفاق.

فإذن الحق مع ما نقش على ضريح هذا المشهد إذ لا معنى لدفن رؤوس هؤلاء الثلاثة في هذا الموضع وتبعيد غيرهم عنهم فإما أن تحكم بدفنهم هنا فأحكم بدفن الجميع، وإن قلت بالنقل فقل بنقل الجميع.

للمؤلف:

أقدارهم عظمت وجلت فانتمت ... كل البلاد لفخرها ترجو السنا
حتى أدعت مثوى الرؤوس بأرضها ... مصر وأرض الشام كي تلق المنى
لكنما مثوى الرؤوس بكربلا ... حقاً وتزعمه البلاد تيمنا
لا بأس فالتذكار فخر خالد ... فلتعمر الأقطار فيه موطنا
من كان حياً أينما حييته ... رد التحية هاهنا أو ها هنا

مزار الكفين لأبي الفضل العباس «عليه السلام»

قد أُسس في كربلاء مشهدان أو مزاران حوالي صحن العباس بن أمير المؤمنين رقم على أحدهما مشهد الكف اليمنى وعلى الثاني مشهد الكف اليسرى، وهذا شيء توارثه الخلف على السلف وتراث مجد خلفه الماضي للباقي وليست هذه الآثار من المحدثة ولا من الأشياء التي لم تبتنى على أُس قديم بل هي سائرة مع بقية آثارهم وتتعاهدها يد العمران أن طرقها طول الزمان بالتضعضع أو أشرف بها على الأنهيار فإذن هي صحيحة الإسناد الفعلي لا القولي إذ كل جيل يتبع الجيل السابق في احترامها وتعاهدها بالعمارة والتنميق حتى تتصل بأول الأجيال التي أُشيدت بها مشاهدهم وقبابهم وهذا ما يسميه الناس بالسيرة العملية ويحتج بها الفقهاء على إثبات الأحكام الشرعية.

فأنا من هذه الناحية على ثقة ويقين ولكني أقف حيران عند الناحية الأُخرى لا أدري ماذا أقول دفن الكفان في هذين الموضعين وأنا أستبعد ذلك ولعلي لا أرى مجالاً للظن بأن من دفن جثه العباس «عليه السلام» لم يلحق بها الكفين مع قرب محلهما منها ولا حجاب يحجب حتى يقال إنهما لم يريا، ولا حاجة للأعداء

بحملهما حتى نظن أنهم حملوهما ثم أُعيدا للبدن كما حفظت على ذلك آثار كثيرة على هذا الطراز.

وإن هذا التذكار لحري به أبو الفضل وجدير أن يشاد لكفيه مشهدان وقد تتبعنا التاريخ فلم نجد من قطعت كفاه على اللواء غير أربعة رجال: ثلاثة مؤمنون وواحد مشرك.

والمؤمنون اثنان من آل أبي طالب وواحد من بني عبد الدار. فالمشرك صواب عبد لآل عبد الدار، والمؤمنون مصعب بن عمير صاحب رسول الله ﷺ من آل عبد الدار، كان معه لواء النبي ﷺ وجعفر بن أبي طالب المعروف بالطيار وأبو الفضل العباس حامل لواء الحسين «عليه السلام» وخذ قصصهم على الاختصار:

حديث صواب بعد قتل مواليه على لوائهم:

قال ابن هشام في سيرته[1]: قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلا ذؤابة وكان اللواء مع صواب غلام لأبي طلحة حبشي وكان آخر من أخذه منهم فقاتل به حتى قطعت يداه ثم برك عليه وأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول: اللهم هل أعذرت، يقول: عذرت، فقال حسان بن ثابت في ذلك:

فخرتم باللواء وشر فخر ... لواء حين رُدّ إلى صواب
جعلتم فخركم فيه بعيد ... والأم من يطأ عفر التراب
ظننتم والسفيه له ظنون ... وما أن ذاك من أمر الصواب
بأن جلادكم يوم التقينا ... بمكة بيعكم حمر العياب
أقر العين إن عصبت يداه ... وما أن تعصبان على خفاف

ثمّ شعراً لحسان يذكر فيه الحارثية وحملها لواء قريش وهذه القصة يوم أُحد وقتله أمير المؤمنين «عليه السلام» وليس هذا موضع تفصيل القصة.

وأما مصعب بن عمير «رضوان الله عليه»:

فذكر الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى[2] قال: أخرج ابن سعد عن محمد بن شرحبيل العبدري قال: حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أُحد فقطعت

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٣.
(٢) الخصائص الكبرى ١/ ٢١٥.

يده اليمنى فأخذ اللواء بيده اليسرى وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[1] الآية، ثم قطعت يده اليسرى فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ الآية، ثم قتل فسقط اللواء، الخ.

وأما جعفر الطيار:

ففي سيرة ٱبن هشام[2] في حديث غزوة مؤتة قال ٱبن هشام: وحدثني من أثق به من أهل الشام أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذ اللواء بشماله فقطعت، فأحتضنه بعضدية، قتل «رضي الله عنه» وهو ٱبن ثلاثة وثلاثين سنة فأثابه الله جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء، ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذٍ ضربة قطعه بنصفين، الخ.

أما أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام»، فقد روى كثير من العلماء ذكر هذه القصة المحزنة والحادث المؤلم ومنهم ٱبن شهراشوب ونصه من المناقب[3]: كان العباس السقا قمر بني هاشم صاحب لواء الحسين «عليه السلام» وهو أكبر الإخوان مضى يطلب الماء فحملوا عليه وحمل عليهم وجعل يقول:

لا أرهب الموت إذا الموت رقا حتىٰ أُوارى في المصاليت لقا
نفسي لنفس السيد الطهر وقا إني أنا العباس أغدو بالسقا
ولا أخاف الشر يوم الملتقى

ففرقهم فكمن له زيد بن رقاد الجهني من وراء نخلة وعاونه حكيم بن الطفيل السنبسي فضربه على يمينه فأخذ السيف بشماله وحمل عليهم وهو يرتجز:

والله إن قطعتموا يميني إني أُحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق يقيني نجل النبي الطاهر الأمين

فقاتل حتى أضعفه فكمن له حكيم بن الطفيل الطائي من وراء نخلة فضربه على شماله فقال:

يا نفس لا تخشي من الكفار وأبشري برحمة الجبار
مع النبي السيد المختار قد قطعوا ببغيهم يساري
فأصلهم يا رب حر النار

---

(١) آل عمران: ١٤٤.
(٢) سيرة ابن هشام: ص٢١٥. (٣) مناقب ابن شهرآشوب ٤/ ٩٧٢.

فقتله الملعون بعمود من حديد فلما رآه الحسين «عليه السلام» مصروعاً على شط الفرات بكى، الخ.

قد فصلنا القصة في شهادته «عليه السلام» وذكرنا حديث الصدوق عن الإمام زين العابدين «عليه السلام» أن الله تعالى جعل لعمه العباس كما جعل لجعفر جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة.

وعلى ما صرح به أرباب المقاتل من سقوط كل كف له «عليه السلام» تحت نخلة في ناحية من نواحي المسناة فإذا المزاران المعروفان لها حوالي صحنه الشريف شيدا على أساس هذا الحديث في شهادته «عليه السلام» حيث أن يده اليمنى قطعت وهو صادر من المشرعة طالباً للخيم كي يوصل الماء لعيال الحسين «عليه السلام» فعارضوه فقطع يده اليمنى زيد بن رقاد المذحجي ثم الجنبي، ولما قطعت تقدم إلى أخيه فعارضه أيضاً حكيم بن الطفيل الطائي السنبسي فقطع اليسرى ومذ أمنوا بقطع يديه صدوه بجماهيرهم المتكاثفة عن الوصول إلى الخيمة وأرجعوه قليلاً إلى الوراء وهنا ضربوه بالعمود الحديد فسقط حيث مشهده الآن قرب مشهدي الكفين الشريفين كما حدثنا التاريخ ورسمه لنا الأثر الباقي إلى اليوم، وصفة المزارين كما يلي:

مزار الكف اليمنى:

في جنوب الصحن العباسي «عليه السلام» قريب من باب الصحن الشرقي وهو مشهد

ملصق بالجدار عند مفترق أربعة طرق حوله بعض حوانيت وعليه شباك نحاس صغير مقفل بقفل ونقش عليه بيتان بالفارسية نصها:

أفتاد دست راست خدايا زبيكرم بر دامن حسين برسان دست ديكرم

دست جبم بجاست اكر نيست دست راست

اما هزار حيف كه يك دست بي صداست

ولا تاريخ للشعر ولا لبناء المشهد، وعلى لوحه رسم كفين متقابلتين نقشتا بالقاشاني والطريق إليه أن تخرج من صحن العباس «عليه السلام» الواقع في ركن الصحن ويعرف بباب الرحبة فإذ خرجت منه أنعطفت إلى شارع على يمينك ملاصق لباب الصحن فتمر فيه مجتازاً بشارع آخر ينفصل منه أيضاً على يمينك فتدعه وتمر في نفس الشارع الكبير الذي أنت فيه حتى تمر بشارع ثاني إلى يمينك

٢٧٠ ـــــــ

فتت أكباد بني المصطفى حر الظما كي تطفي منها الغليل
فأحتوشوك القوم بعداً لهم وهدت الأرض لعظم الصهيل
فالفوج يتلو الفوج في زحفهم وأنت كالضرغام بين الرعيل
حتى صبغت الأرض من هامهم وخضت بالأشقر ذاك المسيل
ويح أبن رقاد فماذا جنى بقطع يمناك بضب صقيل
وطاحت اليسرى التي يسرها عم بسيف المعتزي للطفيل
والرأس من عامودة قد جرا مع الدم المخ فأمسى يسيل
ورحت ظمئآن الحشا عاطشاً تسقى من الكوثر والسلسبيل
كل مزار لابن حامي الحمى عميد جيش أبن النبي الجليل
فهو لمن لاذ به والتجى نعم الحمى للمحتمي والمقيل
من أُسرة الوحي وما مثلهم في سائر الخلق وعز المثيل
فالوحي والتنزيل في دورهم ينزل فيه دائماً جبرئيل
يهدي التحايا لهم دائماً من حضرة القدس العلي الجليل

الطريق إلى مشهد الكف اليسرى لأبي الفضل هو أن تخرج من باب صحن العباس الشريف في الجنوب الشرقي وهو في جهة القبلة على سمت باب الساعة فإذا خرجت من هذه الباب الصغيرة سرت قليلاً في شارع قصير يدخلك إلى سوق صغير يعرف بسوق العطارين فتجد هناك صف القصابين وقبل الوصول إليهم تقف عند باب دكان عطار يعرف بالسيد عباس فتجد المشهد المبارك خلف حائط دكانه وعليه رسم كف واحدة وصفتها صفراء طليت بالصبغ الأصفر المعروف بالبويه.

وإذا سرت من هذا الطريق متجهاً إلى الجنوب الشرقي أو صلك إلى مشهد الكف اليمنى وهذا الوضع للمشهدين يفصح عما ذكره التاريخ أن العباس «عليه السلام» خرج من الفرات قاصداً مخيم الحسين «عليه السلام» فأعترضه زيد بن رقاد الجنبي فقطع يمينه فسار على قصده حاملاً سيفه بيساره فأعترضه حكيم بن الطفيل السنبسي فقطع يساره فسار على قصده فضرب بعامود الحديد فسقط في موضع مشهده المقدس.

مزارات العباس «عليه السلام»

مثوى العباس «عليه السلام» المقدس:

والمرقد المنيف العامر بعناية الله تعالى وحراسته قد تلونا عليك صفحة من تاريخ عمارة المشهد الحسيني ويشاركه مرقد أخيه أبي الفضل في كثير منها وقد كانت خصوصيات أختص بها أبو الفضل كما أختص أخوه الحسين «عليه السلام» بهدايا وتحف وألطاف وأمثال ذلك مما يلزمنا أن نقتضب عنواناً نخصصه بعمارة مشهد أبي الفضل وبعض ما أسداه الملوك والتجار الكبار من الخدمة له وخذ ملخصها:

في سنة (١٠٣٢) من الهجرة النبوية بنىٰ الشاه طهماسب قبة العباس بالكاشي وجعل على صندوق الضريح المقدس شباكا من الحديد ونظم الرواق والصحن وبنى البهو أمام الباب المقدم للحرم واهدى إلى مشهده الشريف فرشاً من صناعة الإيرانيين الممتازة وتطلق عليها العوام إسم الزل.

وفي سنة (١١٥٥) في عصر نادر الشاه الأفشاري نقشت بعض الأروقة بالبلور على نفقة نادر شاه وأهدى إلى حرم العباس هدايا وتحفاً.

وفي سنة (١١١٧) زار العتبات المقدسة وزير نادر شاه فجدد صندوق الضريح وعمر الرواق واهدى ثريا للضياء ليوقد فيها الشمع في صحنه المطهر.

وفي عام (١١٣٦) أمر الشاه محمد بن ميرزا القاجاري بتبديل الشباك الحديدي بالفضي فصنع كما أمر.

وفي عام (١٢٥٩) أحدث عمارة في المشهد الشريف العباسي سلطان أود الهندي وهو محمد علي شاه بن السلطان ماجد علي شاه.

وفي سنة (١٢١٦) بعد النكبة الموجعة والحادثة النكراء وهجوم الوهابية على كربلاء المقدسة وما أحدثوا فيها من شنائع الأعمال وفظائع الأعمال وتعديهم على الحرمين الشريفين بالتخريب ونهب الذخائر والنفائس والمجوهرات التي يعز وجودها عند عظماء السلاطين نهضت بالشاه فتح علي حميته وأقامته محبته الخالصة لأهل البيت فبنى قبة الحسين وصدر الأيوان بالذهب وجعل للضريح صندوقاً وشباكاً من الفضة وبنى قبة العباس بالكاشي البديع.

بنى الحاج شكر الله الأفشاري أيوان الطارمة التي لأبي الفضل بالذهب وكتب إسمه في صدر الأيوان بالذهب وذلك بمساعي الفقيه المرحوم الشيخ زين العابدين

المازندراني نزيل كربلاء المتوفى بها سنة (١٣٠٩) وتاريخ التذهيب (١٣٠٩).

ثم إن نصير الدولة ذهّب منارة العباس وكان الصائغ يغش الطلاء الذهبي بالصفر ولما وقفوا على الحقيقة أستدعوا به فجيء به من بغداد إلى كربلاء فلما دخل الصحن العباسي اضطرب واسود وجهه ومات من الغد.

وإن التذهيب لإيوان الباب الأول لمدخل قبة العباس لملك لكناهور محمد شاه، وبناء القبة بالكاشاني الموجود الآن لمحمد صادق الأصفهاني وزاد في الصحن دوراً اشتراها وتسقيف الطارمة للسلطان عبد الحميد خان وجعل السيد مرتضى سادن الروضة العباسية باباً من الفضة وهو الباب المتوسط من الأبواب الثلاثة التي في الطارمة.

وفي سنة (١٢٦٦) جاء تاجر زنجاني برخام ففرش الحضرة والصحن بذلك الرخام وجلب الصناع معه من إيران وكان التاجر يعرف بالحاج محمد حسين ويلقب بالحجاز باشي كما حدثني الخطيب الأُستاذ الشيخ علي البازي قال: طلب مني السيد حسن كليدار الروضة العباسية أن أنظم أبياتاً وفيها تاريخ ورود الرخام وانتهاء العمل في سنة (١٣٦٦) فنظمتها ومن خطه نقلتها:

ذا رخام لم يشاهد مثله ... بل ولما يكتشفه من أحد
صبغة الله ومن أحسن من ... صبغة الله له صبغة يد
هو من إيران قد جاء به ... خيرة الحاج الهمام المعتمد
لقب (الحجار باشي) لما ... حاز من أيد حسام لا تعد
حقق الله أمانيه غداً ... وهنيئاً لفتى ينجوا بغد
من أخ السبط وآل المصطفى ... سوف يجزي بنجاح مطرد
فحسين فيه أرخت إلى ... بطل الطف أبي الفضل ورد

تاريخ عام شهادة الحسين والعباس «عليهما السلام» وشهداء آل محمد ﷺ

اتفق المؤرخون ولا تحتفل بمن شذ[1] أن شهادتهما «عليهما السلام» عام (٦١) للهجرة عام (٦٨٠) للميلاد، نص عليه الزركلي في الأعلام.

---

(١) شذ أبو نعيم فقال سنة ٦٠، وابن الكلبي فقال سنة ٦٢ ذكر قوليهما الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١/ ١٤٢ وقال فيهما معاً: هذا وهم.

وقال أخطب خوارزم موفق بن أحمد نزيل مكة في مقتل الحسين «عليه السلام»[١]: ذكر أبو علي السلامي عن البيهقي صاحب التاريخ أن السنة التي قتل فيها الحسين «عليه السلام» وهي سنة ٦١ سميت عام الحزن.

وقال ٱبن واضح اليعقوبي في تاريخه[٢]: كان مقتله ـ يعني الحسين «عليه السلام» ـ لعشر ليال خلون من المحرم سنة ٦١ واختلفوا في اليوم فقالوا يوم السبت وقالوا يوم الإثنين وقالوا يوم الجمعة، وكان من شهور العجم في تشرين الأول.

قال الخوارزمي: وكانت الشمس يومئذ في الميزان ١٧ درجة و٢٠ دقيقة، والقمر في الدلو ٢٠ درجة و ٢٠ دقيقة، وزحل في السرطان ١٩ درجة و٢٠ دقيقة، والمشتري في الجدي ١٢ درجة و٤٠ دقيقة، والزهرة في السنبلة ٥ درجات و ٥٠ دقيقة، إنتهى.

قال أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في مقاتل الطالبيين[٣]: كان مولد الحسين «عليه السلام» لخمس خلون من شعبان سنة ٤ وقتل يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة ٦١ من الهجرة وكان سنة يوم قتل ٥٦ سنة وشهور، وقيل: إن مقتله كان يوم السبت، روي ذلك عن أبي نعيم الفضل بن دكين، والذي ذكرناه أولاً أصح.

وأما ما تقوله العامة أنه قتل يوم الإثنين فباطل هو شيء قالوه بلا رواية.

وكان أول المحرم الذي قتل فيه الحسين «عليه السلام» يوم الأربعاء أخرجنا ذلك بالحساب الهندي من سائر الزيجات وإذا كان كذلك فليس يجوز أن يكون اليوم العاشر من المحرم الإثنين.

قال أبو الفرج: هذا دليل صحيح واضح تنضاف إليه الرواية ثم ذكر إسناداً إلى علي بن محمد المدائني عن أبي مخنف وعوانة بن الحكم ويزيد بن جعدية وغيرهم.

وأما ما تعارفه العوام من أنه قتل يوم الإثنين فلا أصل له ولا حقيقة ولا وردت به رواية، الخ.

وهذا قول مردود ودعوى ساقطة، هذا ثقة الإسلام الكليني (رحمة الله) في

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢/ ٤٠ طبع النجف.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢١٨ طبع النجف، المطبعة الحيدرية.
(٣) مقاتل الطالبيين: ص٣١. طبع النجف، المطبعة الحيدرية.

أُصول الكافي ذكر أنه يوم الإثنين جازماً به غير متردد فيه[١] والكليني أجلّ من أن يعول علىٰ العامة وكذلك النوبختي في فرق الشيعة[٢].

وهذه زيارة الحسين «عليه السلام» المعروفة بالمفجعة في بعض فقراتها «المقتول يوم الإثنين».

وقال العلامة الحلي (رحمه الله) في كتاب التحرير ونصه[٣]: الحسين بن علي بن أبي طالب «عليه السلام» الإمام الشهيد أحد سيدي شباب أهل الجنة ولد بالمدينة آخر شهر ربيع الأول سنة ٣ من الهجرة وقبض «عليه السلام» بكربلاء من أرض العراق قتيلاً يوم الإثنين وقيل الجمعة وقيل السبت عاشر المحرم قبل الزوال سنة ٦١ من الهجرة وله ٥٨ سنة الخ.

أما الطبرسي (رحمه الله) في إعلام الورى فقال كذلك ولكنه قدم السبت واخر الجمعة وجعل الإثنين بعد السبت وكذلك أبن شهر آشوب ولكنه أخر الإثنين ووسط الجمعة.

وملا عبد الله في مقتل العوالم ذكر الجمعة والإثنين ولم يذكر السبت.

أما الفاضل المجلسي (رحمه الله) فروى عن ثقة الإسلام الكليني ونصه[٤] بعد الإسناد عن جعفر بن عيسى: سألت الرضا «عليه السلام» عن صوم عاشوراء وما يقول الناس فيه، فقال: عن صوم أبن مرجانة تسألني، ذاك يوم صامه الأدعياء من آل زياد لقتل الحسين «عليه السلام» وهو يوم يتشأم به آل محمد ﷺ ويتشأم به أهل الإسلام، واليوم الذي يتشام به أهل الإسلام لا يصام ولا يتبرك به، ويوم الإثنين يوم نحس قبض الله عز وجل فيه نبيه ﷺ وما أُصيب آل محمد ﷺ إلا يوم الإثنين فتشأمنا به ويتبرك به عدونا.

ويوم عاشوراء قتل الحسين «عليه السلام» ويتبرك به أبن مرجانة وتتشأم به آل محمد ﷺ فمن صامهما أو تبرك بهما لقى الله تبارك وتعالى ممسوخ القلب وكان محشره مع الذين سنوا صومهما والتبرك بهما، إنتهى.

وهذا نص في أن مقتل الحسين «عليه السلام» يوم الإثنين ولنكتف بهذا من كلام الشيعة وبه يظهر غلط الأصبهاني صاحب المقاتل.

وهناك قول رابع أن يوم المقتل كان الأربعاء ومن هؤلاء من الشيعة السيد

---

(١) انظر: أُصول الكافي: ص١٨٨.
(٢) فرق الشيعة: ص٣٥ طبع النجف، المطبعة الحيدرية.
(٣) تحرير الأحكام: ص١٣١.
(٤) بحار الأنوار ١٠/ ٢١٤.

آبن طاوس روى في كتاب الإقبال عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» رواية تصرح أنه كان يوم الأربعاء.

وأيضاً يوجد من يذكر أنه كان يوم الأحد ومن هؤلاء آبن عبد البر المالكي فإنه ذكر في الاستيعاب بعد أن ذكر القول بأنه يوم الجمعة ذكر قولاً أنه يوم الأحد.

وذكر آبن العماد الحنبلي في شذرات الذهب واليافعي في مرآة الجنان السبت والجمعة والأحد ووافقهم صاحب رياض الأحزان.

فقد ظهر لك أن الأقوال خمسة في تعيين يوم العاشر هل هو الجمعة كما جزم به أبو الفرج الأصفهاني وأبو الفرج آبن الجوزي في صفة الصفوة؟ أم السبت كما جزم به آخرون؟ أم الإثنين على نص الرواية وقول المشهور؟ أم الأحد؟ أم الأربعاء وفيه رواية؟ والذي ينبغي أن يرجح نظراً لكثرة القائل به هو يوم السبت وبه جزم أبو نعيم الفضل بن دكين حكاه عنه الخطيب البغدادي وأبو نعيم هذا شيعي وجزم به الشيخ المفيد (رحمه الله) في الإرشاد والشهيد الأول (رحمه الله) في الدروس والفاضل المجلسي في البحار وآخرون.

وأما التعويل على الطوالع النجومية وأُسطرلابات المنجمين وأرقام الزيجات فليس بصحيح في نظر أهل الدين وغير معتبر عند المتشرعين.

ومن المعلوم أن حساب السنة الشمسية لا يوافق حساب السنة القمرية التي عليها مدار تاريخ الإسلام وبها نظام أحكامه من مواقيت وأوقات وعدد وحدود وغيرها: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[1] وغير سهل بل من العسير الصعب جداً طرح ما تساوى في معرفته البكي والذكي والعالم والجاهل والرجل والمرأة والطفل وهو حساب الأهلة التي ترى بالأبصار ويؤخذ بحساب لا يتمكن من معرفته إلا أفذاذ من الماهرين كالفلكيين وحساب السنين الشمسية والأهتداء إلى ما فيها من كسور وزيادات وتفاوت في أيام شهور وليست لها علامة لا تختلف عند حلولها كالعلامة في السنة القمرية وهي رؤية الهلال وقد أرشدنا الله تعالى إلى ما لا نحتاج معه إلى فحص وتنقيب وأغنانا بذلك عن تقليد العلماء بذاك الحساب الغامض في تكاليفنا وأحكامنا فحدد لنا الشهور في الآية السابقة بالأهلة كما حدد لنا الليل والنهار بقوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[2].

---

(١) البقرة: ١٨٩.

(٢) الإسراء: ٧٨.

فهذه الصلوات الليلية والنهارية قد عرفناها بدون حاجة إلى تقليد علماء بالأوقات ولا عرفاء بالحساب كما عرفنا تكليف صومنا في آية أُخرى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾[1] فعرفنا أبتداء النهار بتمييز الابيض من الأسود وانتهائه بالليل الذي هو ظلام محسوس فهذا هو النهار لا الساعة الثانية عشر الشمسية فإن معرفتها عسيرة جداً إلا على مستعين بالآلات كالساعة وهكذا أنتهاؤه في نصف الليل الشرعي أعسر وأشد صعوبة وتعقداً.

أما الشهور فلا يحتاج فيها من رأى الهلال أو قامت عنده البينة بظهوره إلى أكثر من عد أيام تبلغ الثلاثين أو تنقص يوماً حتى يفائه الهلال الآخر مبتدأ بحساب مستأنف حتى إكمال إثنى عشر يؤلف منها سنة فالبدوي والقروي والعامي والأُمي يساوي الحضري والمدني والكاتب والحساب في معرفتها حيث يضل قروي أهل الحساب وبدويهم وأُميهم وعاميهم لا يدري متى تدخل الشهور الشمسية من أفرنجية وقبطية وسريانية وغيرها حتى يذل ويتوسل لسؤال العالمين بها وخاصة الأُمي لا تخفى صعوبتها عليه إذ ربما استعان القارئ الجاهل بحساب المفكرات والتقاويم وإن تحمل مصرفا قد يضر بحاله في شراء التقاويم والمفكرات خاصة بالفقراء وهم بما شرعه الإسلام في غنى وعافية وعزة.

كربلاء القديمة والتعريف بقراها عند نزول الحسين «عليه السلام» بها

كربلاء الاسم الحائز الشهرة العظيمة التي طوت الأجيال ولفت العصور لقداستها بما حوته من جثمان سيد شباب أهل الجنة وظمنته من جسد خير فتيان المسلمين قاطبة سيد الشهداء وسبط رسول الله ﷺ وريحانته الحسين بن علي «عليهما السلام» هي في الأصل إسم لموضع خاص من مواضع هذه الأرض الواسعة الفسيحة غلب على الصقع بأسره وهو من دونها موضع قاحل أرضه جرداء لا نبات بها سوى الحلفاء وبعض الأدغال وليس فيها ماء في ذاك الوقت ولا سكان، وبهذا الموضع نزل الحسين «عليه السلام» أولاً ثم تركه ونزل المخيم المعروف بالخيمقة بلسان الفرس فإنهم أنزلوه به كرهاً أمتثالاً منهم لأمر اللعين أبن زياد في أن ينزلوه بالعراء على غير ماء ولا كلاء.

---

(١) البقرة: ١٨٧.

ولما علم منهم التصميم على قتله وأختبر الأرض فوجدها لا تصلح للحرب إذ أنها مكشوفة وليس له ملجأ ولا لأصحابه وعيالاته من شيء يعتصمون به من غارة العدو ورأى على قرب منه تلك التلاع الثلاث التي يمكن لو جعلها خلف ظهره أن يحتمى بها وقت المصاولة ارتحل عن منزله الأول ونزلها.

وهذا الموضع الذي أرتاده أخيراً كان أحصن وأمنع من منزله الأول وبه أستشهد، وموضع نزوله الأول معروف لحد الآن وعوام أهل كربلاء من القرويين يعرفونه بأسم كربلة مفخماً ولأجل نزول الحسين «عليه السلام» به غلب اسمه على تلك المنطقة بأسرها فسميت بها عامة المواضع.

وقد ظهر لي بالسؤال من أهل تلك النواحي والنقل عن أهل الخبرة من أهل العلم أن بها موضعين كل واحد منهما يقال له كربلة:

أحدهما: ما وصفه لي بعض المطلعين أنه في بادية كربلاء يبعد عن البلدة مقدار ستة أميال تقريباً إلى الجنوب الشرقي من قرية الرزازة قرية آبن هذال أحد زعماء عنزة (أعنزة).

والثاني: ما وصفه الميرزا النوري في كتاب نفس الرحمٰن ولفظه: وأما كربلاء فالمعروف عند أهل تلك النواحي أنها قطعة من الأرض الواقعة في جنب نهر يجري من قبل سور البلد يمر بمزار المعروف بابن حمزة منها بساتين ومزارع والبلد واقع بينهما، إنتهى.

يعني بين مزار آبن حمزة وكربلاء، ثم تحققنا من بعض الخبراء المطلعين من أهل البلد فقال: نعم كربلة (كربلاء مقاطعة على طريق السائر المتجه إلى بغداد مجاورة للوند مقاطعة سيد قاسم الرشتي)، إنتهى.

فعلى هذا يجوز أن تكون الأرض كلها من الوند إلى ما فوق الرزازة كلها كانت تسمى كربلاء وهو إسمها اليوم عند أهل البادية والقرويين وسميت به البلدة نفسها للمجاورة.

اشتقاق كربلاء

بناء على أن تسميتها عربية وإنها ليست من تراث الأعاجم فلهم فيه كلام كثير وبعضه لم يغربل أما الأحاديث فترى أن كربلاء إسم مركب من كرب وبلاء وعلى ذلك جاء شعر الشريف الرضي أبي الحسين الموسوي (رحمه الله) في رثاء جده الحسين «عليه السلام» فقال:

كـربـلاء لا زلـت كـربـاً وَبِـلاً ما لـقـي عـنـدك آل الـمـصـطـفـى

ويقول الصنوبري:

يـا كـربـلاء خـلـقـت مـن كـر ب عـلـي ومـن بـلاء

ويقول غيره:

يـا كـربـلاء يـا كـربـتـي وزفـرتـي كـم فـيـك مـن سـاق ومـن جـمـجـمـة

وعلى مسلك الشعراء ونصوص الأحاديث يظهر أن تسميتها حادثة سميت لأجل فادحة الحسين «عليه السلام» وانه هو الذي سماها كذلك بقوله لما منع عن الرحيل عنها وأُلزم بالنزول فيها: هذه أرض كرب وبلاء.

أما أهل اللغة فخذ بعض نصوصهم:

قال الحموي في معجم البلدان[1]: كربلاء بالمد هو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي «عليهما السلام» في طرف البرية عند الكوفة، وأما أشتقاقه فالكربلة رخاوة في القدمين يقال جاء يمشي بكربلاء فيجوز أن مكون على أرض هذا الموضع رخاوة فسميت بذلك. ويقال: كربلت الحنطة إذا هززتها فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض منقاة من الحصا والدغل فسميت بذلك.

والكربل إسم نبت الصفصاف فيجوز أن يكون هذا الصنف من النبت يكثر نبته هناك فسمي به.

وروي أن الحسين «عليه السلام» لما إنتهى إلى هذه الأرض قال لبعض أصحابه: ما تسمى هذه الأرض ـ وأشار إلى العقر ـ؟ فقال: إسمها العقر، فقال الحسين «عليه السلام»: نعوذ بالله من العقر، ثم قال: ما إسم هذه التي نحن فيها؟ قالوا: كربلاء، قال: أرض كرب وبلاء، وأراد الخروج منها فمنع كما هو مذكور في مقتله حتى كان منه ما كان، ورثته زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فقالت:

وا حـسـيـنـاً فـلا نـسـيـت حـسـيـنـا أقـصـدتـه أسـنـة الأعـداء

غـادروه بـكـربـلاء صـريـعـاً لا سـقـي الـغـيـث جـانـبـي كـربـلاء

إنتهى، وذكر هاذين البيتين سبط ابن الجوزي في التذكرة كما قال ياقوت، وأنا أستريب بصحة ما ذكرا.

---

(١) معجم البلدان ٧/ ٣٢٩.

ولما وقفت على كتاب الحسين «عليه السلام» لعلي جلال الحسيني وجدته قد سبقني إلى الأسترابة بعد عاتكة هذه في زوجات الحسين «عليه السلام» وعاتكة هذه بنت عم عمر بن الخطاب وهي أُخت سعيد بن زيد المشهور في الصحابة وكانت بارعة في الجمال، بديعة الظرف واللطافة، حلوة الشمائل، رخيمة الكلام، فتانة الملامح، وكانت لا تستر وجهها للناظرين تتلهى به حتى تحتج لسفورها بقولها: إن الله وسمني بميسم جمال فأنا أُحب أن يرى الناس آثار نعمته، هذا معنى ما يحكى عنها في الاحتجاج ذكرها ٱبن عبد البر في الاستيعاب والعسقلاني في الإصابة وابن الأثير في أُسد الغابة والحلبي في السيرة وآخرون وقالوا: إنها كانت تحت عبد الله ٱبن أبي بكر بن أبي قحافة وهو أول أزواجها، وقتل بالطائف فرثته بشعر منه:

فآليت لا تنفك عيني حزينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

ورثت زوجها الثاني زيد بن الخطاب وهو أخو عمر وقتل باليمامة وقد تزوجها أول خلافة أبي بكر ثم تزوجها أخوه الخليفة عمر فقتله أبو لؤلؤة فرثته كذلك ثم تزوجها الزبير بن العوام فقتل يوم الجمل فرثته أيضاً ثم أمتنعت من التزويج وقالت: لو تزوجني أهل الأرض لقتلوا.

وقال بعض الظرفاء: من أحب الشهادة فليتزوج عاتكة بنت زيد.

وفيما ذكر ٱبن عبد البر والعسقلاني أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» خطبها بعد الزبير فأرسلت إليه أني لأظن بك يا ٱبن عم رسول الله ﷺ عن القتل وفيما ذكره غيرهما أن الخاطب لها هو الحسن بن علي «عليهما السلام» فكان الجواب ما مر.

ولم يذكرها أحد من علمائنا في أزواج سيدنا الحسين الشهيد «عليه السلام» ولكن مؤرخي أهل السنة قد عدوها في أزواجه فيكون هو الزوج الخامس لها فرثته بما مر.

والسيد علي جلال في كتاب الحسين «عليه السلام» أنكر ذلك أشد الإنكار وأطال في النقض على القائلين به ومنه[1]: رأيي أنه لا يحتمل أن يكون الحسين «عليه السلام» قد تزوجها لأنها تزوجت أربعة رجال كل منهم قُتل عنها ويكون في الوقت الذي قيل أن الحسين «عليه السلام» قد تزوجها فيه سنها على أقل تقدير ٥٣

(١) كتاب الحسين عليه السلام ٢/ ١١٧.

سنة بمقتضى قول أخيها وبحساب مدة الرسالة وولاية الخلفاء الثلاثة ويكون الحسين «عليه السلام» قد تزوجها بعد أن كبرت وأعرض أبوه نفسه عنها وتزوجها وعنده بنت كسرى في شبابها وغير ذلك، إنتهى.

ومانع آخر لم يتفطن له السيد علي جلال وهو أنها مخطوبة أبيه، والحسين «عليه السلام» في أعلىٰ مراتب الأدب فلا يعقل أن يخطب مخطوبة أبيه.

ومانع آخر أنها سافره متبذلة ونفس الحسين «عليه السلام» الأبي الغيور وشيمته اللافظة لكل دنيء محتقر تأبى له أن يتزوج من لا ترد طامح ولا تأنف من إرسال النظرات الدنسة إليها، هذا محال أن يكون في عقل الحسين «عليه السلام» ودينه.

الرجعة إلى كربلاء

قال الفيروزآبادي في القاموس: الكربلة نبات له نور أحمر مشرق وبها ـ يعني كربلة ـ رخاوة القدمين والمشي في الطين والخوض في الماء والخلطة وتهذيب الحنطة وتنقيتها. والكربال ـ بالكسر ـ مندف القطن وبالضم كورة بفارس، وكربلاء موضع به قتل الحسين بن علي «عليهما السلام»، الخ.

وعلى قوله كربلة رخاوة القدمين وبعض هذه المعاني معروفة عند العوام اليوم فيقولون: فلان مكربل يريدون أنه غير منقح كما يقولون وجه مكربلة يريدون غير سمح ولا حسن السيماء، ويد مكربلة وقدم مكربلة يريدون فيه غلظ وطول بإفراط، ورجل مكربلة من البرد يريدون مشنجة أو أستغلظت من شدة البرودة خصوصاً إذا مشى على الثلج والكربول عندهم خثاء البقر إذا يبس في موضعه.

ومن الجائز الغريب أن تكون هذه الأرض كانت مرتعاً للابقار الوحشية قبل أن تسكن فيكون مجتمع أخثائها وهي الكرابيل، ويدل عليه أنها كانت تنتابها أسراب الظباء كما جاء في حديث عيسى بن مريم «عليه السلام» لما مر بها وأخذ من أبعار ظبائها فشمه وتركه في موضعه في الحديث الذي رواه المجلسي في البحار عن آبن عباس عن أمير المؤمنين علي «عليه السلام» والحديث طويل.

ويجوز أن يكون بعد أن عمرت القرى في كربلاء كان هذا الموضع أيضاً مجتمعاً للأبقار الأهلية تقصده في مرعاها.

وأحسن ما قيل إنها إسم من كر بمعنى رجع وبلاء، ومعنى كر البلاء رجوعه على هذه الأمة بانتهاكها حرمة الرسول وفيه رفع عنهم البلاء فكر عليهم بقتل

عترته، وتاريخ الحوادث المجتاحة لأهل الكوفة والشام يؤكد هذا المعنى تأكيداً لا مراء فيه.

للمؤلف:

لقد كر البلاء على أُميّ فهل باق لها في الأرض حيّ
تلاشت واضمحلت بعد ملك تضخم شاده جور وغيّ
فقد طهرت بلاد الله منهم وليس يدوم في العدوان شيء
فسائل عن أُمية كل شعب أأحياء يجيبك من أميّ
فلا تحسب حسين السبط ميتاً حسين في جميل الذكر حيّ

قال في كتاب كربلاي معلى في كلامه المتقدم في عمارة المشهد الحسيني: لم تكن كربلاء في العهد القديم تستحق الذكر وكانت قبل أن يفتحها المسلمون قرية حقيرة عليها مزارع وضياع لدهاقين من العجم، وكان سكانها أهل حراثة وزراعة وقلت كذلك إلى أن فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٤ من الهجرة وكان الفاتح لها خالد بن عرفطة بأمر سعد بن أبي وقاص قائد جيوش المسلمين في حرب القادسية وقد صممت العرب أن يعلوها مركزاً للجيوش الإسلامية فلما رأوا وخامة هوائها وذبابها رحلوا عنها ونزلوا الكوفة، ولما رحلوا عنها قل شأنها وكادت تعفوا رسومها إلى أن حدثت الوقعة العظيمة التي أدهشت العالم الإسلامي وهي واقعة سيد الشهداء سنة ٦١ للهجرة فشاع ذكرها وأنتشر في الآفاق صيتها وأخذت في التقدم في أوائل الدولة العباسية، إلى آخر ما ذكر من مجابهتها الأخطار والكوارث وما عانته من نكبات وحوادث إلى يومنا هذا فتركناه لأنه يتعلق بتاريخ كربلاء في سائر أدوار عمرانها، وسيأتي كلام الشهرستاني في جوها ومناخها.

ليست كربلاء اليوم تشبه كربلاء القديمة لأن المحسنات الحديثة متواصلة في تحسين مناخها وتعديل طقسها ومكافحة الحشرات المؤذية خصوصاً البعوض والذباب، وكربلاء القديمة قائمة بطبعها معتمدة على مناخها الأصلي فكانت لذلك رديئة وبيئة الجو وخيمة المناخ والهواء والتربة يكثر فيها البعوض والبق والذباب وأتخذها العرب الفاتحون من المسلمين مركزاً حربياً بعد دحر الفرس في وقعة القادسية الشهيرة فكرهوا مناخها واستوبئوا طقسها واستوخموا جوها فأرتادوا موضع الكوفة فأختطوها وجعلوها معسكراً لهم وأتخذوها مدينة حصينة فقلت

لذلك أهمية كربلاء من الوجهة العسكرية ولم يبقى بها إلا الحراث والزراع وصاحب الشاة والبقرة من قطانها الاصليين، ومن أنضم إليهم من غزات العرب الفاتحين ممن له رغبة في الزراعة وعمارة الأرض وتربية الماشية فعمرت فيها قرى ذات بساتين زيادة على ما فيها لأن مادة الري فيها غزيرة حيث يستقيها الفرات الأصغر المعروف بنهر العلقمي وهو شعبة من الفرات الأكبر وسيأتي ذكره.

أما كثرة الذباب في هذه المنطقة قديماً فقد قال الحموي في معجم البلدان[1]: نزل خالد عند فتحه الحيرة كربلاء فشكى إليه عبد الله بن وثيمة النصري الذبان، فقال:

لقد حبست في كربلاء مطيتي وفي العين حتى عاد غثاً سمينها
إذا رحلت من منزل رجعت له لعمر أبيها إنني لا أهينها
ويمنعها من ماء كل شريعة رفاق من الزبّاب زرق عيونها

انتهى، هذا الذباب تعرفه عوام أهل البصرة بالزريجي لزرقة لونه ويكثر في وقت يعرف بالفويضة في آخر الخريف.

كربلاء بجميع قراها ملك الحسين «عليه السلام»

اشتراها الحسين «عليه السلام» حين نزوله بكربلاء من أهلها وجعلها مدفناً له ولأصحابه وقفاً على شيعته وزواره.

قال فخر الدين الطريحي (رحمه الله) في مجمع البحرين[2]: كربلاء موضع معروف وبها قبر الحسين بن علي «عليهما السلام» روي أنه «عليه السلام» اشترى النواحي التي فيها قبره من أهل نينوى والغاضرية بستين ألف درهم وتصدق بها عليهم وشرط عليهم أن يرشدوا إلى قبره ويضيفوا من زاره ثلاثة أيام، إنتهى.

وهذا أمر معروف عند فقهاء الإمامية وقد رووه عن الأئمة الطاهرين «عليهم السلام» فهم لا يترددون في صحته ولا يرتابون في وقوعه.

فضل كربلاء وشرفها بالحسين «عليه السلام»

إيراد الأحاديث الواردة في فضلها يحتاج إلى مؤلف خاص وترك إيراد البعض منها إجحاف بها فنحن لذلك نورد البعض محذوف الأسانيد، عقد ابن

---

(١) معجم البلدان ٧/ ٣٢٦.
(٢) مجمع البحرين: ص ٥١٤.

قولويه (رحمه الله) في كامل الزيارة[١] فصلاً مسهباً فيه حديث زائدة العظيم ومنعني من إيراده طوله.

ومن أحاديثه[٢]: عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» قال: زوروا كربلاء ولا تقطعوها فإن خير أولاد الأنبياء ضمنته، ألا وإن الملائكة زارت كربلاء ألف عام من قبل أن يسكنها جدي الحسين «عليه السلام» وما من ليلة تمض إلا وجبرئيل وميكائيل يزورانه فأجتهد يا يحى أن لا تفقد من ذاك الموطن، إنتهى.

يحيى راوي الحديث، ونزول جبرئيل «عليه السلام» صحيح، وما يروى من قوله لرسول الله ﷺ هذا آخر هبوطي إلى الدنيا فقد كنت حاجتي فيها فمعناه واضح إنه نزول بالوحي حيث أنقطعت السفارة بموت خاتم الأنبياء محمد ﷺ فلا وحي ينزل به، وينزل في غيره من الأوامر الإلٰهية كما دلت عليه الأحاديث المروية من الطريقين الشيعة والسنة بأتفاقهما على أنه ينزل مراراً منها أنه يرفع القرآن وأشياء ذكروها ليس هذا محلها، فلا ريب في نزول جبرائيل بغير الوحي.

وفيه[٣]: عن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: فقال رسول الله ﷺ: يقبر أبني بأرض يقال لها كربلاء هي البقعة التي كانت فيها قبة الإسلام التي نجى الله عليها المؤمنين الذين آمنوا مع نوح في الطوفان.

وفيه[٤]: عن الصادق «عليه السلام» قال: إن الله تبارك وتعالى فضل الأرضين والمياه بعضها على بعض فمنها ما تفاخرت ومنها ما بغت؛ فما من ماء ولا أرض إلا عوقبت لتركها التواضع لله تعالى حتى سلط المشركين على الكعبة وأرسل إلى زمزم ماءاً مالحاً حتى أفسد طعمه، وإن أرض كربلاء وماء الفرات أول أرض وأول ماء قدس الله تبارك وتعالى فبارك الله عليهما فقال لها: تكلمي بما فضلك الله فقد تفاخرت الأرضون والمياه بعضها على بعض، فقالت: أنا أرض الله المقدسة المباركة؛ الشفاء في تربتي ومائي ولا فخر بل خاضعة ذليلة لمن فعل بي ذلك ولا فخر على من دوني بل شكراًلله؛ فأكرمها وزاد في تواضعها وشكرها لله بالحسين «عليه السلام» وأصحابه.

ثم قال أبو عبد الله «عليه السلام»: من تواضع لله رفعه، ومن تكبر وضعه الله تعالى، إنتهى.

في أحاديث كثيرة ذكرها.

---

(١) كامل الزيارة: ص٢٦٩.
(٢) نفسه: ص٢٦٩.
(٣) نفسه: ص٢٧١.
(٤) نفسه: ص ٢٦٨.

منها ومضمون الأحاديث أنها ترفع بتربتها نورانية صافية فتجعل في أفضل روضة في الجنة وأفضل مسكن وأنها مسكن النبيين وأنها تزهر بين رياض الجنة كالكوكب الدري يغشى نورها ابصار أهل الجنة، الحديث بطوله نقلنا بعضه بالمعنى، وأجاد خطيب كربلاء الشيخ محسن أبو الحب بقوله:

يا كربلاء لو لم تكوني بقعة ميمونة ما أخترت ذاك الطاهر الميمونا

يا كربلاء أصبحت محسود السما إذ صرت للعرش العظيم قرينا

الطف أو طف كربلاء:

هذا الطف يمتد إلى جهات أُخرى ويصدق على الصقع كله، وفي العراق طفان: طف الكوفة وطف البصرة، أما طف البصرة فيمتد من شرقي قرية الشعيبة وقبر أنس بن مالك حتى ينتهي بقرية الخميسية أو بليدة الخميسية الواقعة في بر الشامية بادية العراق والتي تقع إلى شرق جنوب سوق الشيوخ ويفصل بينهما مستنقع (هور) ويجف ماؤه في الصيف عند أنحسار الماء وهذا الطف تسميه عوام هذا العصر بالجفة، والجفة هي ضفاف هذا المستنقع العظيم الذي يمتد من البصرة إلى سوق الشيوخ أو الناصرية لواء المنتفك ولكن تسمية الجفة تنتهي قرب الخميسية.

وأما طف الكوفة وتسميه عوام هذا العصر بالطار فيمتد من قرية الشنافية أو بليدة الشنافية في بر الشامية ثم يمتد مجتازاً بالحيرة فالنجف الأشرف ويستمر مغرباً إلى عين التمر (شفاثة) ومن القطقطانة (والقطقطانة) بلسان العوام ينعطف إلى كربلاء.

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان[1]: الطف بالفتح والطاء مشددة وهو في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، قال الأصمعي: وإنما سمي طفاً لأنه دنى من الريف من قولهم ما طف لك واستطف أي ما دنى وأمكن، قال أبو سعيد: سمي الطف لأنه مشرف على العراق من أطف على الشيء بمعنى أطل، والطف طف الفرات أي الشاطئ، والطف أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن علي «عليهما السلام» وهي أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية منها الصيد والقطقطانة والرهيمة وعين جمل وذوانها وهي عيون كانت للموكلين للمسالح التي كانت وراء خندق سابور الذي

---

(١) معجم البلدان ٦/ ٥١.

حفره بينه وبين العرب وغيرهم وذلك أن سابور أقطعهم أرضاً، يعلمونها من غير أن يلزمهم خراجاً، فلما كان يوم ذي قار ونصر الله العرب بنبيه ﷺ غلبت العرب على طائفة من تلك العيون وبقي بعضها في أيدي الأعاجم، ثم لما قدم المسلمون الحيرة وهزمت الأعاجم بعد ما طمت عامة ما كان في أيديها منها وبقي ما في أيدي العرب فأسلموا عليه وصار ما عمروه من الأرض عشراً، ولما أنقضى أمر القادسية والمدائن وقع ما جلا عنه الأعاجم من أرض تلك العيون للمسلمين وأقطعوه فصارت عشرية أيضاً، وكان مجري عيون الطف وأعراضها مجرى أعراض المدينة وقرى نجد، وكانت صدقاتها إلى عمال المدينة فلما ولي إسحاق ٱبن إبراهيم بن سعد للمتوكل ضمها إلى ما في يده فتولى عماله عشرها وصيرها سوادية فهي على ذلك إلى اليوم ثم أستخرجت فيها عيون إسلامية وسميت عين جمل لأن جملاً مات عندها، وسميت عين الصيد لكثرة السمك الذي كان بها.

قال أبو دهبل الجمحي يرثي الحسين بن علي «عليهما السلام» ومن قتل معه بالطف:

مررت على أبيات آل محمد فلم أرها أمثالها يوم حلت
فلا يبعد الله الديار و أهلها وإن أصبحت منهم برغمي تخلت
ألا إن قتلى الطف من آل هاشم أذلت رقاب المسلمين فذلت
وما فارس الأشفين بعد مراسه وقد نهلت منه الرماح وعلت

وقال أيضاً:

تبيت سكاى من أُمية نوماً وبالطف قتلى ما ينام حميمها
وما أفسد الإسلام إلا عصابة تأمر نوكاها ودام نعيمها
فصارت قناة الدين في كف ظالم إذا اعوج منها جانب لا يقيمها

إنتهى كلامه ولم يذكر طف البصرة وذكره ٱبن عبد البر في الاستيعاب على هامش الإصابة[1]: قال الحسن بن عثمان: مات أنس بن مالك في قصره بالطف على فرسخين من البصرة سنة ٩١ ودفن هناك الخ.

ومثله ذكر غيره ولم يكن مقصوداً لنا بالبحث وإنما غرضنا ذكر طف كربلاء وهو الذي قتل عنده الحسين بن علي «عليهما السلام» وهذا الطف الذي ذكرنا أنه

---

(١) الاستيعاب بهامش الإصابة ١/ ٧٣.

ينحدر من مسامته قرية الشنافية أو من فوقها كما هو الظاهر من كلام ياقوت أي يكون محاذياً لقرية الخضر شرقي بلدة السماوة يمر بخط فيه تعاريج بهذه المفازة من البادية كما حدثني من رآه وعاينه وإنه إذا بلغ وادي سلام الذي هو بين عين التمر وقصر بني مقاتل أشرف على كربلاء ويقرب منها بمقدار مرحلة أو أكثر قليلاً، وعلى هذا يصدق حقيقة على كربلاء نفسها منزل الحسين «عليه السلام» الأول فإنه أقبل على هذا الخط حتى تجاوز قصر ٱبن مقاتل فأنعطف إلى كربلاء، وأما إذا قلنا إن الطف شاطئ الفرات فيصدق على منزل الحسين «عليه السلام» الثاني الذي أنتقل إليه لأجل لياقته للدفاع وبه قتل.

وعلى كلا المعنيين أو الموضعين فقد جمع الطف على طفوف وقد سارت شهرته بالحسين «عليه السلام» كما سارت شهرة كربلاء وأكثر منه الشعراء كما سمعت في شعر أبي دهبل وإن كانت الأبيات الأُولى عند الجمهور إنها لسليمان بن قتة التيمي ونص عليها المبرد وغيره، وقد ذكر الطف أُم كلثوم بنت أمير المؤمنين «عليهما السلام» في رثاء أخيها الحسين «عليه السلام» بقولها من أبيات:

ألا أبلغ رسول الله عنا بأنا قد فجعنا في أخينا
وإن رجالنا بالطف صرعى بلا دفن وقد ذبحوا البنينا
ورهطك يارسول الله أضحوا عرايا بالطفوف مسلبينا

وقالت أُختها الحوراء زينب الكبرى «عليه السلام» من أبيات:

على الطف السلام وساكنيه وروح الله في تلك القباب
نفوس قدست في الأرض قدساً وقد خلقت من النطف العذاب
مضاجع فتية عبدوا فناموا هجوداً في الفدافد والروابي
علتهم في مضاجعهم كعاب بأردان منعمة رطاب
وصيرت القبور لهم قصوراً مناخاً ذات أفنية رحاب

وقال السوسي شاعر أهل البيت:

أأنسى حسيناً بالطفوف مجدلاً ومن حوله الأطهار كالأنجم الزُّهرُ
أأنسى حسيناً يوم سير برأسه على الرمح مثل البدر في ليلة البدر

وقال العوني الشاعر فيهم:

فيا بضعة من فؤاد النبي بالطف أضحى كئيناً مهيلا

ويا قطعة من فؤاد البتول بالطف ثلت فأضحت أكيلا
قتلت فأبكيت عين الرسول وأبكيت من رحمة جبرئيلا

وقال ٱبن جمال:

أرى الصبر يفنى والهموم تبيد وجسمي يبلى والسقام جديد
وذكرني بالنوح والحزن والبكا غريب بأكناف الطفوف فريد
عطاشى على شاطي الفرات فما لهم سبيل إلى قرب المياه ورود
لقد صبروا لا ضيع الله صبرهم إلى أن فنوا من حوله وأُبيدوا

وقال الخليعي:

ما عذر مثلي يوم عاشورا إذا لم أبكِ آل محمد وأنوح
أم كيف لا أبكي الحسين وقد غدا شلواً بأرض الطف وهو ذبيح

وقال السيد المرتضى:

إن يوم الطف يوماً كان للدين عصيبا
لم يدع للقلب مني في المسرات نصيبا
لعن الله رجالاً ملأوا الدينا عيوبا
سالموا عجزاً فلما قدورا شنوا الحروبا
طلبوا أوتار بدر عندنا ظلماً وحوبا

وقال العلامة الطباطبائي بحر العلوم:

لهفي على الآل صرعى بالطفوف وما غير العليل بذاك اليوم سالمه
حزن طويل أبى أن ينجلي أبداً حتى يقوم بأمر الله قائمه

وهو كثير في شعر من رثاه من شعراء الإنس، وقد ورد في مراثيه من شعر شعراء الجن، حدث ٱبن قولويه في كامل الزيارة والشيخ الطوسي في الأمالي ـ ولفظه للأول[1] ـ: عن الميثمي قال: خمسة من أهل الكوفة أرادوا نصرة الحسين ٱبن علي «عليهما السلام» فمروا بقرية يقال لها شاهي إذ أقبل عليهم رجلان شيخ وشاب فسلما عليهم، فقال الشيخ: أنا رجل من الجن وهذا ٱبن أخي أردنا نصرة هذا الرجل المظلوم، قال: فقال الشيخ الجني: قد رأيت رأياً، فقال الفتية

(١) كامل الزيارة: ص٩٣.

الإنسيون: وما هذا الرأي الذي رأيت؟ قال: رأيت أن أطير فآتيكم بخبر القوم فتذهبون على بصيرة.

فقالوا له: نعم ما رأيت، قال: فغاب يوم وليلة فلما كان من الغد فإذا هم بصوت يسمعونه ولا يرون الشخص وهو يقول:

والله ما جئتكم حتى بصرت به ... بالطف منعفر الخدين معفورا
وحوله فتية تدمى نحورهموا ... مثل المصابيح يملأن الدجى نورا
وقد حثثت قلوصي كي أُصادفهم ... من قبل أن يلاقوا الخرد الحورا
كان الحسين سراجاً يُستضاء به ... الله يعلم أني لم أقل زورا
مجاوراً لرسول الله في غرف ... وللبتول وللطيار مسرورا

ومن شعر الجن ورواه في كامل الزيارة:

لمن الأبيات بالـ ... ـطف على كره بنينه
تلك أبيات حسين ... يتجاوبن الرنينه

ويكفي هذا فإن الإكثار ملل، والإسهاب خلل، ومن التقط ملأ عيبته.

حائر الحسين «عليه السلام» وتحديده

الحائر الحسيني وكثيراً ما يطلق على كربلاء بأسرها وكم نسبوا رجلاً من سكان كربلاء بالحائريين وهذا الحائر المقدس يختلف الفقهاء في تحديده ومقدار مسافته سعة وضيقاً.

فمن الفقهاء من حدد الحائر بما ضمته جوانب قبته الشريفة من جوانب مرقده المقدس دون الأروقة والجوامع التي هي خارج القبة أي ما بين البابين الداخل والخارج وهي المعروفة بالحضرة الشريفة.

ومنهم من أدخل الأروقة والجوامع في الحائر دون الطارمة والصحن الشريف.

ومنهم من أدخل الصحن الشريف في حدود الحائر.

ومنهم تجاوز ذلك فأدخل البلدة بأسرها في حدود الحائر.

ومنهم من لا ينتهي حتى يرى حد الحائر فرسخاً من كل جانب ولم ينتهي بعضهم في تحديده بدون خمسة وعشرين ميلاً من الجهات الأربعة، ويزيد بعضهم على هذا التحديد.

ومنشأ هذا الاختلاف هو اختلاف الروايات وسنذكر بعضها إن شاء الله.

ويترتب على هذا الاختلاف أحكام شرعية منها مسألة التبرك بطينه والأستشفاء بتربته والسجود عليها ومنها مسألة القصر والإتمام فإن الفقهاء اختلفوا في حكم الصلاة في الحائر الحسيني كما هو مورد الروايات فأفتى بعضهم بوجوب الإتمام في الحائر الحسيني والمشهور قالوا بالأستحباب، وأختلفوا فمنهم من رجح القصر ومنهم من رجح الإتمام مع القول بالتخيير، وذهب فريق إلى عدم الترجيح فهو يثبت التخيير فقط.

ومن المسائل الفقهية الراجعة للحائر المقدس حرمة نجاسة تلك التربة متصلة ومنفصلة.

وعلى قول من أتسع في تحديد الحائر تحريم الإبريق المعمول من طين كربلاء في غيرها من البلاد، أما فيها فيجوز لأنه يلزم من تحريمه الحرج والعسر وغير هذه من المسائل التي حررها الفقهاء في كتب الفقه.

أما الروايات في تحديد حائر الحسين فقد نبهناك إنها كثيرة ووعدناك بإيراد بعضها، فقد روى ٱبن قولويه في كامل الزيارة[١] عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: حرمة قبر الحسين «عليه السلام» فرسخ في فرسخ من أربع جوانبه.

وعنه «عليه السلام»[٢] قال: حرم قبر الحسين «عليه السلام» خمس فراسخ من أربع جوانب القبر.

وعن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله ـ يعني الصادق «عليه السلام» ـ يقول: لموضع قبر الحسين «عليه السلام» حرمة معلومة من عرفها وأستجار بها أُجير، فقلت: صف لي موضعها جعلت فداك، قال: أمسح من موضع قبره اليوم فأمسح خمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رجليه، وخمسة وعشرين ذراعاً مما يلي وجهه، وخمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رأسه، وخمسة وعشرين ذراعاً من خلفه وموقع قبره منذ يوم دفن فيه روضة من رياض الجنة ومنه معراج يعرج فيه بأعمال زواره إلى السماء فليس ملك ولا نبي في السماوات إلا وهم يسألون الله أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين «عليه السلام» ففوج ينزل وفوج يعرج.

وعن عبد الله بن سنان عنه «عليه السلام» قال: سمعته يقول: قبر الحسين

---

(١) كامل الزيارة: ص٢٧١.
(٢) نفسه: ص٢٧٢.

«عليه السلام» عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً روضة من رياض الجنة.

وعنه «عليه السلام»[١]: حرم قبر الحسين «عليه السلام» فرسخ في فرسخ في فرسخ في فرسخ.

والروايات بهذا كثيرة، وأما روايات الإتمام فيه والاستشفاء فقد عدلنا عن ذكرها تمشياً مع الاختصار.

اشتقاق الحائر وسبب تسميته به:

أما التسمية والاشتقاق فقيل: إن إسم الحير كان قديماً جداً وهو موضع بكربلاء، وقيل: إسم حادث سمي به عند ظهور جور الملوك العباسيين على مرقده الأقدس فإن الرشيد والمتوكل أرادا حرث قبره «عليه السلام» وإجراء الماء عليه فمنعه الله تعالى فحارت البقر ودارت حوله ولم تصل إليه وحار الماء وأستدار على جوانبه ولم يصل إليه، ومستند هذا القول الأحاديث الكثيرة التي سنورد بعضها وهي تؤيد قول من حدد الحائر بما دار عليه حائط الحضرة الشريفة واكتنفه سور القبة المقدسة ولا مانع من اجتماع السببين بأن يكون في الأصل حيراً ثم استحار الماء حوله وحارت البقر في مجراها.

مسلك اللغويين والجغرافيين على مشربهم:

قال الفيروزآبادي في القاموس: حار الماء تردد، والحائر مجتع الماء وحوض يسيب إليه مسيل ماء الأمطار والمكان المطمئن والبستان كالحير وكربلاء كالحير وموضع بها، إنتهى.

وقال الحموي في معجم البلدان[٢]: الحائر بعد الألف ياء مكسورة وراء هو في الأصل حوض يصب إليه مسيل الماء من الأمطار سمي بذلك لأن الماء يتحير فيه يرجع من أقصاه إلى أدناه.

وقال الاصمعي: يقال للموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف حائراً وجمعه حوران وأكثر الناس يسمون الحائر الحير كما يقولون لعائشة عيشة.

والحائر قبر الحسين بن علي «عليهما السلام».

قال أبو القاسم: هو الحائر إلا أنه لا يجمع له لأنه إسم لموضع قبر الحسين «عليه السلام».

فأما الحيران فجمع حائر وهو مستنقع ماء يتحير فيه يجيء ويذهب.

---

(١) نفسه: ص٢٨٠.

(٢) معجم البلدان ٣/ ٢٥٢.

ثم ذكر ياقوت ما تسميه العرب بالحائر في بلادها ولا يهمنا ذكره.

قال السيد هبة الدين الشهرستاني في كتاب نهضة الحسين «عليه السلام»[١]: ثم الحير ويسمى الحائر وهو اليوم موضع قبر الحسين «عليه السلام» إلى حدود رواق بقعته الشريفة أو إلى حدود الصحن وكان لهذا الحائر وهدة فسيحة بسلسة تلال محدودة وربوات تبدأ من الشمال الشرقي حيث منارة العبد متصلة بموضع باب السدرة في الشمال وهكذا إلى موضع باب الزينبية في جهة الجنوب وكانت هذه التلال المتقاربة تشكل للناظرين نصف دائرة على شاكلة نون مدخلها الجبهة الشرقية حيث يتوجه منها الزائر إلى مثوى سيدنا العباس بن علي «عليهما السلام» ويجد المنقّبون حتى يومنا في أثافي البيوت المحدقة بقبر الحسين «عليه السلام» آثار ارتفاعها القديم في جهات الشمال والغرب ولا يجدون في الجهة الشرقية سوى تربة رخوة واطئة الأمر الذي يرشدوا العرفاء إلى أن وضعية هذه البقعة كانت منذ عصرها القديم واطئة من جهة الشرق ورابية من جهة الشمال والغرب على شكل هلالي وفي هذا الشكل الهلالي حوصر ٱبن الزهراء «عليها السلام» في حربه حين قتل، إنتهى.

وقال فخر الدين الطريحي (رحمه الله) في مجمع البحرين[٢]: وفي الحديث ذكر الحائر وهو في الأصل مجتمع الماء ويراد به حائر الحسين «عليه السلام» وهو ما حواه سور المشهد الحسيني على مشرفه السلام، إنتهى.

مسلك الفقهاء من الشيعة الإمامية والسبب الحقيقي لتسمية الحائر:

قال المقدس الأردبيلي (رحمه الله) في مجمع الفائدة: وأما حرم الحسين «عليه السلام» فالظاهر أنه ليس بمعلوم إطلاقه على غير الحائر وهو ما دار عليه سور المشهد والحضرة على ما نقل من معنى اللغة وهو الموضع الذي يقف الماء فيه وكان في ذلك الموضع على ما نقل وقوف الماء الذي من معنى اللغة وهو الموضع أجرى عليه بعض الخوارج لأجل التخريب.

ونقل في المنتهى عن المفيد أن الشهداء كلهم في الحائر إلا العباس «عليه السلام» وهو يدل على عدم دخول سائل البلد في الحائر لا سور البلد.

ثم ساق الكلام إلى الحكم الشرعي بالتقصير فيه ومثله قال ٱبن إدريس الحلي في السرائر.

---

(١) نهضة الحسين عليه السلام: ص٦٦. (٢) مجمع البحرين: ص ٢٧٠.

وقال العلامة الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء[١]: الحائر الحسيني والمتيقن منه ما أحاط بالقبر الشريف من كل جانب من جوانبه بخمسة وعشرين ذراعاً باليد وتحديده بحائط سور الصحن الشريف وقد حصل فيه الآن تغيير وتحريف غير بعيد ويتخير فيها بين القصر والإتمام والأول أحوط والثاني أفضل، الخ.

وليس المتيقن كما ذكر (رحمه الله) خسمة وعشرين ذراعاً بل المتيقن رواية العشرين لأنها مجمع الروايات كلها والأقوال أيضاً فتكون هي المتيقنة قطعاً وحسبنا هذا من كلام الفقهاء إذ جمعه يستدعي مؤلفاً خاصاً به ولكن الملخص من جميع الأقوال والذي يجب العمل بن على طبقه حكماً وتكليفاً واحتياطاً الاقتصار على ما أحاط به سور القبة الشريفة وهي الحضرة الداخلية دون أروقتها وجوامعها في مسألة التخيير بين القصر والإتمام والاستشفاء في التربة الشريفة والتضرع والأبتهال في الدعاء الذي هو نص الحديث فيما أختص به الإمام الحسين «عليه السلام» أن الله أختصه بثلاث: جعل الإمامة في ذريته والشفاء في تربته واستجابة الدعاء تحت قبته، حديث مشهور ومعمول به عند الشيعة[٢].

أما الحكم في غير التقصير والدعاء والأستشفاء فيمتد إلى ما أحاط به سور البلد فيجب صيانة تربته وحفظها من النجاسة خارج البلد وجواز السجود على كل طين من طين كربلاء من أي موضع أخذ منها فإن السجود عليه لا يخلو من فضل وينبغي احترام البقعة إلى حدود فرسخ.

سبب التسمية بالحائر عند حملة الحديث

فقد وردت بذلك روايات كثيرة رواها ثقاة العلماء ومنهم شيخ الطائفة الإمامية ورئيس الفرقة الجعفرية الإثنى عشرية أو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (قدّس سرّه) فقد روى في كتاب الأمالي[٣] عن محمد بن جعفر بن محمد بن فرج

---

(١) نفس المصدر، ص ٢٧٣.

(٢) وذكر محمد سليمان محفوظ مصري سني في كتاب أعجب ما رأيت ٣/ ١٤٩: إن هذا الحديث مكتوب على المشهد الحسيني الذي في القاهرة من مصر وقد نظمه بعض من رثى الحسين عليه السلام بقوله:

له تربة فيها الشفاء وقبه ... يجاب بها الداعي إذا مسه الضر
ذرية درية منه تسعة ... أئمة حق لا ثمان ولا عشر

(٣) الأمالي: ص٢٠٦.

الرخجي قال: حدثني أبي، عن عمه عمر بن فرج الرخجي قال: أنفذني المتوكل في تخريب قبر الحسين بن علي فصرت إلى الناحية فأمرت بالبقر فمر بها على القبور فمرت عليها كلها فلما بلغت قبر الحسين لم تمر عليه، قال عمي عمر بن فرج: فأخذت العصا بيدي فما زلت أضربها حتى تكسرت العصا في يدي فوالله ما جازت على قبره ولا تخطته.

قال لنا محمد بن جعفر: كان عمي عمر بن فرج شديد الانحراف عن آل رسول الله ﷺ فأنا أبرأ إلى الله تعالى منه، وكان جدي محمد بن فرج شديد المودة لهم رحمه الله ورضي عنه فأنا أتولاه لذلك وأفرح بولادته.

وذكر الشيخ أحاديثاً كثيرة كلها تصرح أن البقر تنساق معهم حتى إذا حاذت قبر الحسين «عليه السلام» جاءت عنه.

ومن الروايات التي ذكرها عن عبد الله بن أُذينة الطهوي قال: حججت سنة ٢٤٧ فلما صدرت من الحج صرت إلى العراق فزرت أمير المؤمنين «عليه السلام» على خيفة من السلطان وزرته ثم توجهت إلى زيارة الحسين «عليه السلام» فإذا هو قد حرث أرضه ومخر فيها الماء وأرسلت الثيران والعوامل في الأرض فبعيني وبصري كنت أرى الثيران تساق في الأرض فتنساق لهم حتى إذا حاذت مكان القبر حادت عنه يميناً وشمالاً فتضرب بالعصا الضرب الشديد فلا ينفع ذلك ولا تطأ القبر بوجه ولا سبب فما أمكنتني الزيارة فتوجهت إلى بغداد وأنا أقول ذلك.

تـالله إن كـانـت أُمـيـة قـد أتـت قـتـل ٱبـن بـنـت نـبـيـهـا مـظـلـومـا
فـلـقـد أتـاه بـنـو أبـيـه بـمـثـلـهـا هـذا لـعـمـرك قـبـره مـهـدومـا
أسـفـوا أن لا يـكـونـوا شـايـعـوا فـي قـتـلـه فـتـتـبـعـوه رمـيـمـا

فلما قدمت بغداد سمعت الهائعة فقلت: ما الخبر؟ قالوا: سقط الطائر بقتل جعفر المتوكل فعجبت لذلك وقلت: لهي ليلة بليلة، إنتهى.

وذكر أحاديثاً أُخرى متقاربة الألفاظ متفقة المعنى في أن البقر والماء لم يصل إلى القبر المقدس.

أما حديث زيد المجنون المصري فأطول ما يكون من الأحاديث وهو مشهور عند العلماء ذكره صاحب العوالم وصاحب رياض الأحزان والمجلسي في البحار[1] وغيرهم وفيه أنه خرج إلى قبر الحسين «عليه السلام» بعد دخوله الكوفة

---

(١) مقتل العوالم: ص ٢٤٧؛ رياض الأحزان: ص١٩٠؛ بحار الأنوار ١٠/ ٢٩٨.

فلما وصل إلى قبر الحسين «عليه السلام» فإذا هوعلى حاله لم يتغير وقد هدموا بنيانه وكلما أجروا الماء عليه غار وحار واستدار بقدرة العزيز الجبار ولم تصل قطرة واحدة إلى قبر الحسين «عليه السلام»، الحديث بطوله فراجعه.

والذي يفهمه المفكر ويعلمه علماً لا ظناً من كلمات أرباب النقل لهذه الحوادث الفظيعة على المرقد الحسيني أن الحائر الحسيني سمي حائراً لهذه الكرامات الظاهرة والمعجزات الباهرة التي ظهرت عنده حين أعتداء الفاجر الأثيم المتوكل عليه شبيه أبرهة الأثرم صاحب جيش الفيل وحبس الله بقر هذا الشقي كما حبس الله فيلة ذاك التعيس عن الكعبة فثلاثة تشبه ثلاثة: قبر الحسين «عليه السلام» يشبه الكعبة، والمتوكل يشبه أبا يكسوم الأثرم، وبقره تشبه فيلة ذاك إذ الجميع تضرب الضرب الشديد لا تنبعث للكعبة والحائر لهذا إسم الحائر ظهر مع هذه الأفعال وشاع وإن كان قديماً كما يقال فقد يكون لكن لم يشتهر وإنما اشتهر بهذا الاسم لهذا العصر من هذه الجهة ولأجل هذه المنقبة العظيمة والدليل عليه أن عامة من رثاه لم يذكر الحائر وإنما ذكر كربلاء نينوى الطف الغاضرية الخ.

نعم، جاء ذكر الحائر في الروايات والزيارات كزيارة الشهداء معه: «السلام على من كان في الحائر منكم» الخ، ومن الجائز أن تكون هذه الزيارة من تصنيف بعض العلماء لأن فيها ما لا يتفق مع التاريخ كقوله في القاسم بن الحسن وحبيب بن مظاهر أنهما لم يكونا في الحائر وهذا يبتنى على مسموع غير مرئي أن القاسم حملته بنو فزارة أخوال أخيه الحسن المثنى فدفنوه في القادسية، وأما حبيب إن صح هذا المرقد في الرواق الحسيني فهو في الحائر لا خارجاً عنه وإنما قلنا بتضييق دائرة الحائر في الاقتصار على محيط القبة الشريفة لأجل التخيير في الصلاة لمكان الاحتياط وإلا فدائرة الحائر كما عرفتها أوسع من ذلك حتى على أقل الروايات والأقوال وهو التحديد بعشرين ذراعاً.

وأما على القول بأن إسم الحائر كان قديماً فلازمه أن تكون سعته أكثر من سعة الصحن الحسيني ليتسع لجمع سيل المياه لا أقل من شموله للدور التي حول الصحن خصوصاً على ما قرره هبة الدين في أن الحائر البقعة التي حوصر فيها آبن الزهراء «عليها السلام» وهي التي أحاطت بها التلال والروابي من جهاتها الثلاث فكونتها على شكل هلالي أو مثلث فمعلوم أنها أوسع من دائرة الصحن الشريف مرات لأنها تشتمل على منزل الحسين «عليه السلام» وهو المعروف بـ «الخيمكاه» أي الخيم لأنها في وسط التلال فأعرف ذلك وتيقنه.

نينوى من قرى كربلاء

نينوى والتعريف بها:

هي قرية من قرى كربلاء القديمة وكانت عامرة وقت نزول الحسين «عليه السلام» بكربلاء ولا يعتري الشك أو يختلف التشكيك فهم أحد في كونها أقرب القرى إلى مناخ ركب الحسين «عليه السلام» وأدناها من محط أثقاله يوم نزل كربلاء إن ألم بشيء من التاريخ والأثر لا كما ظنه البحاثة الشهير السيد العلامة هبة الدين الشهرستاني أنها سدة الهندية كما سنذكر كلامه قريباً وغريب من مثل هذا المنقب أن يقع في الغلط.

قال الحموي في معجم البلدان[١]: نينوى ـ بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو بوزن الميطوي ـ وهي قرية يونس بن متى بالموصل وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التي قتل بها الحسين «عليه السلام» الخ، وهذا تصريح من ياقوت أن نينوى تشمل مصرع الحسين «عليه السلام».

أما هبة الدين فيقول في كتاب نهضة الحسين «عليه السلام»[٢] في حكاية عمر بن سعد: وبالجملة: فلم يشعر بنفسه إلا قائداً جيشاً كثيفاً إلى حرب الحسين «عليه السلام» في نينوى إذ بها يلتقي الخط العراقي الإيراني بالخط العراقي الحجازي وهي المرحلة المشرفة على الأنبار فبلغه نزول الحسين «عليه السلام» قبله بيوم مع قائد المفرزة الحر الرياحي.

ثم قال[٣]: إن كربلاء إسم قديم مأثور في حديث الحسين «عليه السلام» وأبيه وجده ﷺ ومفسر بالكرب والبلاء وإن كربلاء منحوتة من كور بابل العربية بمعنى مجموعة قرى بابلية منها نينوى القريبة من سدة الهندية الخ.

وبالعزيز علينا أن نقف أزاء هذا البحاثة المتتبع والعلامة المحقق الكبير والأُستاذ الخطير المدقق المنقب عن الآثار، الماهر بإنتاج المعاني واستثمارها بقوة عارضة وحدس صائب وفكرة ثاقبة فنجد أنفسنا واقفين أمامه موقف الاستغراب والتعجب بل موقف الإنكار والرد ولكن البحوث معارك الآراء وميادين صراع المدارك والأفكار حرة فلا تغل بأغلال التقاليد ولا تقيد بأقياد الأتباع ولا غضاضة على العلامة ولا غض من كرامة الباحث أن شذ قلمه أو شطحت كلماته

---

(١) معجم البلدان ٨/ ٢٦٨.
(٢) نهضة الحسين عليه السلام: ص٦٢. (٣) نفسه: ص٦٦.

فالجود يكبو والصارم ينبو، ولا يوجب بيان الحقيقة خدشاً في المؤلف ولا كشف الواقع حطاً من قدر البحاثة فمقدرته في العلم والتنقيب والبحث والتحقيق محفوظة وكرامته مرعية لدينا ولدى غيرنا ولكن لكل من الباحثين الأخذ بما أوضحته له الدلائل واداه إليه الفكر العميق وأبرزته مهارته الفنية بفكرته الدقيقة وهو معذور بعد إعمال الجد وبذل الجهود أخطأ أم أصاب.

نينوى إن قلنا أنها قريبة من سدة الهندية فهي تبعد عن كربلاء بما يقرب من عشرين ميلاً تقريباً والإشارة الواردة في سيرة الحسين «عليه السلام» عند نزوله بكربلاء في إشارته إليها بهذه التي يشار بها إلى القريب في مصطلح النحاة فهي تساوي الغاضرية إن لم تقرب عنها إلى مخيم الحسين «عليه السلام» وكذلك ورد في أحاديث الزيارة ما يدل على قربها وإن القاعدة المسلمة في علم النحو أن هذا وذا يشار بهما للمذكر القريب وهذه وذه يشار بها للمؤنث القريب، وكثيراً ما تقول العرب من هذه المتكلمة؟ ومن هذه الواقعة؟ ومن هذه المارة؟ لمن تسمع الكلام ويرى شخصها، أما رؤية الشبح البعيد فيقولون: من تلك؟ ومن هاتيك؟ هذا ما يعرفه العرب في محاورتهم كما يشيرون بمثل ذلك للمعاني كقولهم: هذه عليك لا لك في إدلاء المخاطب بحجته وأمثالها كثير.

ثم لا يجوز العقل أن ينسب للحسين «عليه السلام» أنه طلب منهم الأرتحال عن كربلاء ليصير إلى السدة الهندية التي هي بعيدة ومجتمع المارة ـ كما قال ـ فيراه الناس ويعطفوا عليه فيؤلف جمعاً يهدد به قواهم وهم قد منعوه أن ينزل الجنكنة أو القنطرة البيضاء التي طبق عليها قديماً أرض الغاضرية فإنها تمتد من القنطرة البيضاء إلى خان العطيشي وهي اليوم أراضي الحسينية، وحيث نجزم بأن أراضي الغاضرية هي أراضي الحسينية الممتدة من الجنقنة إلى خان العطيشي فلا ريب أنا نجزم بأن نينوى من جهة قضاء الهندية (طويريج) لا سدة الهنديةلما ستعرف أن هناك مجتمع الزائرين من أهل الكوفة وطريق الكوفين لا شك بطويريج من حيث طريق الماء أو على ضفافه من النخيلة العباسية وأراضي ذي الكفل (الجفل) فلا محيص عن المرور بموضع طويريج إلى نينوى.

أما طريق البادية فعلى الظهر ظهر الكوفة على مسامته النجف إلى موضع خان النصف فخان النخيلة فنينوى وعلى هذه الطرق الثلاثة لا معنى لذهابهم إلى سدة الهندية ليجتمعوا هناك ثم يعودوا منحدرين إلى كربلاء وما الفائدة في تكلف هذا العناء الشاق بقطع مسافة بعيدة ثم يعود منها على أثره قاطعاً لها برجوعه فكم

٢٩٨ ـــــــ

في أن الغاضرية قريبة من مرقد الحسين «عليه السلام» وهي كما قلنا الجنقنة على طريق القاصد إلى بغداد ونينوى تقابلها من باب البلدة على جهة القاصد إلى قضاء الهندية (طويريج) وكلا الموضعين قريب من البلدة ولا أظن أن أتساع عمارة البلدة في هذا العصر إلا أنهه أتصلت بكلتا القريتين؛ فالزائر النازل في أحدهما يستطيع الإكثار من الزيارة.

وفي كامل الزيارة أيضاً[1] عن الإمام الصادق «عليه السلام» في الحديث المشتمل على آداب الزيارة وفيه: ثم أعبر الفرات فثم تأتي نينوى فتضع رحلك بها ولا تدهن ولا تكتحل ولا تأكل اللحم ما دمت مقيماً ثم تأتي الشط بحذاء نخل القبر أول الليل واغتسل وعليك الوقار، إلى آخر الحديث.

فلينظر من يقول سدة الهندية كيف يضع ثقله بها ويستطيع الرجوع إليها مع الزيارة في أول الليل؟ وهل يقبل هذا من له أدنى التفات؟.

وفي حديث الديزج الملعون ورواه الشيخ الطوسي (رحمه الله) في الأمالي[2]: عن أبي بريرة الفضيل بن محمد بن عبد الحميد قال: دخلت على إبراهيم الديزج «لعنه الله» وكنت جاره أعوده في مرضه الذي مات فيه فوجدته بحال سوء وإذا هو كالمدهوش وعنده الطبيب، فسأله عن حاله، وكانت بيني وبينه خلطة وأُنس يوجب الثقة بي والإنبساط إليّ فكاتمني حاله وأشار إلى الطبيب، فشعر الطبيب بإشارته ولم يعرف عن حاله ما يصف له من الدواء ما يستعمله فقام فخرج وخلا الموضع، فسألته عن حاله، فقال: أُخبرك والله واستغفر الله: إن المتوكل أمرني بالخروج إلى نينوى إلى قبر الحسين فأمرنا أن نكربه ونطمس أثر القبر فوافيت الناحية مساء ومعنا الفعلة والمرور والزكار معهم المساحي والمرور، فقدمت إلى غلماني وأصحابي أن يأخذوا الفعلة بخراب القبر وحرث أرضه فطرحت نفسي لما نالني من تعب السفر فنمت فذهبت في النوم فإذا ضوضاء شديد وأصوات عالية وجعل الغلمان ينبهونني، فقمت وأنا فزع، فقلت لغلماني: ما شأنكم؟ قالو: أعجب شأن، قلت: وما ذاك؟ قالو: إن في موضع القبر قوماً قد حالوا بيننا وبين القبر وهم يرمونا مع ذلك بالنشاب.

فقمت معهم لأتبين الأمر فوجدته كما وصفوا وكان ذلك في أول الليل من ليالي البيض فقلت: إرموهم، فرموهم فعادت سهامنا إلينا فما سقط منها سهم إلا إلى صاحبه الذي رمى به فقتله، فأستوحشت لذلك وجزعت وأخذتني الحمى

(١) كامل الزيارة: ص٢٢٥.
(٢) الأمالي: للطوسي: ص٢٠٨.

والقشعريرة ورحلت من القبر لوقتي ووطنت نفسي على أن يقتلني المتوكل لما لم أبلغ في القبر جميع ما تقدم به إلي.

قال أبو بريرة: فقلت له: قد كفيت ما تحذر من المتوكل قد قتل البارحة الأُولى وأعان عليه في قتله ابنه المنتصر، فقال لي: قد سمعت بذلك وقد نالني في جسمي ما لا أرجو معه البقاء. قال أبو بريرة: كان هذا في أول النهار فما أمسى الديزج حتى مات.

قال ٱبن خنيس: قال الفضل: إن المنتصر سمع أباه يشتم فاطمة «عليها السلام» فسأل رجلاً من الناس عن ذلك، فقال له: قد وجب عليه القتل إلا أن قاتل أبيه لم يطل له عمر. فقال: ما أُبالي إذا أطعت الله في قتله أن لا يطول لي عمر، فقتله وعاش بعده سبعة أشهر، إنتهى.

وحديث أبي بكر ٱبن عياش الكوفي الفقيه المشهور مولى بني غاضرة من بني أسد الذي يأتي ذكره في الغاضرية وفيه يقول: فصرت إلى نينوى وإن الرجل مضى به إلى القبر، الحديث الآتي.

فهذه الأحاديث وغيرها مما لم نذكره واضحة الدلالة على كون نينوى بكربلاء نفسها لا بسدة الهندية وفي بعضها أنها مجتمع الزوار من أهل الكوفة وفي بعضها أمر الزوار بالكون بها أو بالغاضرية ليسهل زيارة القبر منهما وما ذاك إلا للقرب.

وحديث أبي بكر ٱبن عياش الآتي أنه خرج من قنطرة الكوفة حتى إنتهى إلى نينوى وعلى هذا فنينوى إن لم تكن باب بلدة كربلاء من ناحية طويريج فهي قريبة منها في الأراضي المعروفة بالسليمانية على مقدار ميلين أو أقل، وإن كان الراجح عندي أنها لم تبعد عن باب كربلاء الشرقي كثيراً.

واما الدلالة عليها بحرف الإشارة التي هي للقريب فلا خلاف فيه حتى من كاتب النهضة فإنه قال[1]: ثم قال للحر: دعنا ننزل هذه القرية ـ يعني نينوى ـ أو هذه ـ يعني الغاضرية ـ أو هذه ـ يعني شفية ـ قال الحر: هذا رجل قد بعث عيناً عليّ، الخ.

ولا شك أن الواقف في وهاد كربلاء اليوم لا يرى نخل سدة الهندية إلا بنظارة مكبرة (دربين) وهو من المخترعات الحديثة المفقودة في ذاك العصر، هب

---

(١) نهضة الحسين عليه السلام: ص٦٥.

إنا نقول أن قوة بصر الإمام «عليه السلام» تنفذ إلى تلك الأعماق وتحيط بالأبعاد الشاسعة لكنه كيف يطلب من الحر النزول في محل لا يراه وليس مع الحر نظارة (تلسكوب) وهذا الشيخ شيخ الطائفة الشيعية أبو جعفر الطوسي فيما نقله عنه في معالي السبطين[١] يقول: إنها قرية إلى جنب حائر الحسين «عليه السلام»، ونقله عنه النوري في نفس الرحمٰن ها هو نصه في كتاب الفهرست: حميد بن زياد من أهل نينوى قرية إلى جانب الحائر على ساكنه السلام، الخ.

وهذا شيخنا الأعظم أبو عبد الله المفيد يصرح أن نزول الحسين «عليه السلام» بنفس نينوى وإن لم ينزل القرية العامرة وهذا نصه في الإرشاد[٢]: فلم يزالوا يتسايرون حتى انتهوا إلى نينوى المكان الذي نزل به الحسين «عليه السلام» وتبعه عليه المجلسي وصاحب العوالم وغيرهما فأين الحائر عافاك الله من سدة الهندية؟ ومن كربلاء إلى سدة الهندية مرحلتان أكثر من عشرين ميلاً، ولولا أن الإكثار ملل والإسهاب خلل لأوردنا كثيراً من الشواهد التي تعين أن نينوى قرية على باب مدينة كربلاء إلى الجنوب الشرقي.

ونينوى لها ذكر في المراثي الحسينية.

قال بعضهم:

ومذ أخذت في نينوى منهم النوى ... ولاح بها للغدر بعض العلائم

للمؤلف:

قف على نينوى وحي رباها ... بقعة شرفت فطاب ثراها

هيكل القدس جسم أكرم سبط ... ضمنته فقدست أرجاها

فاخرت فيه للضراح سمواً ... وبها الله كعبة البيت باها

قدست أرضها بما قد حوته ... فلها الفخر إذ حوت سبط طاها

فلتعش بابن أحمد ولتحيا ... فهي فيه قد بذت الأشباها

لم تزل حية بذكرى حسين ... كل جيل مردد ذكراها

الغاضرية من قرى كربلاء القديمة

ومن القرى العامرة عند نزول الحسين «عليه السلام» بكربلاء وهي أقربها إلى منزل الحسين بعد نينوى وقد يراها بعض المحققين إنها أراضي الحسينية أو على

(١) معالي السبطين: ص١٧٨.
(٢) الإرشاد: ص٢٣٨.

مقربة من خان العطيشي مركز ناحية الحسينية الحالي ويعرفها البحاثة الشهرستاني بأراضي الحسينية يعني بها المقاربة لخان العطيشي لكنه أجزم أنها الأراضي الجنقنة فما دونها إلى بلدة كربلاء وقد صرح بذلك أبو حنيفة أحمد بن ثابت الدينوري وهو من علماء الجغرافية أنها بمقدار غلوة من منزل الحسين «عليه السلام» والغلوة رمية سهم.

قال في الأخبار الطوال[١]: فقال الحسين «عليه السلام» للحر تقدم بنا قليلاً إلى هذه القرية التي هي منا على غلوة وهي الغاضرية أو هذه الأُخرى التي تسمى السقبة فننزل أحدهما، قال الحر: إن الأمير كتب إليّ أن أُحلك على غير ماء ولا بد من الانتهاء إلى أمره. الخ.

فهذا نص صريح في قربها من منزل الحسين «عليه السلام»، والغلوة في لسان العرب رمية سهم، قال في القاموس: وكل مرماة غلوة، وقال في مجمع البحرين: وفي الحديث: الغلوة وهي بالفتح مقدار رمية سهم، وعن الليث: الفرسخ التام خمسة وعشرون غلوة، وعن أبي شجاع في خراجه لغلوة قدر ثلثمائة ذراع إلى أربعمائة والجمع غلوات الخ.

فإن كانت الغلوة رمية سهم أو ثلثمائة ذراع فهي لا شك باب البلدة المعروف بباب الحسينية قرب مرقد سيدنا العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام». وأعتراض خيل آبن سعد لهم في الطريق لا يتفق مع هذا وعلى هذا فيمكن الجمع بأن يقال: أقرب حدود أراضي الغاضرية إلى منزل الحسين «عليه السلام» هو الغلوة وأقصاها ما يقارب خان العطيشي فمن المسنات مرقد العباس «عليه السلام» إلى القنطرة البيضاء إلى خان العطيشي ومركز القرية الأعظم يكون في وسط هذه الأراضي وإليه قصد حبيب بن مظاهر لما دعاهم لنصر الحسين «عليه السلام».

وهبة الدين الشهرستاني في النهضة[٢] قال: ثم الغاضرية وتسمى اليوم أراضي الحسينية، إنتهى.

وهو مجمل وإجماله أجمل لكن الظاهر ما قلناه من امتدادها.

قال الحموي في معجم البلدان[٣]: الغاضرية بعد الألف ضاد معجمة منسوبة إلى غاضرة من بني أسد وهي قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء الخ.

وقال آبن عبد ربه في العقد الفريد[٤]: بنو غاضرة بن مالك بن سعد بن

---

(١) الأخبار الطوال: ص٢٥٠.
(٢) نهضة الحسين عليه السلام: ص٦٦.
(٣) معجم البلدان ٤/ ٢٦١.
(٤) العقد الفريد ٢/ ٣٣٧.

دودان ٱبن أسد، ومن بني غاضرة زر بن حبيش الفقيه، ومنهم الحسحاس بن هند الذي ينسب إليه عبد بني الحسحاس، إنتهى.

وهؤلاء غير غاضرة خزاعة، وإلى غاضرة الاسديين ينتسب أبو بكر ٱبن عياش الفقيه بالولاء وكان له خطر وتقدير عند الأمراء والولاة وهو الذي وعظ موسى بن عيسى العباسي لما جار على قبر الحسين بن علي «عليهما السلام» وعظاً بالغاً ونص الحديث عن أمالي الشيخ الطوسي[1]: عن يحيى بن عبد الحميد الحماني قال: خرجت أيام ولاية موسى بن عيسى الهاشمي الكوفة من منزلي فلقيني أبو بكر ٱبن عياش فقال: إمض بنا يا يحيى إلى هذا الظالم لنرده عن بغيه، وكنت أجّل أبا بكر عن مراجعته وكان راكباً حماراً له، فكان يسير عليه وأنا أمشي مع ركابه، فلما صرنا عند الدار المعروفة بدار عبد الله بن حازم التفت إليّ وقال: يا ٱبن الحماني! إنما جررتك معي وجشمتك أن تمشي خلفي لأسمعك ما أقول لهذا الطاغية، قال: فقلت: من هو يا أبابكر؟ فقال: هذا الفاجر الكافر موسى بن عيسى، فسكت عنه فمضى وأنا أتبعه حتى إذا صرنا إلى باب موسى بن عيسى وبصر به الحاجب وقد كان الناس ينزلون عند الرحبة فلم ينزل أبو بكر هناك وكان عليه يومئذ قميص وإزار وهو محلول الإزار.

قال: فدخل على حماره وناداني: تعال يا ٱبن الحماني، فمنعني الحاجب فزجره أبو بكر وقال: أتمنعه يافاعل وهو معي؟ فتركني فما زال يسير على حماره حتى دخل الابواب فبصر بنا موسى وهو قاعد في صدر الأيوان على سريره وبجنبي السرير رجال متسلحون وكذلك كانوا يصنعون، فلما أن رآه موسى رحب به وقربه وأقعده على سريره ومنعت أنا حين وصلت إلى الأيوان أن أتجاوزه، فلما استقر أبو بكر على السرير التفت إلي فرآني حيث أنا واقف فناداني: تعال ويحك، فصرت إليه ونعلي في رجلي وعَلَيّ قميص وإزار، فأجلسني بين يديه، فالتفت إليه موسى فقال: هذا رجل تكلمنا فيه؟ قال: لا ولكن جئت به شاهداً عليك، قال: في ماذا؟ قال: إني رأيتك وما صنعت بهذا القبر، قال: أي قبر؟ قال: قبر الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله، وكان موسى قد وجه إليه من كربه وكرب جميع أرض الحائر وحرثها وزرع الزرع فيها، فأنتفخ موسى حتى كاد أن ينقد ثم قال: وما أنت وذاك؟ قال: إسمع حتى أُخبرك، إعلم أني رأيت في منامي كأني خرجت إلى قومي بني غاضرة فلما صرت بقنطرة الكوفة أعترضتني خنازير عشرة تريدني

(١) الأمالي للطوسي: ص٢٠٣.

فأعانني الله برجل كنت أعرفه من بني أسد فدفعها عني فمضيت لوجهي، فلما صرت إلى شاهي ضللت الطريق فرأيت هناك عجوزاً فقالت لي: أين تريد أيها الشيخ؟ قلت: أُريد الغاضرية. فقالت لي: تنظر هذا الوادي فإنك إذا أتيت آخره أتضح لك الطريق، فمضيت وفعلت ذلك فلما صرت إلى نينوى إذا أنا بشيخ كبير جالس هناك، فقلت: من أين أنت أيها الشيخ؟ فقال لي: أنا من أهل هذه القرية، فقلت: كم تعد من السنين؟ فقال: ما أحفظ ما مضى من سني عمري ولكن أبعد ذكري أني رأيت الحسين بن علي «عليهما السلام» ومعه من أهله ومن معه يمنعون الماء الذي تراه وكان لا يمنع الكلاب والوحوش من شربه، فأستعظمت ذلك وقلت له: ويحك أنت رأيت هذا؟ قال: إي والذي سمك السماء لقد رأيت هذا أيها الشيخ وعاينته وأنت وأصحابك هم الذين يعينون على ما قد رأينا مما أقرح عيون المسلمين إن كان في الدنيا مسلم، فقلت: ويحك! وما هو؟ قال: حيث لم تنكرو ما أجرى سلطانكم عليه، قلت: وما أجرى عليه؟ قال: أيكرب قبر ٱبن النبي ﷺ وتحرث أرضه؟! قلت: وأين القبر؟ قال: ها هو أنت واقف في أرضه فأما القبر فقد عمي عن أن يعرف موضعه.

قال أبو بكر ٱبن عياش: وما كنت رأيت القبر قبل ذلك الوقت قط ولا أتيته في طول عمري، فقلت: من لي بمعرفته؟ فمشى معي الشيخ حتى وقف بي على حير له باب وآذن وإذا جماعة من الناس فقلت للآذن أُريد الدخول على ٱبن رسول الله ﷺ فقال: لا تقدر على الوصول في هذا الوقت، قلت: ولم؟ قال: هذا وقت زيارة إبراهيم خليل الله ومحمد رسول الله ﷺ ومعهما جبرئيل ومكائيل «عليهما السلام» في رعيل من الملائكة كثير.

قال أبو بكر ٱبن عياش: فأنتبهت وقد دخلني روع شديد وحزن وكآبة ومضت بي الأيام حتى كدت أن أنسى المنام ثم اضطررت إلى الخروج إلى بني غاضرة لدين كان لي على رجل منهم فخرجت وأنا لا أذكر الحديث حتى إذا صرت بقنطرة الكوفة لقيني عشرة من اللصوص فحين رأيتهم ذكرت الحديث ورعبت من خشيتي لهم فقالوا لي: ألق ما معك وانج بنفسك وكانت معي نفيقة، فقلت: ويحكم! أنا أبو بكر ٱبن عياش وإنما خرجت في طلب دين لي، والله الله لا تقطعوني عن طلب ديني وتضروا بي في نفقتي فإني شديد الإضاقة، فنادى رجل منهم: مولاي ورب الكعبة لا تعرض له، ثم قال لبعض فتيانهم: كن معه حتى تصير به إلى الطريق الأيمن.

قال أبو بكر بن عياش: فجعلت أتذكر ما رأيته في المنام وأتعجب من تأويل الخنازير باللصوص حتى صرت إلى نينوى فرأيت والله الذي لا إلٰه إلا هو الشيخ الذي كنت رأيته في منامي بصورته وهيئته ثانية في اليقظة كما رأيته في المنام سواء فحين رأيته ذكرت الأمر والرؤيا، فقلت: لا إلٰه إلا الله ما كان هذا إلا وحياً ثم سألته كمسألتي إياه في المنام فأجابني ثم قال: إمض بنا فمضيت معه فوقفت على الموضع وهو مكروب فلم يفتني شيء في منامي إلا الإذن والحير فإني لم أرى حيراً ولم أرى آذناً؛ فأتق الله أيها الرجل فإني قد آليت على نفسي أن لا أدع إذاعة هذا الحديث ولا زيارة ذلك الموضع وقصده وإعظامه فإن موضعاً يأتيه إبراهيم ومحمد وجبرئيل وميكائيل لحقيق بأن يرغب في إتيانه وزيارته فإن أبا حصين حدثني أن رسول الله ﷺ قال: من رآني في المنام فإياي رأى فإن الشيطان لا يتشبه بي، فقال له موسى: إنما أمسكت عن إجابة كلامك لأستوفي هذه الحماقة التي ظهرت منك وبالله لئن بلغني بعد هذا الوقت أنك تتحدث بهذا لأضربن عنقك وعنق هذا الذي جئت به شاهداً عَلَيّ.

فقال أبو بكر: إنما يمنعني الله وإياه منك فإني إنما أردت الله بما كلمتك به، فقال له: أتراجعني يا عاض وشتمه، فقال له: أُسكت أخزاك الله وقطع لسانك، فأُرعد موسى على سريره ثم قال: خذوه، فأُخذ الشيخ عن السرير وأُخذت أنا فوالله لقد مر بنا من السحب والجر والضرب ما ظننت أننا لا نكثر الاحياء أبداً وكان أشد ما مر بي من ذلك أن رأسي كان يجر على الصخر وإن بعض مواليه يأتيني فينتف لحيتي وموسى يقول: أُقتلوهما بني كذا وكذا بالزاني لا يكني، وأبو بكر يقول له: أمسك قطع الله لسانك وانتقم منك،اللهم إياك أردنا ولولد وليك غضبنا وعليك توكلنا فصير بنا جميعاً إلى الحبس فما لبثنا في الحبس إلا قليلاً فالتفت إلي أبو بكر ولقد رأى ثيابي قد خرقت وسالت دمائي فقال: يا حماني! قد قضينا لله حقاً وأكتسبنا في يومنا هذا أجراً ولن يضيع ذلك عند الله ولا عند رسوله.

فما لبثنا إلا مقدار غداية أو نومة حتى جائنا رسوله فأخرجنا إليه وطلب حمار أبي بكر فلم يوجد فدخلنا عليه فإذا هو في سرداب له يشبه الدور سعة وكبراً فتعبنا في المشي إليه تعباً شديداً وكان أبو بكر إذا تعب في مشيه جلس يسيراً ثم يقول: اللهم إن فيك فلا تنسه، فلما دخلنا على موسى وإذا هو على سرير له فلما بصر بنا قال: لا مرحباً ولا حي الله ولا قرب من جاهل أحمق يتعرض لما يكره، ويلك يا دعي ما دخولك فيما بيننا معشر بني هاشم؟ فقال له أبو بكر: قد سمعت

كلامك والله حسبك، قال: فقال له: أُخرج قبحك الله والله لئن بلغني أن هذا الحديث شاع أو ذكر عنك لأضربن عنقك، ثم ألتفت إلي وقال: يا كلب! وشتمني وقال: إياك ثم إياك أن تظهر هذا فإنه إنما خيل لهذا الشيخ الأحمق شيطان يلعب فيه في منامه، أُخرجا عليكما لعنة الله وغضبه.

فخرجنا وقد يئسنا من الحياة فلما وصلنا إلى منزل الشيخ أبي بكر وهو يمشي وقد ذهب حماره، فلما أراد أن يدخل منزله التفت إلي وقال: أحفظ هذا الحديث وأثبته عندك ولا تحدثن هؤلاء الرعاع ولكن حدث به أهل العقول والدين، إنتهى.

وموسى بن عيسى فعل هذا يأمر الرشيد وقد ترجمنا لأبي بكر ٱبن عياش ترجمة مفصلة في كتابنا «الميزان الراجح» وهذا الحديث يعين موضع نينوى والغاضرية وأن قبر الحسين «عليه السلام» في الحائر بينهما، وأن نينوى من جهة الكوفة، وأن السائر إليها على قنطرة الكوفة ينزل بها أولاً ثم يزور القرب من قرب، وهنا نصوص كثيرة على كون نينوى نفس كربلاء منها قوله: «أنت في أرضه وهو في نينوى» ومنها قوله «على طريق شاهي» وهي قرية في سواد الكوفة بينها وبين طويريج الحالية، وقال الحموي عنها: إنها قرب القادسية فهي على شاطئ النهر من جهة البادية تحاذي خان الحماد اليوم.

وعلى كل حال فقرية نينوى ممتد من أراضي السليمانية اليوم إلى سور بلدة كربلاء المعروف بباب الطويريج كما تمتد الغاضرية من سور كربلاء من الموضع المعروف بباب الحسينية إلى قرب مرقد عون أو إلى خان العطيشي، وللغاضرية شهره في الزيارات والمراثي الحسينية.

روى ٱبن قولويه القمي في كامل الزيارة[1] قال: قال أبو جعفر ـ يعني الإمام الباقر «عليه السلام» ـ: الغاضرية هي البقعة التي كلم الله فيها موسى بن عمران «عليه السلام» وناجى نوحاً «عليه السلام» فيها وهي أكرم أرض الله عليه ولولا ذلك ما أستودع الله فيها أوليائه وأنبيائه؛ فزوروا قبورنا بالغاضرية، إنتهى.

أما المراثي فكثيرة منها قول السيد جعفر الحلي (رحمه الله):

كرام بأرض الغاضرية عرسوا فطابت بهم أرجاء تلك المنازل
أقاموا بها كالمزن فاخضرّ عودها وأُعشب أرجائها كل ماحل

---

(١) كامل الزيارة: ص ٢٦٩.

وقال علي بن أبي الحسن فيه «عليه السلام»:

يا فاطم الطهر قومي غير قائمة في جحفل من نساء هاشميات
ونحن مثل حمامات مطوقة على القتيل بأرض الغاضريات

للمؤلف في مرثية حسينية:

عشية حامت الآجال حتى على آل الرسول هوت وقوعا
غداة الغاضرية حين لاقى فريد العصر منفرداً جموعا
أتته كتائب الأرجاس بغياً على أحقادها تحنوا الظلوعا
ورامت أن يسالمها مطيعاً ويأبى عزّه من أن يطيعا

وللمؤلف من مرثية القاسم ٱبن الحسن السبط الشهيد مع عمه الحسين «عليه السلام»:

الجمع جمع بني الخنا ما فله بالغاضرية غير سيف القاسم
شبل الإمام المجتبى أفنى العدى بالسمهري وبالصقيل الصارم

النواويس أو مقبرة الحر

قرية النواويس في كربلاء القديمة:

هي مقبرة الحر الشهيد الرياحي وفيها مرقده وكانت مقبرة قديمة وفي دفن هذا البطل المجاهد إلى هذا الموضع النائي عن مرقد الشهداء أقوال:

قول أنه سقط هناك فلم يحمل إلى خيمة القتلى من الشهداء لحيلولة القوم بينهم وبينه مع اشتغالهم بالحرب.

وقول: إن عمر بن سعد لما أمر بقطع رؤوس الرؤساء من أنصار الحسين «عليه السلام» أبت بنو تميم أن يقطع رأس الحر فحملوه ودفنوه هناك.

ويقال: إنما حملوه لأن عمر بن سعد أمر بوطئ جثث القتلى أمتثالاً لأمر ٱبن زياد فقامت بنو تميم وحامت عنه ومنعت منه ثم حملته إلى هذا الموضع ومنعت كل قبيلة من وطئ جثث رجالهم لكنهم لم يحملوهم ولم يدفنوهم وهذا ضعيف لأن المأمور به ٱبن سعد وطئ جسد الحسين «عليه السلام» خاصة فوطئته الخيل دون سائر الشهداء من العلويين وغيرهم كما صرحت بذلك كتب المقاتل.

وهناك قول آخر يعد رابعاً أن الإمام زين العابدين «عليه السلام» أمر بني أسد بنقله إلى هناك وهذا بعيد جداً.

وكيف كان الأمر فموضع قبر الحر كان مقبرة للأنباط والمسيحيين قديمة قبل الفتح الإسلامي بكثير، والنواويس جمع ناووس وهو القبر بلغة الأنباط القديمة، وفي الرومانية البائدة.

قال الحموي في معجم البلدان: الناووس والقبر واحد ولم يذكر نواويس كربلاء وإنما ذكر ناووس الظبية وقرية الناووسية، ولم يزد الخفاجي في شفاء الغليل على ما عند ياقوت الحموي.

وقال الفيروزآبادي في القاموس: والناووس من القبر ما سد لحده.

قال المطرزي في المغرب[١]: الناووس على فاعول مقبرة النصارى ومنه ما في جمع التفاريق النواويس إذا خرجت قبل الإسلام جاز أخذ ترابها للسماد وهي ما يصلح به الزرع من تراب ونحوه.

وقال ميرزا حسين النوري (رحمه الله) في نفس الرحمٰن في أحوال سلمان: والنواويس مقابر النصارى كما في حواشي الكفعمي وسمعنا أنها في المكان الذي فيه مزار الحر بن يزيد الرياحي من شاطئ الطف وهو ما بين المغرب وشمال البلد وهذه اللفظة كثر استعمالها في ألفاظ روات القصص القديمة فيقول بعضهم: رأيت ناووساً كذا صفته، ويقول آخر: دخلت ناووس كذا.

وقال هبة الدين الشهرستاني في كتاب نهضة الحسين «عليه السلام»[٢]: ثم النواويس وكانت مقبرة عامة قبل الفتح الإسلامي، إنتهى.

وهنا قصة تفسر لنا الناووس نسوقها بطولها: قال القاضي التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة[٣]: حدثني إبراهيم بن علي النصيبي قال: حدثني إبراهيم بن علي الصفار شيخ كان جاراً لنا بنصيبين قال: خرجت من نصيبين بسيف نفيس كنت ورثته عن أبي أقصد به عباس بن عمرو السلمي أمير ديار ربيعة وهو برأس العين لأُهديه له وأستجديه بذلك، فصحبني في الطريق شيخ من شيوخ الأعراب فسألني عن أمري فأنست به وحدثته الحديث وكنا قد قربنا من العين، فدخلنا وأفترقنا وكان يجيئني ويراعيني ويظهر لي أنه مسلم علي وانه يبرني بالقصد ويسألني عن حالي فأخبرته أن الأمير قبل هديتي وأجازني بألف درهم وثياب وإني أُريد الخروج يوم كذا وكذا.

فلما كان ذلك اليوم خرجت من البلد راكباً حماراً فلما أصحرت إذا بالشيخ

---

(١) المغرب ٢/ ٢٣٣.
(٢) نهضة الحسين عليه السلام: ص٦٦.
(٣) الفرج بعد الشدة ٢/ ٥٦ طبع مصر.

على دويبة ضعيفة متقلداً سيفاً فحين رأيته أستربت منه وأنكرته ورأيت الشر في عينيه، فقلت: ما تصنع هاهنا؟ فقال: قضيت حوائجي وأُريد الرجوع وصحبتك آثر عندي من صحبة غيرك، فقلت: على إسم الله، وما زلت متحذراً منه وهو مجتهد أن أدنو منه فلا أفعل، فكلما دنا مني بعدت عنه إلى أن سرنا شيئاً يسيراً وليس معنا ثالث فقصر عني وأحتثث الحمار لأفوته فما حسيت إلا بركضه، فالتفت فإذا هو قد جرد سيفه وقصدني، فرميت بنفسي عن الحمار وعدوت، فلما خاف أن أفوته صاح: يا أبا القاسم إنما مزحت معك، فلم ألتفت إليه فقرع دابته وزاد في التحريك وبان لي ناووس فطلبته وكاد الأعرابي أن يلحق بي فدخلت الناووس وراء بابه.

قال: ومن صفات تلك النواويس أنها مبنية بالحجارة وباب كل ناووس حجر واحد عظيم قد نقر وجفف وملس فلا تستمكن اليد منه وله في وجهه حلقة وليس من داخله شيء تتعلق اليد به وإنما يدفع من خارج فينفتح فيدخل إليه وإذا خرج منه وجذبت الحلقة أنغلق الباب وتمكن إردامه من ورائه فلم يمكن فتحه من داخل.

قال: فحين دخلت الناووس وقفت خلف بابه وجاء الأعرابي فشد دابته في حلقة ودخل يريدني مخترطاً سيفه والناووس مظلم فلم يرني ومشى إلى صدر الناووس فخرجت أنا من خلف الباب وجذبته معي حتى صار الباب مردوداً وحصلت الحلقة في رده هناك وحللت الدابة وركبتها، فجاء الأعرابي إلى باب الناووس فرأى الموت عياناً فقال: يا أبا القاسم! أتق الله في أمري فإنني أتلف.

قلت له: تتلف أنت أهون من أتلف أنا، قال: فأخرجني وأعطيك أماناً وأستوثق مني بالأيمان أني لا أتعرض لك بسوء أبداً، وذكر الحرمة التي بيننا، قلت: لم ترعها أنت وأيمانك فاجرة لا أثق بها في تلف نفسي، فأخذ يكرر الكلام، فقلت له: لا تهذي هو ذا أركب دابتك وأجنب حماري والوعد بيننا بعد أيام هاهنا فلا تبرح حتى أجيء، وإن احتجت إلى طعام فعليك بجيف العوج فنعم الطعام لك، وأخذت ألهو به وركبت دابته وجنّبت دابتي ووجدت على دابته خرجاً فيه ثياب يسيرة.

فجئت إلى نصيبين فبعث الثياب وكانت دابته شهباء فصيرتها دهماء وبعتها لئلا يعرف صاحبها فأطلب بالرجل وأتفق أنه أشتراه رجل من المحتاجين وكفيت أمره وأنكتمت القصة.

فلما كان أكثر من سنة عرض لي الخروج إلى رأس العين فخرجت في ذلك

الطريق فلما لاح لي الناووس تذكرت فقلت: أعدل إلى الناووس وأنظر إلى ما صار إليه أمره، فجئت إلى بابه فإذا بابه كما تركته ففتحته ودخلت فإذا أنا بالأعرابي وقد صار رمة، فلا زلت أحمد الله وأشكره عز وجل على السلامة ثم حركته برجلي وقلت على سبيل العبث: ما خبرك يا فلان؟ فإذا صوت شيء يتخشخش ففتشته فإذا هميان فأخذته وأخذت سيفه وخرجت ففتحت الهيمان فإذا فيه خمسمائة درهم، وبعث السيف بعد ذلك بجملة دراهم، إنتهى.

ولهذه الحكاية أخوات لا يحتملها الكتاب وهي تصف لنا الناووس وأنه من مقابر الكفار الذين يعبر عنهم العرب المسلمون بالعلوج لأن العلج عندهم الكافر الأعجمي من أي لسان كان.

وإذا عرفت هذا فأعرف كلام الحسين «عليه السلام» في خطبته المشهورة التي خطبها بمكة حين عز على المسير إلى العراق «كأني بأوصالي تتناهبها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء» ولم أجد أحداً من الشعراء من ذكر النواويس ولكن ذكرتها أنا بقولي:

فسار عن البيت الحرام فديته يؤم بلاد الغدر بالأهل والثقل
تحف به من خيرة الله فتية مساعير حرب من شباب ومن كهل
أبوهم علي ليث كل كريهة وكل مزايا الليث تودع في الشبل
إلى أن أناخت في النواويس عيسهم أتتهم جيوش من أُمية كالنمل

وهي قصيدة في مرثية الحسين «عليه السلام» وقلت أيضاً:

عند النواويس أجساد موزعة من آل ياسين في صال من البيد
فيهم عزيز رسول الله منجدل على الصعيد ثلاثاً غير ملحود
ورأسه وهو رأس الفخر مرتفع يتلو من الكهف آيات على الميد
وكل رأس تلاه من أحبته كأنه فرقد في رأس أملود

عقر كربلاء وعقر بابل

هنا قريتان: عقر كربلاء، وعقر بابل، أو عقر الملك كما سماها الطبري، وأختلط على ياقوت الحموي ومقلديه فخلطوا بين العقرين وأنا أقوم إن شاء الله بإيضاح هذا الغلط بعد إيراد كلام من صدر منه وأُقيم الأدلة على كشفه وبيانه بما تتجلى به الحقيقة ويذهب الشك إذا كان البحث لا يلزمنا بأتباع الشخصية ولا

يرضى لنا أن نقول قال فلان، ولا يجوز لنا تقليد المخطئ أياً كان إنما يلزمنا بأتباع الصواب وتقليد الحقيقة الواضحة خصوصاً في بلادنا فأنا أعرف بها من غيرنا.

أول من خلط في ذلك الحموي في معجم البلدان فظن أن عقر بابل هي بعينها عقر نينوى نظراً للمروي في مقتل الحسين «عليه السلام» وأنه قال: ما إسم هذه القرية؟ قالوا: العقر، فقال: نعوذ بالله من العقر، وقد كان الحموي يسمع أن في بابل عقراً فظنه هذا، فقال: وبه قتل يزيد بن المهلب، وتبعه على هذا الوهم جماعة من المؤرخين مثل القاضي أبن خلكان في وفيات الأعيان في ترجمة يزيد بن المهلب وغيره ممن قارب عصرنا ومن يعد نفسه متبحراً متبعاً لمن سبقه ولا عذر للعراقي أن يجهل بلاده ما يجهل الرومي والتركي، وكنت كثيراً أتعجب له يقلد في التعريف ببلاده وهو يستطيع العلم أختباراً لا تقليداً.

والتحقيق أن بالعراق عقر ين: عقر كربلاء وعقر بابل، وتسمى أيضاً عقر الملك، والدليل أن عقر بابل غير عقر كربلاء أن البابلية محاطة بأنهار ومياه، والكربلائية محاطة بمفازة وبيداء سوى نهر يمر بها يسقي بساتينها ونحرر للتفرقة بينهما أُمور:

أحدها: كثرة المياه في الموضع الذي قتل فيه أبن المهلب لما ذكر في مقتله من كثرة الجسور. ولو كان في البقعة التي أستشهد عندها الحسين «عليه السلام» جسور على أنهار لما عطش الحسين «عليه السلام» وإنما عطش لأن في كربلاء نهر واحد صغير نزل على ضفته الأعداء وأوثقوا الأستحكام على شرائعه وذلك النهر لا يكون أكبر من نهر الحسينية بكثير ولو أُحرق جسره أو قطع لا يعوق المنهزم لإمكان خوضه وسعة البادية في جانبيه بخلاف العقر الذي تحيط به أنهار كثيرة بحيث تمنع المنهزم بغزارة مائها وكثرتها، أما جدول العلقمي وفروعه الصغيرة لا تصد منهزماً ولا تحول بينه وبين الفرار لسهولة خوضه واقتراب ضفتيه بعضهما من بعض.

ثانيهما: إن مسير أبن المهلب كان من واسط أو قضاء الحي الحالي إلى العقر على الطريق الذي يوصل إلى الحلة من طريق عفك والدغارة فالديوانية فأراضي الشافعية فعقر بابل.

ثالثها: الحرس الذي أقامه بنو أُمية في النخيلة (جسر العباسيات) يمنع أهل الكوفة من نجدة أبن المهلب يعين أن مقتله في عقر الشامية لأن طريق من أنجده

من أهل الكوفة النخيلة ولو كانت عقر كربلاء لتركوا طريق النخيلة وتسربوا إلى نجدته من الظهر ظهر الكوفة النجف الأشرف على موضع خان الحماد أو خان جضعان فذاك مسلك فسيح وطريق واسع لا تتسلط عليه قوة الحرس الذي بالنخيلة.

رابعها: إن العباس آبن الوليد أحد قواد جيش بني أُمية نزل بسورا وسورا هي الهاشمية أو الجربوعية الحالية وفراتها يسمى لذلك نهر سورا وتطلق سورا على كافة أراضي العذار فإذا كان جيش بن أُمية في الهاشمية فآبن المهلب في عقر الشامية وما أبعد ما بين الجربوعية وكربلاء في جيشين ملتحمين في الحرب.

خامسها: إن قائد القوات الأموية الأول مسلمة بن عبد الملك المرواني بعد ظفره بابن المهلب عاد فنزل الحيرة الطريق من الشامية إلى الحيرة (أو الجعارة) على أبي صخير معروف ولو كان من كربلاء لما تجاوز الكوفة.

سادسها: إن قواد بني أُمية لما أقبلوا لحرب آبن المهلب أقبلوا على خط الفرات من هيت وعانة فالرمادي إلى الأنبار فعقدوا الجسر وعبروا منه إلى الجزيرة ولو كان مركز آبن المهلب في كربلاء ما أحتاجوا إلى عقد جسر ولساروا على ضفاف الفرات الغربي حتى يصلوا على كربلاء فأي فائدة من هذا العناء بعقد جسر لعبروا منه ثم يعقدوا مرة أُخرى جسراً يعبروا به إلى ملاقات عدوهم؟!

كل هذه المرجحات يستبين منها جلياً أن عقر التي قتل عندها آبن المهلب هي عقر المهناوية لا عقر الطفوف وهذا إسمها إلى اليوم عقر (عكر) وهي مشهورة بغزارة المياه وجودة الأُرز وكثرة الصيد من أسماك وطيور وهي تابعة لقضاء الشامية لواء الديوانية وهي كثيرة المياه صالحة لأن تعقد عليها جسور كثيرة للعبور عليها لكثرة أنهارها وأتساع فوهاتها وغزارة مياهها.

فإذا عرفت هذا عرفت خطأ الحموي وابن خلكان ومن أتبعهما أتباع الأعمى لقائده إذ ربما تردى في هوة فسقطا جميعاً.

وهناك إشارة من الإمام الحسين «عليه السلام» إليها بقوله «ما تسمى هذه» هي قرية قريبة من منزله قرب الغاضرية ونينوى واقعة على ضفاف جدول العلقمي ولا تليق لعقد الجسور عليها و«ذا» و«ذه» يشار بهما إلى الحاضر القريب وتزاد فيهما الهاء فيقال: هذا وهذه كما صرح به بدر الدين في شرح الألفية.

على أن أكثر المقاتل لم تذكر العقر والتحقيق كما ذكرنا أن في العراق عقرين: عقر في بادية كربلاء على ضفاف العلقمي، وعقر في المستنقع الطامي بين

أراضي الشامية والحلة وهو من أراضي الشامية والطريق إليها غير الطريق الذي يصفه المسعودي وهو كما ذكره لي بعض الخبراء بتلك الأرض وهذا لفظه العامي السائر إليها من الكوفة يتجه جنوباً شرقياً فأول مرحلة يمر بها قرية أبو شورة وهي ناحية تابعة لقضاء الشامية فإذا أجتازها مر بقرية الصليحية وهي ناحية أيضاً وعشائرها هم بنو حسن، وإذا أجتازها مر بقرية المهناوية وعشائرها آل فتلة، ثم قرية (عكر) العقر وعشائرها يقال لهم الكرد، ثم بلدة الشامية المعروفة أولاً بالحميدية قريبة من أُم البعرور المضمحلة، و(عكر) العقر نهر أو شط كما يقال اليوم عظيم صدره من الفرات المسمى أبو أجفوف و (بزايزه) يريد مصب مياهه أو (مبزله) في المستنقع العظيم (البرقة) المسمات بالسلهوة بين قضاء الشامية ولواء الديوانية والحلة، إنتهى كلام هذا.

ويصفه لي خبير من خطباء المنبر الحسيني وكان يتردد إلى تلك الأراضي وخاصة قرية ساقان (ساكان) القريبة من (عكر) العقر يقول (تل عكر) مشرف يسمى عند العوام (أيشان) عكر والسائر إليه من الكوفة يعبر جسر الكوفة الحالي ثم يتجه مشرقاً إلى قرية أبو شورة وهي الآن ناحية تابعة لقضاء أبو صخير[١] ثم يركب في أحد السفن الراسية على ضفاف نهر القرية ثم يمضي في الشط الكبير وهو أبو اچفوف حتى ينتهي إلى نهر (أبو سمچ) وهو فرع من شط أبو اچفوف فيمضي في ذلك النهر مقدار نصف ساعة فيصل إلى (أيشان عكر) وهو محاط بالنخل وفيه قرية أبنيتها من القصيب وجريد النخل (صرايف) يسكنها كثير من أهل النجف والكوفة وغيرهم من العشائر وهو يأتي من قرب ناحية الصليحية التابعة لقضاء الشامية، وعند وصوله نهر (أبو سمچ) إلى (أيشان عكر) ينفصل فرع منه يقال له نهر أغضيب على جهة اليمين ينحدر على بعض أراضي الكرد والسادة آل أبو جميع وهم بالقرب من (أيشان عكر) مقابلون له، والفرع الثاني على جهة اليسار ينحدر أيضاً على أراضي الكرد عليه عامة عشائر الكرد، إنتهى.

أما الكاتب المعاصر الأُستاذ محمد علي جعفر التميمي فنصه في كتاب قلب الفرات الأوسط[٢] في قبيلة الكرد بذكر تنقلهم في المواطن يقول: ثم أنتقلوا إلى (عكر) الواقعة في ناحية الصلاحية كما هي منازلهم اليوم وهم أحلاف آل فتله.

أما المعاصر الآخر عبد الجبار فارس في كتابه عامان في الفرات الأوسط فيقول: الشطر الأيسر من شط الهندية يسمى شط الشامية يذهب إلى العباسيات

(١) الصحيح تابعة لقضاء الشامية.
(٢) قلب الفرات الأوسط ١/ ١٩٢.

فالشامية وبطريقه يسقي هور الدخن والصليحية بواسطة أنهر تنشعب منه أكبرها نهر آل شمخي ـ نهر الچبچان ـ المهناوية ـ وعكر وتصب هذه الأنهر جميعاً في هور أبن نجم، الخ.

والمعاصر الثالث السيد عبد الرزاق الحسني في موجز تاريخ البلدان العراقية ونص ما قاله في تقسيم مياه لواء الديوانية[١]: إن نهر (عكر) هذا كان قديماً أصلحته الحكومة بعد خرابه، قال: يدخل شط أبو أچفوف أراضي قضاء الشامية تتفرع من ضفتيه عدة شعب أهمها نهر الأعمى الذي يسقي أراضي الصليحية ويذهب إلى هور أبن نجم فتسقي مياهه مقاطعة أبو تين ويصب أخيراً في (النكارة) النقارة، وشط الأعمى هذا نهر قديم أندرس بزوال الأهتمام بالزراعة وقد أعادت الحكومة فتحه عام ١٩٢٧، ومنها نهر آل شمخي وچبچان والمهناوية وعكر كلها تصب في هور أبن نجم الذي ينتهي في النكارة الخ.

فهذا نهر عكر سمي كذلك لمروره بتل عقر (أيشان عكر) بلغة العوام وهذا التل يترجم عمران القرية القديم ويعرب بإنقاضه المتكدسة بالأتربة عن عمارة قديمة تسمى بعقر بابل مرة وعقر الملك أُخرى، وهذه المياه هي تلك المياه وإن تغيرت بعض مجاريها واختلف توجيه فيضانها إلى ما تقتضيه المصلحة الوقتية من انحراف، وليست هذه الأوصاف التي سمعتها بملائمة لحصاة كربلاء.

والآن نورد نصوص القدماء:

قال الفيروزآبادي في القاموس: العقر قرب الكوفة وموضع بدجيل وأُخرى من ناحية الدسكور منه أبو الدر لؤلؤ بن أبي الكرد بن لؤلؤ وبلدة بلحف جبل حمرين وأرض ببلاد قيس وموضع ببلاد بجيلة وقلعة بالموصل، إنتهى.

أما الحموي فيقول في معجم البلدان[٢]: العقر ـ بفتح أوله وسكون ثانيه ـ قال الخليل: سمعت أعرابياً من أهل الصمان يقول: كل فرجة بين جبلين فهي عقر[٣].

قال الحموي: إن ذكر عدة مواضع تسمى القعر منها عقر بابل قريب كربلاء من الكوفة وقد روي أن الحسين لما إنتهى إلى كربلاء واحاطت به خيل عبيد الله

---

(١) موجز تاريخ البلدان العراقية: ص٨٥.
(٢) معجم البلدان ٦/ ١٩٤.
(٣) كذلك تقول معدان لواء البصرة والعمارة للفرج بين الأهوار عكر، وللفرجة بين هورين عكرة.

بن زياد قال: ما إسم تلك القرية وأشار إلى العقر؟ فقال: إسمها العقر، قال: نعوذ بالله من العقر، فما إسم هذه القرية التي نحن فيها؟ قالوا: كربلاء، قال: أرض كرب وبلاء، وأراد الخروج منها فمنع حتى كان من أمره ما كان، وقتل عندها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة سنة ١٠٣ هـ وكان قد خلع طاعة بني أُمية ودعا إلى نفسه وأطاعه أهل البصرة وأهل الأهوار وفارس وواسط وخرج في مائة وعشرين ألف فندب له يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة فواقعه بالعقر من أرض بابل فأنجلت الحرب عن قتل يزيد بن المهلب، الخ.

وتبعه على هذا الغلط القاضي شمس الدين أبن خلكان في وفيات الأعيان في ترجمة يزيد بن المهلب[١] قال: فسار حتى نزل العقر، قلت: هي عقر بابل وهي قرب الكوفة بالقرب من كربلاء الموضع الذي قتل فيه الحسين «عليه السلام» الخ.

وأقتفى أثرهما صاحب تاريخ الكوفة لأنه أقتصر على عبارة الحموي في تاريخه[٢] ولم يتحقق ما ينبغي لمثله التثبت فيه، ولا لوم على الحموي لأنه رجل رومي غريب عن العراق لم تكن له خبرة المتوطن ولا علم الساكن، والبعيد النائي يعول على السماع ويكتفي بالنقل، ورأى في مسير الحسين «عليه السلام» ما ذكره آنفاً ولم يعرف غيره والتاريخ يخبره بقتل أبن المهلب بالعقر التي هي واحدة في ظنه ولم يفصل له خبير من العراق أن هناك عقرين: أحدهما في شمال الكوفة ومن قرى كربلاء، وأُخرى في جنوب الكوفة هكذا:

واسط	عقر بابل	عقر كربلاء
كوفة	كربلاء	

وقد أستدرك العلماء على الحموي كثيراً وقد عرفت أن أكثر المقاتل لم تذكر عقر كربلاء في مسير الحسين «عليه السلام» والذي يوضح ما ندعيه من نصوص العلماء وكلمات المؤرخين ومنها التفرقة بين قتل الحسين «عليه السلام» بالطفوف وقتل أبن المهلب بالعقر.

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء وابن خلكان في وفيات الأعيان وأبو الفرج

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٤٢٦.
(٢) تاريخ الكوفة: ص١٥٣ طبع النجف.

في الأغاني ولفظه[١]: عن حفص الأموي قال: كنت أختلف كثير ـ يعني الشاعر ـ أروي شعره، قال: فوالله إني لعنده يوماً إذ وقف عليه واقف فقال: قتل آل المهلب بالعقر، فقال: ما أجل الخطب! ضحىٰ آل أبي سفيان بالدين يوم الطف وضحىٰ بنو مروان بالكرم يوم العقر ثم أنتضحت عيناه باكياً، فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فدعا به فلما دخل عليه قال: عليك لعنة الله! أترابية وعصبية وجعل يضحك منه، إنتهى.

وهذا نص في أن العقر التي قتل عندها آل المهلب غير عقر الطفوف، وسنأتي على بقية النصوص التي تعين لك أنها غير عقر كربلاء.

واتفق المؤرخون أن أحد المعسكرين كان على سورا وسورا نهر الجربوعية.

قال المسعودي في التنبيه والإشراف[٢] يصف الفرات: ثم ينقسم الفرات إلى جهتين: قسم منها يتوجه مسيراً إلى المغرب يسمى العلقمي يمر بالكوفة وغيرها، والقسم الآخر يسمى سورا يمر بمدينة سورا إلى النيل والطفوف، الخ.

لا يعني طفوف كربلاء فقد كان ذلك يمر به العلقمي وإنما عنى به نيل الحلة نهر المحاويل الحالي والطفوف طفوف الحلة.

والذي يعول عليه في معرفة البقاع تماماً هو الطبري المؤرخ فإنه يضع الأشياء مواضعها وما ذكر موضعاً في العراق في تاريخه إلا وعرفت أين هو، وهذه ألفاظه في حادثة آل المهلب من تاريخه[٣]: إن يزيد بن المهلب أستخلف على واسط حين أراد الشخوص عنها للقاء مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد ابنه معاوية وجعل عنده بيت المال والخزائن والأُسراء فقدم بين يديه أخاه عبد الملك ثم سار حتى مر بفم النيل ثم سار حتى نزل العقر وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات حتى نزل الأنبار ثم عقد عليها الجسر فعبر من قبل قرية يقال لها فارط ثم أقبل حتى نزل على يزيد بن المهلب وقدم يزيد أخاه نحو الكوفة فأستقبله العباس بن الوليد بسورا فأصطفوا فأقتتل القوم فشد عليهم أهل البصرة شدة كشفوهم فيها وقد كان معهم ناس من بني تميم وقيس ممن أنهزم من يزيد من البصرة فكانت لهم جماعة حسنة مع العباس فيهم هريم بن أبي طحمة المجاشعي فلما أنكشف أهل الشام تلك الانكشافة ناداهم هريم بن أبي طحمة: يا أهل الشام! الله الله أن تسلمونا وقد أضطرهم أصحاب عبد الملك إلى نهر فأخذوا ينادونه: لا بأس عليك

---

(١) الأغاني ٨/ ٣٤.
(٢) التنبيه والإشراف: ص ٤٧.
(٣) تاريخ الطبري ٨/ ١٥١.

إن لأهل الشام جولة في أول القتال أتاك الغوث، ثم إن أهل الشام كروا عليهم فكشف أصحاب عبد الملك وقتل المنتوف من بكر بن وائل مولى لهم الخ، وفيما ذكر الطبري هنا ثلاث دلائل تؤيد ما نقول:

قوله: «قدم أخاه عبد الملك إلى الكوفة» ولو كانت عقر كربلاء لقال آخره في الكوفة أورده إلى الكوفة وهذا بين أنه نزل العقر التي هي في الشامية فيتقدم أخاه إلى الكوفة ليتحملها قبل أن يتحملها جيش الامويين.

وقوله: «استقبله العباس بين الوليد في سورا» وهو نهر الحلة والجربوعية حتى عند الحموي.

الثالث: قوله «اضطروهم إلى نهر» ولو كان في كربلاء لقال إلى نهر العلقمي إذ ليس غيره فيها.

ودلالة رابعة: عبور الجيش الشامي من الأنبار والقاصد إلى كربلاء غنى عن العبور وعقد الجسور.

ثم قال الطبري[١]: وجاء عبد الملك ٱبن المهلب حتى إنتهى إلى أخيه العقر وأمر عبد الله بن حيان العبدي فعبر إلى جانب الصراة الأقصى وكان الجسر بينه وبينه ونزل هو وعسكره وجمع من جموع يزيد وخندق عليه وقطع مسلمة إليهم الماء وسعيد بن عمرو الحرشي ويقال عبر إليهم الوضاح فكانوا بإزائهم الخ.

وهذه الأمكنة وهي النيل في القضية الأُولى وسورا والصراة في الثانية لا يختلف ياقوت عن غيره في أنها كلها من نواحي الحلة.

أما النيل فمعروف إلى اليوم بهذا الاسم شمالي الحلة عند خان المحاويل.

وأما الصراة فهذا لفظ الياقوت في المعجم[٢]: صراة جاماسب تستمد من الفرات بني يوسف مدينة النيل.

وقال[٣]: النيل بكسر أوله بلفظ النيل الذي يصبغ به الثياب في مواضع أحدها بليدة في سواد الكوفة قريبة من حلة بني مزبد يخترقها خليج كبير يختلج من الفرات الكبير حفره الحجاج بن يوسف وسماه بنيل مصر، وقيل: إن النيل هذا يستمد من صرة جاماسب، إنتهى.

قال الطبري[٤]: كان عبد الحميد ٱبن عبد الرحمٰن قد عسكر بالنخيلة وبعث

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ١٥٢.
(٢) معجم البلدان ٦/ ٣٥٩.
(٣) معجم البلدان ٨/ ٣٦٠.
(٤) تاريخ الطبري ٨/ ١٥٣.

إلى المياه فبثقها فيما بين الكوفة وبين يزيد بن المهلب لئلا يصل إلى الكوفة، ووضع على الكوفة مناظر وأرصاداً للتجسس لأهل الكوفة عن الخروج إلى يزيد.

وهذه كلها تعين أن العقر ما ذكرنا لا عقر الغاضرية وإلا فأي فائدة في بثق الأنهار وطريق النجف بادية جافة لا تعلو سطحها الأنهار والمياه، ثم كيف يدع ٱبن المهلب الكوفة خلف ظهره وهي مصر العراق وعاصمته الأُولى ولم يقوها بجيش وهو محتاج إلى إمدادها إياه؟ ثم كيف لا يستقبل الجيش في نواحي الأنبار ليصده عن مقصده وهو بكربلاء؟ وكيف لا يستدبره وقد تقدم إلى تلك الأراضي وتوغل فيها؟ كل هذا لم يكن وما وصل ٱبن المهلب إلى كربلاء ومن ادعاه فهو جاهل كائناً من كان.

قال ٱبن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: فسار يزيد بن المهلب من البصرة وقدم واسطاً وأقام بها أياماً ثم سار عنها فنزل العقر واشتملت جريدة عسكره على مائة وعشرين ألف وقدم مسلمة بجيوش أهل الشام فلما ترائى العسكران وشبث الحرب أمر مسلمة قائداً من قواده فأحرق الجسور التي كان عقدها يزيد بن المهلب، فلما رأى أهل العراق الدخان قد علا انهزموا، الخ.

وكل هذه القرائن تعين أن قتل ٱبن المهلب في أراضي الشامية ولم يصل إلى الكوفة ولم يراها، وأراد أحتلالها بأخيه عبد الملك قصدته قوة أهل الشام واحتلها الجيش الشامي ووضعوا عليها الإرصاد، ولو ملكها ٱبن المهلب لحصنها وخلف عليها عاملاً قوياً و قائداً شجاعاً كما فعل بواسط وكانت له أقوى عدة يمد برجالها جيشه وبالحبوب وحيوانات النقل جنوده ثم هي له معقل إن انسحب إليها تحصن بها لأن الكوفة في ذلك العصر عين مدن العراق والباقية تبع لها وهي أغنى مدينة بخيراتها وكثرة مرافقها وقوة الجيش بها وهي المركز الحربي الإسلامي في تلك الأزمنة منها توزع الجيوش الغازية على الثغور وليس من الحيطة الحربية أن يتركها ويذهب إلى كربلاء ويدعها مكشوفة لغزو أعدائه من الأمويين وفيها عمالهم يجبون الخراج ويجندون الرجال ويمدون جيوش أهل الشام بالعدة الكافية من المراكب والأسلحة والمؤن وهو من مشاهير القواد أهل الخبرة والتجربة وقد شب وشاب في الحروب، وأوقىٰ شواهدنا على مدعانا سورا والصراة الذين التقى عندهما الجيشان وهما من نواحي الجربوعية.

واتصال ماء سورا بماء العقر (عكر) لا ريب فيه في ذلك الوقت وهذا ما حققه ٱبن واضح اليعقوبي في كتاب البلدان في ذكر قصر ٱبن هبيرة بقوله: وعلى

مقربة منه بلدة الهاشمية التي هي الجربوعية الحالية إنما تحول إسمها لكثرة اليرابيع فيها، وهذا لفظه[١]: وهي نهر يأخذ من الفرات يقال له الصراة، وبين قصر ٱبن هبيرة ومعظم الفرات مقدار ميلين إلى جسر على معظم الفرات يقال له جسر سورا، ومن قصر ٱبن هبيرة إلى موضع يقال له سوق أسد غربي الفرات في الطسوج الذي يقال له الفلوجة، ومن سوق أسد إلى الكوفة، الخ.

وأصرح وأوضح قول الطبري في تاريخه في أخبار شبيب الخارجي الشيباني رأس الصفرية وهذا نصه[٢]: ثم أخذ بهم ـ يعني شبيباً ـ نحو الكوفة فسار في أول الليل حتى نزل عقر الملك الذي يلي قصر ٱبن هبيرة، الخ.

ومثله أو قريباً منه ما حكاه البكري في معجم ما أستعجم عن الخليل بن أحمد وهذا نصه[٣]: والعقر أيضاً عقر بابل، قال الخليل: هو بين واسط وبغداد وفيه قتل يزيد بن المهلب الخارج على يزيد بن عاتكة، قال جرير فيهم:

تهوي لدى العقر أقحافاً جماجمها كأنها الحنظل الخطبان ينقفُ

وكانوا يقولون ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء وضحى بنو مروان بالمروة يوم العقر يعنون قتل الحسين «عليه السلام» بكربلاء وقتل يزيد بن المهلب بالعقر، الخ.

ثم إنه صلب بجسر بابل ولو قتل بعقر لما كان للرجوع إلى الحلة معنى حتى يصلب، وهذا ما قاله محمد بن حبيب النسابة البصري في كتاب المحبر[٤]: وصلب مسلمة بن عبد الملك في خلافة يزيد بن عبد الملك يزيد بن المهلب بن أبي صفرة بجسر بابل وعلق معه خنزيراً وسمكة وزق خمر، إنتهى.

وكل من وقف على ما ذكرناه من الدلائل لا يشك في غلط الحموي وأتباعه، ويستوضح جلياً أن عقر كربلاء غير عقر بابل.

ولم أجد من ذكر عقر كربلاء في شعره ولا في مراثي الحسين «عليه السلام»، فالمؤلف يذكرها بقوله:

فسل عقر الطفوف تجد لديه تفاصيلاً لفاجعة الطفوف
غداة ٱبن النبي أناخ فيه بثقل الوحي والنسل الشريف
ولم تصدقه كوفان بوعد وفي الأمثال كوفي ليس يوفي

---

(١) كتاب البلدان: ص٧٣.
(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٢٣٠.
(٣) معجم ما استعجم ٣/ ٩٥٠.
(٤) المحبر: ص٤٨٣.

لقد غروا ٱبن فاطم حين قالوا ... له أقدم فجندك بالألوف
وأصبح ذلك الجند المعبى ... عليه لا له عند المخوف
وجاء يقوده عمر بن سعد ... عديم الدين ذو العقل السخيف

أبيات لبعض العرب يرثي بها قوماً منهم شطرها المؤلف وزاد فيها وجعلها في شهيد كربلاء الحسين ريحانة رسول الله ﷺ وعلى كل شطر من شعر ذاك العربي خط يعرف به[1]:

ألا في سبيل الله ماذا تضمنت ... **ربى نينوى أو ما حوى الطف والعقر**
بهاليل من بيت النبوة أُودعوا ... بطون الثرى واستودع البلد القفر
بدور إذا الدنيا دجت أشرقت بهم ... **وهم نور هذا الكون لا الشمس والبدر**
وهم زينة الدينا وهم غوث أهلها ... وإن أجدبت يوماً فأيديهموا قطر
فيا شامتاً بالموت لا تشمتن بهم ... ففي مثل محيي المجد لا يشمت الحر
تلقى دروس المجد عنهم فإنما ... حياتهموا فخر وموتهم ذكر
حياتهموا كانت لأعدائهم عمى ... **فظلت أمي الرشد إذ قادها الكفر**
حياة بني الهادي لذي الدين عصمة ... وموتهموا للفاخرين بهم فخر
أقاموا بظهر الأرض فاخضرّ عودها ... **وزانت بهم أمصارها وزها البر**
ومذ سكنوا في كربلاء جدث الثرى ... وصاروا ببطن الأرض فأستوحش الظهر
فيا أيها الأحرار نوحوا بلوعة ... على مثل من سن الإبا يعول الحر
فإن الحسين السبط أبقى بكربلا ... تعاليم للأحرار خلدها الدهر
بجامعة الآباد تتلى دروسها ... ليقرأها الحر الذي عضه القسر
صحائفها بيض الصفاح ولم تكن ... قراطيس يمحى من كتابتها سطر
لقد ترجموها للأبيين نهضة ... لها قلم ماضي الشبا والدما حبر
لكلية الأجيال فيها دراسة ... وقد حررت منهاجها اللدن السمر
إذا طالبتني النفس بالصبر سلوة ... أقول لها ميعاد سلوتك الحشر

---

(١) هذا كلام المؤلف الشيخ المظفّر «قدس سره» في الطبعة الأولىٰ، ونحن غيرّنا حروف الأشطر التي وضع عليها المؤلف الخطوط حتىٰ نميزها عن التشطير علماً أن الشطر الأول هو من شعر ذاك العربي ـ الناشر ـ.

أبعد أبن بنت المصطفى أترك البكا وفي القلب وقد لا يبوخ له جمر
سأذرف من عيني الدما ساعة البكا إذا خانها من دمعها المالح المر
إذا كنت في عشر المحرم نادباً ألا كل أيامي لحزني لهم عشر

من قرى كربلاء عند نزول الحسين «عليه السلام» بها «شفية»:

ولم يضبط لفظها ضبطاً دقيقاً فإنها وردت في حديث نزول الحسين «عليه السلام» بكربلاء وسماها بعضهم «السقبة» بالسين المهملة والقاف المنقطة بنقطتين ثم الباء المنقطة بواحدة من تحت، ومن هؤلاء الدينوري.

ومنهم من سماها «الشفية» بالشين المعجمة المنطة بثلاث ثم فاء منقطة بواحدة ثم ياء منقطة بأثنين، ومن هؤلاء الطبري المؤرخ، وهذا لفظه[١]: وأخذ الحر بن يزيد القوم بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا قرية، فقالوا: دعنا ننزل في هذه القرية يعنون نينوى، أو هذه القرية يعنون الغاضرية أو هذه الأُخرى يعنون شفية، فقال: لا والله لا أستطيع ذلك، هذا رجل قد بعث عيناً عَلَيّ، الخ، وهو بعينه لفظ الشيخ المفيد في الإرشاد، وتبعه الملا عبد الله في مقتل العوالم، والفاضل المجلسي في البحار، وعبد الرحيم اليزدي في مصائب المعصومين[٢] وجميع هؤلاء يصرح أن الحسين «عليه السلام» كان يمتنع على الحر مرة ويسايره أُخرى حتى إنتهى إلى نينوى المكان الذي نزل به الحسين «عليه السلام»، وهذا هو القول الصحيح.

وقيل: شفيته بالشين المعجمة والفاء ثم التاء ثم الياء، وهذا لفظ أورده صاحب النهضة وأحسبه قد تصحف عليه فأنظر كلامه[٣]، والدليل أنها مصحفة إهماله في بقاع كربلاء التي تكلم عنها.

أما أبو حنيفة الدينوري فنصه في الأخبار الطوال بعد أن ذكر أن الحسين «عليه السلام» والحر انتهيا في مسايرتهما إلى نينوى وجاء الراكب إلى الحر بكتاب أبن زياد قال[٤]: فقرأ الحر الكتاب وناوله الحسين «عليه السلام» وقال: لا بد من إنفاذ أمر الأمير عبيد الله أبن زياد فأنزل بهذا المكان ولا تجعل للأمير عَلَيّ علة، فقال الحسين «عليه السلام»: تقدم بنا قليلاً إلى هذه القرية التي هي منا على غلوة

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٢٣٣.
(٢) الإرشاد: ص٢٣٨؛ مقتل العوالم: ص٧٤؛ بحار الأنوار ١٠/ ١٩٨؛ مصائب المعصومين: ص٢٣١.
(٣) نهضة الحسين عليه السلام: ص٦٥. (٤) الأخبار الطوال: ص٢٥٠.

وهي الغاضرية أو هذه الأُخرى التي تسمى السقبة فنزل في إحداهما، فقال الحر: إن الامير كتب إلي أن أحلك على غير ماء ولا بد من الانتهاء إلى أمره، الخ.

وغير هؤلاء من أهل المقاتل لم يذكر شفية ولا العقر، فمن هؤلاء فخر الدين الطريحي (رحمه الله) في المنتخب ولفظه[١]: فساروا جميعاً حتى انتهوا إلى كربلاء إذ وقف جواد الحسين «عليه السلام» الذي تحته فلم ينبعث من تحته وكلما حثه على المسير لم ينبعث خطوة واحدة فنزل عنه وركب غيره فلم ينبعث خطوة، فقال الإمام «عليه السلام»: يا قوم! ما يقال لهذه الأرض؟ فقالوا: نينوى، فقال: هل لها إسم غير هذا؟ قالوا: نعم شاطئ الفرات، فقال: هل لها إسم غير هذا؟ قالوا: نعم تسمى كربلاء، فعند ذلك تنفس الصعداء فقال: هذه أرض كرب وبلاء، الخ.

ومثله في المقتل الصغير المنسوب لأبي مخنف لم يذكر شفية وإن ذكر العقر.

وعلى كل فشفية من قرى كربلاء وإن أهملها أكثر أهل المقاتل وأهملها الحموي ولكن أثبتها من ذكرنا من أعيان العلماء وذكرها أيضاً ابن الأثير في تاريخه[٢].

وحيث أن المؤلف ما وجد شعراً حسينياً يذكر شفية فذكرها بقوله:

سائل شفية من مناخ ابن النبي ... في أرضها الجرداء يفديه أبي
هل حلئته عن الورود بنوا الخنا ... فبقي ثلاثاً ظامئاً لم يشرب
جاء الحديث فصح أن رضيعه ... شفتاه قد ذبلت فما ذنب الصبي
قالوا فقد جفت ثداه بدرها ... لهفي عليه فأصبحت لم تشخب
قالوا أبوه أتى العدى مستسقياً ... للطفل وهو الماجد الشهم الأبي
لم يسعفوه بشربة من مائهم ... أعلاج كوفان لئام المنصب
إن القساوة والفظاظة لازمت ... لؤم الطبائع أو فساد المذهب
لو كان فيهم مسلم أو ماجد ... من نسل عدنان وأُسرة يعرب
لسقوا رضيع ابن النبي فإنه ... لم يجن ما زعموه في شأن الأب
إن ابن سعد وهو قائد جيشهم ... عن آل وقاص بعيد أجنبي

(١) منتخب الطريحي ٢/ ٩٣ طبع الحجر.
(٢) الكامل في التاريخ ٤/ ٢٦ الطبعة الأولى.

سعد بريء من دعي ملصق وإليه طول حياته لم ينسب
نادى بحرملة الشقي مبادراً أجب الحسين برمي سهم صيب
فرمى الصبي بنبلة مسمومة ذبحته في حجر الأبي بن الأبي
ثم أنثنى نحو الخيام بحرقة يذري الدموع كلؤلؤ لم يثقب
نادى بلوعة واجد يا زينب يا لهف نفسي للعقيلة زينب
لما رأته مخضباً بدمائه نادت أخي قل لي فما ذنب الصبي

أقساس مالك:

جائت هذه اللفظة في نزول الحسين «عليه السلام» بكربلاء في مقاتل أبي الفرج الأصبهاني وهذا لفظه[١]: وأقبل «عليه السلام» يسير والحر يسايره ويمنعه من الرجوع من حيث جاء ويمتنع الحسين «عليه السلام» من دخول الكوفة حتى نزل بأقساس مالك، وكتب الحر إلى عبيد الله يعلمه ذلك، الخ.

وقد تفرد أبو الفرج بهذا ومن المستبعد أن تكون من قرى كربلاء وإن جهلنا موضعها تحقيقاً لكنا لا نجهل أنها من المراحل التي بين الكوفة وكربلاء ليست من الكوفة وليست من كربلاء فهى مرحلة فى الطريق تنزلها الجيوش السائرة إلى الشام.

قال البلاذري في فتوح البلدان[٢]: وأقساس مالك نسبت إلى مالك بن قيس بن عبد نهم بن نجم أحد بني حذافة بن أزهر بن أياد بن نزار، الخ، ذكر هذا في ضواحي الكوفة.

وقال الحموي في معجم البلدان[٣]: أقساس قرية بالكوفة أو كورة يقال لها أقساس مالك منسوبة إلى مالك بن عبد نهم بن نجم ـ بالجيم بوزن زفر ـ بن منعة ٱبن برجان بن الدوس بن الديل ٱبن أُمية بن حذافة بن زهير بن أياد بن نزار، والقسي في اللغة تتبع الشيء وطلبه وجمعه أقساس وينسب إلى هذا الموضع أبو محمد يحيى بن محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن الحسين بن علي بن أبي طالب الأقساسي، توفي بالكوفة سنة ٤٧٢ وجماعة من العلويين ينسبون كذلك، إنتهى.

وذكرها الداودي في عمدة الطالب ولم يعين موضعها لكنه قال: قرية من قرى الكوفة.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ص٤٤.
(٢) فتوح البلدان: ص٢٨١.
(٣) معجم البلدان: ١/ ٣١٢.

وعلى كل حال فهي إن لم تكن إلى الكوفة أقرب فليست من قرى كربلاء يقيناً، والمؤلف حيث لم يجدها منظومة في المراثي الحسينية نظمها تمشياً مع رواية الأصفهاني بقوله:

مذ اجتاز آبي الضيم اقساس مالك إلى كربلاء ضاقت رحاب المسالك
عليه فألقى ثقله عند نينوى على خطر مستهدف للمهالك
وأقبل جيش للهدى غير تابع كما أنه للكفر ليس بتارك
وقد قاد ذاك الجيش للطف ملصق دعي وإن ينمى لسعد بن مالك
ولم يترك المشؤوم لله حرمة بهتك بنات الوحي فخر العواتك
ولم يشفه قتل الحسين وصحبه عطاشى وهم أهل التقى والنسائك
ولم يقتنع حتى دعا الرجس خيله وقال أطحني جثمانه بالسنابك
وقال لجند المارقين تناهبي رحال حسين وافعلي ما بدا لك
سيجزي عدو الله شراً بما جنى ويصلى لظى نزاعة للشوائك
وقد جاء في التابوت في النار تسعة من الناس هم منها بضيق المسالك
فمنهم يزيد وابن سعد قرينه ومنهم عبيد الله أتعس هالك

ماء كربلاء القديمة أو نهر العلقمي:

هذا نهر قديم لا يدري من حفره وأجراه ولعله كان أسبق من عصور الأكاسرة وصدره من فوق سدة الهندية قريباً من بلدة المسيب على محاذاة نهر الحسينية الحالي يمر بكربلاء حيث مرقد سيدنا العباس الأكبر بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» فإذا أجتازه إلى قرية نينوى أنعطف متجهاً إلى الجنوب الشرقي إلى قرية برس (أو البرس) وله مخاضه أو معبر بالقرب من ناحية ذي الكفل (الچفل) تعرف بقرية شاهي تحاذي الخان المعروف اليوم بخان الحماد (أو خان النصف) بين النجف وكربلاء ثم يمر بأتجاهه مشرقاً حتى يصل بلدة الكوفة على مسامتة شطها الحديث المسمىٰ بالهندية وهذا النهر هو أحد أنهار الكوفة وأشهرها وعليه تعتمد في شربها وسقي بساتينها ولها أنهار غيره تأتي من الجنوب الشرقي والتي تعرف اليوم بأراضي الشامية وعقر بابل التي عرفتها.

وآثار العلقمي باقية إلى اليوم في جنوب شرقي كربلاء بين الخانين: خان النخيلة وخان الحماد واسمه كذلك عند العامة (العلقمي) مفخمة قافه فهو الآن بين

شط الهندية وشواطئ البادية وقد دمره الوزير مؤيد الدين بن العلقمي، وآل العلقمي أصلهم من أهل هذا النهر سكنوا النيل من الحلة وكان مؤيد الدين وزير الخليفة المستعصم آخر خلفاء بني العباس.

وروي أن الإمام زين العابدين «عليه السلام» دعا عليه فغاض ماؤه وسنذكر ذلك.

أما سبب تسميته بالعلقمي فلم أجد من تعرض لها وإن ذكر بعضهم أنه سمي بذلك بتخريب آبن العلقمي إياه وهذا باطل فإن إسم العلقمي أسبق من ذلك بكثير فقد كان يسمى العلقمي قبل أن يقتل الحسين «عليه السلام» وقد جاء في حديث مقتل الحسين «عليه السلام» في حديث الفلّاح الأسدي الذي أشرنا إليه وسنذكره هنا، إنه قال: كنت زارعاً على نهر العلقمي ولما كان هذا النهر شديد الحلاوة وصفوه بالعلقم المر مبالغة كما يقول قائلهم: أكلت التمر حتى صار مراً في فمي، فالتمر لا يكون مراً أبداً، وقد سموا النيل الأزرق لشدة صفائه ومبالغة في بياضه وصفوه بالزرقة.

وكما قالوا لكثير الشحم من الغنم يبرك في سواد وينام في سواد، ووصفوا الغراب بالأعور لحدة بصره.

قال في الشرح الجلي[1]: فائدة أُخرى: قد تسمي العرب الشيء بأسم ضده لسبب وهو أنهم إما أن يلاحظوا بذلك ويقصدوا به إنه جاوز حده والشيء إذا جاوز حده أنعكس ضده وذلك كتسميتهم الجارية المليحة قبيحة[2] يشيرون أنها قد جاوزت حد الملاحة فيكون ذلك في الباطن من باب المديح وإن كان ظاهره من القبيح، وكتسميتهم النسيم عليلاً إشارة إلى أنه جاوز في الصحة حده.

وكتسميتهم الغراب أعور وذلك لأنه جاوز حد الأبصار حتى قيل إنه يرى الماء تحت الأرض لكن دون رؤية الهدهد، قال الشاعر:

وقد ظلموه حين سموه سيداً ما ظلم الناس الغراب بأعورا

وإما أن يقصدوا بتسميته التفاؤل له بالخير وذلك كقولهم لمن لدغته الحية سليم مع أنه هالك وكقولهم للبرية والبيداء التي يطول فيها المسير ويعدهم فيها الماء أو يقل مفازة مع أنها مهلكة والمفازة من الفوز وهو النجاة، وكتسميتهم

---

(١) شرح الجلي: ص١٢ طبع بيروت.

(٢) من أثر جواري المتوكل العباسي وأحضاهن عنده قبيحة وهي أُم ولد له.

لجماعة المسافرين إذا ذهبوا للسفر قافلة مع أن القفول هو الرجوع والجماعة ذاهبون كل ذلك من تفننهم في لغاتهم، الخ.

فالعلقمي في ظني إنه سمي كذلك لهذا السبب.

أما المروي من قصة نضوب مائه بسببيه فسنذكره، قال فخر الدين بن الطقطقي في الآداب السلطانية الفخري[١]: مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن العلقمي وزير المستعصم آخر خلفاء بني العباس هو أسدي أصلهم من النيل وقبل لجده العلقمي لأنه حفر النهر المسمى بالعلقمي وهو الذي برز الأمر الشريف بحفره وسمي الفازاني، الخ.

ومعناه أنه كراه بعد أن طمه التراب والرواسب لا أنه أستحدثه فإن النهر قديم.

قال فخر الدين الطريحي في المنتخب[٢]: حكي عن رجل أسدي قال: كنت زارعاً على نهر العلقمي بعد أرتحال العسكر عسكر بني أُمية فرأيت عجائباً لا أقدر أحكي إلا بعضها: منها إذا هبت الريح تمر على نفحات كنفحات المسك والعنبر، وإذا سكنت أرى نجوماً تنزل من السماء إلى الأرض ويرقى من الأرض إلى السماء مثلها وأنا منفرد مع عيالي ولا أرى أحداً أسأله عن ذلك.

وعند غروب الشمس يقبل أسد من القبلة فأُولي عنه إلى منزلي فإذا أصبح الصباح وطلعت الشمس وذهبت من منزلي أراه مستقبل القبلة ذاهباً، فقلت في نفسي: إن هؤلاء خوارج قد خرجوا إلى عبيد الله بن زياد فأمر بقتلهم وأرى منهم ما لم أرى من سائر القتلى فوالله هذه الليلة لا بد منا لمساهرة لأبصر هذا الأسد يأكل من هذه الجثث أم لا، فلما صار غروب الشمس وإذا به قد أقبل فحققته فإذا هو هائل المنظر فأرتعدت منه وخطر ببالي إن كان مراده لحوم بني آدم فهو يقصدني وأنا أُحاكي نفسي بهذا ومثله وهو يتخطى القتلى حتى وقف على جسد كأنه الشمس إذا طلعت فبرك عليه، فقلت: يأكل منه، وإذا به يمرغ وجهه عليه وهو يهمهم ويدمدم، فقلت: الله أكبر ما هذه الأعجوبة؟ فجعلت أحرسه.

حتى إذا أعتكر الظلام وإذا بشموع معلقة ملأت الأرض وإذا ببكاء ونحيب ولطم منجمع فقصدت تلك الأصوات فإذا هي تحت الأرض ففهمت من ناع فيهم يقول: واحسيناه! وا إماماه! فأقشعر جلدي، فقربت من الباكي وأقسمت عليه بالله

---

(١) الآداب السلطانية: ص٣٠١.

(٢) المنتخب للطريحي ٢/ ٢٣ طبع الحجر.

وبرسوله من تكون؟ فقال: إنا نساء من الجن، فقلت: وما شأنكن؟ فقلن: في كل يوم وليلة هذا عزاؤنا على الحسين الذبيح العطشان، فقلت: هذا الحسين الذي يجلس عنده الأسد؟ قلن: نعم، الخ.

ولهذا الأسد رسم أثري في شارع من شوارع كربلاء يعرف بعقد الشير، والشير الأسد بالفارسية، وهو شارع في قبلي مرقد الحسين «عليه السلام» بينه وبين مرقد أخيه العباس على مسافتة شارع الميدان.

ورواية أُخرى تذكر هذا الأسد وانه يربض ناحية يحرس جثث الشهداء إلى وقت دفنهم فأحتفظ الكربلائيون بهذا الأثر ورسموا فيه صورة أسد، ولو قيس ما بين هذا الموضع وقبر الحسين «عليه السلام» بأرض لا بناء فيها لما زاد في ظني على خمسين ذراعاً ولكن أُبعدت مسافته الشوارع والأبنية ها هنا وهنا.

وذكرنا هذه الرواية لأنها تذكر أن العلقمي يسمى قديماً بهذا الاسم فتسمية آل العلقمي بحفره تعتبر صحيحة.

قال العلامة المعاصر السيد جعفر آل بحر العلوم في تحفه العالم[1]: والعلقمي إسم نهر أقتطع من الفرات إلى كربلاء ومنه إلى الكوفة وكان هو الباعث على عمران الكوفة وفيها أثره إلى الآن ظاهر قرب مرقد أبي الفضل العباس «سلام الله عليه». وقد بلغ أبن العلقمي أن الصادق «عليه السلام» لما زار جده الحسين «عليه السلام» خاطب النهر بأنك منعت مائك من جدي الحسين «عليه السلام» في يوم عاشوراء وأنت إلى الآن جار، فسعى أبن العلقمي في تخريب سد هذا النهر فأنقطع الماء وأوجب ذلك خراب الكوفة وهو السبب في اشتهاره نهر العلقمي هكذا في كتاب التحفة الرضوية، إنتهى.

أما الشيخ مهدي الكربلائي الخطيب فلفظه في معالي السبطين[2]: في الكبريت الأحمر للحاج شيخ محمد باقر القائني عن الصادق «عليه السلام»: وعلي بن الحسين «عليهما السلام» لما رجع من الشام مع حريمه إلى كربلاء فوجد ماء ذلك النهر جارياً فقال له: منعت مائك عن أبي عبد الله «عليه السلام» وتجري؛ فغار ماؤه ومحت رسومه إلى يومنا هذا ولا يجري ماؤه حتى يظهر المهدي «عجل الله فرجه» ويخرج الحسين «عليه السلام» لينتقم من قاتله.

وفيه خبر آخر وهو أن نهر العلقمي كان جارياً إلى الكوفة وبه كانت معمورة وقد أخرب ذلك النهر الوزير السعيد مؤيد الدين أبو طالب محمد بن علي العلقمي

(١) تحفة العالم ٢/ ١٩٣.
(٢) معالي السبطين ٢/ ١٩٩.

وهو وزير المعتصم العباسي، والحاصل أخربه لأنه بلغه أن الصادق «عليه السلام» قال لذلك النهر: منعوا جدي عنك وبعدك تجري؟! فأمر الوزير بخرابه فأُخرب.

وفي بعض الكتب: كان خراب ذلك سبباً لخراب الكوفة، الخ.

والمعتصم هنا غلط، إنما هو المستعصم، وهذان الخبران أستبعد صحتهما ولا أظن بشفقة الإمامين زين العابدين والصادق «عليهما السلام» ترضى بهلاك ألوف من الناس الأبرياء ممن يعيشون على ضفتي هذا النهر وخاصة الأطفال والنساء وإن جرا منهما كلام فعلى سبيل التلهف على عطش الحسين «عليه السلام» لا على سبيل الدعاء بدمار هذا النهر، ولا أظن الصحيح إلا ما قاله الطقطقي من تدميره بالرواسب فكراه جد الوزير ثم أهمل تعهده في وزارة الوزير فخرب.

أما البحاثة المنقب هبة الدين الشهرستاني فلفظه في نهضة الحسين «عليه السلام»[1]: وأما نهر الفرات فعموده الكبير ينحدر من عاليه يسقي القرى إلى ضواحي الكوفة وكذلك يشق من عمود النهر الشط من لدن الرضوانية نهر كفرع منه يسيل على بطاح ووهاد شمال شرقي كربلاء وحتى ينتهي إلى قرب مثوى سيدنا العباس «عليه السلام» إلى نواحي الهندية ثم ينحدر فيقترن بعمود الفرات في شمال غربي ذي الكفل الكوثي القديمة ويسمى حتى اليوم العلقمي، وكان هذا الفرات الصغير من صدره إلى مصبه يسمى العلقمي والطف إسم عام لأراض تنحسر عنها المياه وسميت حوالي نهر العلقمي البارزة من شواطئه طفا لذلك، وسميت حادثة الحسين «عليه السلام» فيه واقعة الطف، إنتهى.

وقد مر في العقر كلام المسعودي في التنبيه والأشراف، وقد أكثر الشعراء من ذكره في مراثي الحسين «عليه السلام» ومنهم سماه الفرات كعبد الباقي العمري بقوله:

بعداً لشطك يا فرات فمر لا تحلو فإنك لا هني ولا مري
أيسوغ لي منك الورود وعنك قد صدر الإمام سليل ساقي الكوثر

ومنهم من سماه العلقمي بأسمه الشائع المشهور كالسيد جعفر الحلي (قدّس سرّه) في رثاء العباس «عليه السلام»:

وهوى بجنب العلقمي وليته للشاربين به يداف العلقم

أرسل لنا الشاعر العلوي الموسوي السيد عبد الهادي الطعان من آل السيد

---

(١) نهضة الحسين عليه السلام: ص٦٧.

عطية بيتين هما :

جرعت أعدائك يوم الوغى في حد ماضيك من العلقم
وقد بذلت النفس دون الحمى مجاهداً يا بطل العلقمي

للمؤلف :

ماء الفرات صداق للبتولة قد صح الحديث وجائت فيه أنباء
والأُم عند جيمع الناس إن فقدت تحوي مواريثها لا ريب أبناء
فللحسين من الزهراء فاطمة إرث ويحرم وهو الوارث الماء
يموت ظامي الحشا والغاصبون له منه رواء وتروى المعز والشاء
هذا عجيب ونكر سهلته لهم سقيفة الغدر حتى استفحل الداء
عاشت أُمية والأجرام سنتها ومنكرات أفاعيل وأسواء
تمضي العصور والأجيال قد نشر ت صحيفة لامي السوء سوداء
تلك القرى وهي أنفال لوالده نص الجلي وما في النص إخفاء
قد احتوت وهي غناء جيوشكم وتحتوي جيشه بيداء جرداء

منزلة أبي الفضل العباس «عليه السلام» عند الله تعالى

لا ريب أن المنزلة تكون بنيل الفضيلة ونيل الفضيلة عندالله تكون بالطاعة له وتعلو المنزلة وتسمو الفضيلة بكثرة الأعمال الخيرية فكلما كان الإنسان حريصاً على تحصيل الفضل مجتهداً في الطاعة كثير الخيرات يكون عند الله عظيم المنزلة كبير الفضيلة سامي الدرجة عالي المرتبة، والفضيلة عند الله تزداد كلما أزدادت أعمال الإنسان الخيرية وأكثر من اكتساب الأعمال الصاحلة وأهم تلك الأعمال عند الله تعالى العبادة بأنواعها لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] فأخبر سبحانه أنه لم يخلقهم سواماً مهملين ولا بهائم مرسلين، همهم الدنيا منهمكون في لذاتها الفانية، متكالبين على نعيمها البائد، واثقين بظلها الزائل.

فإذا سألت الواحد منهم عن تركه الأعمال الصالحة وتلاعبه بالعبادة المحتومة عليه وليست بالمكفولة له ولا المضمونة عليه كالمعيشة التى ضمنت له وكفلت عليه فتلاعب بغير المضمون وتهاون به في إضاعة أوقاته المقررة أو إهمال واجباته فلم يحافظ على الركوع والسجود، ولم يأتي بالشرط الكامل سائر ما جعل جزاءاً للواجب أو متمماً له فينقرها نقر الغراب الذي ورد في مثله الحديث النبوي المروي عن الفريقين ومعناه صاحب هذه الصلاة يموت على غير ملة الإسلام؟

فيجيبك إذا عنفته عن تلهبه بمضمون المعيشة واشتغاله بمكفول الرزق إذا أحسن الجواب في رأيه الركيك وتفكيره المفكك إن كان متمدناً بأن الدين هو الحياة الطيبة والإسلام الحضارة، وإن كان عامياً يتمدن وقروياً يتحضر هذا جهاد يعني به كسبه الملهى له عن الطاعة الشاغل عن العبادة.

وهذه من التسويلات النفسية وتسويف إبليس اللعين يحسن لهم رفض الأوامر الدينية بما غرسه في نفوسهم من هذه المعتقدات السخيفة فألهاهم بأمر قد تكفل به الله تعالى بمعاناة أي سبب كان من أسباب التحصيل دون أن يستغرق الأوقات فهو

---

(١) الذاريات: ٥٦.

ضامن المعونة بهذا السبب الضعيف وهو الصادق على نفسه في تهيئة أسباب المعيشة وتحصيل القوت كما يرون برهانه متجلياً في الأطيار المترددة في الأجواء والآفاق، والوحوش الجائلة في الفلوات أو في الأرياف على حد سواء، فصرف مختلس العقول إبليس بوساوسه واستلبت هواجس الأنفس الطامحة منهم الشعور والإدراك فكلفوا غير ما كلفوا به لأنه يريد قصراً لا وكراً، وتأنقاً لا حياة، فخالفوا الضمان الإلٰهي ورفضوا التكفل الرباني الوارد في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾[1] الآية الكريمة، وهناك فئام جهلة وأوباش حمقاء يوردون الحديث النبوي المشهور ويتأولون ذلك على ما يتراءى لهم من جهل وحماقة فيقولون: هذا الجهاد الأكبر جهاد العيال، هكذا يفسرون وكذلك يعتقدون، ومن لم يستنر بنور العلم ولا استضاء بشعاع العرفان وقع في دياجير متدلهمة وحنادس حالكة لا بصيص فيها ولا وميض، إنما هو جهاد النفس ورياضتها على الطاعة وقد تقدم شرح هذا الحديث.

أما أبو الفضل العباس «عليه السلام» ففي الصف الأول من صفوف المتقين، وفي الطليعة المتقدمة من طلائع المتعبدين، ومن أعلام الرافضين للدنيا التاركين لزبرجها، ومن عيون الأوابين المتألهين الدائبين في العبادة والمواظبين على أعمال البر والطاعة والمسارعين إلى مرضاة الله واكتساب رضوانه في السر والعلانية ثم الجهاد على الدين لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾،[2] وقوله: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾[3] إلى غيرهما، وأبو الفضل في هذه الفضيلة أثره بارز ومقامه فيها مشهور في الأجيال كلها ويميز بهذا الجهاد على سائر المجاهدين بثباته وإقدامه وبحسن نية وإخلاص، وقد أحسن راثيه بقوله له:

لك موقف بالطف أنسى أهله حرب العراق بملتقى صفين

ثم تعليم الجاهل وإرشاد في ضل طريق الهداية وزاغ عن القصد لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[4] وهذه المجاهدة ليست المجاهدة البدنية بل الدعاية إلى الدين وإيضاح محاسنه وهي عبارة عن تعليم الجاهل وإرشاد الضال وإقناع الزائغ بالوعظ والإرشاد وبث الخطب النافعة وإلقاء الكلمات المؤثرة الجذابة والمتضمنة للترغيب والترهيب المشوقة للجنان المزخرفة، المحذرة من

---

(١) الصف: ٤.
(٢) الذاريات: ٥٦ - ٥٧.
(٣) النساء: ٩٥.
(٤) العنكبوت: ٦٩.

النيران المسجرة، وتذكير الإنسان الغافل عن نعم الله تعالى بإيقاظه إلى ما ناله من العافية في الدين والدنيا، والسلامة من الفتن والأراجيف المضرة، وإلفات نظر هذا الإنسان الطائش المنتشي بنشوة الجهل بمواقع إفضال الله الوفيرة وآلائه الدارة ونعمه المغدقة عليه ليرى ما سخر الله له من الموجودات الكائنة على السواء الحية منها والجماد وهذا ما أخذه الله على العلماء.

وفي الحديث النبوي: إذا تظافرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه وإلا فعليه لعنة الله، ومعناه وجوب القيام بالوعظ والتذكير والإنذار والتحذير ومقاومة الضلالات وقمع البدع، وعلى مثل ذلك أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين وأنزل الكتب السماوية مفسرة لذوي العقول غوامض المشكلات، ولا يجهل محل أبي الفضل في هذه المسألة وقد ذكرنا فيما تقدم بعض مقاماته في وعظ الأعداء ثم التقوى لقوله الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2] ولم يزين الله العباد بزينة أفضل من التقوى كما هو نص الحديث النبوي، وفي الأُولى رد على المفتخرين بالملابس الفاخرة المتباهين بالكسوة الثمينة، وفي الآية الثانية رد على المفتخر بالآباء والأسلاف دون الأعمال الصالحة المستغني عن كرم الفعل بكرم الأصل.

وفي حديث ٱبن عباس وقد قيل له: من السادة؟ فقال: أما في الدنيا فالأسخياء، وأما في الآخرة فالأتقياء، ويروي لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»:

لعمرك ما الإنسان إلا ٱبن دينه ... فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب

لقد رفع الإسلام سلمان فارس ... وقد وضع الشرك النسيب أبا لهب

ثم الزهد في الدنيا والعزوف عن مقتنياتها ترك نفائسها المنقصة التي يسمونها بالكماليات إيثاراً للآخرة على الأُولى علماً منه بأن الله تعالى جعل نصيب المؤمن الأوفر في وفوده عليه لقوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[4]، فالعاقل لا يترك نصيب الآخرة الوافر لنصيب الدنيا الناقص ثم الصبر بأنواعه على ما فصلناه في كتابنا «السياسة العلوية» لقوله تعالى: ﴿وَمَن

---

(١) الأعراف: ٢٦.
(٢) الحجرات: ١٣.
(٣) الضحى: ٤ ـ ٥.
(٤) الشورى: ٢٠.

يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٢]، ومن كان الله معه فقد رفع منزلته وقد عرفت صبر العباس «عليه السلام» فيما سبق.

ثم الشكر لقوله تعالى: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٣]، ثم الإحسان بأنواعه وهو أيضاً يجمع أنواع الخيرات كل هذه العناوين فصلناها في كتابنا «السياسة العلوية»، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[٥]، ثم اليقين كما عرفته وفصلنا أنواعه في «السياسة العلوية» إلى غير ذلك من الفضائل الدينية وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾.

وقد اتصف بكل هذه الصفات وتحلى عامة هذه الفضائل أبو الفضل العباس كما حاز غيرها من صفات الكلام وقد تقدم، فكان له من مجموع هذه عند الله منزلة عظيمة ومقام أسمى والفضل الذي له عند الله يقع من وجهين من حيث المنزلة والدرجة في الجنان العالية وهذا ما تتباهى به هناك عباد الله الصالحون وأوليائه العاملون فهم يتفاخرون فيما حبوا به من الكرامات لأن الله تعالى يمنحهم الكرامة مقابلة للعمل الصالح وجزاء للطاعة ويحبوهم تفضلاً أضعاف ما أستحقوه بالعمل وقد نص على ذلك حديث الإمام زين العابدين «عليه السلام» السابق: «إن لعمي العباس درجة بغيطه بها جميع الشهداء» ومن حيث الحياة الخالدة حياة الذكرى الجميلة وهذه من ناحيتين:

الحياة البرزخية لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٦] وليس المراد بالحياة في هذه الآية إلا الحياة في البرزخ وإلا لما كانت فضيلة للشهداء إذ الحياة الحرية الكبرى للحساب واستيفاء المثوبة والعقوبة تشترك فيها الأتقياء والأشقياء ويتساوى فيها الصالح والطالح، وقد قال الله تعالى في المعذبين في النار: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[٨]، والآيات كثيرة وناصة على هذا وناطقة صراحية بحياة الكافرين في محاورتهم للملائكة وإستغاثتهم وطلبهم الماء من أهل الجنة وغير ذلك مما لو أستقصيناه لأسهبنا، ولولا هذه الحياة في المحشر لما كان لكثرة الثواب وشدة العذاب الذي أوعد الله بها عباده وجعلهما جزاء للطاعة

---

(١) الطلاق: ٢.
(٢) البقرة: ١٥٣.
(٣) آل عمران: ١٤٥.
(٤) النحل: ٩٠.
(٥) الكهف: ٣٠.
(٦) آل عمران: ١٦٩.
(٧) النساء: ٥٦.
(٨) طه: ٧٤.

والمعصية من فائدة إذ الميت لا يعرف لذة النعيم ولا يحسن بمس العذاب الأليم.

فإذاً المراد بحياة الشهداء هي الحياة البرزخية كما أشار لذلك النبي ﷺ مر على جعفر ٱبن أبي طالب في رعيل من الملائكة فسلم عَلَيّ فرددت «عليه السلام» فإذا أتصلت هذه الحياة بحياة الجميع فتكون مدة موتهم قليلة جداً بمقدار أنتقالهم من هذه الدار إلى الدار الأُخرى كالمجتاز من دهليز إلى دهليز وكالمار من شارع إلى آخر وهو بمنزلة الذي ينام ثم يستيقظ ويغفوا وينتبه وهذا معتقد علماء الشهداء.

قال عمير بن الحمام الأنصاري أحد شهداء بدر مع النبي ﷺ: بخ بخ ما بيني وبين دخول الجنة إلا أن أرمي هذه التميرات لتميرات كانت في يده يأكل منها فرماها وأستقدم فأُستشهد «رضي الله عنه».

وقال نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي أخو عبد الله بن بديل «رضي الله عنهما» أحد شهداء أصحاب النبي ﷺ يوم بئر معونة وطعنه جبار بن صخر بن سلمى العامري: فزت ورب الكعبة.

وقال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» لما ضربه ٱبن ملجم المرادي: فزت ورب الكعبة.

وقال برير بن حضير الهمداني المشرقي سيد القراء الشهيد مع مولانا الحسين ٱبن علي «عليهما السلام» ما بيننا وبين أن نعانق الحور العين إلا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم.

وقال علي بن الحسين الأكبر «عليهما السلام» الشهيد مع أبيه الحسين «عليه السلام» بطف كربلاء: هذا جدي رسول الله ﷺ قد سقاني شربة لا أظمأ بعدها، وغير ذلك مما يمنعنا من إيراده التطويل.

ومن حيث بقاء الشعائر في قصد زيارته من أدنى الأرض وأقصاها وإحياء الذكرى بإقامة التذكار في الأجيال ونصب مأتم العزاء في القرى والأمصار وإعلان النياحة وتدفق المواكب العزائية أقتراناً بزيارة أخيه الحسين ونياحته وقصد المواكب قبتيهما حاملة أعلام الحزن السوداء لا طمة الصدور حفاة الأقدام حاسري الرؤوس حتى أن الفرد منهم لو أُصيب بأعز مفقود من أُسرته أو ثكل أي عزيز من رهطه لما أدى له عشر ما أدى للحسين والعباس من اللطم واللدم وإعلان الصرخة والبكاء وما دامت الدنيا باقية؛ فالزوار متدفقة كالسيول والمواكب تتلو المواكب قاصدة تلك المراقد وجاهرة بالعزاء المبرح في مختلف أقطارها معلنة مراثيه بمتباين لهجاتها وألسنتها.

وأضف لهذا ظهور الكرامات الباهرة عند مرقده المقدس وهي من الدواعي الكبرى لإحياء هذه الذكرى وتجديد تذكار المأساة فلأبي الفضل فضيلة الحياتين البرزخية والتذكارية وفضيلة الدرجة الراقية في جنة المأوى وهي التي تدعو بسموها إلى الغبطة عليها من جميع الشهداء وتعرب بأرتفاعها في الدرجات العلى عن منافسة المقتولين على الإيمان والحق والعدل لصاحبها فهي لا شك من أسمى رتب الشهداء ومن أرفع درجات السعداء.

ولعل الناظر في هذا الحديث يقول بتعميمه وتسريته إلى أعظم شهيد كحمزة أبن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء وجعفر الطيار ذي الجناحين فيرتاب في التفضيل عليهما وليس الحديث الشريف بناظر إلى التفضيل ولا لامح جهة المفاضلة وإن للمفاضلة أدلة أُخرى ولو تطرقنا إلى المفاضلة وخضنا في عباب التفضيل.

لكن الحديث يذكر أن درجة العباس «عليه السلام» يغبطه بها جميع الشهداء حتى جعفر وحمزة والغبطة تمنى نيل ما حصل للمغبوط وإن لم تكن من جهة فضيلته الشخصية بل من حيث فضيلة نفس الشهادة وعظم خطرها، وهذا شيء نلفت إليه نظر أهل الوعي والشعور لأن شهادة العباس «عليه السلام» أشتملت على خصائص ومميزات لكل واحدة فظلها على حياله ولم تحصل لهذين الشهيدين العظيمين حمزة وجعفر كالإيثار الذي وقع من أبي الفضل لأخيه الحسين «عليه السلام» على نفسه لما رمى الماء من يده وسقاية العطاشى من آل محمد ورد الأمان الذي بذل له خاصة والمحن التي أبتلي بها وبعضها يوجب دهشة المحارب وانذهاله، وفي مداراتها العناء الشديد والمشقة الشاقة، وقد جاء الحديث: الأجر على قدر المشقة.

فمن تلك المحن مدارات نساء مذعورة وعقائل مرعوبة وصبية تتصارخ وتضج ضجيجاً مزعجاً يؤلم قلب الغيور ويجرح ضمير المتحمس وقد تؤثر صدعاً في كبد الحر صاحب الشعور والوجدان وهو مع ذلك في الآونة تلو الآونة يحمل شاباً كفلقة بدر وكشظية كوكب وهاج من أهله تجسدت الدماء عليه ووزعته الأسلحة آراباً ومفاصلاً وينقل إلى الخيمة الحين بعد الحين كهلاً لا نظير له في شمائله وأوصافه قتيلاً فيضعه بين القتلى، وكل هؤلاء الشبان والكهول ليس لهم شبيه على وجه الأرض وفيهم الأخ الشقيق وابن الأخ الشفيق وولد العم الذي هم كطاقة ريحان مسها وهج السمائم فذبلت، وولد هو قطعة كبد وفلذة قدت من

القلب فربت ونمت هكذا جرت له الأقدار مقاسات هذه الأرزاء ومكابدة هذه المحن العظام.

ويلتفت إلى سيده وإمامه الحسين «عليه السلام» قد تفانى جيمع من يدافع عنه وهلك كل من يقيه بنفسه، وذهب عامة من يفديه بروحه فهو لا يطمع له بالحياة ولا يرجو له البقاء ليهون عليه الخطب ويسهل الأمر المزعج، وتهون المصيبة كما هانت على حمزة وجعفر أطمئنانهما بسلامة رسول الله ﷺ فإن معه من يقوم بالدفاع عنه والمجادلة دونه، وليست أمام حمزة وجعفر صبية تزعجهما ولا نسوة تشغلها بصراخها وعويلها كما شغلت بطل العلقمي صرخة تلك النسوة المزعجة، وما أحرج موقفه تجاه الصبيان العطاشى والتجاءهن إلى عاطفته يسترحمْنه ويستدررن تلك العاطفة المتدفقة بالحنان والعطف: هذه تقول عم أسقني، وأُخرى تقول أما ترى حالي؟ وثالثة تقول تفتت كبدي؟ ورابعة تقول عمي من لي؟ وخامسة أين أبي؟ وسادسة تناشده أين تركت أخي؟ وسابعة تقول فديتك أحملني إلى عمومتي يسقوني ماء، هذه وأمثالها مما يفتت الأكباد ويقرح الأعين.

ولم يجري لحمزة وجعفر مثل ما جرى للعباس «عليه السلام»، ولم يصبهما مثل ما أصابه من الظمأ، ولم تنقطع عنهما الإمداد ولم يحصرا في فلاة جرداء قاحلة، ولم يشاهدا مصارع الأحبة إلى غير ذلك من الأُمور التي شاهدها أبو الفضل العباس فقابلها برباطة جأش وبثبات مدهش فكان كما مدحه الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» بقوله: «نعم الصابر المجاهد» وكما جاء في أبيات المؤلف:

فمحنتك العظمى بساحة كربلا ... أبا الفضل تندك الرواسي أمامها
تشاهد أجلاف البرية حاصرت ... بجرداء من أرض الطفوف أمامها
وقد منعت ورد المباح عياله ... فجائتك تشكو يا حماها أوامها
وقد أرعبت صبيانه زعقاتها ... وقد سددت نحو الخيام سهامها
فصلت بسيف النصر صلتاً مجرداً ... تحوط وتحمى خدرها وخيامها
فأرجعت جند الغي قسراً إلى الورى ... كليث الشرى غضبان لاقى سوامها
وما زلت حتى فارق الكف زنده ... تفلق في عضب الغرارين هامها
فعاقك والأقدار أعظم عائق ... لنفس المحامي إن تال مرامها

فلم تستطع إيصال ما كنت حاملاً من الماء كي تروي العطاشى أوامها
وقعت على شاطىء الفرات مجدلاً بقفراء قد أذكى الهجير ضرامها

وكلما أشتد البلاء وعظم العناء تضاعف الأجر حسبما نطقت به الأحاديث الشريفة وكلما تضاعف الأجر علت المنزلة، وكلما علت المنزلة حصلت الغبطة وبهذا يحكم العقل والوجدان لو حكم فإن جيش الملك لو كان فيه قواد قام أحدهم بعدة أعمال عظيمة في صالح الأُمة والسلطان، وأتى بعدة خدمات لم يأتي بها أحد سواه أليس يستوجب عند شعبه الثناء الجميل وعند مليكه أسمى الرتب وأرقى الدرجات فيحبوه بعدة أوسمة من الدرجة الأُولى ويرقيه إلى أسمى مراتب الشرف، وإن المساوي له في المرتبة والتفوق عليه في الوظيفة سيغبطه على ذلك لا ريب ولا شك فيه فكلما عاين تلك المرتبة التي أكتسبها بجلائل أعماله ولم يتهيأ له هو القيام بمثل تلك الأعمال ولا ساعدته الظروف على أكتسابها ليضل دائماً مظهراً للغبطة يتمناها ويودها، فهذا ما نظر إليه الحديث الشريف وكلام المعصوم مبني على الحكمة وإن أردت أن تشق إلى المفاضلة طريقاً وتثبت الأفضلية بالأعمال الصالحة فأعمال الجميع أمامك وقارن بينها وقف مع كثرتها وتميزها وأحتكم إن شئت وأحكم بما أرشدك إليه العلم.

للمؤلف:

أبو الفضل إن نال عند الإلٰه مراتب في الجنة العاليه
فتلك مآثره الصالحات أتاحت له الرتبة الراقيه
لقد جاهد القوم حق الجهاد بصبر وفي نية صافيه
وآثر بالنفس سبط الرسول كما قد سقى العترة الظاميه
ولما رأى قومه ظاعنين جميعاً إلى عيشة راضيه
تقدم نحو أخيه الحسين وعيناه أدمعها جاريه
يقول له يا أبن خير الورا ويا أبن المطهرة الزاكيه
سئمت الحياة ولا صبر لي واسمع في حيك الواعيه
فدعني أموت ولم أستمع لباك عليك ولا باكيه
فسار إلى الموت مستقدماً وصار إلى جنة عاليه

للفاضل الدربندي في أسراره[١] كلام قف عليه: وفيه: وقد حكى جمع من الصلحاء أن واحد من أهل كربلاء وهو الآن موجود ـ يعني في عصره ـ كان يزور سيد الشهداء في كل يوم وليلة مرتين أو ثلاثاً ولا يزور العباس «عليه السلام» إلأ بعد مضي عشرة أيام من زيارته فرأى في المنام الصديقة المعصومة ـ هي الزهراء فاطمة «عليها السلام» ـ فسلم عليها فأعرضت عنه، فقال لها: سيدتي ما تقصيري؟ فقالت له «عليها السلام»: أستقلالك من زيارة ولدي، قال: أزور ولدك كل يوم ثلاث مرات، قالت: نعم تزور ولدي الحسين «عليه السلام» هكذا ولا تزور ولدي العباس إلا قليلاً، فأنظروا أيها الإخوان إلى عظمة شأن العباس فيما أعطاه الله مما نشاهده ومما لا نشاهده إلى آخر ما قال والكلام مطول، وجدير بأبي الفضل أن يفضل، وحري به أن يقدم.

وختاماً لهذا المقام نورد كلمة العلامة المقدس مرجع الإمامية العام في عصره الشيخ محمد طه نجف (رحمه الله) في كتاب الإتقان[٢] فإنها عظيمة عند التأمل، وافية بالمطلوب، بلغت على وجازتها مالم تبلغه المطولات من العبارات وهذا نصها: العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» أبو الفضل هو أجل أن يذكر في المقام بل المناسب أن يذكر عند ذكر أهل بيته المعصومين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، إنتهى، قال هذا في قسم الثقات وهو كما يقول العباس فوق الثقة منزلة وأعظم بآلاف المراحل.

للمؤلف:

وإني لأستشفي بذكر ٱبن حيدر ... إذا مسني سقم أو انتابني ضر
طبيبي أبو الفضل العميد وحبه ... لدنياي والأُخرى هو الكنز والذخر
ونحن الإماميون كان شعارنا ... ولاء علي والحسين وذا فخر
وحب الهداة الغر منهم وإنهم ... لنا عصمة مهما أستطال بنا العمر
نلوذ بقبر ٱبن الوصي بكربلا ... وذا كعبة الزوار مهما دعي قبر
مقام له عند المهيمن شامخ ... وقدر رفيع الشأن ما مثله قدر
لقد خلد الرحمٰن في الدهر ذكره ... وما الفضل إلا ما أُشيد له الذكر
وفي الحشر لم يعط شهيد عطائه ... لذا صار مغبوطاً وهذا له سر

---

(١) أسرار الشهادة: ص٣٣٦.
(٢) الإتقان: ص٧٥ طبع النجف.

كرامات العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام»

هي كثيرة جداً لا تحصى أو تحصى النجوم، ولا تُعدّ أو تُعدّ قطرات الغيوم، تتوالى على ممر الأيام وتتجدد متتالية بتجدد العصور والأعوام، والكرامة كالمعجزة في كونها خارقة للعادة وقاهرة للنواميس الطبيعية.

الفرق بين المعجزة والكرامة:

إذا كانت الكرامة كالمعجزة في الشكل والصورة والتأثير على الطبيعة إذن فما هو الفرق بينهما؟ وتتجلى الفوارق بأُمور:

أحدها: إن المعجزة تحتاج إلى طلب واقتراح ممن يريد تعجيز من ظهرت على يده بعد أن يدعي القدرة على الإتيان بالخارق ومتحدياً لمن خالفه.

ثانيها: إن المعجزة تختص بالنبوة والإمامة التي هي منصب إلٰهي فلا تقع إلا من نبي أو وصي نبي.

ثالثها: المعجزة لا بد أن تقع ويجب على الله من باب اللطف إجراؤها، وإن تأخرت عن وقت الطلب لزم كذب المرسل من قبله إلى هداية خلقه وإرشادهم واستحكمت الغواية واستفحل الضلال، والكرامة يجوز إظهارها تفضلاً إكراماً للولي وتشريفاً لا لزوم فيها ولا تحتم لارتفاع المحذور، وفائدتها صيانة الولي عن التعدي عليه وخرق حرمته وبظهور الكرامة لديه لا يمتهن ولا يحتقر بل يعظم ويحترم.

قال الشريف الجرجاني الحنفي[1]: المعجزة أمر خارق للعادة، داعية إلى الخير والسعادة، مقرونة بدعوى النبوة، قصد بها إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله.

ثم قال: الكرامة ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة فما يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون أستدراجاً وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة، إنتهى.

وقال فيلسوف الإسلام المحقق الطوسي نصير الملة والدين أعلى الله مقامه في كتاب التجريد في نبوة النبي ﷺ وطريق معرفة صدقه ظهور المعجزة على يده وظهور ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى.

وقال العلامة الحلي آية الله الحسن بن مطهر في شرح التجريد[2]: ونعني

---

(١) التعريفات: ص١٤٩.

(٢) شرح التجريد: ص٢١٨ طبع صيدا.

بالمعجزة ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى لأن الثبوت والنفي سواء في الإعجاز فإنه لا فرق بين قلب العصا حية وبين منع القادر عن رفع أضعف الأشياء، وشرطنا خرق العادة لأن فعل غير المعتاد ونفيه لا يدل على الصدق، وقلنا مع مطابقة الدعوى لأن من يدعي النبوة ويسند معجزته إلى إبراء الأعمى فيحصل له الصمم مع عدم برء الأعمى لا يكون صادقاً.

وقال (رحمه الله) في شرح واجب الاعتقاد[١]: والمعجزة هو الأمر الخارق للعادة المطابق للدعوى المتعذر على الخلق الإتيان بمثله، فالخارق للعادة هو الذي لم تجر العادة كقلب العصا حية وإحياء الموتى وانشقاق القمر ومجيء الشمس وحنين الجذع.

وقولنا المطابق للدعوى يعني أنه يكون موافقاً لدعواه وفيه أحتراز عما لا يكون مطابقاً للدعوى كما نقل عن مسيلمة الكذاب أنه قيل له: إن محمداً تفل في بئر ففاض ماؤها، فقال: أنا أفعل ذلك، وأتى إلى بئر وفيها ماء فتفل فيها فغاض ماؤها فإنه أمر خارق للعادة لكنه غير مطابق لدعواه بل تكذيب له فيما أدعاه، وقولنا المتعذر على الخلق الإتيان به وذلك لأنه من فعل الله ومما أختص بالأقتدار عليه والتعذر إما في جنسه كإحياء الموتى أو في وصفه كفصاحة القرآن وقلع المدينة دفعة، الخ.

شروط المعجزة:

هذه الشروط لتسميته بها بمعنى أنها لا تسمى معجزة إذا فقدت هذه الشروط أو بعضها وإن كانت خارقة للعادة.

قال العلامة الحلي (رحمه الله) في شرح التجريد[٢]: ولا بد في المعجزة من شروط:

أحدها: أن يعجز عن مثله أو عما يقاربه الأُمة المبعوث إليها.

الثاني: أن يكون من قبل الله أو بأمره.

الثالث: أن يكون في زمان التكليف لأن العادة تنتقض عند أشراط الساعة.

الرابع: أن يحدث عقيب دعوى المدعي للنبوة أو جارياً مجرى ذلك أن يظهر دعوى النبي في زمانه وأنه لا يدعي النبوة غيره ثم يظهر المعجزة وبعد أن

---

(١) شرح واجب الاعتقاد: ص ٥٩٦. (٢) شرح التجريد: ص٢١٨.

يظهر معجزاً آخر عقيب دعواه فيكون ظهور الثاني كالمتعقب لدعواه لأنه يعلم تعليقه بدعواه وانه لأجله ظهر كالذي عقيب دعواه.

الخامس: أن يكون خارقاً للعادة، إنتهى.

أنواع المعجز وأقسامه:

وتنويعه بأعتبار ما يظهر فيه الإعجاز.

قال الماوردي الشافعي في أعلام النبوة[1]: إذا تقرر أن المعجز محدود بما ذكرنا من خرق العادة فقد ينقسم ما خرج عن العادة على عشرة أقسام:

أحدها: ما يخرج جنسه عن قدرة البشر كأختراع الأجسام وقلب الأعيان وإحياء الموتى فقليل هذا وكثيره معجز لخروج قليله عن القدرة كخروج كثيره.

القسم الثاني: ما يدخل جنسه في قدرة البشر لكن يخرج مقداره عن قدرة البشر كطي الأرض البعيدة في المدة القريبة فيكون معجزاً لخرق العادة، وأختلف المتكلمون في المعجز منه فعند بعضهم أن ما خرج عن القدرة منه يكون هو المعجز خاصة لا اختصاصه بالمعجز، وعند آخرين منهم أن جميعه يكون معجزاً لاتصاله بما لا يتميز منه.

والقسم الثالث: ظهور العلم بما خرج عن معلوم البشر كالإخبار بحوادث الغيوب فيكون معجزاً بشرطين: أحدهما: أن يتكرر حتى يخرج عن حد الاتفاق، الثاني: إن يتجرد عن سبب يستدل به عليه.

والقسم الرابع: ما خرج نوعه عن مقدور البشر وإن دخل جنسه في مقدور البشر كالقرآن في خروج أُسلوبه عن أقسام الكلام فيكون معجزاً بخروج نوعه عن القدرة فصار جنساً خارجاً عن القدرة ويكون المعجز مع القدرة على آلته من الكلام ليبلغ في المعجز.

والقسم الخامس: ما يدخل في أفعال البشر ويفضي بخروجه عن مقدار البشر كالبرء الحادث من المرض والزرع الحادث عن البذر فإن برء المزمن لوقته واستحصاد الزرع المتآكل قبل أوانه كان بخرق العادة معجزاً لخروجه عن القدرة.

والقسم السادس: عدم القدرة عما كان داخلا في القدرة كإنذار الناطق بعجزه عن الكلام وإخبار الكاتب بعجزه عن الكتابة فيكون ذلك معجزاً يختص بالعاجز لا يتعداه لأنه على يقين من عجزه وليس على يقين من عجزه.

---

(١) أعلام النبوة: ص٢٠٠.

والقسم السابع: إنطاق حيوان أو حركة جماد فإن كان باستدعائه أو عن إشارته كان معجزاً له، وإن ظهر بغير أستدعاء ولا إشارة لم يكن معجزاً له وإن خرق العادة لأنه ليس اختصاصه به أولى من اختصاصه بغيره وكان من نوادر الوقت وحوادثه.

والقسم الثامن: إظهار الشيء في غير زمانه كإظهار فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف وإن كان أستبقاؤهما في غير زمانهما ممكناً لم يكن معجزاً وإن لم يكن أستبقاؤهما كان معجزاً سواء بدأ إظهاره أو طولب به.

القسم التاسع: أنفجار الماء وقطع الماء المنفجر إذا لم يظهر بحدوثه أسباب من غيره فهو من معجزاته لخرق العادة به.

القسم العاشر: إشباع العدد الكثير من الطعام اليسير وإروائهم من الماء القليل يكون معجزاً في حقهم وغير معجز في حق غيرهم لما قدمناه من التعليل.

وهذا الأقسام ونظائرها الداخلة في حدود الإعجاز متساوية الأحكام في ثبوت الإعجاز وتصديق مظهرها على ما ادعاه من النبوة.

ثم قال: فإن قيل: فقد جاء زرادشت وبولص بآيات ولم تدل على صدقهما في دعوى النبوة، قيل: لأنهما أكذبا أنفسهما ما ادعياه في الله تعالى مما يدل على جهلهما به لأن بولص يقول: إن عيسى «عليه السلام» إله، وزعم زرادشت أن الله تعالى كان وحده ولا شيء معه وحين طالت وحدته فكر فتولد من فكرته أهرمن وهو إبليس «لعنه الله» فلما مثل بين يديه أراد قتله فأمتنع منه فلما رأى امتناعه وادعه إلى مدته وسالمه إلى غايته ومن قال بهذا في الله ولم يعرفه لم يجز أن يكون رسولاً له، ثم دعوا إلى القبائح والأفعال السيئة كما شرع زرادشت الوضوء بالبول وغشيان الأُمهات وعبادة النيران وكذلك بولص وماني خذلهم الله ولو دعوا إلى محاسن الأخلاق كانت الشبهة بهم أقوى والأغترار بهم أكثر ولكن الله تعالى عصم بالعقول من استرشدها، وقاد إلى الحق من أيقظه بها، إنتهى.

نحن قد ذكرنا في كتاب «الميزان الراجح» زرادشت وماني ومزدك والمجوس أجمع وبولص وفرق النصارى، وما صدر من هؤلاء مما يشبه الخارق إنما هو شعبذة ومخاريق سحرية وستعرف الفرق بين المعجز وهذه المخاريق إن شاء الله تعالى.

اشتقاق المعجز:

إن المعجز مشتق من العجز وهو عدم القدرة عن الشيء، يقولون: عجز فلان

عن كذا وأعجزه الشيء الفلاني إذا لم يقدر عليه ولم يتمكن، ومنه العجز آخر العمر إذا طعن في السن وضعفت قوته فعجز عن القيام بمهماته.

قال ٱبن الأثير في النهاية[١]: والمعجزة بفتح الميم وكسرها مفعلة من العجز عدم القدرة.

وقال الفيروزآبادي في القاموس: وعجز عن الشيء فاته، وفلان وجده عاجزاً وصيّره عاجزاً، والتعجيز التثبيط والنسبة إلى العجز، ومعجزة النبي أعجز بها الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة.

وقال الفيومي في المصباح المنير[٢]: عجز عن الشيء عجزا من باب ضرب، ومعجزة بالهاء وحذفها ومع كل وجه فتح الميم وكسرها ضعف عنه، الخ.

فقد استبان أن تسمية المعجز معجزة لأن الغير عجز عن الأتيان بمثلها، أما العوام فيصرفون معنىٰ المعجز وهو عندهم الضعف والكسل والعناء والتعب، فيقول بعضهم مشتكياً: عجزت عن المشي وأنا عاجز وعجزان، ويرجع معناه إلى عدم القدرة والكلال والضعف إذ المعنى في الكل ضعف وأعيى فلم يقدر على معاناة هذا العمل ولهم محاورات كثيرة تدل على هذا المعنى كقول قائلهم لرفيقه: «عجزتني من الدوارة عليك» يريد أعجزتني لشدة طلبي لك وفحصي عنك حتى صرت لا أقدر على المشي بعد هذا فيعود المعنى العامي إلى المعنى اللغوي.

الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر

الفرق بين المعجز والسحر:

تقع من السحرة والمشعوذين وأرباب النيرجة والتمويه من المخاريق والأعمال المدهشة ما تختلف عقول الأغمار من البسطاء وتستولي على أفكار الجهلة وسخفاء العقول الذين يعبر عنهم العوام بفاسخي العقول فكما أستغوت هذه الشعبذة والمخاريق أفكار السفهاء أستغوث المخترعات الحديثة ألباب كثيرة من الحلماء ولهذا السبب الوحيد وجب علينا إبانة الفرق بين هذين والمعجز ليستعمل العاقل آلة عقله ويكبح الجاهل جماح طيشه وجهله.

تصدى كثير من العلماء السالفين للتفرقة بين المعجز والسحر ومن هؤلاء أبو حامد الغزالي الشافعي قال في سر العالمين[٣]: إعلم أن الناموس هو مفتقر إليه في

---

(١) النهاية لابن الأثير ٣/ ٧٠.
(٢) المصباح المنير ٢/ ٣٩.
(٣) سر العالمين: ص٤٦.

بعض الأحيان كالدواء لكن ليكشف شرح مشتقة الأحوال عند العوام، قال صاحب الشرع «خاطب الناس على قدر عقولهم» والمنزه ذكره خاطب كل أحد بما يستحقه ويعقله فلقوم «ولدان مخلدون» ولقوم «سدر مخضود وطلح منضود» ولأرباب الهمم العالية «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» والمنشد قد نبه في نظمه شعراً:

إما ذباباً فلا تعبأ بمنطقه أو قملة الرأس فأحذر أن تقع وسطا

واعلم أن الزمان حبيب أهله وطائفة تخترع لها مذهباً في الناموس بطريق الزهد كالسبح المرقعات وجلود الغنم والبرانس وأذان الليل والأنقطاع في الكهفان وكبر الأُمور بحيث أن يقول لصاحبه: إذهب ففي الموضع الفلاني كذا وكذا.

وطائفة تظهر النور وأُخرى تقعد بين القبور وإظهار الخزعبيلات والنيرنجيات يعرض الكرامات ودهن الأقدام والخوض في النار وإظهار الخرق من سمندل الصين التي يذهب وسخها النار، وإظهار الخفف وبهذه الشعبذة وضرب طلسم على النعل فيعبر الماء ووقوف السجادة في الهواء وشعلة القنديل وإشعال السراج بالماء دون الدهن وكثير من ذلك لا عدد لها.

والفرق بين المعجز والسحر والكرامة هو دوام الشيء وإظهاره للناس كالقرآن المجيد فهو المعجز الأكبر والناموس الأعظم فلا تطلى على الملك حالات المبرهن.

وأما الكرامات والمكاشفات فهم الذين استخدموا وخدموا واستحملوا وعملوا فكشف لهم العمل سد الغفلة وضرب جبهته الذكر ما في الشبهة القلبية فأزال زرقتها وسوادها فوقعت المشاهدة عقيب المجاهدة فتنورت القلوب بنور الهدى والتصديق فهامت النفوس المقدسة في مهامة المروج الصمدية، وانكشف ستر اللوح المحفوظ من دار الديمومة وظهرت الخواطر الصافية من الأجسام الرذلة المعلولة فأُفرغت في قالب كمال الوجود وأُلقت من سجية أهل الجود، الخ.

ومسلكه صوفي كما ترى، وأتذكر بقوله دهن الاقدام والخوض في النار ما بلغني من حكايات بعض المشعوذين والمموهين على العوام السذج والقرويين البسطاء بالمخاريق السحرية والتمويهات النيرنجية فيستغوي الطغام ويستميل أفئدة سطحية فارغة من اليقين والعلم تلتقف الشعوذة التقاف الدهن للنار من ذلك أنه يسجر التنور فيدخل فيه فلا يحترق محاكياً بذلك سحرة الهنود الجوكية الذين تحدث عنهم آبن بطوطة الرحالة، أو يقذف بنفسه من شاهق فيقع ولا يتضرر ويلقى نفسه من لج طامي فلا يغرق يظهر أن ذلك من نوع الكرامة كما تفعل شعوذة

متفلسفة الصوفية وهو أُلقي من علو ذراع أو نهر صغير غير مستعد لتلك العملية لتحطم ولرسب بلا ريب.

لكن هذه الضروب من الشعبذة السيميا قد لعبت دوارمها في عقول فاقدي الإحساس والشعور، وتغلغلت في تلك الأدمغة الجامدة هذه المخاريق فحسبوها ضرباً من الإعجاز وكل من فقد التفكير ينخدع، وكل من لم يتدبر ضل وتحير، أما سمعوا قول الله تعالى حاكياً عن فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيَ﴾[1] ولم يحكى مثل ذلك عن ولي من أوليائه ولا نبي من أنبيائه، فهل يرى هؤلاء الغوغاء الجهلة والأدنياء السفلة أن فرعون كان محقاً ذا كرامة وإعجاز؟.

إن أمثال هذه الأعمال من الشعبذة والشعوذة والطلسمات والمخاريق منتشرة في العالم ونظيرها من الدخن والبخورات وما يسمونه عزائم الجن كلها من ضروب السحر المحرمة في دين محمد بن عبد الله ﷺ وحرمتها في شريعة الأسلام قطعية بالأدلة الأربعة: الكتاب (القرآن) والسنة المتواترة وإجماع الأُمة الإسلامية والعقل الصحيح، ومن خالف هذه الأُصول الأربعة فهو زائغ.

ولا تستغرب هذه الأدعاءات فقد قام المشعوذون بأُمور أعظم خطورة من هذه وأشد تهويلاً على السذج المغفلين ويكاد يعدها أو قد عدها السخفاء القاصرون إعجازاً وأنا لا ألوم مثل هؤلاء الضعفاء أن يعجبوا لشيء قد أستعظمه الله تعالى في كتابه بقوله تعالى: ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[2]، وحكى عن نبيه العظيم موسى بن عمران ما أجنه في نفسه بقوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾[3] وهذا أمر عظيم فما ظنك بمن يتخيله النبي العظيم صحيحاً حيث يقول: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[4]، ولم يقف على حد هذا التخيل بل تجاوزه إلى أستشعار الرهبة والخوف فإذن ما حال الضعيف العقل والدين والفكر واليقين؟.

قال أبن النديم في الفهرست[5]: زعم طائفة من الفلاسفة وعبدة النجوم أنهم يعملون الطلسمات على أوضاع الكواكب فجميع ما يريدونه الأفعال البديعة والمهيجات والعطوف والتسليات، ولهم نقوش على الحجارة والخرز والفصوص وهذا علم فاشي ظاهر في الفلاسفة، وللهند اعتقاد في ذلك وأفعال عجيبة،

---

(١) الزخرف: ٥١.
(٢) الأعراف: ١١٦.
(٣) طه: ٦٧ ـ ٦٨.
(٤) طه: ٦٦.
(٥) الفهرست: ص٤٢٩.

وللصين حيل وسحر من طريقة أُخرى، وللهند خاصة على التوهم، وللترك علم من السحر، قال لي من أثق بفضله أنهم يعملون عجائب من هذا ثم للجيوش وقتل الأعداء وعبور الماء وقطع المسافات البعيدة في المدة القريبة والطلسمات بأرض مصر والشام، إلى آخر ما هناك.

وقال[١]: الكلام على الشعبذة والطلسمات والنيرنجات: أول من لعب بالشعبذة في الإسلام عبيد الكيس وآخر يعرف بقطب الرحى ولهما في ذلك عدة كتب منها كتاب الشعبذة لعبيد الكيس، كتاب الخفة في ذلك لقطب الرحى، كتاب بلع السيف أو الحصا والقضيب والسبح وأكل الصابون والزجاج والحيلة في ذلك، وذكر بحثاً مطولاً فراجعه.

قال ٱبن بطوطة الرحالة المالكي المغربي في رحلته[٢]: ذكر السحرة الجوكية وهؤلاء الطائفة تظهر منهم عجائب منها أن أحدهم يقيم الأشهر لا يأكل ولا يشرب.

ثم يقول: نبذة من أفعالهم: ومنهم من ينظر إلى الإنسان فيقع ميتاً من نظرته، ثم يقول: بعث إلي السلطان يوماً وأنا عنده بالحضرة فدخلت عليه وهو في خلوة وعنده بعض خواصه ورجلان من الجوكية وهم يلتحفون بالملاحف ويغطون رؤوسهم لأنهم ينتفونها بالرماد كما ينتف الناس آباطهم، فأمرني بالجلوس فجلست، فقال لهما: إن هذا العزيز من بلاد بعيدة فأرياه ولم يره مالم يرده. فقالا: نعم، فتربع أحدهما ثم أرتفع عن الأرض حتى صار في الهواء فوقنا متربعاً، فتعجبت منه وأدركني الوهم فسقطت إلى الأرض.

فأمر السلطان أن أُسقى دواء عنده فأفقت وقعدت وهو على حاله متربع، فأخذ صاحبه نعلاً له من شكارة كانت معه فضرب بها الأرض كالمغتاظ فصعد إلى أن علت فوق عنق المتربع وجعلت تضرب في عنقه وهو ينزل قليلاً قليلا حتى جلس معنا، فقال لي السلطان: إن المتربع هو تلميذ صاحب النعل، ثم قال: لولا أني أخاف على عقلك لأمرتهم أن يأتوا بأعظم مما رأيت فأنصرفت عنه وأصابني الخفقان ومرضت حتى أمر بشربة أذهبت ذلك عني، الخ، وذكر لهم قصصاً كثيرة منها الرقص في النار وأمثالها تركناها له.

ومن المشعوذين الحسين بن منصور الحلاج وقُتل أيام المقتدر العباسي لما

---

(١) نفسه: ص ٤٢٤.

(٢) رحلة ابن بطوطة ٢/ ١٠٢.

ظهر منه الإلحاد والزندقة وكان يمزج الغلو بالتصوف والحلول بالتناسخ ويظهر في ذلك أفعالاً عجيبة أستوفيناها في كتابنا «كشف المستور» وكتابنا «الميزان الراجح»، أفتى علماء المذاهب وفيهم الشيعة بقتله فقتله المقتدر، وله في قتله قصة عجيبة، فمن شعبذته ما ذكره ابن النديم في الفهرست[١] أنه حرك يده يوماً فأنتثر على قوم مسك، وحرك يده آخر فنثر دراهم، فقال له بعض من يفهم: أرى دراهم معروفة ولكن أُؤمن بك وخلق معي إن أعطيتني درهماً عليه اسمك واسم أبيك، فقال له: وكيف وهذا لم يصنع؟ فقال: من أحضر ما ليس بحاضر صنع ماليس بمصنوع.

وفي صلة تاريخ الطبري وذكر كثيراً من مخاريقه منها[٢] قال: كان نصر بن قشور قد مرض فوصف له الطبيب تفاحة فلم توجد فأومأ الحلاج إلى الهواء فأعطاهم تفاحة فتعجبوا من ذلك وقالوا له: من أين لك هذه؟ قال: هذه من الجنة.

فقال له بعض من حضر: إن فاكهة الجنة غي متغيرة وهذا فيها دودة، فقال: لأنها خرجت من دار البقاء إلى دار الفناء فحل بها جزء من البلاء.

وقال[٣]: وأخبرني جماعة من أصحابه أنه لما افتتن الناس بالحلاج في الأهواز وكورها وما يخرجه لهم من الأطعمة والأشربة في غير حينها والدراهم التي سماها دراهم القدرة.

حدث أبو علي الجبائي فقال لهم: هذه الأشياء محفوظة في منازل تمكن الحيلة فيها ولكن أدخلوه بيتاً من بيوتكم لا من منزله وكلفوه أن يخرج من جزرتين شوك فإن فعل فصدقوه.

فبلغ الحلاج قوله وأن قوماً قد عملوا على ذلك، فخرج من الأهواز الخ، وحكاياته كثيرة.

ومن المشعوذين مسيلمة الكذاب الحنفي من ربيعة مدعي النبوة في عصر النبي محمد ﷺ وقتل في خلافة أبي بكر فإنه كان صاحب مخاريق ونيرنجات وشعبذة.

قال الحلبي في سيرته[٤]: ثم أظهر معجزة وهو أنه أدخل بيضة في قارورة فأفتضح بأن البيضة بني يومها إذا لقيت في الخل والنوشادر يوماً وليلة فإنها تمتد

---

(١) الفهرست: ص٢٧٠.
(٢) تاريخ الطبري ١٣/ ٥٠.
(٣) نفسه ٥٣/ ١٣.
(٤) السيرة الحلبية: ص٢٥٣.

كالخيط فتجعل في القارورة ويصب عليها الماء فتجمد.

وقال وجيه فارس الكيلاني في كتاب الدعاة[١]: كان مسيلمة صاحب مخاريق وتمويهات يقال إنه أول من أدخل البيضة في القارورة وأول من وصل جناح الطائر المقصوص، الخ.

وذكر الجاحظ في كتاب الحيوان أنواعاً من الشعوذة.

ومن المشعوذين الأسود العنسي من مذحج الذي أدعى النبوة في عصر رسول الله ﷺ وقتل في عصره كان مشعبذاً يأمر حماره فيسجد له بتمرين مرنه عليه.

قال وجيه الكيلاني في الدعاة[٢]: قيل له ذو جمار لأنه كان له حمار معلم يقول له أسجد لربك فيسجد، ويقول له أبرك فيبرك فسمي ذو الحمار كان يشعبذ ويروي الأعاجيب، الخ.

ومن المشعوذين المقنع الخراساني وهو من أصحاب أبي مسلم الخراساني صاحب الدولة كان يدعي الربوبية ويقول بالتناسخ والحلول.

قال في الدعاة[٣]: كان قبيح الوجه مشوه الخلق ألكن أعور قصيراً وكان لا يسفر وجهه فلذلك سمي المقنع أتخذ وجهاً من ذهب فقنع به لئلا يرى وجهه وقبحه وإنما غلب على عقولهم بالتمويه والسحر، وكان في جملة ما أظهر لهم صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسافة شهر من موضعه ثم يغيب فعظم اعتقاد الناس فيه.

وقد ذكر المعري هذا القمر بقوله:

أفق إنما البدر المقنع رأسه ضلال وغي مثل بدر المقنع

وهبة الدين بن سناء الملك بقوله:

إليك فما بدر المقنع طالعاً بأسحر من الحاظ بدر المعمم

وفي سقط الزند إنه أنبط بئراً واسعة في بعض جبال تلك الناحية وطرح فيها الزئبق الكثير فوق الماء فكان شعاعه يظهر في الجو كأنه بدر وقتل أيام المهدي.

قال[٤]: قيل: إنه أحرق نفسه في تنور في حصنه قد أذاب فيه النحاس مع السكر حتى ذاب فيه وافتتن أصحابه بعد ذلك لما لم يجدوا جثته ولا رماداً

---

(١) الدعاة: ص٥٠.
(٢) الدعاة: ص ٥٩.
(٣) الدعاة: ص١٣.
(٤) سقط الزند: ص١٤.

وزعموا أنه صعد إلى السماء، الخ.

ومن المشعوذين ٱبن الشباس علي بن الحسين البغدادي أبو محمد، قال عنه في الدعاة[١] توفي بالبصرة سنة ٤٤٤ وكان ٱبن الشباس وأبوه مستقرين بالبصرة وكانت أربجياتهم وزخارفهم أختفى على الناس حتى كشفها بعض أصحابه فكان مما حدث به عنه أنه قال: حضر يوماً عنده فأخرج دباً مشوياً فأمرنا بأكله وأن لا نكسر عظمه ولا نهشمه فلما فرغنا أمرنا برده إلى التنور ونزل على التنور طبقاً ثم رفعه بعد ساعة فوجدنا جديناً يرعى حشيشاً ولم نرى للنار أثراً ولا للعظام خبراً.

قال: فتلطفت حتى عرفت خبر ذلك وهو أن التنور يفضي إلى سرداب وبينهما طبق نحاس بلولب فإذا أراد أزالة النار فركه فينزل عليه فيسده وينفتح السرداب، فإذا أراد أن يظهر لنا النار أعاد الطبق إلى فم السرداب فتبدوا النار للناس.

ومن المشعوذين الحارث الكذاب من أهل الحولة قرية بالشام أدعى النبوة فقتله عبد الملك بن مروان، قال عنه في الدعاة[٢]: كان يريهم الأعاجيب فكان يأتي إلى رخامة المسجد فينقرها بيده فتسيح وكان يطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء ويقول: أُخرجوا حتى أُريكم الملائكة فيخرجهم إلى دير مروان[٣] فيريهم رجالاً على خيل ـ وفي رواية ٱبن عساكر: على جبل ـ فتبعه خلق كثير إلى آخر ما ذكر وفيها قتله.

وذكره الحموي في معجم البلدان في الحولة وابن عساكر في التاريخ.

ومن المشعوذين إسحاق الأخرس الذي أدعى النبوة في عصر السفاح العباسي وهو أعجمي إصفهاني قال عنه في الدعاة[٤]: نشأ بالمغرب فتعلم القرآن ولم يترك علماً حتى أتقنه ثم أدعى أنه أخرس وسافر ونزل بأصبهان ثم أراد الدعوة فعمل أدهاناً دهن بها وجهه حتى لا يمكن أحداً النظر إليه من شدة الأنوار ثم نام في المدرسة مغلقاً عليه الأبواب فلما نام الناس قام فدهن وجهه من ذلك الدهن ثم أوقد شمعتين مصبوغتين لهما أنوار تفوق السرج وصرخ صرخة أزعج الناس ثم أتبعهما ثانية وثالثة وأنتصب في المحراب يصلي ويقرأ القرآن بصوت أطيب ما يكون وبنغمة أرق من النسيم فلما سمع الفقهاء تواثبوا وأشرفوا عليه وهو على تلك الحال فحارت أفكارهم إلى آخر قصته.

---

(١) الدعاة: ص٢٨.
(٢) الدعاة: ص٧٣.
(٣) دير مروان تصحيف مران.
(٤) الدعاة: ص٧٧.

ومن المشعوذين فارس الساباطي قال عنه في الدعاة[١] هو فارس بن يحيى الساباطي كان ظهوره في خلافة المعتز فكان يمشي في الماء على ساحل البحر فيطلع السمك من البحر ويقبل أقدامه، قال الجوبري: وذلك أنه يدهن أقدامه بدهن فتطلع السمك فتلحس أقدامه فيتوهم الإغرار فيه النبوة، الخ.

والمشعوذين كثيرون وأوردنا هذه الجمله لتفهم مقدار ما أستخف هؤلاء من سخفاء وأستغووا من بلداء واستهووا من سذج حتى يقول ذلك المضل أنا أُباهل أهل المذاهب في أن أدخل النار فلا تضرني، وأرمي بنفسي من شاهق فلا يضرني، وأخوض الشط فلا أُغرق فيصادف بهذه المخرقة عمي البصيرة.

عودة إلى الفرق بين المعجز والسحر:

قال أبن خلدون البربري المؤرخ المالكي في المقدمة في الفصل المطول في السحر والشعبذة[٢]: أما الفرق عندهم بين المعجزة والسحر فالذي ذكره المتكلمون أنه راجع إلى التحدي وهو دعوى وقوعها على وفق ما أدعاه وقالوا: الساحر مصروف عن مثل ذلك التحدي فلا يقع منه وقوع المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية لأن صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكاذب لاستحال الصادق كاذباً وهو محال فإذن لا تقع المعجزة مع الكاذب بإطلاق.

أما الحكماء فالفرق بينهما عندهم كفرق ما بين الخير والشر في نهاية الطرفين فالساحر لا يصدر منه الخير ولا يستعمل في أسباب الخير وصاحب المعجزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل في أسباب الشر وكأنهما على طرفي نقيض في أصل فطرتهما، والله يهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم، الخ.

واجتلى الفرق بين السحر والمعجز من إشعاع تدقيق العلماء بوضوح فأرسمه بأُمور:

(١) ما عن العزالي من جهة الدوام وعدمه فالمعجز دائم ومستمر والسحر زائل ومنقطع.

(٢) الصرفة فيما حكاه أبن خلدون عن متكلمي المسلمين ومعنى الصرفة هو رفع التطرق إلى ادعاء التحدي ومباهلة الغير فيقع السحر من الساحر بدون دعوى الناس إلى أحتكام الأقتراح عليه فيما شاؤوا والنبي يتحداهم إلى الأقتراح

---

(١) الدعاة: ص٨٣.

(٢) مقدمة ابن خلدون: ص١٤٢٢.

ويدعوهم إلى التحكم في التصرف في الطبيعيات وتصريف الماديات بإرادته كما يريدون وكما يقترحون، ففي الساحل يحل الصرف الإلٰهي فلا يدور في خلده ولا يتخلل فاكرته أن يدعي مثل ذلك أو يدعو إليه فتقع الأشياء منه عفواً.

(٣) المنع الذي ذكره آبن خلدون عن الفلاسفة وهذا المنع قد يكون منعاً إلٰهياً وسلباً للقدر على فعل الشيء بسبب المنع الرباني فيعود إلى الصرفة وقد يكون طبيعياً جبلياً وهو مرادهم وذلك أن الشرير لا يصدر عنه إلا الشر ولا يفيض منه الخير وكذلك الخير لا يصدر منه إلا الخير ولا يفيض منه الشر فإذا شاهدنا أعمال السحرة الأشرار حكمنا عليها بالمخرقة لأنها من مصدر الشر، وإذا شاهدنا أعمال الأنبياء حكمنا بالمعجز لأنها من مصدر الخير فالأول ساحر شرير يستغوي العقول كما عرفناه بطبعه والثاني مصلح مرشد يستهدي الألباب كما تبيناه من سجيته، فالمطبوع على الخير والمجبول عليه يأتي بالبرهان الناصع دليلاً على خيره الذي يدعو إليه والمفطور على الشرارة والإضلال يأتي بمخاريقه لتكرير شروره.

(٤) ما نراه نحن أن المعجز ما لا يدخله التصنع والحيلة، والسحر قوامه التصنع والاحتيال فالأمر بعدم كسر العظم مغالطة فإن المقتدر على إعادة اللحم والشحم والحياة وتركيب المفاصل يستطيع إعادة العظم المهشم وفي هذا المنع مغالة للعاقل وتمويه على الجاهل بأن في كسره وهشمه إبطال للماهية وإفساد لها وإتلاف فيستطيع من بقائها ترويج تمويهه.

أما المعجز فلا يتوقف على بقاء المادة ولا حفظ الماهية وإنما راجت مغالطة الساحر على العاقل بحفظ العظام ليوهمه أن الله تعالى قال لخليله: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾[1] فيموه بأن الله تعالى أمه الخليل بحفظ الأجزاء حتى يجعل كل واحد في مكان ولو تلفت ما استطاع الخليل ذلك وهذه مغالطة يرمقها العاقل بعين الرضا والتسليم ولو أعمل دقة النظر والفكر لتبيين غلطها واضحاً لأن الخليل الخليل ما طلب إلا كيفية إحياء الموتى، وكيفيتها تحصل بأنضمام الأجزاء ولو طلب كيفية الإعادة لأمره بأن يدعوا جماداً أو غيره من الأشياء.

وقصة الخليل كقصة الذي مر على قرية وقال أنّى يحيي هذه الله، فإن قصة أنّى كيف تحيي الموتى يجوز وقوعها في أن يحيي له ميتاً ولا يفقد سوى الروح لأن السؤال لا يقتضي أكثر منه والطلب لا يتعداه وله كان طلبه صفة الإعادة بعد

(١) البقرة: ٢٦٠.

التفريق والتمزيق لأراه إياه.

(٥) ما نراه أيضاً من أن المعجز يقلب الحقيقة وإنشاء شيء من غير طبيعته كقوله تعالى حاكياً عن عيسى بن مريم بقوله: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾[١] فقلب هذا المعجز الباهر حقيقة الطين التي من طبعها الثقل وهي بحسب مادتها تطلب الأعماق والرسوب فيها إلى حقيقة ثانية طبعها الخفة وهي بمادتها تطلب العلو والارتفاع وتلك طبيعة الهواء الذي خلق منه سائر الطيور كما صرحت به الأحاديث حتى أصبح هذا الثقيل الذي يقتضي الهبوط جرماً خفيفاً مرتفعاً في الهواء.

فالمشعبذ والساحر مهما بلغا من الحذق والمهارة في المخاريق لا يستطيعان قلب الحقائق، أقصى ما يستطيعانه التمويه بضروب من الحيل كالإغماء على البصر فيريهم ما يتوهمونه فرساً تطير في الهواء عليها رجال فهذا خيال لا حقيقة، وقد قال الله في عصى سحرة موسى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾[٢] فإذا أزال هذا التخييل أنكشف الواقع المغطى ولكن صاحب المعجز يتمكن من جعل الفرس طيار وغير محتاج معه إلى الجناح كما يوصف بساط سليمان الذي تقله الريح إلى حيث شاء يسير مرتعاً في الهواء بجيمع ما فيه من أثقال وهذا قاله الله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ﴾[٣] فسير هذا البساط ما لا تستطيعه الطائرة النفاثة مع خفتها فإنها لا تقطع في غدوة مسافة شهر وفي روحة مثله.

(٦) ونحن نقرره أيضاً أن المعجزات لم تكن عن مبادي علوم ولم تقع عن سنة مقررة وعلى نمط واحد فلذلك تقع متفاوتة في الآنات وعلى أنواع شتى وكل واحدة تجيء بسرعة مدهشة فبينا ترى صاحب المعجز يكلم الحصا إذا تقبل نحو الشجرة وتظله من فوق رأسه الغمامة وإذا قدمه ترتسم في الصخر ويكون لشخصه ظل في الفيء دون الشمس إلى ما شاء متصلة أو متعاقبة.

ولا يستطيع الساحر والمشعوذ ذلك لأنها قد أستخرجا تلك المخاريق من قواعد فنية فهي تجري على سنة واحدة ونمط واحد فالذي لم تعمل فيه نفاثته لا يأتي بشيء منه فلذلك ترى إنارة الشمعة وإضائة الوجه من نوع واحد صناعي فليس في استطاعته مع ذلك أن يجلب شجرة مالم يستعد معها لأسباب التمويه المعينة له على تركيز هذا الخيال في الأوهام.

---

(١) آل عمران: ٤٩.
(٢) طه: ٦٦.
(٣) سبأ: ١٢.

وأمر المعجز بين في قصة عيسى إذ يتحدى بخلق الطير من الطين وإبراء الأبصر والأكمه والأعمى وإحياء الميت كل ذلك وقت واحد وكل عمل من هذه الأعمال لو نجح على فرض محال لأستغرق وحده أزمنة طويلة فالمصور لصورة لا تطير فعلاً يحتاج إلى مدة غير قصيرة فكيف لو صورها طائرة حية ذات أجنحة ولحم ودم وهكذا البواقي.

وكذلك لو حاول عيسى من إخبارهم بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم لاحتاج إلى مدة طويلة يستعملها بطرقها من التجسس والفحص الدقيق لئلا يخطئ فيحتاج إلى زمن طويل وربما لا يطلع بتجسسه على المخباة التي يقع عليها علم صاحب المعجز ولو لم يكن كذلك لكان تحديه مدحوضاً واحتجاجه منقوضاً.

أما الاستعلامات من سير الكواكب وقرانات النجوم واستعمال الآلات التي يستخرج بها الأنواء والرياح وكذلك مقاييس درجات برودة الجو وحرارته فأُمور علمية وهي مع ما يقترن معها من الخطأ أحياناً لا تقع إلا بعد بذل الجهود وقضاء الأزمنة الطويلة وبعد التجارب العديدة أستند إليها أهلوه ولو حاولوه قبل التجربة والاختبار افتضحوا، وصاحب المعجز لا يحتاج إلى ذلك.

وقد جاء في أحاديثنا أن إمامنا الهادي «عليه السلام» لما أشخصه المتوكل من الحجاز إلى العراق كان ذلك في شدة الحر فأستعد لنفسه ولخدمه بالفنك والسمور واللباد ألبسة الشتاء الشديد حتى أستوجب أن يسخر منه الساخر فلما دخلوا البادية أظلتهم سحابة شديدة البردة وأُمطرت عليهم برداً فهلك كل من لم يرتدي من تلك الألبسة ومثل هذا لا يقع في الآلات إلا بعد التجارب مراراً عديدة كما عرفناك: فهذه الفوارق بين المعجز والسحر.

الفرق بين المعجزة والاختراع الحديث

إن الذي أستخرجه العلم الحديث في هذه الأزمنة مما أوجب الدهشة والأنذهال وحتى أدى ببعض ضعفاء الدين والعقل أن يقول:

إن يكن معجز النبي عجيباً فلكم أظهرت أُوربا عجيبا

وهذا إنسان يسلب المعرفة وفقد بصرة العلم فتمحل وسنوضح لك إن شاء الله.

للدكتور عبد العزيز إسماعيل في كتاب الإسلام والطب الحديث[1] في الفرق

(١) الإسلام والطب الحديث: ص٤٠.

بين المعجزات والاختراعات العلمية كلام جميل فراجعه.

ثم قال الدكتور بعد كلام حول قضية ولادة سيدنا عيسى «عليه السلام»[١]:

ولما كان المعجزات لما فيها من خرق النواميس الطبيعية والأنفعالات النفسية تدخل في اختصاص الطبيب أكثر من غيره جئت أُلخص هنا ما وصلت إليه من قواعد أساسية في كل ما ورد في القرآن منها:

(١) المعجزة كلها من صنع الله مباشرة ومعناها سنة جديدة بخلاف كل ما نراه يومياً من عظة وعظمة كالولادة ونمو الحيوان والنبات فإنه مع إعجازه يأتي مطابقاً لقواعد ونظم وضعها الله لا تتغير وأظهر مثل النواميس الطبيعية حركة الشمس فإن ذلك مع عظمته لا يحدث صدمة لتعودنا إياه ولكن إن أتى الله بالشمس من المغرب بدل المشرق كان هذا معجزة بالنسبة للإنسان مع أن الحركتين من صنع الله ولا فرق بينهما.

(٢) لا تحصل المعجزة إلا على أيدي الأنبياء وذلك أن صدمتها إن كانت على الحاضرين شديدة فهي أشد على من يكون واسطة فيها ولذلك اختار الله الأنبياء وأصطفاهم.

إلى هنا كلام هذا الدكتور صحيح إلا أن الذي لهم قابلية التحمل والاستعداد لملاقات هول الصدمة وهم أوصياء الأنبياء فحالهم حال الأنبياء في جريان المعجز على أيديهم كما ثبت ذلك من إخبارات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» بالمغيبات وهي قول تشبه سيدنا عيسى بما تأكلون وما تدخرون، وقلعه الصخرة عن العين تشبه سقي موسى لغنم شعيب وغير ذلك مما هو مذكور في تواريخ الأئمة الإثنى عشر «عليهم السلام».

قال الدكتور[٢]:

(٣) لمنع الصدمة الشديدة وقت حدوثها يهيئ الله الظروف لتحملها ويهيئ النبي نفسه لقبولها، ويهيء الحاضرين لمشاهدتها، وأمر الله لسيدنا موسى «عليه السلام» بإدخال يده في جيبه وإخراجها لتكون بيضاء ليس إلا لتهيئة المعجزات الأُخرى وكذلك عدم استطاعة سيدنا زكريا «عليه السلام» الكلام ثلاثة أيام قبل حدوث الحمل عند امرأته وقد سبق الكلام على تهيئة الحاضرين والمستمعين وهذا هو السبب في أن المعجزات تظهر دائماً بلطفه بمقادير مختلفة، وهذا سر ذكر قصة سيدنا زكريا «عليه السلام» قبل قصة سيدنا عيسى «عليه السلام» في سورة مريم «عليها السلام».

---

(١) نفسه: ص٤٧.

(٢) الإسلام والطب الحديث: ص٤٧.

ليس للعقل البشري أن يحكم على أي المعجزات أعظم من الأُخرى وأن يتكلم عن الطريقة التي تحصل بها المعجزات لأنه يتكلم عن شيء كله مجهول ما دامت المعجزة من صنع الله وما دام الإنسان وعقله من صنع الله كذلك على نقض سنة ولا يستطيع المخلوق أن يفهم السنة التي خلق عليها وإلا لأستطاع الإنسان أن يخلق نفسه بنفسه وأن يتحكم في خلق غيره.

وهنا يلاحظ أن كل المعجزات لا يمكن أن يصل إلى صنعها الإنسان مهما أرتقى وأغلبها ينتهي إلى شيء واحد وهو خلق الحياة والروح مهما ظهرت صغيرة لأول نظرة، فمثلاً إبراء عيسى «عليه السلام» الأعمى يظهر لأول وهلة أقل من إحياء الموتى والحقيقة أن المقصود بالأعمى هنا هو الأعمى الذي فقد شيئاً عضوياً لا يمكن استعاضته ومن أمكنه أستعاضة شيء مهما صغر حجمه أمكنه أن يستعيض الكل.

واما إبراء الأعمى الذي يشاهد يومياً فهذا يحدث في الأحوال العصبية غير العضوية وبواسطة أطباء العيون وهو يحدث بإزالة أشياء تكون سبب العمى ولكن لا يمكن الأطباء أن يحدثوا مثلاً إبراء الأعمى بإعادة عصب العين من جديد وكذلك صنع الرجل جديدة فالجراح يصنع رجلاً صناعيه وبواسطة العضلات الباقية يستطيع الإنسان أن يمشي عليها ولكن لا يمكن الجراح أن يصنع رجلاً من لحم ودم، وصفوة القول أنه لا يمكنه أن يصنع جزء حياً مهما صغر حجمه لأن الجسم مجموع ملايين من الخلايا وصنع واحدة كصنع الكل وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾[1].

وكذلك ستبقى المعجزة فوق قدرة الإنسان وظهر لنا عظمها أو عظم عظمها بالنسبة لعقولنا فقط لكنها كلها من واحد، وما كان صنعه فوق إدراكنا لا يمكننا الحكم عليه، وقد يقول البعض أن العلوم تتقدم وإنه لو كان بعض الاختراعات الموجودة الآن موجوداً في مدة الأنبياء لعدت معجزاً.

وهذا القول دليل على أن الروح الحقيقي للمعجزات لم يفهم لأن كل الاختراعات العلمية تبتنى على السنن الطبيعية وكلها مبتنية على قواعد علمية لا تتغير فإذا ظهر لها استثناء فإن سببه قاعدة علمية أُخرى يبحث العالم عنها حتى يجدها فإن وجدها لا تنطبق على الاستثناءات وجد الخوارج عن هذه الاستثناءات محكومة بسنة أُخرى وهكذا إلى آخر ما لا نهاية لهم، فما السنن الإلٰهية والقواعد

(١) الحج: ٧٣.

العلمية أو القواعد الطبيعية كما يسميها الطبيعيون لا حد لها ولا تتغير أبداً وما لا يتغير أيضاً، وكلما يظهر مدهشاً في نتيجة من المخترعات مثل الكهرباء والهاتف والراديو وما سيظهر هو من الاستعانة بهذه القواعد، فالذي يتكلم في أُوربا ويسمعه آخر في مصر بواسطة الراديو استطاع ذلك لأن الهواء بطبيعته يحمل الصوت بصفة أمواج إلى العالم كله وأستعان العلماء بهذه السنة الطبيعية وسخروها لأغراضهم.

ولذلك مهما عظمت النتائج في المخترعات فإن طريق الوصول إليها سنة ثابتة ومثلها مثل من يحضر الأرض ويستعين بماء المطر ويحوله نهراً يجري فإنه لم يخلق نهراً ولكنه استعان بالقوى الطبيعية بعكس المعجزات فإنها من طراز آخر وهي مهما صغرت نتائجها خلق سنة جديدة وقد أوضحنا ذلك فيما تقدم، ولزيادة الإيضاح أضرب مثلاً قصة سيدنا إبراهيم «عليه السلام» وعدم أحتراقه بالنار فإن العلم بتقدمه يستطيع أن يعطي الإنسان شيء غير قابل للأحتراق ويضعه في النار فلا يحترق وهذا يشبه المعجزة ولكنه اختراع استعان صاحبه فيه بالنواميس الطبيعية، أما المعجزة فهي أن يضع الإنسان كما هو جسماً ولحماً في النار فيكون عدم أحتراقه معناه أي المعجزة خرق للنسة الطبيعية التي تقضي بأحتراق الجسم إذا وضع في النار.

وأما تغطية الجسم لمنع اتصال النار به فإنه يظهر أن المختراع أمكنه منع النار من إحراقه ولكنه في الحقيقة منع النار من إحراق الجسم الخارجي الذي لا يقبل الاحتراق بطبيعته لأن جسم الإنسان المغطى بمادة لا تحترق لم يتعرض للنار والفرق بين الإثنين ظاهر.

والفرق بين المخترع وصانع المعجزة مثل الفرق بين الحاوي والمخترع ويمكن تطبيق هذا النظرية في معجزة ذي النون لأن الإنسان يمكنه أن يعيش أياماً في الغواصات تحت البحر ولكنه يفعل ذلك بالإستعانة بالنواميس الطبيعية، وأما المعجزة فتكون تخرقه القوانين وهكذا مكث ذو النون في بطن الحوت بدون هواء صناعي معرضاً لن ينهضم ويتحول جسمه مثل باقي المواد، والطبيب الذي يعيد للقلب ضرباته ليس كمن يحيي الموتى فهو خرق لهذه السنن ويتسائل كثيرون هل المعجزات ضرورية، والجواب أنها ضرورية لإيمان الإنسان مقدورة لله ولولاها لساد مذهب الطبيعيين لأن سنن الله لا تتغير أبداً وهذا ما يسمى بالطبيعة ولا فرق بين الإثنين.

وإثبات هذه القوانين ما ظهر منها وما خفي للآن شيء مدهش حتى أن الإنسان قد ينسى واضع هذه القوانين ويقول ما الحاجة بي لأن أقول أن هناك صانعاً أزلياً ما دامت هذه القواعد ثابتة على وتيرة واحدة ملايين السنين، وهنا كانت حكمة الله في أن يخرق هذه السنن ليظهر للناس أن الصانع الأول موجود ومثل ذلك مثل آلة الميزان تزن الإنسان الذي إذا وقف عليها ووضع قطعة معدنية في ثقب فيها فتخرج ورقة عليها رقم وزنه فأذا فرضنا أنها محكمة الصنع لا تتغير أبد آلاف السنين فإن الإنسان يشك في صانعها الأول ولكنه إن رأى أنها قد تخرج ورقة الوزن بدون القطعة المعدنية فيها يقول من يفعل ذلك أمكنه صنعها، وإذا رأى يوماً ما أن قطعة معدن صغيرة أصحبت أمام عينه آلة صغيرة تزن الأشخاص أيقن أن للأُولى صانعاً وهذا هو معنى صنع الطير من الطين لأن هذا مثل لخلق سيدنا آدم «عليه السلام» الذي خلق منه العالم الإنساني كله بالسنن الطبيعية الإلٰهية التي لا تبديل فيها.

وصفوة القول أن أساس المعجزة وعظمتها ليس في نتائجها وغرابتها فالدهشة من سماع الأبكم يتكلم ربما كانت أقل من سماع الراديو لأول وهلة ولكن أهمية المعجزة في طريقة صنيعها بدون السنن الأعتيادية وهي كذلك لا تتكرر أبداً إلا بإذن الله لأن الإنسان لا يعرف قاعدتها ولا يدرك طريقة صنعها، أما الاختراع فإنه أكتشاف الناموس إلٰهي طبيعي ولذلك هو يتكرر دائماً في الظروف نفسها على يد كل إنسان، إلى آخر كلام الدكتور إسماعيل النفيس في المقام.

توضيح المؤلف لهذا المقام الغامض

إن الدكتور إسماعيل رجل خبير وقدير على استعمال البرهان الجديد، حاذق في الطب، عارف بقواعد العلم الحديث ولكنه غير واف في المقام، وفي الذي أوضحه كفاية للعلماء خاصة وإن الذي أوضحه صحيح لا شك فيه لمن أستعمل آلة الفكر وأرشده العقل السليم إلى معرفة الحقيقة ومخلص القول في الفرق بين المعجزة والاختراع الحديث.

إن المعجزة تكون قاهرة لجواهر الطبيعة والاختراع يقع بمطاوعة جواهر الطبيعة والمماشاة معها في كل حين ولهذا تحتاج المخترعات إلى استخدام المواد الطبيعية والاستعانة بالسنن الكونية بعد الامتحان والتجربة والاختبار الطويل ولأجل ذلك تجيء في مبادئها ضعيفة جداً ثم تدرج مترقية بأسباب طول التجارب

٣٥٨ ـــــــ

ذاتياً على الموجب والسالب أو الجاذب والداع، وما يسمونه بالحار والبارد فلو أختل هذا الشرط فسد أصل العمل ولو أختلف ترتيبه أيضاً يفسد وسائر الشروط.

فإن اتصال الأسلاك أيضاً شرط، فلو لم يتصل فلا قوة كما أن اللنبلة عدمها يفقد معه الضياء، هذا شيء يعرفه اليوم سائر الناس.

ونور طور سيناء الخارج من شجرة خضراء لم تولده ماكينة ولا آلة وسرى في أرجاء تلك البقعة بلا سلك ولا أنبوب ولا لنبة ولا سالب فيه ولا موجب، ولم يحرق يد موسى كما يحرق الكهرباء لامسها، ولم يخنقه سلك الكهرباء من مسه وهكذا جائت معجزات نبينا محمد ﷺ كإظهار النور على سوط الطفيل الدوسي وكفه، وعلى جبين آخر من أصحابه فلقب بذي النور وأمثال ذلك، وكل هذه المعجزات لم تستخدم الطبيعة ولم تستعن بالنواويس بل جائت قاهرة لها.

وإذا قست الأُعجوبة الأُخرى إلقاء الكلام على الشجرة في خطاب موسى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾[1]، ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾[2] هذا كلام يخرج من شجرة خرساء من طبيعتها عدم النطق ولو بألف علاج لا تنطق ولو تعاونت البشرية من أدناها إلى أقصاها ومن غابرها إلى حاضرها أن يجعلوا من شجرة نطقاً مفهوماً وكلاماً متميزاً بجوهره عن سائر الكلام ما استطاعوا ولا قدروا لأنهم عاجزون عن قهر الطبيعة وأقصى ما تصل إليه قدرته التمشي مع الطبيعة في التلطيف والمطاوعة لها في التنقيح وقد أعترف الفلاسفة أن للكلام شروطاً لا يمكن أن تكون بدونها، وبيان هذا يوجب تطويلاً.

نعم، إن الفلاسفة درسوا طبائع الاشياء فوجدوا فيها خواصاً وعرفوا بالعلم جواهراً أصلية أستنتجوا منها أنها إذا استخدمت وأنضم بعضها إلى بعض بتأليف خاص حدثت منها أشياء تبهر العقول ويستفاد منها إيصال الكلام البعيد فأستخدموها بعد تجارب وأختبار زمناً طويلاً لاقوا بسببه كل عناء وتحملوا في سبيله المصاعب والمشاق فحصلوا على النتائج التي سهروا على التفكير فيها لياليا طوالاً، وتعبوا في أختبارها أياماً عديدة ولم يتمكنوا مع الاستعانة بالآليات الطبيعية من إحداث الكلام وإنشاء الأصوات والحروف إنما تمكنوا من إيصال الكلام بنصه.

وحديث موسى «عليه السلام» تكليم الشجرة له فخلقه فيها وإيجاده وإحداثه لا أنها آلة أوصلته إليه كما يحصل في التلفون والراديو فإنها تؤديه بلفظ نطق

(١) طه: ١٢. (٢) طه: ١٧.

الناطق فالتلفون تجذبه الآلة وتؤديه إلى آلة إلى أُخرى بواسطة السلك والراديو تجذبه الموجات الأثيرية بواسطة الآلتين في محطة الإذاعة ومركز الإبلاغ والكل مفتقر إلى السالب والموجب.

وما في الفوتغراف من كلام محفوظ في الاسطوانة فبواسطة قوة جوهرية والسلكية والأثيرية والآليات كلها طبائع مستخدمة وقد كانت موجات الهواء تقذف بالأصوات إلى أمد بعيد وهو المسمى بالصدى وليس في تكليم موسى موجة أثيرية ولا سلك ولا إبرة مغنطيسية ولا أسطوانة ولا كل شيء صناعي فهي قاهرة للطبيعة لا سائرة معها مماشية لها كالمخترعات والتفكير في الكهربائية التي نتجت عنها هذه العجائب بعيد الأمد، فأول من فكر فيه ثاليس الفيلسوف الملطي على ما قاله في كتاب سياحة المعارف[١] وذكر[٢]: إن أُوتون غريقه من هولنده أصطنع آلة كهربائية ونوعها دوقاي الفرنسي إلى نوعين: زجاجية ورانجيتية فلينظر إلى هذا الكتاب[٣].

ومن أراد الوقوف على أنواع هذه المخترعات وكيفياتها فليراجعه أو يراجع كتاب الفلسفة الطبيعية أو كتاب الطبيعة الصناعية أو التاريخ العام ومجلة التربية والتعليم المعروفة بالحولية وغيرها من الكتب الجديدة كنهضة أُوربا وتمدن الغرب وأمثال ذلك.

الكرامة أُخت المعجزة

تقدم الفرق بينهما، نتكلم يسيراً في معناها وإمكان حدوثها للأولياء فإن بعض الناس منع حصول الكرامات للأولياء.

قال الجرجاني الحنفي في التعريفات: واشتقاقها من الأكرم والكرم معروف معناه، وكأن الله تعالى يكرم عبده الصالح بما يظهره على يده أو عند قبره بما يخرق به العادة ما يسهله بسببه من الأُمور الصعبة وإن لم تكن خارقة للعادة كشفاء المرضى وتعجيل البرء وإعطاء الأماني وما يشاكل ذلك حتى تصل إلى درجة الإعجاز كل هذه من الكرامات التي يكرم الله تعالى الأولياء والبررة الاتقياء وكل مقدور لله فهو ممكن وحيث لا تلبس بدعوى النبوة ولا يلزم التمويه فهي ممكنة أيضاً، إنتهى.

---

(١) سياحة المعارف: ص١٣٩.
(٢) نفسه: ص٤٠٣.
(٣) سياحة المعارف: ص٤٨٨.

وقال المحقق نصير الملة والدين الطوسي (رحمه الله) في التجريد المسألة الخامسة في الكرامات وقصة مريم «عليها السلام» وغيرها تعطي جواز ظهورها على الصالحين.

قال العلامة الحلي (رحمه الله) في شرحه[1]: أقول: اختلف الناس هنا فذهب جماعة من المعتزلة إلى المنع من إظهار المعجزة على الصالحين كرامة لهم، ومن إظهارها على العكس على الكذابين إظهاراً لكذبهم، وجوزها أبو الحسين منهم، وجماعة أُخرى من المعتزلة والأشاعرة وهو الحق، وأستدل المصنف (رحمه الله) بقصة مريم «عليها السلام» فإنها تدل على ظهور معجزات عليها وغيرها مثل قصة آصف وكالأخبار المنقولة المتواترة عن علي «عليه السلام» وغيره من الأئمة «عليهم السلام» وحمل المانعون قصة مريم «عليها السلام» على أنها إرهاص لعيسى «عليه السلام» وقصة آصف على أنها معجزة لسليمان مع بلقيس كأنه يقول بعض أتباعي يقدر على هذا مع عجزكم عنه، ولهذا أسلمت بعد الوقوف على معجزاته، وقصة علي «عليه السلام» تكملة معجزات النبي ﷺ.

قال: ولا يلزم خروجه عن الإعجاز ولا النفور ولا عدم التمييز ولا إبطال دلالته ولا العمومية، أقول: هذه وجوه أستدل بها المانعون من المعتزلة:

الأول: أنه قالوا: لو جاز ظهور المعجزة على يد غير الأنبياء إكراماً لهم لجاز ظهورها عليهم وإن لم يعلم بها غيرهم لأن الغرض هو سرورهم وإذا جاز ذلك بلغت في الكثرة إلى خروجها عن حد الإعجاز.

والجواب المنع عن الملازمة لأن خروجها عن حد الأعجاز وجه قبيح ونحن إنما نجوز ظهور المعجزة إذا خلا عن جهات القبح فيجوز ظهورها مالم تبلغ في الكثرة إلى حد خروجها عن الإعجاز.

الثاني: قالو: إذا جاز ظهور المعجزة على غير النبي لزم التنفير عن الأنبياء إذ علة وجوب إطاعتهم ظهور المعجزة عليهم فإذا شاركهم في ذلك من لا يجب طاعته هان موقعهم ولهذا قالوا: لو أكرم الرئيس بنوع ما كل أحد هان موقع ذلك النوع بمن لا يستحق الإكرام.

والجواب: المنع من انحطاط مرتبة الإعجاز كما لو ظهر على نبي آخر فإنه لو لم يظهر إلا عن نبي واحد لكان موقعه أعظم وكما لا يلزم ألاهانة مع ظهوره

---

(١) شرح التجريد: ص٢١٩.

على جماعة الأنبياء كذلك لا يلزم الإهانة مع ظهوره على الصالحين.

الثالث: احتجاج أبي هاشم قال: المعجزة تدل بطريق الإبانة والتخصيص وفسره قاضي القضاة بأن المعجزة تدل على تميز النبي عن غيره إذا أفراد الأُمة مشاركون له في الإنسانية ولوازمها فلولا المعجزة لما تميز عنهم فلوا شاركه فيه غيره لم يحصل الامتياز.

والجواب: إن امتياز النبي يحصل بالمعجزة وأقتران دعوى النبوة وهذا شيء يختص به دون غيره ولا يلزم من مشاركة غيره له في المعجزة مشاركته له في كل شيء.

الرابع: لو جاز إظهار المعجزة على غير النبي لبطلت دلالته على صدق مدعي النبوة والتالي باطل فالمقدم مثله، بيان الملازمة أن ثبوت المعجزة في غير صورة النبوة ينفي اختصاصه بها وحينئذٍ لا يظهر الفرق بين مدعي النبوة وغيرها بالمعجزة فيبطل دلالته إذ لا دلالة للعام على الخاص.

والجواب: المنع من الملازمة لأن المعجز من الدعوى تختص بالنبي فإذا ظهرت المعجزة على شخص فإما أن يدعى النبوة أولاً فإن أدعى النبوة دلت المعجزة على تصديق المدعي بل تدل على صدق الدعوة فإذا تضمنت الدعوة النبوة دلت المعجزة على تصديق المدعي ويستلزم ذلك ثبوت النبوة.

الخامس: قالوا: لو جاز إظهار المعجزة على صادق ليس بنبي لجاز إظهارها على كل صادق فجاز إظهار المعجزة على المخبر بالشبع والجوع وغيرهما.

والجواب: أنه لا يلزم العمومية أي لا يلزم أظهار المعجزة على كل صادق إذ نحن إنما نجوز إظهارها على مدعي النبوة والصالح إكراماً وتعظيماً وذلك لا يحصل لكل مخبر صادق، إنتهى بألفاظه.

فالكرامة تظهر للأولياء وقد نص على ذلك أكثر علماء أهل السنة وما حرره العلامة في رد المعتزلة كاف في المقام فلا داعي إلى الإطالة.

أما كرامات العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهما السلام» فواردة مورد التواتر بل متواتر قطعية في كل عصر وفي كل عام من أعوام الحياة وشاهدها العيان ودليلها الوجدان:

له قبة سامي الضراح ضريحها بها تكشف البلوى ويستدفع الضر
وفيها شفاء للسقام وثروة لذي الفقر إن وافى إليها إنتهى الفقر

وفيها على رغم الحسود لخائف أمان من البلوى وفي ظلها النصر
لدى قبة العباس حلوا الغرائز تشاهد بالعينين شتى المعاجز
تجد عندها القصاد من كل بلدة وما صادر من عنده غير فائز
فثق زائر العباس إن زرت قبره برضوان رب وهو أسنى الجوائز
ونجح الأماني والشفا عند قبره وأمن من الأرزاء عند الهزاهز
فما غيره بعد النبي وآله أئمتنا من مستجار لعاجز
أقام لهم باري الأنام مراكز مقدسة أكرم لها من مراكز
تزورهم الأحياء منا ومن يمت نزورهم على بعد المدى في الجنائز
فدع عنك قول الحاسدين لفضلهم فلا تلقى في الحساد غير التغامز
فمن طيشهم قالوا الزيارة بدعة ومن هذر قالوا البكا غير جائز
وهم يتركوا نص النبي محمد لمن قال إن الدين دين العجائز

إن تسجيل كرامات العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» وضبط ما صدر منها من حين شهادته إلى يومنا هذا خارج عن الوسع والطاقة وليس في مقدور إنسان أن يضبط كل الوقائع التي تتجدد بتجدد الأيام وقد نقل ثقاة العلماء مثل الصدوق الفقيه الشيعي الإمامي وأبو الفرج الأصفهاني الشيعي الزيدي وسبط ابن الجوزي السني الحنفي وغيرهم قصة قاتله الذي يجيء إليه كل ليلة وهو حي فيغته في نار جهنم فيصرخ صراخاً عالياً يفزع الجيران ويوقظ النوام قد شاهدوه مسود الوجه بعد أن كان صبيحاً، وقد تقدمت القصة.

أما الكرامات الواقعة في عصرنا مما شاهدناه ونقله لنا الثقاة فكثيرة جداً وبالأخص تعجيل الله العقوبة لمن تعدى عليه وتجاوز وهو ما تسميه العوام بالشارة وقد بلغ الرعب منه في نفوس عوام الشيعة وخواصهم حتى أهل السنة المختلطين بالشيعة يرهبون سيدنا العباس «عليه السلام» أشد الرهبة فهم إذا أرادوا عقد موادعة ويسمونه بلسانهم علق وعطوة أو أرادوا عقد صلح بتسليم الدية ويسمونها بلسانهم فصل، عقدوا راية بأسم سيدنا العباس «عليه السلام» وجعلوه كفيلاً وثوقاً منهم بأن الله ينتقم من المعتدي سريعاً بدون إمهال فهم مطمئنون بسرعة الانتقام من المتجاوز على صاحبه والذي يسمونه بلسانهم كاسر راية العباس «عليه السلام» منكوب عندهم لا يرتابون في ذلك فهم لذلك يسمون القوي من المشائخ الكبار والسلطان إذا كان واسطة صلحهم وسبب قبول بعضهم الدية الفصل من بعض الواجفة وعليه

تنكيل الخارق لعهود المصالحة التي أجراها ذلك الرئيس القوي من رؤساء العشائر وهو مع قوته واقتداره لا يطمئن بنفسه وبقوة عشائره على التنكيل حتى يعقد الراية بأسم العباس «عليه السلام» ويكون هو الواجفة في الفصل وكذلك العلق والعطوة فإن المتجاوز والعباس الواجفة ينكب بدون إمهال قبل تنكيل الشيخ فيه ويصاب إما ببدنه أو بفقد أعز ما لديه من مال وقرابة أو بفقد هو نفسه وهذا أمر معلوم عندهم لا يمتارون فيه ولا يرتابون، وإن التعدي من عشيرة بكاملها لا من فرد فهو إمارة تلفها وتشتتها وذهاب رجالها وأموالها، وكل واحد من أفراد العشائر إذا ذاكرته بهذا أفاض عليك بأحدايث متنوعة من هذا الطرز يحصل بمجوعها التواتر.

أما التحالف وهو أنواع عند العشائر وهو أُعجوبة بكل أنواعه:

منها أن شخصاً يخاف من شخص خيانة أو غدراً فيحلفه بالعباس فيحلف ذلك ولا يطمئن بحلفه له حتى يعطيه سيف العباس فيرفع الحالف عصاً أو خنجراً أو عوداً من الأرض فيغرسه فيها ويقول هذا سيف العباس لا أخونك ولا أغدر بك فيطمئن المحلوف له فإذا خان الحالف أو غدر أصابه البلاء[1].

ومنها إذا أراد أحدهم من الآخر سلعة أو خطب أبنته أو البنت التي يعشقها فلا يطمئن بمواعيدهم له فيرفعون عصاً كالسابق ويقول الحالف: هذا سيف العباس لك إن ما أردته لك لا ابيعه من غيرك ولا أُزوج البنت من أحد سواك فيكون سبيل هذا الحلف بسيف العباس «عليه السلام».

وهكذا لهم شكل آخر في مثل هذين النوعين من الحلف بأن يحفر نقرة في الأرض ويقول: هذه نقرة العباس فطمها فإذا طمها علم أنه يفي فإذا خانه بعد ذلك نكب.

ومنها حلف الخصومات والمنازعات في جميع أنواع التهم من سرقة وقتل ودين وما أشبهه فإنهم متى تفاقم الأمر وأشتدت الخصومة ولم تستطع حلها علماء الدين ولا رؤساء العشائر ولا موظفوا الدولة طلبوا المصفي وهو العباس فينتهي النزاع بالحلف بالعباس «عليه السلام» فينتهي قبل السفر بأعتراف المتهم وفي أثناء السفر أو في الصحن الشريف إما بأعتراف المتهم أو ببراءته بالحلف، وإن حلف مع تلوثه بالجريمة نكب إما في نفس الصحن أو في عودته ولا يقضي المحرم سنته إلا منكوباً ولهذا يختارون الحلف بالعباس «عليه السلام» دون القرآن المجيد لأن

---

(١) وهذا نظير ما تحلف به عوام أهل السنة النجادة وغيرهم يرفع عوداً من الأرض ويقول: وحق من أخضره وأيبسه فيطمئن المحلوف له بهذا اليمين ويثق به تمام الوثوق.

الله تعالى عندهم أقل حلمه أربعين سنة وكذلك النبي ﷺ وأمير المؤمنين والحسين «عليهما السلام» يقولون إن النبي ﷺ فعلوا ما فعلوا معه من كسر رباعيته ونثر التراب عليه، وعلي «عليه السلام» قادوه بحمائل سيفه، والحسين فعلوا معه ما فعلوا ومع ذلك صبروا، ولكن العباس «عليه السلام» لا يصبر ولهذا إذا قصدوا صاحوا: أبو رأس الحار المستعجل المصفي، فالمحلف عندهم لا يجوز أن يزور الحسين «عليه السلام» قبل تأدية الحلف لأنهم يقولون إذا دخل قبة الحسين «عليه السلام» فقد أستجار به والعباس «عليه السلام» لا يخفر جوار أخيه الحسين «عليه السلام» بلسانهم لا يأخذ دخيل أخيه.

هذه أُمور مكشوفة لكل إنسان، أما قضاء الحاجات ونجاح الآمال فحدث ولا حرج وقد علم الشيعة كلهم إنه ما توسل إلى الله به متوسل إلا وقضى حاجته، ولا سأله بحرمته سائل إلا وتيسر عليه مطلوبه فلذلك سمي بباب الحوائج.

للمؤلف:

أبو الفضل ٱبن داحي الباب أعلا ... إلٰه العرش في الدنيا مقامه
وكم من معجزات باهرات ... له قد عرفوها بالكرامه
حباه الله فيها منه فضلاً ... كذا فرع النبوة والإمامه
فمن حين الشهادة قد تجلت ... لناظرها وتوصل بالقيامه
فكم من لائذ فيه حماه ... وكم من خائف اضحى عصامه
وكم من معدم أصحى غناه ... وكم ذي عاهة داوي سقامه
وكم قد حفت الأخطار شخصاً ... فلما جائه لاقى السلامه

يحدثني الخطيب الأديب الشيخ جاسم قسام عن السيد الفقيه السيد جاسم إمام جامع الصياغ في النجف وكان رجلاً صالحاً ظاهر الخشوع وأثر الزهد عليه بين أن رجلاً علوياً من سكان بلدة الكاظمية وكان غنياً مثرياً يجهز الزائرين لمرقد الحسين «عليه السلام» ويعينهم ويزودهم بالأقوات وأسباب الراحة ويبذل لهم المعونة والإسعاف بالنقليات من البغال وغيرها ويقوم بالنفقة عليمن رافقه إلى زيارة الحسين «عليه السلام» فأبتلي بالفقر في بعض الأعوام وأصابته ضائقة شديدة وفاقة وحاجة عجز معها عن تأدية ما كان يقوم فيه وأحتاج إلى ما يسد به حاجة رفقائه جرياً على عادته فما تيسر له لذلك ولم ترض نفسه بقطع العادة فقام بكري حيوانات النقل وأوعد المكاريين أن يوفيهم الكراء بكربلاء وأستدان من التجار ما

يكفي لقوت من صحبه إلى الزيارة موعداً لهم بالوفاء عند رجوعه، فلما وصل إلى الحائر الحسيني والقى أثقاله هناك قصد الحرم الحسيني الشريف ووقف تجاه القبر المقدس وأنشأ يقول:

جئت أسعى إليك من غير زاد قاصر الخطو أحمل الآثاما
لم يدع إلى الحياة عندك نطقاً ربما يمنع الحياء الكلاما

فخرج من القبر ولم ينل منه مقصوده بمقال في نفسه أخطأت لم أجب جهة الطلب علي أن أدخل البيت من بابه وباب الحسين «عليه السلام» هو أبا الفضل «عليه السلام»، فجاء إلى ضريح أبي الفضل العباس «عليه السلام» فأنشا يقول:

أبا الفضل أنت الباب للسبط مثلما أبوك علي كان باب لأحمدا
إذا أنت لم تسعف بمقصد وافد إلى السبط لم ينجح له السبط مقصدا

ثم خرج من القبر فلقي رجلاً فناوله ورقة تحويل على بعض التجار فيها وفاء بحاجته وزيادة، إنتهى.

ولدينا في النجف شاب علوي اسمه السيد سعيد بن السيد إبراهيم البهبهاني هو وأبوه من خطباء المنبر الحسيني، حدثني بقصته جماعة من الخطباء ثم سمعتها منه مشافهة وملخصها أنه أُصيب بداء السل وعالجه كثير من الأطباء الحذاق والدكاترة المتخصصين بعلاج هذا الداء العضال حتى يئسوا من برئه وأجمعوا أنه لا يبرء وجزموا بموته عن قريب، فلما سمع منهم تضاعفت أجزائه وأقلقه الخوف ولم يرى وجهاً يرجو منه الشفاء ولم يجد سبباً لبرء هذا الداء القتّال فرأى مناماً فيه أن رجلاً يشير عليه بقصد باب الحوائج أبي الفضل العباس «عليه السلام»، فلما أستيقظ قصد زيارة العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» للأستشفاء بضريحه الأقدس فلما وصل إلى المشهد الشريف وأضطجع إلى جنب الضريح أخذ البرء يدب في بدنه والشفاء يسري في عروقه ولا حث عليه أمارات الشفاء وظهرت علامات العافية ولم يطل الوقت حتى عوفي بإذن الله تعالى وكرامة العباس «عليه السلام» وها هو حي وفي تمام الصحة والعافية، وقد أخبرني أن له شعراً في ذلك لم أكتبه عنه.

وهذه قصص كثيرة لو تلوناها عليك لأسهبنا.

قال الفاضل الدربندي في أسرار الشهادة[1]: ثم إن مقاماته النورانية أي

---

(١) أسرار الشهادة: ص٣٢٥.

تصرفه في جملة المواضع لأجل هذه النشأة من أستخلاص زوار الحسين «عليه السلام» في طرق الزيارة في شر الأشرار الكفار وإيصال جمع منهم إلى القافلة بعد أن ضلوا الطريق مما حصل به العلم لكل مؤمن مستبصر فما يقع في كل عصر من ذلك القبيل يغني عن كل ما نقل في عصر سابق عليه وهكذا خارق العادات والكرامات الصادرة عند قبره الشريف، فأقتصر على ذكر بعض من ذلك مما أتيقن بوقوعه:

من ذلك ما أخبرني به السيد الأجل السيد أحمد نجل السيد الأفخم السيد الشريف نصر الله المدرس الحائري بأني كنت مع جمع من الخدام قاعدين في الصحن الشريف للحضرة العباسية فبينما نحن كذلك إذا خرج رجل من الحرم الشريف راكضاً عجلاً واضعاً إحدى يديه على خنصر يده الأُخرى حتى إنه خرج من الصحن فقمنا مسرعين نحوه فلقيناه بعد أن خرج من الصحن، فرفع يده من أصل الخنصر فإذا خنصره مقطوعة من أصلها والدم يسيل منها سيلان الماء من الميزاب، فرجعنا إلى الحرم الشريف مسرعين فوجدنا خنصره بين شبكات الضريح معلقة عليها ولم تقطر قطرة منها كأنها عضو من أعضاء غير حي، ثم إن هذا الرجل قد مات بعد ليلة من ذلك اليوم وكان ذلك لأجل صدور تقصيره من الإهانة أو مخالفة عهد أو نذر ونحو ذلك، إنتهى.

للمؤلف:

سلام على باب الحوائج عباس ... شبل الوصي علي فارس الناس
إن حامي الحمى الحسنى مواهبه ... في الدين والعلم والمعروف والبأس
هو المجن لأحداث الزمان لنا ... والعون عند لقاء القادح القاس
إن الحديث الذي يروي كرامته ... عندي صحيح على العينين والرأس
قد ثبت الله فيهم ركن ملته ... ولا يثبتن البنا إلا بأساسي
وإنهم عندنا سفن النجاة لنا ... وما علينا بنقد الخصم من بأس
نرجو الشفاعة منهم في المعاد لنا ... لسنا من الفوز بالفردوس في يأس
وإنما ريّنا من حوض كوثرهم ... كأس هين روي طاب من كأس
سيأمرون غداً فينا إلى غرف ... محفوفة برياض الورد والآس
فالآمنون من النيران شيعتهم ... إن أوقدت بالحجار الصلد والناس
وإن شيعتهم في الحشر منزلهم ... بين النبيين مثل الخضر واليأس

روح وريحان فيها والنعيم بها عرف ذكا نشره من طيب أنفاس
والجاحدون لهم في قعر مظلمة مع الشياطين في ذل وإبلاس
يكب ظالمهم والقاتلون لهم على المناخر في النيران والرأس
إن تشتكي فاطم الزهراء ما لقيت أبناؤها من ضيع الأُمة القاسي
تجيء تحمل رأس السبط مهجتها وطفله ويدي ذي الفضل عباس
هناك يشتد سخط الله إذا غضبت بنت النبي على الجاني من الناس

ويليه الملحق في إخوة العباس وأولاده وأحفاده، وشرح بعض المراثي التي رثي بها.

أولاد العباس بن علي «عليهما السلام» وأحفاده

«الحسن بن العباس، عبيد الله بن العباس، محمد بن العباس (أُستشهد بكربلاء) أُمهم جميعاً أُم الفضل الصغرى لبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، الفضل بن العباس، عبيد الله بن العباس، القاسم بن العباس أُستشهد بكربلاء، ليس للعباس بن علي أُنثى».

اختلف النسابون في عدد أولاده فمنهم المقل المقتصر على واحد، ومنهم الموصل عددهم إلى ستة ذكور، وخذ ما قاله النسابون في طرفي القلة والكثرة:

قال ٱبن قتيبة في المعارف[1]: وأما العباس بن علي فقتل مع الحسين بن علي ٱبن أبي طالب فولد العباس عبيد الله أُمه لبابة بنت عبيد الله بن عباس وله عقب، الخ.

وقال صاحب ناسخ التواريخ الفارسي[2]: وولد له ولدان أحدهما الفضل والثاني عبيد الله، إنتهى.

أما محمد والقاسم فذكر محمداً في الشهداء ٱبن شهر آشوب في المناقب وتبعه المجلسي في البحار وذكرهما معاً في الشهداء أبو إسحاق الأسفرايني الشافعي في نور العين وصاحب مطلوب كل طالب في أنساب آل أبي طالب فارسي مطبوع ذكرا أنهما بارزا وسنذكر كلامهما، وعبد الله مكبراً مذكور في بعض

(١) المعارف: ص٦٥.
(٢) ناسخ التواريخ ٥/ ٣٠٦.

كتب الأنساب المخطوطة، وفي رياض الجنان[١]: إن عبد الله بن العباس بن علي كان طفلاً في الطف وأُخذ مع السبايا، وعبيد الله بن العباس ولا عقب للعباس إلا منه عند جمهور النسابين إلا ٱبن قتيبة وصاحب طبقات الحنفية فإنهما ذكرا للحسن بن العباس عقباً وسيتضح عدم صحة ما قالا.

عبيد الله بن العباس:

كان رجلاً جليلاً فاضلاً رباه الإمام زين العابدين «عليه السلام» وثقفه وزوجه بنته خديجة وجمع له معها ثلاث حرائر من بنات الأشراف يقصد بذلك تنمية نسل عمه العباس «عليه السلام».

قال المجلسي (رحمه الله) في البحار[٢]: قال الزبير بن بكار: كان للعباس ولد إسمه عبيد الله كان من العلماء، إنتهى.

وقال أبو نصر البخاري في سر السلسلة العلوية مخطوط: عبيد الله بن العباس تزوج أربع عقائل كرام: رقية بنت الحسن بن علي بن أبي طالب، وأُم علي بنت علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب «عليه السلام» فلم تلد له، وأُم أبيها بنت عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب، وابنة مسور بن مخرمة الزهري؛ فولد لعبيد الله ٱبن العباس عبيد الله والحسن أُمهما ابنة عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب والعدد والنسل في ولد الحسن بن عبيد الله، وتوفي الحسن بن عبيد الله وهو ٱبن ٦٧ سنة، إنتهى.

قال السيد حسون البراقي النجفي في النفحة العنبرية مخطوطة: في بحر الأنساب: أولاد العباس المعقبين: عبد الله وعبيد الله والفضل، وذكر في حدائق الألباب أولاد العباس المعقبين الحسن وعبد الله ثم ذكر عقبهما، وأما ٱبن عنبة في العمدة فإنه ذكر عبيد الله بن العباس وهو المعقب وكذا في سبائك الذهب، إنتهى.

أما نسخة بحر الأنساب المطبوعة فليس فيها ما ذكر البراقي ولعلها حرفت عند الطبع عن أصل النسخة المخطوطة التي عند البراقي (رحمه الله) فإني أعتمد على نقله وإنهم مصرا بالتحريف.

أما ٱبن حزم في جمهرة أنساب العرب فلم يذكر غير عبيد الله ويحصر العقب فيه وظاهر كلامه أن له غير عبيد الله ولكنه إنما يذكر المعقبين فعبيد الله هو المشهور بالعقب وهو المقدر والمحترم وكان الإمام زين العابدين «عليه السلام»

---

(١) رياض الجنان: ص٣٦٨ طبع بمبئي. (٢) بحار الأنوار ٩/ ٧٠٠ طبع تبريز.

٣٧٠ ـــــــ

شرح الكامل وقد كانت تخرج إلى البقيع كل يوم ترثيه وتحمل ولده عبيد الله فيجتمع لسماع رثائها أهل المدينة وفيهم مروان بن الحكم فيبكون لشجي الندبة قولها «رضي الله عنها»:

يا من رأى العباس كرّ على جماهير النقد ... ووراه من أبناء حيدر كل ليث ذي لبد
نُبئت أن أبني أُصيب برأسه مقطوع يد ... ويلي على شبلي أما ل برأسه ضرب العمد
لو كان سيفك في يد يك لما دنا منه أحد

وقولها «رضي الله عنها»:

لا تدعوني ويك أُم البنين فتذكريني بليوث العرين ... كان بنون لي أُدعى بهم واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربى قد واصلوا الموت يقطع الوتين ... تنازع الخرصان أشلائهم فكلهم أمسى صريعاً طعين
يا ليت شعري أكما أخبروا بأن عباساً قطيع اليمين

انتهى، أنا أتهم المرحوم السماوي بوضعها كما أتهمه فضلاء المعاصرين من السادات وإن كان شرح الأخفش من قبيل الأحاجي والألغاز أو هو أحد المضمرات المستترة دواماً حركة الألف الملسا وإن وجد فقد يوجد بيض الأنوق وإن رؤي ربما ترى معه عنقاء مغرب ولكن أظن أن المرحوم السماوي نقل عمن نقل عنه من المتقدمين فعزاه إليه رأساً وحذف الواسطة على القاعدة القديمة، وكثير ما ترى المجلسي ينقل عن العياشي مثلاً فيجيء بعده مؤلف لم يرى كتاب العياشي فيقول: قال العياشي معتمداً على نقل المجلسي لكنه ترك واسطة النقل وهو المجلسي فلهذا ينسب كثير من المؤلفين إلى الكذب ولم يكذبوا لكنها غلطة جرها ضعف العقل وقلة التفكير، فرحم الله السماوي وغفر لنا وله برحمته.

محمد والقاسم الشهيدان مع عمهما الحسين «عليهم السلام»

هما ولدا العباس بن علي «عليهما السلام» ولا عقب لهما وأُستشهدا مع عمهما الحسين «عليه السلام» بطف كربلاء، أما محمد وحده فنص عليه الثقة الثبت محمد بن شهر آشوب في المناقب في شهداء الطف وقال: قتل مع أبيه

٣٧٢ ـــــــ

الاصطلاح في القرون الأخيرة فلهذا أطلقوا على ٱبن رشد الفيلسوف الحفيد لأن جده أبو الوليد ٱبن رشد قاضي أشبيلية في الأندلس، كما أطلقوا على صاحب تذكرة خواص الأُمة الفقيه المؤرخ الحنفي سبط ٱبن الجوزي وهو تركي الأصل لأن جده لأُمه أبو الفرج عبد الرحمٰن ٱبن الجوزي الواعظ الحنبلي المشهور ولأجل أن تفهم حررنا لك هذا.

أما أحفاد العباس فتنتهي سلسلتهم جميعاً إلى عبيد الله بن العباس، وعند ٱبن قتيبة إن للحسن بن العباس أحفاد ووافقه بعض أهل الطبقات من الحنفية، وسيأتي في آخر الباب.

وقد سمعت البراقي يذكر عن العميدي في بحر الأنساب أن للفضل وعبد الله عقباً.

وذكرت لك أن النسخة المطبوعة من بحر الأنساب لم تذكر ذلك فلذلك لا أُرتب لهذا القول أثراً ولا أعبأ به.

أما أنتشار العقب من عبيد الله فعليه أكثر أهل النسب وجزم به كثير ممن يعتمد على قوله، والأمارات كلها معه، فهذا ٱبن حزم الظاهري الأندلسي يقول في جمهرة أنساب العرب[1]: لا عقب للعباس بن علي بن أبي طالب إلا من ولده عبيد الله بن العباس فقط، فولد عبيد الله المذكور الحسن والحسين وحمزة بنو عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، الخ.

وقال السيد العميدي النجفي في بحر الأنساب[2]: عبيد الله الرئيس ٱبن العباس ٱبن علي بن أبي طالب «عليه السلام» أُمه لبابة بنت عبيد الله بن العباس، أعقب من ثلاثة: الحسن والحسين وحمزة الخ.

فهذا شيء لا حاجة إلى التطويل فيه بنقل الأقاويل، ثم إن هؤلاء الثلاثة من ولد عبيد الله الرئيس كان أكثرهم أعقاباً هو الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب، ومنهم الأشراف والأُمراء وأهل الصيت الذائع وهم منتشرون في العراق واليمن والهند وطبرستان والشام ومصر وغيرها من البلاد الإسلامية.

قال صاحب العمدة[3]: وعقب العباس «عليه السلام» قليل العقب من ابنه عبيد الله وعقبه ينتهي إلى ابنه الحسن فأعقب الحسن من خمسة رجال وهم: عبيد

---

(١) جمهرة أنساب العرب: ص ٦٠.
(٢) بحر الأنساب: ص ٢٢٨.
(٣) العمدة: ص٣٢٤.

الله قاضي الحرمين وكان أميراً بمكة والمدينة قاضياً عليهما، والعباس الخطيب الفصيح، وحمزة الأكبر، وإبراهيم جردقة والفضل الخ.

وقال سبط ٱبن الجوزي في التذكرة[١]: كان للعباس هذا يعني الخطيب إخوة علماء فضلاً: محمد وعبيد الله والفضل وحمزة وكلهم بنو الحسن بن عبيد الله بن العباس الخ، فزاد فيهم محمد[٢] العباس الخطيب بن الحسن بن عبيد الله بن العباس الأكبر الشهيد بكربلاء كان من فصحاء الهاشميين وخطبائهم، ومن العلماء والشعراء، جامعة أخلاق وكلية فضائل.

قال سبط ٱبن الجوزي في التذكرة[٣]: أما العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس الفقيه الجليل الشاعر المشهور، وذكره الخطيب وغيره، له كتاب في أنساب الطالبين ذكره أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد وقال: من أولاد العباس بن علي العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي، قدم بغداد أيام هارون الرشيد وصحبه ثم صحب المأمون بعده وكان عالماً شاعراً فصيحاً، وتزعم العلوية أنه أشعر ولد أبي طالب.

دخل يوماً على المأمون فتكلم فأحسن، فقال له المأمون: والله إنك لتقول فتحسن، وتشهد فتزين، وتغيب فتؤمن.

جاء يوماً إلى باب المأمون فنظر إليه الحاجب ثم أطرق، فقال العباس: لو أُذن لنا لدخلنا ولو أعتذر إلينا لقبلنا، ولو صرفنا لا نصرفنا فأما النظر الشزر والإطراق والقزة فلا أدري ما هما، وأنشد:

وما عن رضاً كان الحمار مطيتي ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

فخجل الحاجب، قال: وقال يذكر إخاء أبي طالب لعبد الله والد النبي ﷺ:

إنا وإن رسول الله يجمعنا أب وأُم وجد غير موصوم
جائت به وبنا من دون أُسرته غراه من نسل عمران بن مخزوم
فزنا بها دون من يدعي ليدركها قرابة من حواها غير مشهوم
رزقاً من الله أعطانا فضيلته والناس ما بين مرزوق ومحروم

المشهوم المذعور، والغراء من نسل عمران بن مخزوم هي فاطمة والدة عبد الله وأبي طالب.

---

(١) تذكرة خواص الأُمة: ص٣٣.
(٢) نفسه: ص٣٣.
(٣) تذكرة خواص الأُمة: ص٩٣.

وقال المسعودي في مروج الذهب: وأحسن من كتاب الزبير بن بكار الكتاب الذي سمع من يحيى بن طاهر العلوي الحسيني بمدينة النبي ﷺ وفي أنساب آل أبي طالب كتب كثيرة منها كتاب العباس من أولاد العباس بن علي «عليهما السلام»، الخ.

وقال الداودي في عمدة الطالب[١]: أما العباس الخطيب وكان بليغاً فصيحاً شاعراً، قال أبو نصر البخاري: ما رؤي هاشمي أغضب لساناً منه، وكان مكيناً عند الرشيد فأعقب من أربعة رجال وهم أحمد وعبيد الله وعلي وعبد الله، كذا قال الشيخ العمري.

وذكر الفاضل المجلسي في بحاره[٢] عن الخطيب لفظ التذكرة.

قال أبو نصر البخاري في سر السلسلة العلوية المخطوطة: العباس بن الحسن ابن عبيد الله كان معرباً بليغاً ما رؤي هاشمي أخطب منه وكان مكيناً عند الرشيد متوجهاً.

وقال أبو حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة[٣]: قال أبو العيناء: سمعت العباس بن الحسن العلوي يصف كلام رجل فقال: كلامه سمح سهل، كان بينه وبين القلوب نسب، وبينه وبين الحياة سبب كأنما هو تحفة قادم ودواء مريض وواسطة قلادة.

وقال أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد[٤] بعد النسب أبو الفضل أخو محمد وعبيد الله والفضل وحمزة بني الحسن وهو من أهل مدينة رسول الله ﷺ قدم بغداد أيام هارون الرشيد وأقام في صحابته وصحب المأمون بعده وكان عالماً شاعراً فصيحاً ويزعم أكثر العلوية أنه أشعر ولد أبي طالب.

وعن أبي العباس العلوي: الفضل بن محمد بن الفضل قال: قال عمي العباس ابن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب: أعلم أن رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه للمهم، وإن مالك لا يغني الناس كلهم فخص به أهل الحق، وإن كرامتك لا تطيق العامة فتوخى بها أهل الفضل، وإن ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجتك وإن دأبت فيهما فأحسن قسمتهما بين عملك ودعتك من ذلك فإن ما شغلك من رأيك غير المهم أرزأ بالمهم، وما صرفت من مالك في الباطل فقدته حين تريده للحق، وما عمدت من كرامتك إلى أهل النقص أضربك في العجز

---

(١) عمدة الطالب: ص٣٣٦.
(٢) بحار الأنوار ٩/ ٧٠٠.
(٣) الإمتاع والمؤانسة ٢/ ٤٤.
(٤) تاريخ بغداد ١٢/ ١٢٦.

عن أهل الفضل، وما شغلك من ليلك ونهارك في غير الحاجة أزرى بك في الحاجة، ثم ذكر الأبيات المتقدمة في اتصال نسبهم برسول الله ﷺ دون بني العباس من حيث إخوة أبي طالب لعبد الله.

ثم قال[١]: حدثني محمد بن إسماعيل: قال: دخل العباس بن الحسن العلوي العباسي على المأمون فتكلم فأحسن فقال له المأمون: ما علمتك إلا تقول فتحسن، وتشهد فتزين، وتغيب فتؤمن، ثم ذكر قصته مع حاجب المأمون وقد تقدمت.

وأما دسائس الخطيب التي يقصد بها الغض من أهل هذا البيت فهو ما ذكره في ترجمة يحيى صاحب الديلم[٢] وهذا نصه: قال إدريس بن محمد بن يحيى: مات جدي يحيى بن عبد الله بن الحسن في حبس هارون الرشيد، قال جدي: وسمعت علي بن طاهر بن زيد يقول: لما توفي يحيى بن عبد الله وخرج بجنازته بعث الرشيد إلى رجل من العلويين يقال له العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس ٱبن علي فقال: يقول لك أمير المؤمنين: صلِّ على صاحبكم، فقال الرجل: ما كنت لأُصلِّ على جيفة خرج منها روحها وأمير المؤمنين عليها ساخط، إنتهى.

وهذا ظاهر لمن تأمل أدنى تأمل وخاصة من عرف نصب الخطيب وأنحرافه عن أهل البيت وإن صحت هذه القضية ولا تصح فلا توجب قدحاً في الميت ولا في الحي لأنها وردت لضرب من السياسة لأن الرشيد يتحرى كشف ما في نفوس العلويين بشدة فحصه عن نواياهم بأساليب من الدهاء والمكر والخديعة وهذا أحدهما، والعباس المذكور كان متيقضاً فطناً عارفاً فإن الرشيد ما أحال الصلاة عليه إلا ليكشف المخفي من سره أفي نفسه شيء من قتل هذا العلوي المظلوم الذي هو يحيى صاحب الديلم الذي قتله سيف غدر الرشيد بعد أن قيده بقيد الأمان الذي لا تفصم أقل حلقاته، وإلى الغدر أشار الحمداني:

يا جاهداً في مساويهم يكتمها غدر الرشيد ليحيى ليس ينكتم

وللعباس الخطيب مفتخراً ذكره العمري النسابة في المجدي:

وقالت قريش لنا مفخر رفيع على الناس لا ينكر
بنا تفخرون على غيرنا فأما علينا فلا تفخروا

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ١٢٧.
(٢) نفسه ١٤/ ١١٢.

من أحفاد العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام»

بغداد لطيفور[١]: أُصيب المأمون بأبنة له كان يجديها وجداً شديداً فجلس للناس وأمر أن يؤذن لمن دخل، فدخل عليه العباس بن الحسن العلوي فقال: يا أمير المؤمنين! إنا لم نأتك معزين ولكن أتيناك مقتدين.

قال: ودخل العباس بن الحسن على المأمون فقال: يا أمير المؤمنين! إن لساني ينطق بمدحك غائباً، وأُحب أن يتزيد عنك حاضراً أفتأذن لي فأقول؟ قال: قل فإنك تقول فتحسن، وتشهد فتزين، وتغيب فتؤمن، فقال: يا أمير المؤمنين! ما أقول بعد هذا فقد بلغت من مدحي ما لا أبلغه من مدحك.

من أحفاد العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام»: عبيد الله الأمير بن الحسن بن عبيد الله ابن العباس الشهيد بكربلاء.

ذكره سبط والداودي في العمدة وغيرهما وكان من أعيان الطالبيين ووجوههم ورجالهم المشهورين علماً وسخاء وفصاحة وشجاعة، وله عقب في الكوفة.

وفي عمدة الطالب في موضع[٢]: كان قاضياً على الحرمين وأميراً عليهما.

وفي موضع آخر[٣]: وأما عبيد الله الأمير قاضي قضاة الحرمين بن الحسن بن عبيد الله بن العباس فله عقب كثير، ثم ذكر عقبه.

وفي تاريخ الكوفة المنسوب للبراقي[٤] ما لفظه: بنو إسماعيل بن عبد الله بن عبيد الله الأمير بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، إنتهى.

ولم يذكر لنا شيئاً من أمرهم ومن الذي ينتمي إليهم من سادة العراق في عصره.

قال الطبري في التاريخ[٥]: وولى المأمون صالح بن الرشيد البصرة، وولى عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب الحرمين، وحج بالناس في هذه السنة عبيد الله.

وذكر في موضع آخر[٦]: إنه حج بالناس وهو والي الحرمين.

وذكر الطبري أن ولايته بعد ولاية صالح بن الرشيد سنة ٢٠٤.

---

(١) بغداد: ص٥١.
(٢) عمدة الطالب: ص٣٢٠.
(٣) نفسه: ص٣٣٧.
(٤) تاريخ الكوفة: ص٤٢٠.
(٥) تاريخ الطبري ١٠/ ٢٥٥.
(٦) نفسه ١٠/ ٢٥٧.

وفي تاريخ ٱبن الأثير[١] حوادث سنة ٢٠٤: ولى المأمون أبا عيسى أخاه الكوفة، وصالحاً أخاه البصرة، وأستعمل عبيدالله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب على الحرمين، وحج بالناس عبيد الله.

وفي حوادث سنة ٢٠٥: إنه أيضاً حج بالناس وهو أمير مكة والمدينة[٢].

وفي حوادث سنة ٢٠٦: إنه حج بالناس وهو أمير الحرمين.

وفي سنة ٢٠٧ يذكر أن الذي حج بالناس أبو عيسى ٱبن الرشيد وعليه فإمارة عبيد الله على الحرمين ثلاث سنين.

قال أبو نصر البخاري في سر السلسلة العلوية المخطوطة: ولاه المأمون مكة والمدينة وكان كبير القدر.

وقال أبو نصر أيضاً: عبيد الله بن الحسن يحمل عنه العلم ويروي عنه وكان يروي عن زيد بن علي وجعفر بن محمد «عليهما السلام» وغيرهما من العلماء وبقي إلى أيام المأمون ووفد عليه بخرسان فولاه مكة والمدينة والبحرين جزيها وخراجها.

وقال الفضل بن سهل: ما رأيت عبيد الله مع أحد إلا رأيت له عليه بسطة وأقام الحج للناس ثلاث سنين، سنة أربع وسنة خمس وسنة ست، مات بالعراق في زمن المأمون، إنتهى.

وقال أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد[٣] بعد النسب: من أهل مدينة رسول الله ﷺ قدم بغداد غير مدة وولاه المأمون القضاء بالحجاز ثم عزله وببغداد كانت وفاته.

ثم قال بعد كلام: ولد الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب العباسي كان في صاحبة هارون ومحمد لا بقية له وأُمهما أُم ولد، وعبيد الله كان طاهر بن الحسين أستعمله على وفد أهل المدينة الذي أوفدهم العباس بن موسى ٱبن عيسى إلى المأمون بخراسان فزاده فيهم طاهر بن الحسين وأستعمله عليهم فلما شخص المأمون إلى بغداد ولاه المدينة ومكة وعك وقضائهن وكان عليها سنين ثم عزله عنها فقدم عليه بغداد فمات في زمن المأمون.

أخبرنا الحسن بن أبي بكر عن الحسن بن محمد بن يحيى العلوي قال: سمعت محمد بن يوسف الجعفري يقول: ما رأيت أحداً في مجلس كان أهيب ولا

---

(١) الكامل في التاريخ ٦/ ١٤٧.
(٢) الكامل في التاريخ ٦/ ١٤٩.
(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٣١٣.

أهيأ ولا أمرأ من عبيد الله بن الحسن.

ذكر محي الدين بن العربي في محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار[١] في حسن التلطف بالمكاتبة قال: ذكر إسماعيل بن أبي شاكر قال: لما أصاب أهل مكة السيل الذي شارف الجرف ومات تحته خلق كثير، كتب عبيد الله بن الحسن العلوي وهو والي الحرمين إلى المأمون: يا أمير المؤمنين! إن أهل حرم الله وجيران بيته وآلاف مسجده وعمرة بلاده قد أستجاروا بعز معروفك من سيل تراكم جريانه في هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الأُصول وجرف الأثقال حتى ما ترك طارفاً ولا تالداً للراجع إليها في مطعم ولا ملبس قد شغلهم طلب الغذاء عن الأستراحة إلى البكاء على الأُمهات والأولاد والآباء والأجداد فأجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم وإحسانك إليهم تجد الله مكافئك عنهم ومثيبك عن الشكر منهم.

قال: فوجه المأمون إليهم بالأموال الكثيرة وكتب إلى عبيد الله: أما بعد فقد وصلت شكيتك لأهل حرم الله إلى أمير المؤمنين فبكاهم بقلب رحمته وأنجدهم بسبب نعمته وهو متبع لما أسلف إليهم بما يخلفه عليم عاجلاً وآجلاً، إن أذن الله في تثبيت نيته على عزمه، قال: فكان كتابه هذا أسر لأهل مكة من الأموال التي أنفذها إليهم، إنتهى.

وعلماؤنا الرجاليون لم يذكروه إلا الأسترآبادي مختصراً وناقلاً الشيخ الطوسي مقتصراً عليه من دون زيادة، ونصه: عبيد الله بن الحسن من أصحاب الصادق «عليه السلام» في رجال الشيخ.

قال ٱبن حزم الظاهري في جمهرة أنساب العرب[٢]: منهم عبيد الله بن الحسين ٱبن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، ولي مكة والمدينة للمأمون وعمته نفيسة بنت عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب هي أُم علي والعباس أبني عبد الله بن خالد، خرج علي المذكور بدمشق وهما أبنا عبد الله بن خالد بن يزيد ٱبن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أُمية، الخ.

ولعل الحسين هنا تحريف عن الحسن جاء من قبل النساخ.

بغداد لطيفور ما نصه[٣]: حدثني أبو الفضل بن محمد العلوي قال: لما قدم المأمون تلقاه عبيد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن

---

(١) محاضرة الأبرار ومسامرة الأخبار ٢/ ١٥.

(٢) جمهرة أنساب العرب: ص ٦٠. (٣) بغداد: ص١٢.

أبي طالب فقال: جعل الله قدومك يا أمير المؤمنين مفتاح رحمة لك ولمن قدمت عليه من رعيتك فقد أشرقت البلاد حين حللت بها وآنس الله بقربك أهلها ونصبت الرعية إليك أعينها، ومدت إلى الله فيك ولك أيديها لتصيب من مقدمك عدلاً يحييها، ومن نيل يدك فضلاً يغنيها.

وأبو[١] حسان الزيادي وغيره من أصحاب الأخبار أنه ولي مكة والمدينة سنة ٢٠٤ عبد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عند قدومه بغداد فلما حضر الموسم كتب إليه بالولاية على الموسم وإن يقيم الحج بالناس.

حدثني[٢] الفضل بن محمد العلوي قال: قال عبيد الله بن الحسن للمأمون لما دخل بغداد وطاهر يساير المأمون: ملأك الله يا أمير المؤمنين النعمة وجعله مقدم سلامة وأدام لك العز والسلامة والحمد لله الذي تلافانا عند ظهور الفتنة وشمولها وتراخي دارنا عنك وأغترابها بذي اليمينين صنيعتك وسيفك المسلول على أهل معصيتك فجمعنا على طاعتك حتى إنا بحمد الله من عند آخرنا كالنبال المطرورة نصالها المقومة صعارها، إن نقرتها حنت لك وإن أزلتها عن كبد قوسك شكت عدوك فنسأل الله تعالى أن يحسن جزاءك عنا وجزاؤه على ما حفظ فينا من غيبك وركب منا من منهجك وقصدك.

من أحفاد العباس الأكبر «عليه السلام»: حمزة بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهما السلام»:

وهذه الشخصية في العباسيين من الشخصيات البارزة المتميزة بالصفات النفسية الكاملة والحائزة للشمائل الفذة كالشجاعة والعلم وفصاحة اللسان ويوصف بالشعر ولم أقف على شعره.

وقد قال ٱبن حزم في الجمهرة[٣] بعد ذكر أخويه الحسن والحسين ابني عبيد الله الرئيس وأخوهما حمزة بن عبيد الله الشاعر، الخ.

وقد تقدم كلام سبط ٱبن الجوزي.

وقال السيد الداودي في عمدة الطالب[٤]: وأما حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس ويكنى أبا القاسم وكان يشبه بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب

---

(١) نفسه: ص ٩١.
(٢) بغداد: ص٢١.
(٣) جمهرة أنساب العرب: ص٦٠.
(٤) عمدة الطالب: ص٣٢٥.

«عليه السلام» خرج توقيع المأمون بخطه يعطي حمزة بن الحسن لشبهه بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» مائة ألف درهم، الخ.

وهذا بعينه لفظ أبي نصر البخاري في سر السلسلة العلوية فلا نطيل بإعادته.

من أحفاد العباس الأكبر «عليه السلام»: إبراهيم الملقب جردقة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس الشهيد «عليه السلام»:

قال السيد العميدي في بحر الأنساب[١]: كان من الفقهاء الأُدباء الزهاد.

وقال السيد الداودي في العمدة[٢]: أما إبراهيم جردقة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس وكان من الفقهاء والأُدباء والزهاد، إنتهى.

وهذا بعينه لفظ أبي نصر البخاري في سر السلسلة العلوية، وتقدم كلام سبط ٱبن الجوزي.

قال في القاموس: الجردقة ـ بالفتح ـ الرغيف معرب كرده فيجوز أن يكون قد لقب به لكرمه وأنه باذل له كما يقال في لسان العوام فلان «بيدر العيش» وقد لقبوا أحد السادات في العراق أبو طبيخ لكثرة بذله الأُرز للأضياف، والأُرز المطبوح يسمونه طبيخاً.

قال الجواليقي في المعرب من الكلام الأعجمي: قولهم للخبز الغليظ جردق وهو بالفارسية كرده ولكنه قال: جرذق بالذال.

وفي التعليقة عن لسان العرب عن ٱبن الأعرابي أنه سمعها من رجل فصيح وفيها لغة أُخرى بالدال المهملة.

وفي شفاء الغليل للخفاجي[٣]: جردق بالدال والدال رغيف غليظ معرب كرده.

ومن أحفاد العباس الشهيد «عليه السلام»: الفضل بن الحسن الفقيه الشاعر الشجاع:

ذكره سبط بما سمعت، وقال السيد الداودي في العمدة[٤]: أما الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس وكان لسنا فصيحاً شديد البدن عظيم الشجاعة، إنتهى.

وهذا بعينه لفظ أبي نصر البخاري في سر السلسلة العلوية.

---

(١) بحر الأنساب: ص٢٢٧.
(٢) العمدة: ص٣٢٥.
(٣) شفاء الغليل: ص٥٨.
(٤) العمدة: ص ٣٢٥.

وقال السيد العميدي[١]: الفضل أُمه بنت الحارث بن الفضيل بن الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان لسناً فصيحاً شديد الدين عظيم الشجاعة صديق العراق يعرف بنوه ببني الصديق، إنتهى.

ومن أحفاد العباس الأكبر الشهيد «عليه السلام»: محمد بن الحسن بن عبيد الله بن العباس:

أحد النساك الزهاد والعلماء الكبار، قال أبو نصر البخاري في سر السلسلة العلوية المخطوط: محمد بن الحسن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب من الزهاد والعباد.

وقال في موضع آخر: ولد محمد بن الحسن بن عبيد الله بن العباس الشهيد «عليه السلام» علي بن محمد وأُمه زينب بنت الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولا عقب لمحمد بن الحسن هذا ولا نسل، إنتهى.

وذكره الخطيب البغدادي مختصراً، ورثاه أخوه العباس الخطيب لما توفي كما في المجدي للنسابة العمري العلوي المخطوط، فقال:

وارى البقيع محمداً الله ما وارىٰ البقيع
من نائل وندى ومعرو ف إذا ظن الممنوع
وحباً للأيتام وأر ملة إذا جف الربيع
ولى فولى الجود والـ معروف والحسب الرفيع

انتهى، والشعر يدل على وفاته بمدينة الرسول ﷺ لابنه علي بن محمد العباسي العلوي كتاب سيرة الإمام الهادي العلوي الحسيني إمام الزيدية باليمن وأعتمد في النقل عنه أحد علماء الافرنج والكتاب لا يزال مخطوطاً نص عليه في مجلة الأزهر[٢].

أعقاب هؤلاء الإخوة الخمسة من ولد الحسن بن عبيد الله بن العباس الشهيد «عليه السلام»:

ونحن نذكر ما عرفناه في عجالتنا هذه من المبرزين منهم من له شهرة أدبية أو علمية أو وجاهة وتقدير أو عرف بديانة أو شجاعة وأمثال ذلك من مميزات الرجال فإن الرجال تتمايز بسجاياها وتعرفها أخلاقها وشمائلها وبالفضائل تعرف أقدار الرجال وقد قرأنا في سيرة الأحنف بن قيس التميمي أنه قال: من يحسن مثل ما

(١) بحر الأنساب: ص ٢٢٧.
(٢) مجلة الأزهر عدد ٩ ج٢٣.

أُحسن فهو نظيري، ومن أحسن ما لم أُحسن فهو فوقي، ومن لم يحسن ما أُحسن فهو دوني، وهذا أقتبسه من كلام إمامه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» أمير الحكماء: «قيمة كل امرىء ما يحسنه».

أعقاب العباس الخطيب بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد

منهم عبد الله بن العباس الخطيب وعقبه بمصر: قال العميدي في بحر الأنساب[١]: عبد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بمصر لأم ولد.

وقال الداودي في العمدة[٢]: فأعقب العباس من أربعة رجال وهم أحمد وعبيد الله وعبد الله وعلي، كذا قال الشيخ العمري.

وقال أبو نصر البخاري: العقب منه لعبد الله بن العباس لا غير، والباقون من أولاده انقرضوا ودرجوا.

وكان عبد الله بن العباس شاعراً فصيحاً خطيباً، له تقدم عند المأمون، وقال المأمون لما سمع بموته: أستوى الناس بعدك يا بن عباس، ومشى في جنازته، وكان يسميه الشيخ آبن الشيخ، إنتهى.

قال الجهشياري في كتاب الوزراء[٣]: قال الفضل بن محمد بن منصور بن زياد: أتيت عبد الله بن العباس العلوي في حاجة لبعض جيراننا بعد وفاة أبي وكانت بيني وبينه مودة وثقت بها ثم قلت له: جئت في حاجة إن سهل قضاؤها أعظم الأمير بها المنة وإن تعذر فالأمير معذور فقال لي: يا حبيبي إحفظ علي إذا أوجبت على نفسك أنت تنهض لرجل في حاجة غضب بها أم رضي وإلا فالزم منزلك، إنتهى.

وقال أبو نصر البخاري في سر السلسلة العلوية: عبد الله بن العباس بن عبيد الله كان لسان آل أبي طالب، أجمع الناس إنهم لم يروا مثله في زمانه، إلى آخر الكلام الذي نقله صاحب العمدة.

عبد الله بن العباس حفيد السابق:

هو عبد الله بن العباس بن عبد الله بن العباس الخطيب كان شاعراً فصيحاً يعد من الشعراء المجيدين في الدولة العباسية ولكنه كان مقلاً.

---

(١) بحر الأنساب: ص٢٢٦.
(٢) العمدة: ص٣٢٦.
(٣) الوزراء: ص٢١٦.

قال السيد الداودي في العمدة[١]: فمن ولد عبدالله بن العباس عبدالله بن العباس أُمه أفطسية ويقال لولده ٱبن الأفطسية، ومن شعره:

وإني لأستحي أخي أن أبره قريباً وأن أجفوه وهو بعيد
علي لإخواني رقيب من الهوى تبيد الليالي وهو ليس يبيد

انتهى. وذكره السيد العميدي في بحر الأنساب ولم يترجم له غير أنه كنى ابنه بأبي الفضل.

بغداد لطيفور[٢]: كتب عبد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب إلى إبراهيم بن المهدي: ما أدري كيف أصنع؟ أغيب فأشتاق ثم نلتقي فلا أشتفي ثم يجدد لي اللقاء الذي طلبت به الشفاء شفاء من تجديد الحرقة بلوعة الفرقة، فكتب إليه إبراهيم بن المهدي: أنا الذي علمتك الشوق لأني شكوت ذلك إليك فهيجته منك.

وفيه[٣]: عن محمد بن عبد الله بن الحسين أبي طالب الجعفري قال: رأيت جماعة في أيام المأمون يقتتلون على أخذ كتاب عبد الله بن العباس بن الحسن إلى أبي دلف فقال: إن هذي رجل عليه نذر من ماله بسببنا ونحن أولى من صانه ولكن هذا كتاب أكتبه في كل سنة إليه وأُبيض إسم صاحبه وتقع القرعة لمن خرج إسمه فهو له.

فذكر لي بعض أن أبا دلف لما بلغه ذلك جعل له في كل سنة مائة ألف درهم يوجه بها إليه ليقسهما على من يراه ممن يهم بزيارته ومائه ألف درهم يصله بها.

قال: وسبب ما ضمنه أبو دلف لعباس بن حسن أن إسحاق الموصلي قال: حدثني أبو دلف قال: دخلت على الرشيد قال: فقال لي: كيف أرضك؟ قال: قلت: خراب يباب قد أخربها الأكراد والأعراب، قال: فقال له قائل: هذا آفة الجبل يا أمير المؤمنين فرأيتها قد أثرت فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين! إن كان صدقك فإني صلاح الجبل، قال: فقال لي: كيف ذلك؟ قلت: أكون سبباً لفساده كما زعم وأنت عَلَيّ ولا أكون سبباً لصلاحه وأنت معي، فلما خرج قال له شيخ إلى جانبه: يا أمير المؤمنين! إن هممته لترمي به وراء شينه مرمى بعيد، فسألت عن

---

(١) العمدة: ص٣٢٦.
(٢) بغداد: ص١١٠.
(٣) نفسه: ص١٣٨.

الشيخ فقيل لي: العباس بن الحسن العلوي، قال: فلقيته شاكراً وقلت: لله علي أن لا تكتب إلي في أحد إلا أغنيته، إنتهى.

محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الخطيب:

وابن عم السابق أحد فحول الشعراء ومن أعيان أُدباء الدولة العباسية المبرزين، قال المرزباني في معجم الشعراء[1]: محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس آبن علي بن أبي طالب يكنى أبا إسماعيل، شاعر يكثر الأفتخار بآبائه «رضوان الله عليهم» وكان في أيام المتوكل وبقي بعده دهراً، وهو القائل:

وإني كريم من أكارم سادة ... أكفهموا تندي بجزل المواهب
هموا خير من يحفي وأفضل ناعل ... وذروة هضب للمعرف غالب
هم المن والسلوى لدان بود ... وكالسم في حلق العدو المجانب

وله أيضاً:

بعثت إليها ناظري بتحية ... فأبدت لي الإعراض بالنظر الشزر
فلما رأيت النفس أوفت على الردى ... فزعت إلى صبر فأسلمني صبري

وله أيضاً:

وجدي وزير المصطفى وابن عمه ... علي شهاب الحرب في كل ملحم
أليس ببدر كان أول قاحم ... يطير بحد السيف هام المقحم
وأول من صلى ووحد ربه ... وأفضل زوار الحطيم وزمزم
وصاحب يوم الدوح إذا قام أحمد ... فنادى برفع الصوت لا بتهمهم
جعلتك مني يا علي بمنزل ... كهارون من موسى النجيب المكلم
فصلى عليه الله ما ذر شارق ... وأوفت حجور البيت أركب محرم

ولم يرتجم له العميدي وذكر له ثلاثة أولاد: علي وإسماعيل وجعفر.

محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن العباس بن الحسن بن عبيد الله آبن العباس الشهيد:

شاعر لم يروي لنا من شعره ما نثبته.

---

(١) معجم الشعراء: ص٤٣٥.

قال المرزباني في معجم الشعراء[١]: محمد بن جعفر بن زيد بن علي بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، قال عمر بن شبة: له شعر، إنتهى.

محمد بن حمزة بن عبد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد:

محمد بن حمزة هذا يقال له الشهيد ويعرف أولاده ببني الشهيد لأنه قتل غيلة ظلماً وعدواناً وكان من المثرين العلويين، وكان وجهاً فيهم ومن أعيان آل أبي طالب ومن المشار إليهم بالكامل علماً وسخاء وفصاحة وشجاعة وأمتاز بكل فضيلة حتى كانت له رياسة ضخمة وكان متمولاً عظيم الثروة وله أملاك في طبرية من الأُردن وبها قُتل.

وأتفق علماء النسب من أعقاب العباس الخطيب ولكن أبن حزم ينسبه في ولد عبيد الله الأمير وهذا لفظه في جمهرة أنساب العرب[٢] بعد ذكر الفضل قال: وابن عمه لحاً أبو الطيب محمد بن حمزة بن عبيد الله بن العباس، حاله قد جلّت بالأُردن وكثر ماله وضياعه، كان يسكن مدينة طبرية فكامنه طغج أيام القرامطة فقتله في بستانه وكان أتهم بالميل إلى القرمطي «لعنه الله»، الخ.

والعلويون أعرف بأنسابهم، وأبو الفرج أعلم بالنسب من أبن حزم.

قال السيد البراقي النجفي في النفحة العنبرية المخطوطة: محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسن بن عبيد الله العباس قطعوه في بستان له بالسكاكين، إنتهى.

وقد سقط لفظ العباس بين عبيد الله والحسن في النسخة فأاعرف هذا.

وقال السيد العميدي النجفي في بحر الأنساب[٣]: محمد بن حمزة بن عبد الله أبن العباس بن عبيد الله بن العباس بن علي ذا مال ومروة وكثرة معروف وجاه، وله بمدينة الأُردن وهي طبرية ضياعاً، محمد بن طغج الفرغاني فدس إليه جنداً فقتلوه في بستان له بطبرية في صفر سنة ٢٧١ وذمته الشعراء وعقبه بطبرية يقال لهم بنو الشهيد، إنتهى، وذكر له ثلاثة أولاد: علي والحسن وجعفر.

---

(١) معجم الشعراء: ص٤٣٥.
(٢) جمهرة أنساب العرب: ص٦٠.
(٣) بحر الأنساب: ص٢٦٦.

وقال السيد الداودي في العمدة[١] في أعقاب العباس بن الحسن: منهم حمزة ٱبن عبد الله بن العباس ولد بطبرية فمن ولده بنوا الشهيد وهو أبو الطيب محمد بن حمزة المذكور وهو أجمل مروة وسماحاً وصلة رحم وكثرة معروف مع فضل كثير وجاه واسع، وأتخذ بمدينة الأُردن وهي طبرية ضياعاً وجمع أموالاً فحسده طغج ٱبن خضر الفرغاني فدس إليه جنده فقتلوه في بستان له بطبرية سنة ٢٩١ ورثته الشعراء وكان عقبه بطبرية بنو الشهيد، إنتهى.

وقال أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين[٢]: فيمن قتل منهم في عصر المكتفي العباسي محمد بن حمزة بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، قتله طغج في بستان له «رضي الله عنه»، حدثني أحمد بن محمد بن المسيب قال: كان محمد بن حمزة من رجالات بني هشام وكان إذا ذكر طغج لا يؤمره ويثلبه ويستطيل عليه إذا حضر مجلسه فأحتال على غلام لبعض الرجالة فستره وأعلم صاحبه أنه في دار محمد بن حمزة وذربه عليه وأستغوى جماعة من الرجالة فكبسوه وهو في بستان له فقطعوه بالسكاكين وبقي عامة يومه مطروحاً في البستان وهم يترددون إليه فيضربونه بسيوفهم هيبة له وخوفاً أن يكون حياً به رمق فيلحقهم ما يكرهون «رضي الله عنه»، إنتهى.

يذكر الحموي في مزارات طبرية[٣]: وبها قبر يزعمون أنه قبر عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب الخ، ولعل هذا القبر هو قبر حفيده محمد بن حمزة فحذفوا الجملة وإلا فعبيدالله الرئيس لا يعرف أنه غادر المدينة بل لازمها حتى توفاه الله تعالى بها.

أحمد بن العباس الخطيب[٤]:

ذكر محمد بن حبيب النسابة البصري في كتاب المحبر فيمن أُمه حبشية من أشراف العرب ما نصه: أحمد بن العباس بن الحسن بن عبيد الله من بني العباس بن علي بن أبي طالب، إنتهى.

وأحمد هذا ذكره في العمدة ولم يترجم له وذكر عن أبي نصر البخاري أنه منقرض لا عقب له.

ومن الأُسر المنسوبة إلى العباس الخطيب بنو طليعات وبنو المرجعي وبنو

---

(١) العمدة: ص٣٢٧.
(٢) مقاتل الطالبيين: ص٢٣٠.
(٣) معجم البلدان: ٦/ ٣٦.
(٤) المحبر: ص٣٠٨.

العجان وذكر الداودي أنهم في الحائر الحسيني وأنهم إخوة بني الشهيد.

أعقاب عبيد الله الأمير قاضي الحرمين

تقدم ذكر الأمير عبيد الله وأختصاصه بالرشيد العباسي، ونحن الآن بصدد ذكر أعقابه وأنه أكثر إخوته أعقاباً وفيهم بيوت إمرة ووزارة.

داود بن عبد الله بن عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد «عليه السلام»:

أحد الشجعان من العلويين ومن الأعيان المحترمين في الطالبيين، قُتل بينبع من أرض الحجاز.

قال أبو الفرج الأصفهاني في المقاتل[1]: دواد بن عبد الله بن عبيد الله بن الحسن آبن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب قتله إدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بينبع، إنتهى، القاتل علوي حسني والمقتول علوي عباسي.

إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبيد الله الأمير بن الحسن بن عبيد الله الرئيس آبن العباس الشهيد:

قتله طاهر بن عبد الله الخزاعي.

قال أبو الفرج في المقاتل[2]: وقتل إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن علي وأُمه أُم ولد، قتله طاهر بن عبد الله في وقعة كانت بينه وبين الكوكبي بقزوين، إنتهى.

وفي رسالة السيد مهدي القزويني التي نقلها السيد حسون البراقي في النفحة العنبرية: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين، قُتل بسنجاس موضع من قزوين، وفي موضع آخر بعد النسب: قُتل بقزوين.

وروى العلامة المجلسي في بحاره[3]: عن إبراهيم بن محمد العلوي قال: حدثني نسيم خادم أبي محمد الحسن بن علي «عليهما السلام» قال: دخلت على صاحب الأمر «عجل الله فرجه» بعد مولده بليلة فعطست عنده فقال: يرحمك الله، قال نسيم: ففرحت، فقال لي: ألا أُبشرك في العطاس؟ قلت: بلى، قال: هو أمان من الموت ثلاثة أيام، إنتهى.

وروى عنه كثيراً من معجزات المهدي، ذكره العميدي والداودي ولم يترجما

---

(١) مقاتل الطالبيين: ص٢٣٢.
(٢) نفسه.
(٣) بحار الأنوار ١٣/ ١١٤ طبع تبريز.

له، وكذلك ذكرا أخاه داود بن محمد اللحياني، وداود يلقب بالخطيب وما زادا على هذا الوصف لكن العميدي يقول بالمدينة أعقب قليلاً بدمشق، وذكرا أيضاً أخاه طاهر وعرفه العميدي بالأمير ببغداد وله عقب بالحجاز والمدينة وبغداد وشيراز عقبه بها.

وذكر العميدي أخاه هارون بن محمد اللحياني يعرف بالأصغر قال عنه: بنصيبين أنتقل إلى الرقة أعقب بحلب وحمص، وذكر عبد الله بن محمد اللحياني وقال: أعقب بنصيبين، وسيأتي بقية أولاد اللحياني.

ويذكر صاحب القاموس أن اللحيان كبير اللحية، ولحيان واديان. ولحى كهدي واد بالمدينة، فما أدري أنسب لهذا الموضع أم إنه كان كبير اللحية لم أجد من نص على هذا اللقب.

الملاح الأُطروش:

والأُطروش الأصم لا يسمع وهو موسى بن عبيد الله بن الحسن وعبيد الله قاضي الحرمين.

قال السيد الداودي في العمدة[1]: قال الشيخ العمري: موسى بن عبيد الله بن الحسن هو الملاح الأُطروش الكوفي الشجاع، قال العمري: له عقب وبقية، إنتهى.

وذكره السيد العميدي في بحر الأنساب مختصراً وابنه عبد الله بن موسى من العلماء وحملة الحديث، روى عنه أبو عبد الله محمد بن جعفر النعماني الكاتب في كتاب الغيبة بواسطة.

وفي تاريخ الكوفة للبراقي في البيوت العلوية[2]: بيت موسى بن عبد الله بن الحسن بن عبيد الله الأمير قاضي الحرمين بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن الإمام علي ويُعرف هذا بالملاح الأطرش الشجاع، إنتهى.

وما ذكرنا في نسبه أولاً هو ما أعتمده الدوادي والعميدي وهما أضبط من صاحب هذا التاريخ.

القاسم بن عبد الله:

هو القاسم بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله الأمير بن عبيد الله الأمير قاضي الحرمين ٱبن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد ٱبن الإمام أمير

---

(١) العمدة: ص٣٢٨.

(٢) تاريخ الكوفة: ص ٤٢٥.

المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» السيد الجليل صاحب الفصاحة والبيان والجاه والشرف الخطير، وله المكانة المكينة والحرمة الفائقة، وكان محدثاً فقيهاً من أصحاب الإمام الحسن العسكري «عليه السلام».

قال السيد الداودي في العمدة[١]: القاسم صاحب أبي محمد العسكري «عليه السلام» وكان القاسم بن عبد الله ذا خطر بالمدينة وسعى بالصلح بين بني علي وبني جعفر «رضي الله عنه» وكان أحد أصحاب الرأي واللسن، إنتهى.

قال أبو نصر البخاري في سر السلسة العلوية: القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن علي وفد على الحسن بن زيد من المدينة بطبرستان آمل، إنتهى.

إسماعيل بن محمد اللحياني:

مر نسبه، كان أيضاً من أصحاب الإمام الحسن العسكري «عليه السلام»، ذكره في العمدة مختصراً.

وروى ابن شهر آشوب في دلائل إمامة الإمام الحسن العسكري «عليه السلام» عن إسماعيل بن محمد العباسي[٢]، ورواها الكليني (رحمه الله) في الكافي مقيدة بالعباسي من ولد العباس بن عبد المطلب، ولعل التقييد من قبل الراوي حيث تخيل العباسي في النسب هو لابن عبد المطلب[٣] إذ نسبة هذا علوي وظني بذلك قوي ولأجل هذا لم نذكر الرواية.

حيدر بن حمزة بن أميركا محمد بن علي بن داود بن القاسم بن محمد اللحياني:

هكذا نسبه العميدي في بحر الأنساب[٤]، وقال: القاضي بالرملة، عقبه وأخوه وعمومته بها.

الهدهد:

محمد بن الحسين بن علي بن عبد الله الأمير الأصغر، نسبه العميدي في بحر الأنساب[٥] وقال: يلقب بالهدهد ويقال لبنيه بني الهدهد، وعمه الحسن وقع إلى اليمن له ذيل طويل وعقب بالمدينة، أُمه بنت الحسن الأفطس وهو أكثرهم عقباً، إنتهى.

---

(١) العمدة: ص٣٢٨.
(٢) أُنظر المناقب ٥/ ١٣٠ طبع الهند.
(٣) أُصول الكافي: ص٢١٣.
(٤) بحر الأنساب: ص٢٢٦.
(٥) نفسه: ص٢٢٥.

وقال الداودي في العمدة[١]: محمد ـ الوارد بفسا ـ بن الحسين بن علي المذكور يلقب هدهد، ويقال لولده بنو الهدهد، وعمه الحسن بن الحسين وقع إلى اليمن وله ذيل طويل وعقب كثير، إنتهى.

البيوت المشهورة من العباسية ثم من ذرية عبد الأمير آل المطاع في اليمن وهم يتولون الوزارة لأئمة اليمن من العلويين وهذا نص المؤرخ السيد محمد بن محمد آبن يحيى زيادة الحسني في تاريخه نيل الوطر في أعيان اليمن في القرن الثالث عشر[٢]: السيد الماجد الكريم الحسن بن حسين بن هادي المطاع الهاشمي العلوي العباسي السناعي، قال جحاف: كان كثير الخير مضيافاً مثل والده، لا يأكل إلا مع الضيف مقصوداً إلى منزله في الشتاء والصيف، مفتوحاً بابه، سهلاً حجابه، قريباً جنابه، ذا سنة وحياء من الله، يحضر صلاة الجماعة، ويشيع الجنازة، ويعين على نوائب الحق، يجتمع بمن ورد عليه فلا يمر الليل حتى يدعوه إلى الذكر والتسبيح، وحج مرتين ماشياً، ومات بعلة الأستسقاء في ليلة الجمعة سادس جمادى الآخرة سنة ١٢٢٣ هـ «رحمه الله».

وجميع السادة بيت المطاع الذين بمدينة صنعاء، وسادة المأخذ ببلاد عمران، وسادة مصنعة ريشان في بلاد حضور صنعاء، وسادة المنجر في خبان، وسادة الكمم في الحداء، وبعض السادة في مسور المنتاب في تيس وفي الشاهل ينتهي نسبهم جميعاً إلى أبي جعفر محمد بن عبيد الله وهو الشهيد في أيام الإمام الهادي والمقبور بموضع يقال له البلاد بالقرب من قرية الهجر، وأما ولده السيد علي بن أبي جعفر محمد بن عبيد الله فقبره في خيوان بعد أن أُستشهد في نجران مع الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم، وفي هذا السيد الشهيد علي بن أبي جعفر محمد بن عبيد الله يقول الإمام الهادي:

قبر بخيوان حوى ماجداً ... منتخب الإباء عباسي
قبر علي بن أبي جعفر ... من هاشم كالجبل الراسي
من يطعن الطعنة خوارة ... كأنها طعنة جساس

إنتهى محذوفاً عنه الزوائد، والهادي هذا كان من أئمة الزيدية باليمن وهو يحيى بن الحسين بن القاسم، في القرن الرابع الهجري، خرج إلى اليمن سنة ٣٨٠ وتوفي بها مسموماً سنة ٣٩٧، قاله الواسعي في فرجة المهموم والحزن في تاريخ

(١) العمدة: ص٣٢٧.
(٢) نيل الوطر في أعيان اليمن في القرن الثالث عشر ١/ ٣٢٣.

اليمن، وذكر أنه كان معاصراً للمعتضد العباسي فشهادة العلويين المذكورين في القرن الرابع.

قال الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول في طرفه الأصحاب[١]: نسب الأشراف العباسيين باليمن هم بطون تسعة إلا أن المشهور منهم صاحب براش صنعاء وهو الأمير أحمد بن محمد بن حاتم بن الحسين بن المبارك بن المحسن ابن الحسن بن علي بن عيسى بن موسى بن أبي جعفر محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبيد الله أمير الحرمين بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب «كرم الله وجهه»، وقيل: هو أحمد بن محمد بن حاتم بن حسين بن المبارك بن المحسن بن الحسن بن علي بن عيسى بن موسى بن عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي جعفر محمد بن عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب «كرم الله وجهه»؛ والأول أصح.

ومنهم الأمير هبة الله بن الفضل بن علي بن المظفر بن حمزة بن الحسن بن محمد بن أبي الحسين يحيى بن موسى بن أبي جعفر محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب «كرم الله وجهه» ويلتقي هو والأمير صاحب براش من موسى بن أبي جعفر، تم ذلك إنتهى.

ومنهم في الكوفة على ما ذكر البراقي في تاريخ الكوفة[٢] آل إسماعيل بن عبد الله بن عبيد الله الأمير قاضي قضاة الحرمين بن الحسن بن عبيد الله بن العباس ابن علي بن أبي طالب «عليه السلام»، إنتهى، وتقدم ذكر آل الملاح وآل الهدهد.

علي بن عبيد الله بن الحسن:

كان كبير القدر، كثير النسل قال أبو نصر البخاري: ولد علي بن عبيد الله بن الحسن قدر ثلثمائة رجل منهم عقيل المقتول، ولاه عضد الدولة ثم قُتل، ومنهم الزاهد بنيسابور اليوم الحسن بن علي بن محمد، إنتهى.

علي بن محمد بن علي بن محمد بن عبيد الله بن الحسن:

روى عنه صاحب بشارة المصطفى لشيعة المرتضى.

---

(١) طرفة الأصحاب: ص١٠٤.

(٢) تاريخ الكوفة: ص٤٢٠.

أعقاب حمزة بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد «عليه السلام»

محمد بن علي بن حمزة:

كان من أعلام العلماء فقهاً وأدباً وحديثاً، ومن أعيان العلويين ووجوه الطالبيين.

قال ٱبن حزم في جمهرة أنساب العرب[1]: محمد بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، محدثٌ، مات سنة ٢٨١.

وقال السيد الداودي في عمدة الطالب[2]: أبو عبيد الله محمد بن علي بن حمزة المذكور نزل البصرة وروى الحديث عن الرضا بن موسى الكاظم «عليهما السلام» وغيره بها وبغيرها وكان متوجهاً عالماً شاعراً، مات عن ستة ذكور، وفي هامشها: مات محمد بن علي بن حمزة سنة ٢٨٦، وقريب منه في بحر الأنساب للسيد العميدي.

قال أبو الفرج الأصبهاني في المقاتل[3]: حدثني حكيم بن يحيى قال: كان حسين بن حسين بن زيد شيخ من بني هاشم وذا عددهم، وكانت الأموات تحمل إليه من الآفاق، قال: فأجتمعنا يوماً عند جدك أبي الحسن علي بن أحمد الأصبهاني وجماعة من الطالبيين فيهم حسن بن حسين بن زيد بن علي ومحمد ٱبن علي بن حمزة العلوي العباسي وأبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، فقال: جدك الحسين يا أبا عبد الله أقعد[4] ولد رسول الله ﷺ وأكلمهم، وأبو هاشم أقعد ولد رسول الله ﷺ، وأنتما شيخا آل رسول الله ﷺ، وجعل يدعوا لهما بالبقاء.

قال: ونفس محمد بن علي بن حمزة ذلك عليهما فقال: يا أبا الحسن! وما

---

(١) جمهرة أنساب العرب: ص٦٠.
(٢) عمدة الطالب: ص٣٢٧.
(٣) مقاتل الطالبيين: ص٢٢٩.
(٤) الأقعد في أصطلاح علماء النسب الأقرب، يريد أقل العلويين آباء في الاتصال بالنبي ﷺ.

يمنعهما من القعود في هذا الزمان ولو طلباها عليه من أهله فإنه يقل من أعطياها، فغضب الحسين بن الحسين من ذلك ثم قال: لي تقول هذا والله ما أُحب أن نسبي أبعد مما هو بأب واحد يبعدني من رسول الله ﷺ وإن لي الدنيا بحذافيرها، الخ.

قال الحافظ الخزرجي الشافعي في خلاصة تذهيب الكمال: محمد بن علي بن حمزة الهاشمي العلوي روى عنه أبن أبي حاتم وثقه وتوفي سنة ٢٨٦، ومن هذا يعرف غلط صاحب العمدة حيث زعم أنه روى عن الرضا «عليه السلام» والصحيح الذي يوافق هذا التاريخ ما ذكره علماؤنا كالنجاشي والعلامة وغيرهما أنه روى عن الإمامين الهادي والعسكري «عليهما السلام».

نعم، كان الإمام الهادي «عليه السلام» يعرف بأبن الرضا في ذلك العصر فلعل لفظة «أبن» سقطت من الأصل في كتاب العمدة وكان الأصل أبن الرضا فسقطت أبن من أقلام النساخ وبقي الرضا وحده.

قال النجاشي (رحمه الله) في الفهرست: محمد بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب «عليه السلام» أبو عبد الله ثقة عين في الحديث، صحيح الاعتقاد، له رواية عن أبي الحسن وأبي محمد «عليهما السلام»، وأيضاً له مكاتبة، وفي داره حصلت أُم صاحب الأمر «عليه السلام» بعد وفاة الحسن «عليه السلام»، إنتهى.

ومثله قال العلامة الحلي «رحمه الله» في الخلاصة.

وقال الخطيب البغدادي الشافعي في تاريخه[1] بعد النسب: كان أحد الأُدباء الشعراء والعلماء برواية الأخبار، حدث عن أبيه، ثم ذكر جماعة من شيوخه في الرواية وقال: قال أبو حاتم الرازي: سمعت منه وهو صدوق: ثم روى عنه بإسناده إلى أبن عباس قال: إذا أسف الله على خلق من خلقه فلم يعجل لهم النقمة بمثل ما أهلك به الأُمم من الريح وغيرها خلق لهم خلقاً تعذبهم لا يعرفون الله عز وجل.

قرأت في كتاب محمد بن مخلد بخطه سنة ٢٨٦ فيها مات أبو عبيد الله العلوي محمد بن علي بن حمزة، أخبرنا السمسار، أخبرنا الصفار، حدثنا أبن قانع أن محمد بن علي بن حمزة مات سنة ٢٨٧، إنتهى، وذكره الحافظ العسقلاني الشافعي في تهذيب التهذيب[2].

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٦٣.

(٢) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٥٢.

بيان وتنبيه: يذكر السيدان الداودي والعميدي في كتابيهما العمدة والبحر أن محمد بن علي بن حمزة كان يسكن البصرة، والخطيب والعسقلاني ذكرا أنه من أهل بغداد، ويفهم من فحوى كلام النجاشي والحلي أنه من أهل سامراء فكيف الجمع بن هذه الأقوال؟

فنقول: التوفيق بينهما بأن يقال: كان يسكن البصرة، ثم تحول إلى بغداد وزار سامراء لزيارة الإمامين الهادي والعسكري «عليهما السلام» ليتفقه عليهما في فقه آل محمد ﷺ.

ملاحظة أن العميدي في بحر الأنساب ذكر محمد بن علي وقال: كان باليمن له ألف مملوك عتاقة ووقع من الفرس فشلت يده ويلقب حساناً.

وذكر أبو نصر البخاري في سر السلسلة العلوية المخطوطة ما لفظه: محمد بن علي بن حمزة بن علي بن علي بن الحسن بن عبيد الله كان له باليمن ألف مملوك عتاقة ووقع عن فرسه فشلت يده، قال: وأنقطع نسله ولا عقب له اليوم، وكان له ٱبن يعرف بالزاكي محمد ٱبن علي درج، فمن أنتسب إليه من اليمنية وغيرهم فهو دعي، إنتهى.

والملاحظة من وجهين:

أحدهما: إن علي الثاني هو ٱبن العباس الخطيب بن الحسن كما سبق وهذا يجيء كثيراً في التراجم فإذن لفظ العباس سقط من النسختين.

ثانيهما: إن العميدي وصفه بالصوفي والمعروف بالصوفي هو القاسم بن حمزة، قال عنه في العمدة: إنه باليمن عظيم القدر وله جمال مفرط.

وعلى كل حال فاللازم التفرقة بين محمد بن علي بن حمزة اليماني لأنه توفي باليمن وبين الذي ترجمناه وهو العراقي الذي توفي في بغداد على ما ذكره الخطيب والعسقلاني.

أبو محمد القاسم بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد «عليه السلام»:

كان جليل القدر عظيم الخطر، له مكانة ومنزلة، وتميز بجمال الصورة، وشهر بالزهد والتقشف، توطن اليمن.

قال الداودي في العمدة: أبو محمد القاسم بن حمزة كان باليمن عظيم القدر، وكان له جمال مفرط، ويكنى أبا محمد ويقال له الصوفي، إنتهى.

سمي الصوفي للبسه الصوف لا أنه صوفي العقيدة وهو غير الصوفي العلوي الحسني الخارج على المأمون والمقتول في أيامه بالسم أو بنوع آخر من القتل في الحبس.

قال أبو نصر البخاري في سر السلسلة العلوية: القاسم بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن الحسن أبو محمد أُمه زينب بنت الحسن بن علي بن عبدالله آبن جعفر الطيار وكان القاسم باليمن عظيم القدر، أصاب بها زهاء مائة ألف دينار، وكان له جمال مفرط، ومن ولده علي بن حمزة الفقيه ومحمد بن علي بن حمزة، إنتهى.

ملاحظة: لفظة «الحسن» الثانية في هذا النسب لا ريب أنها زائدة من النساخ إذ هو عم محمد بن علي، ومحمد بن علي متفق على نسبته لحمزة لا لعبيد الله الأمير، والله أعلم بحقيقة الأمر.

روى عن القاسم هذا محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب أبو عبد الله النعماني في كتاب الغيبة بواسطتين، ونسبه الرازي وإيلامه سهل إذ ربما كان يسكن الري أولاً ثم تحول إلى اليمن، والله أعلم.

طاهر بن حمد بن القاسم بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد:

البطل الشجاع الناهض في بعض البلاد الإيرانية والمتغلب عليها والمقتول بالبصرة على يد الناجم صاحب الزنج.

قال العميدي: طاهر بن محمد بن القاسم أُمه غياثية[١].

قال أبو الفرج الأصبهاني في المقاتل[٢]: نجم الناجم بالبصرة فخرج إليه علي بن زيد ومعه جماعة من الطالبيين منهم طاهر بن محمد بن القاسم بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، وأُمه لبابة بنت محمد بن إبراهيم بن الحسن بن عبد الله.

وطاهر بن أحمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكانوا مع علي بن زيد في معسكر الناجم، فلما تبين علي بن زيد أمره ودعوته وما هو عليه كان يستميل قواده ويعرفهم خبره ويدعوهم إلى نفسه فبلغ الناجم خبره فدعى به هو والآخرين فضرب أعناقهم صبراً، إنتهى.

---

(١) أُنظر بحر الأنساب: ص٢٢٨.

(٢) مقاتل الطالبيين: ص٢٢٦.

وقال أبو نصر في سر السلسلة العلوية: طاهر بن محمد بن القاسم بن حمزة الذي خرج بفارس وغلب عليها، قتله الناجم بالبصرة، إنتهى.

في قرية الجبيلية مزار معظم، عليه قبة وفيه جامع يسمى ظاهر بن علي، أحسبه والله العالم أنه كان في الأصل قبر طاهر، وعلي يعني علي بن زيد، وطاهر هو هذا ثم حذف العطف وأضاف العامة لفظ ٱبن فقالو: طاهر بن علي ثم صحفوه إلى ظاهر، والله أعلم بحقيقة الحال، والمرقد الموجود الآن والمكتوب عليه إسم السيد الجبيلي الذي بأسمه كما يقال سميت الجبيلة فلا يتنافى مع ما ذكرنا لأنه كان متأخراً عن هؤلاء الشهداء مدة فأحتفظ بتعبيره كما أحتفظ بأسمها، فهذا موجود المرقد والشهيدان بقي ذكرهما بهذا الاسم المصحف وكثيراً ما يشتهر الاسم المتأخر ويختفي معه الاسم القديم.

محمد بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن حمزة الشهيد بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

المتوفىٰ في سجن المعتضد العباسي. كان من شجعان العلويين ومن السادات الأجلاء.

قال أبو الفرج في المقاتل[1]: ومحمد بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن حمزة ٱبن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب كان أُخذ في أيام علي بن محمد صاحب الزنج في البصرة فحُبس فمات في خلافة المعتضد، إنتهى.

وبهذا اللفظ جاء في رسالة السيد مهدي القزويني المخطوطة الملحقة بالنفحة العنبرية للبراقي، وذكره العميدي ولم يترجم له.

حمزة بن القاسم بن علي بن حمزة الشبيه ٱبن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد ٱبن أمير المؤمنين «عليهما السلام»:

أبو يعلى الفقيه الجليل القدر العظيم الخطر والشأن، كان من أعلام العلماء وأعيان الفقهاء ومن صلحاء الأُمة ومن الأولياء وعباد الله الصالحين وهو صاحب المرقد المعروف بالإمام الحمزة أو حمزة الغربي في نواحي الهاشمية الناحية المعروفة بالمدحتية، مرقده فيها مشيد ومزاره مشهور يقصد بالزيارة وتنذر له النذور وتظهر فيه الكرامات وهو قريب من مزار القاسم بن الإمام موسى بن جعفر، وحمزه له مصنفات على مذهبنا مذهب الإمامية وروايات عن أئمتنا فيعد «رحمه

---

(١) مقاتل الطالبيين: ص٢٢٧.

الله» من عظماء شيعة آل محمد وأعيان محدثيهم، ذكره علماؤنا ومدحوه.

والمدحتية مجموعة قرى على ضفاف نهر الحلة ومركزها ـ على ما في موجز تاريخ البلدان العراقية لعبد الرزاق الحسني ـ قرية الإمام حمزة التي فيها قبر الحمزة من ولد العباس بن علي بن أبي طالب «عليه السلام»، الخ، وهذا هو لفظه[١]: فهي على خط السيارات من الحلة الديوانية وهي إلى الحلة أقرب على مقدار ربع الطريق تقريباً فاول ما تخرج من الحلة تمر بناحية المدحتية قرية الإمام حمزة الغربي ثم قضاء الهاشمية ثم ناحية الإمام القاسم ثم تتجه إلى الديوانية ومرقد هذا الإمام يشير إلى ساكنه بالعظمة ويرمز إلى منزلته عند الله بما يظهر عنده من الكرامات «الشاره» التي ركزت له الحرمة العظيمة في نفوس العشائر المحيطة به حتى لقبوه العباس الثاني يعنون به جده العباس شهيد الطف لكثرة ما يظهر عنده من الكرامات، ومن أراد زيارته قصده من الحلة أو من قضاء الهاشمية وهي إليه أقرب.

قال النجاشي «رحمه الله» في الفهرست[٢] بعد النسب: أبو يعلى ثقة جليل القدر من أصحابنا، كثير الحديث، له كتاب «من روى عن جعفر بن محمد «عليه السلام» من الرجال» وهو كتاب حسن وكتاب الوحيد وكتاب الزيارات والمناسك، وكتاب الرد على جعفر بن محمد الأسدي.

وقال العلامة الحلي «رحمه الله» في الخلاصة[٣] بعد النسب: أبو يعلى ثقة جليل القدر من أصحابنا، له كتاب من روى عن جعفر بن محمد من الرجال، إنتهى. وذكره الأسترآبادي[٤].

قال السيد حسون البراقي من النفحة العنبرية المخطوط: الحمزة بن القاسم قال: قلت: الحمزة بن القاسم بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس ٱبن أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي قبره بقرب المزيدية من أعمال الحلة السيفية كذا ذكره السيد الأوحد السيد مهدي القزويني في رسالته وهو أيضاً مذكور في كتب الرجال لأنه من العلماء الرواة، يروي عنه محمد بن علي القلانسي والعكبري وكلاهما يرويان عن الحمزة المذكور وهوثقة جليل، ويروي الحمزة هذا عن سعد بن عبد الله، هكذا في كتب الرجال، إنتهى كلام البراقي.

ونص رسالة السيد مهدي القزويني: الحمزة بن الحسن بن القاسم بن علي

---

(١) موجز تاريخ البلدان العراقية: ص٦٩. (٢) الفهرست: ص١٠١.
(٣) خلاصة الرجال: ص٢٧. (٤) رجال الاسترآبادي: ص٢٢٦.

بن القاسم بن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين مما يقرب من قرية المزيدية من أعمال الحلة، إنتهى.

أما قرية المزيدية فهي من قرى المدحتية التي ذكرنا لك أنها مجموعة قرى هذه منها.

محمد بن حمزة الشبيه ٱبن الحسن بن عبيد الله الرئيس ٱبن العباس الشهيد بكربلاء:

يسميه السيد العميدي الصوفي ويقول[١]: له ذيل ببغداد ومصر والبصرة وغيرها، ثم يذكر أن من أعقاب حمزة الشبيه في مراغة وساليس وطبرستان، ومنهم قاضيها محمد بن الحسن ٱبن الحسن بن القاسم بن حمزة، وعقب بسمر قند وأول من دخلها منهم الحسين بن علي بن الحسن بن القاسم بن حمزة فعقب حمزة الشبيه بسمر قند وطبرستان ومراغة وساليس وبغداد ومصر والبصرة واليمن ومرو.

أعقاب إبراهيم جردقة بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد «عليه السلام»

عبيد الله بن علي بن إبراهيم بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

الفقيه الجليل من عظماء فقهاء الإمامية واعلام رواتها ومحدثيها وهو مصنف الجعفريات المشهورة وكان مع فقاهته وزهده أديباً شاعراً.

قال السبط ٱبن الجوزي الحنفي في التذكرة[٢]: قال الزبير بن بكار: من أولاد العباس ٱبن عبيد الله بن علي بن إبراهيم بن الحسن بن عبيد الله بن العباس، قال علماء السير: قدم بغداد وحدث بها ونزل مصر وكان عالماً جواداً وعنده كتب تسمى الجعفرية فيها فقه أهل البيت «عليهم السلام»، توفي بمصر سنة ٣١٢، ونقلها المجلسي في البحار[٣] ولم يزد.

وقال أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد[٤] بعد النسب: سكن مصر وحدث بها، حدثنا أبو سعيد يونس قال: عبيد الله بن علي بن إبراهيم بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب يكنى أبا علي من أهل بغداد، قدم مصر وسكنها وكان يمتنع عن التحديث، ثم حدث وكتبت عنه عن البغداديين، وكانت عنده كتب تسمى الجعفرية فيها فقه على مذهب الشيعة يرويها وعلت سنة

---

(١) بحر الأنساب: ص٢٢٨.
(٢) تذكرة الخواص: ص٣٣.
(٣) بحار الأنوار ٩/ ٧٠٠.
(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٤٦.

وكان يقال: إن عنده عن إبراهيم بن المنذر الحزامي ولم نكتب عنه من حديثه شيئاً، توفي بمصر في رجب سنة ٣١٣، إنتهى. للمؤلف:

وشهادة الأضداد في أضدادهم ... بالفضل أقوى البيان وأثبت
إن الخصوم إذا تشبع بالجفا ... لمناوئيه يضل دوماً يبهت
مثل الخطيب أو الزبير وشبهه ... للفاضلين من المذاهب يمقتوا
فيصول صائلهم كفيل هائج ... فتراه من أحقاده يتفلت
فإذا أجاد المدح فأعلم إنما ... بالفضل من خرطومه قد أفلتوا

والده علي بن إبراهيم جردقة اَبن الحسن بن عبيد الله الرئيس اَبن العباس الشهيد «عليه السلام»:

الجليل المحترم والمبجل المقدر وكان متكلماً فصيحاً ذا عارضة ولسان وبيان.

قال السيد الداودي في عمدة الطالب[1]: وأما علي بن جردقة فكان أحد أجواد بني هاشم ذا جاه ولين، مات سنة ٢٦٤ وله تسعة عشر ولداً.

وقال السيد العميدي في بحر الأنساب المخطوط: علي بن إبراهيم الأمير الكبير كان بسامراء وهو أحد أجواد بني هاشم وكان ذا جاه ولسان، مات سنة ٢٦٤، أما المطبوع فقد حذفت منه هذه الجملة.

أبو الحسن علي بن يحيى بن علي بن إبراهيم جردقة اَبن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد «عليه السلام»:

السيد المحترم ذا الجاه والشرف، النائب في نقابة العلويين.

قال السيد الداودي في عمدة الطالب[2]: أبو الحسن علي بن يحيى خليفة أبي عبد الله الداعي على النقابة، إنتهى، ومثله في سر السلسلة العلوية وفي بحر الأنساب المخطوط، وسقطت هذه الجملة من بحر الأنساب المطبوع.

أعقاب أبراهيم جردقة ببرذعة ومصر وبغداد وغيرها، قاله في العمدة.

أعقاب الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس الشهيد بن أمير المؤمنين «عليهما السلام»

محمد بن الفضل: الشاعر المجيد، كان مقلاً، وكان معاصراً للمأمون

---

(١) عمدة الطالب: ص٣٢٥.
(٢) عمدة الطالب: ص٣٢٥.

وأدرك عصر المتوكل، وكان له قدر وجلالة عندهما.

قال أبو نصر البخاري في سر السلسلة العلوية: محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله، أُمه جعفرية، وكان مشهوراً بالجمال، وقال المأمون: ما رأيت ذكراً أتم جمالاً من محمد بن الفضل بن الحسن، إنتهى.

وقال الداودي في عمدة الطالب[1]: فمن ولده ـ يعني الفضل ـ محمد بن الفضل بن الحسن أبو العباس الفضل بن محمد بن الخطيب الشاعر، له ولد، الخ.

ابنه الفضل بن محمد الشاعر الفصيح كان مقلاً وكان من الشعراء المجيدين في الدولة العباسية وجل شعره بمفاخر أسلافه ومجد أُسرته.

قال ابن حزم الظاهري في جمهرة أنساب العرب[2]: والفضل بن محمد بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب كان مع الحسن بن زيد بطبرستان ثم هرب منه فأراد الحسن قتله فآواه موسى بن مهران الكردي، وكان الفضل شاعراً كثير الهجو للحسن بن زيد، الخ، فأسقط الفضل الثاني وأسقط الحسن من النسب.

قال المرزباني في معجم الشعراء[3]: الفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب شاعر مقل متوكلي (يعني معاصر للمتوكل) وكان يشبه بعلي بن أبي طالب «عليه السلام» وهو القائل يفخر بجده العباس بن علي «سلام الله عليه».

إني لأذكر للعباس موقفه ... بين السيوف وهام القوم تختطف
يحمي الحسين ويسقيه على ظمأ ... ولا يولي ولا يثني ولا يقف
أكرم به سيد بانت فضيلته ... وما أضاع له كسب العلا خلف

انتهى، رحم الله الفضل فليس هو وحده يذكر موقف جده العباس الأكبر شهيد الطف ومحاماته عن الحسين وسقيه العطاشى من أهله بل كلنا نذكر ذلك ونقدره أعظم تقدير، ونحن وغيرنا ممن لمس الحرية بيد ناعمة وأستطعم الشهامة وتحسس المروة من جميع الأُمم ألسنة شكر له وتقدير لموقفه وثناء عليه ما دمنا نصور ذلك الموقف تصوير المشاهد ونتمثل ذلك المقام تمثيل المعاين على مسرح

---

(١) عمدة الطالب: ص٣٢٥.
(٢) جمهرة أنساب العرب: ص٦٠.
(٣) معجم الشعراء: ص٢١٤

الأذهان وبإملاء الضمير الحي الشاعر الحساس لما لذلك المقام من السمو والعظمة وما أدته تلك الشخصية الفذة من النصرة الفائقة والمحامات الرائعة بتلك البسالة المعجبة والثبات المدهش.

لقد وقف «سلام الله عليه» ذلك الموقف العظيم الذي مثل فيه للإباء من نوابغ العرب والأُمم والأحرار المتحمسين من أعيان الشعوب قاطبة كيفية التفادي الخالص من ذل الاستعباد القاسي، وقرر منهج مقاومة الأستعمار المنتقم من حياة الوجدان الحي والقاضي على سعادة الشخصية الحرة في مبادئها والحائلة بعد وإنها بينها وبين تقدمها في الإصلاح الديني والسياسي لتعرف الغيارى على شرفها ومجدها كيفية التضحية دون المجد والدين، وكيف تسمح بنفوسها العزيزة في سبيل الدفاع عن حياة مجدها.

وأراها صفة تحصيل تخليد الفخر فأعطاها دستوراً واضح الفصول بين المواد، سهلاً للتخلص من رق الاستبداد الجائر والاستعباد القاسي فإن ذوق طعم المنية حلو في فم الحر دون طعم الهوان الآجن الأُجاج لم يشغل العباس الأكبر ذلك الموقف الرهيب ولا المشهد العظيم الحراجة ولا خوض المعمعة الهائلة والمعركة الطاحنة ذات الأهوال المدهشة للعقول والمذهلة لأفكار المتفكرين دون تشريع قواعد الإخلاص وسن قوانين الرقي لذوي الحفاظ والشهامة من العرب وغيرهم، وذوي الآنفة عن أحتمال الضيم من سائر الأُمم.

فقام **أولاً**: بتقديم إخوته الأشقاء وبنيه الأعزاء أمامه حرصاً منه «عليه السلام» على كسب الأجر والفخر معاً ولأجل أن يستحكم فيه الحماس من جيمع جهاته فيمتزج حماس الدين بحماس الوتر، ويضم غضب الانتقام للأصلاح غضب التشفي للثار فهو يشد بحماس الدين والإصلاح وغيظ الوتر والثار ولئلا يقف حر النفس حي الضمير والوجدان موقف المتردد ولا يقوم مقام المتلدد بين حفظ النفس والنفيس وتضخية المجد والشرف بل يختار العكس ولا يتريث.

وثانياً: وقف بعد رد الأمان الذي منحوه إياه مراراً موقف الصابر المحتسب رابط الجاش هادئ البال مطمئن النفس، يسوق جماهير الأبطال سوق قطائع الغزلان وأسراب اليعافير، ويفرق كتائب الفرسان تفريق عانات العصافير.

وثالثاً: جسم الإباء العربي حتى أقامه شخصاً مرئياً وقالباً ممثلاً محسوساً يراه الناظرون ويشاهده المتأملون.

ورابعاً: علم الناس الإيثار بالنفس وعلى النفس.

وخامساً: أظهر من فنون الشجاعة وضروب الفروسية ما أبهر فرسان الملاحم وبقي تذكاراً خالداً ما بقيت الأيام والليالي تولد أحراراً يؤثرون المنية على الحياة الذميمة. للمؤلف:

أبو الفضل أبقى للعروبة مفخراً ... وعلمها كيف التفادي من الذل
سرت تحمل الأسفار للحشر ذكره ... هو الحر حقاً صدق القول بالفعل
وشبل علي المرتضى أسس الإبا ... وإن سجايا الليث لا ريب في الشبل
فما استعذبت يوم الكريهة نفسه ... وما وجدت طعماً ألذ من القتل
لأن به نصر الهداية والعُلا ... ورد غواة البغي قسراً إلى العدل
يمثل يوم الطف بدراً وعزمه ... كعزم أبيه فادياً سيد الرسل
وقادة يوم الطف أبناء قادة ... ببدر مع الرجس الغوي أبي جهل

دانيال الستركي الهندي: من صوفية القرن الثامن وعلمائه على مذهب الحنفي من أحفاد الفضل الصديق بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الأكبر الشهيد «عليه السلام».

قال عبد الحي الحسيني في كتاب نزهة الخواطر[1]: دانيال بن الحسن بن الفضل بن عبد الله بن العباس بن يحيى بن الفضل بن محمد بن الفضل بن عبيد الله بن العباس العباسي العلوي الستركي أحد العلماء المبرزين في الفقه والأُصول والعربية، ولد ونشأ بستركة ـ بفتح السين المهملة والتاء الفوقانية كسر الراء ـ كانت كبيرة بأرض أودة واليوم قرية من أعمال لكناهو، سافر إلى بيانة فقرأ العلم على القاضي عبد الله البيسانوي ثم تزوج بأبنته العفيفة ثم رحل إلى دهلي (دلهي) وأخذ الطريقة عن الشيخ نصير الدين محمود الأودي وصحبه مدة من الزمان حتى نال حظاً وافراً من العلم والمعرفة ثم رجع إلى بيانة ومعه زوجته وسافر إلى بلدته ستركة فقتل بأيدي قطاع الطريق يوم كاد أن يصل إلى بلدته وذلك سنة ٧٤٨، فنقلوا جسده إلى ستركة فدفنوه بها، إنتهى.

العباس الأكبر بن الفضل الصديق بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الأكبر الشهيد بكربلاء:

ذكره الدوادي مختصراً والعميدي.

---

(١) نزهة الخواطر: ص٤٢.

وقال عنه في بحر الأنساب[١]: بالعراق وعقبه بالحجاز وينبع وطبرستان منهم علماء وشعراء.

ويقول الداودي: ولد العباس بن الفضل بن الحسن: عبد الله وعبيد الله ومحمداً وفضلاً، لكل واحد منهم ولد.

أما أبو الحسن العلوي العباسي من رجال اليتيمة وندماء الرئيس ٱبن العميد فذكره الثعالبي ولم يسمه ولم ينسبه وها أنا أورد لك ملتقطات من كلامه فإن الرجل كانت له يد طولى في الأدب حتى أن بن العميدي يساجله الشعر ويعرض عليه بعض رسائله، وتميز ٱبن العميد في فن الإنشاء وشهرته بالكتابة غير خفي على أحد فإذا عرض على إنسان كتابته كان ذلك الإنسان في أعلا درجة من البلاغة التي أهلته لأن يعرض عليه الرئيس ٱبن العميدي إنتاج فكره.

قال الثعالبي في يتيمة الدهر في أخبار الرئيس ٱبن العميد[٢]: كان كل من أبي العلاء السروي وأبي الحسن العلوي العباسي وابن خلاد القاضي وابن سمكة القمي وأبي الحسين بن فارس وأبي محمد هندو يختص به ويداخله وينادمه حاضراً ويكاتبه ويجاوبه ويهاديه نثراً ونظماً.

ثم يقول[٣]: وكتب (يعني ٱبن العميد) إلى أبي الحسن العباسي هذه الأبيات وهي من مشهور شعره وجيده:

أشكو إليك زماناً ظل يعركني ... عرك الأديم ومن يعدي على الزمن

وذكر الأبيات.

وقال[٤]: وكتب إليّ بعض إخوانه هذه القصيدة ليعرضها على أبي الحسن العباسي وهي سائرة في الآفاق وكأنه قد جمع فيها أكثر إحسانه، فقال:

قد ذهبت غير حشاشة وذماء ... ما بين حر هوى وحر هواء

يقول فيها في عتاب العباسي وذكرها الثعالبي كلها:

أبلغ رسالتي الشريف وقل له ... (قد أتئب أربيت في الغلواء)

أنت الذي شتّت شمل مسرتي ... وقدحت نار الشوق في أحشائي

وجمعت بين مسائتي ومسرتي ... وقرنت بني مبرتي وجفاني

ونبذت حقي عشرتي ومودتي ... وهرقت مائي خلتي وإخائي

---

(١) بحر الأنساب: ص٢٢٧.
(٢) يتيمة الدهر: ص١٤٣.
(٣) يتيمة الدهر: ص١٥٣.
(٤) نفسه: ص١٥٤.

وهي طويلة أطلبها من اليتيمة، وذكر[١] أنه كتب إلى العلوي:

يا من تخلى وولى ... وصد عني وملا
وأوسع العهد نكثاً ... وأتبع العقد حلا
ما كان عهدك إلا ... عهد الشبيبة وبدلا
أو طائفاً من خيال ... ألمّ ثم تولى
أو عارضاً لاح حتى ... إذا دنى فتدلى
ألوت به نسمات ... من الصبا فتجلى
أهلاً بما ترتضيه ... في كل حال وسهلا
ليجزينك ودي ... بمثل فعلك فعلا
إن شئت هجراً فهجراً ... أو شئت وصلاً فوصلا
صبرت عني فأنظر ... ظفرت بالصبر أم لا
إني إذا الخل ولى ... وليته ما تولى

ثم قال[٢]: وسئل بعض حاضري مجلسه عن قصة له فقال: ولم يقصد وزناً:

أي جهة لقيته ... وشقاء شقيته

فقال الأُستاذ: قولوا على هذا الوزن شعراً، وفي المجلس أبو الحسن العباسي وابن خلاد القاضي. فقال أبو الحسن:

بي غزال مقرطق ... شفني إذا ما هويته
أحرز السحر طرفه ... وحوى الغنج ليته
زاد في الكبر عامداً ... إذ رآني وليته
حسبي الله والر ... ئيس قد دهيته

وقال ٱبن خلاد:

يا خليلي ساعدا ... ني على ما دهيته
أُنظرا أي معدل ... بقضاء أتيته
سامني السيد الر ... ئيس محالاً شنيته
ظل مستعدياً على ... رشا قد هويته

---

(١) نفسه: ص١٥٥.
(٢) يتيمة الدهر: ص١٥٨.

عجباً أن يكون لي ... والمياً من وليته
ما خشيت الحروب فيه ... ولكن خشيته
فاز روحي لو أنني ... في منامي أريته

وقال الأُستاذ:

أي جهد لقيته ... وشقاء شقيته
من نصيح أود من ... نصحه لي سكوته
قال صبراً وما درى ... إن صبري رزيته
قلت عنك الملام ما ... باختياري هويته
لم أكن أجشم البلاء ... لو أني كفيته
رب ثوب من الـ ... ـمذلة في كسبته

في أبيات له آخر تركتها.

أما الحسن بن العباس الشهيد:

فلا نعرف له عقباً وإن نص عليه ابن قتيبة وحكاه البراقي عن حدائق الألباب، وعلينا بيان ما يوهم أن له عقباً، تحدر عن هذا الأصل إلى القرن الخامس الهجري وتوطن سمرقند فإن كثيراً من القراء ليطالع الفوائد البهية في تراجم الحنفية فيتوهم صحة ذلك ونحن أخرنا تراجم هؤلاء السادة العلماء مع علمنا أنهم من أعقاب عبيد الله الأمير قاضي الحرمين لأجل التنبيه على غلط الفوائد حتى لا يحتج محتج بما يجده فيها، وهذا هو النص الموهم:

قال محمد بن عبد الحي اللكنوي الهندي في الفوائد البهية في تراجم الحنفية[1]: محمد بن أحمد بن حمزة بن الحسين بن علي بن عبد الله بن الحسن ٱبن علي بن عبد الله بن الحسن بن العباس بن علي بن أبي طالب المشتهر بالسيد أبي الشجاع كان في عصر ركن الإسلام علي بن الحسين السغدي بسمرقند وكان الإمام أبو الحسن الماتريدي معاصراً لهما وكان المعتبر في زمانهم في الفتاوي أن يجتمع خطهم عليه، إنتهى.

ومن المحتمل بل المتيقن سقوط عبيد الله بن الحسن والعباس «عليه السلام» وأن الأصل ٱبن الحسن بن عبيد الله بن العباس وقد ذكره على الصواب محمد بن

---

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية: ص ١٥٥.

محمد المعروف بأبن أبي الوفاء القرشي في الجواهر المضية طبقات الحنفية[١] ولفظه: محمد بن أحمد بن حمزة بن الحسين بن القاسم بن حمزة بن الحسن بن علي بن عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب العلوي أبو شجاع، تفقه عليه ولده محمد بن محمد بن أحمد، وسيأتي.

ثم قال في ابنه[٢]: محمد بن محمد بن أحمد بن حمزة ـ وذكر النسب المتقدم بألفاظه وقال ـ العلوي أبو الوضاح وهو والد الإمام الأشرف من أهل سمرقند، تفقه على والده وبرع في الفقه وروى عنه، وقال السمعاني: روى لنا عنه القاضي محمد بن عتبة الصايفي قاضي مرو وذكره في الذيل وقال: درس بمدرسة قثم بن العباسي بسمرقند وكان قد خرج إلى الحجاز وورد بغداد حاجاً وأنصرف إلى بلده وأقام على التدريس ونشر العلم إلى أن مات سنة ٤٩١ وهو أبن ٥٤ سنة ودفن بمقبرة جاكرديز «رحمه الله»، إنتهى.

---

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢/ ١٠ طبع حيدرآباد.
(٢) نفسه ٢/ ١١٤.

خاتمة

في تأبين أبي الفضل العباس «عليه السلام» ومراثيه

كثر تأبين العباس الأكبر ورثاه عامة الشعراء في سائر العصور بمختلف الألسنة ومتنوع اللهجات من الفارسية والهندية والتركية والعربية بنوعيها القريض والحسچة وهي اللغة الدارجة العامية وبلغت في إثارة الحماس وتهييج الحزن فوق ما بلغته اللغة الفصيحة ولو جمعت تلك المراثي لبلغت عدة مجلدات ضخمة الحجم.

وقد فرق علماء الأدب بين التأبين والمراثي وقد نوعت العرب الرثاء أنواعاً قسمت كل نوع بأسم خاص فإن كان مشتملاً على تعداد محاسن المراثي والثناء عليه بمحاسن الأفعال ومكارم الأخلاق وواصفاً لشرفه وسؤدده وما قام به من الأعمال الجليلة فهو التأبين، ولا يفرقون في ذلك بين النثر والنظم، ومر في الفصول السابقة كثير من هذا النوع، ومنه قول الشاعر:

يطيب تراب الأرض إن نزلوا بها وأحسن منه في الممات قبورها

وقول السيد القزويني في رثاء شهداء كربلاء:

إذا نازلوا أحمر القنا من نزالهم وإن نزلوا أخضر الثرى بالمكارم
أشداءكم حلوا معاقد شدة بشد المواضي قبل شد التمائم

وقول السيد الحلي فيهم:

أبا حسن يهنيك ما أصبحوا به وإن كان للقتلى تقام المآتم
لأورثتهم مجداً وما كان حبوة ولكن نصفاً في بنيك المكارم

وقول علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في رثائهم:

إن الكرام بني النبي محمد خير البرية رائح أو غادي
قوم هدى الله العباد بجدهم والمؤثرون الضيف بالأزواد
كانوا إذا نهل القنا بأكفهم سكبوا السيوف أعالي الأغماد

ولهم بجنب الطف أكرم موقف صبروا على الريب الفظيع العادي
حول الحسين مصرعين كأنما كانت مناياهم على ميعاد

وهو كثير في تأبين الحسين «عليه السلام» والشهداء معه وخاصة في شعراء العصر المتأخر كقول السيد الحلي:

سمة العبيد من الخشوع عليهموا لله إن ضمتهم الاسحار
فإذا ترجلت الضحى شهدت لهم بيض الصوارم أنهم أحرار

إن كان مشتملاً على ما يثير العواطف ويجرح الضمير بالمهيجات المحزنة والمرققات المشجية سموه بكاءاً وقد تقدمت شواهد هذا في منزلة العباس «عليه السلام» عند الحسين «عليه السلام» كرثاء مالك بن حري ومالك بن نويرة وأبي المغوار، ومنه قول عبد الرحمٰن بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب يرثي زيد بن علي بن الحسين بن علي «عليه السلام»:

ألا يا عين لا ترقي وجودي بدمعك ليس ذا وقت الجمود
غداة أبن النبي أبو حسين صليب بالكناسة فوق عود
يظل على عمودهموا ويمسي بنفسي أعظماً فوق العمود
تعدى الكافر الجبار فيه فأخرجه من القبر اللحيد
فظلوا ينبشون أبا حسين خضيباً منهموا بدم جميد

ومنه قول داود السلمي يرثي شهداء فخ من العلويين:

يا عين إبكي بدمع منك منهتن فقد رأيت الذي لاقى بنو حسن
صرعى بفخ وتجري الريح فوقهموا أذيالها وغوادي دلح المزن
حتى عفت أعظم لو كان شاهدها محمد ذب عنها ثم لم تهن
ماذا يقولون والماضون قبلهم على العداة وأهل البغض والإحن
لا الناس من مضر حاموا ولا غضبوا ولا ربيعة والأحياء من يمن
ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا صنعتم بنا في سالف الزمن
يا ويحهم كيف لم يرعوا لهم حرماً وقد رعى الفيل حق البيت ذي الركن

ومنه قول عقبة بن عمرو السهمي سهم عوذ بن غالب وهو أول شعر رثي به الحسين الشهيد «عليه السلام»:

إذا العين قرت في الحياة وأنتموا تخافون في الدنيا فأظلم نورها

مررت على قبر الحسين بكربلاء ففاض عليه من دموعي غزيرها
فما زلت أرثيه وابكي لشجوه ويسعد عيني دمعها وزفيرها
وبكيت من بعد الحسين عصائباً أطاف به من جانبيه قبورها
سلام على أهل القبور بكربلا وقل لها منا سلام يزورها
سلام بأوصال العشى وبالضحى تؤديه نكباء الرياح ومورها
ولا برح الوفاد زوار قبره يفوح عليهم مسكها وعبيرها

وأكثر مراثي القدماء من هذا النمط مثل مراثي الكميت ودعبل وجعفر بن عفان وغيرهم وهكذا يقول دعبل:

هلا بكيت على الحسين وأهله هلا بكيت لمن بكاه محمد
فلقد بكته في السماء ملائك زهر كرام راكعون وسجد
لم يحفظوا حق النبي محمد إذ جرعوه حرارة لا تبرد

فإذا تضمن صرخة وعولة وأرتفاع أصوات سموه نوحاً وندباً أو نياحة وندبة وهذا شيء مشهور تعرفه العرب، قال بعضهم يخاطب بثينة بعد موت جميل العندي:

قومي بثينة فاندبي بعويل وأبكي خليلك دون كل خليل

الكثير منه في أشعارهم وكذلك في مراثي الحسين «عليه السلام» فقال بعضهم يذكر فاجعته:

ندبت لها الرسل الكرام وندبها عن ذي المعارج فيهموا مسنون

وأكثر ما يصفون بالندب والنياح النساء ويسمون مأتم العزاء النسائي المناحة.

وإذا اشتمل الرثاء على الإعلان بموت المرثي سموه نعياً وأطلقوا على ذلك المخبر إسم الناعي وهو كثير في شعر العرب ومنه قول محمد بن علي بن حمزة في الحسن بن علي «عليهما السلام».

يا كذّب الله من ينعى حسناً ليس لتكذيب نعيه ثمن
كنت خليلي وكنت خالصتي لكل حي من أهله مسكن
أجول في الدار لا أراك و في الدار أُناس جوارهم غبن

وفي مراثي الحسين بن علي «عليهما السلام» الكثير منه، وقد قال الإمام زين

العابدين «عليه السلام» لما رجع من الشام بعياله الأسرى إلى المدينة لحذلم بن بشير الأسدي: ثم وانع أبا عبد الله «عليه السلام» ببيتين من الشعر فإن أباك شاعراً، فقام ودخل المدينة ونادى بأعلى صوته:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرج والرأس منه على القناة يدار

فأطلقوا على كل مخبر بسوء إسم الناعي توسعاً فقالوا: الغراب ناعي الفراق، وفلان ناعي الخير، قال بعضهم:

يا ناعي الإسلام قم فانعه قد مات عرف وبدا نكر

وخص العوام النعي بنوع من مراثيهم العامية (الحسچة) وهو المتجانس القوافي في جميع اشطره كالرجز العربي على روي واحد وقافية واحدة، وهناك نوع خامس تسميه العرب بالتعزية والتسلية وهو إذا كانت المرثية متضمنة لألفاظ السلوة والتعزية كقول الخنساء في أخيها الصخر:

يذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره كل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
فما يبكون مثل أخي ولكن أُعزي النفس عنه بالتأسي

وقالت أُخرى وقد قتل أخوها ولدها:

أو قل للنفس تسلاء وتعزية إحدى يدي أصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

وهم يتفنون في هذا النوع فنوناً كثيرة لا يتسع الكتاب لها وهو الذي يستعمله شعراء هذه العصور في تأبين الكبار إذا فقدوا وخلفوا من له الكفاءة للقيام بمهمات الرياسة من دون فرق بين العلماء والأُمراء ويجعلون وجود الخلف الكافي تسلية وتعزية عن السلف الماضي غير أنه لا يكون ذلك في مراثي الحسين «عليه السلام» لعظم المصاب وشدة صدمة المصيبة والخلف الباقي وهو الإمام زين العابدين «عليه السلام» أغلق باب التسلية عنه في وجوه الراثين له وأوصده أمام المؤبنين فلا سلوة ولا عزاء إلا بالانتقام من قاتليه على يد الثائر من ولده الحجة المنتظر صاحب الزمان «عجل الله فرجه»، ولهذا كثر في مراثي الحسين «عليه السلام» أنتداب الإمام المهدي المنتظر في تعجيل الظهور لأجل الانتقام من قتلة جده وهذه الأنواع الخمسة قد يسميها العرب القدماء جميعاً بالمراثي كما يسميها المعاصرون

من الشعراء بالتأبين، والحق ما ذكرنا وإن التأبين أعم من النثر والنظم ويختص من الشعر بما أشتمل على تعداد محاسن الفقيد كما قدمنا عن المرزباني إنه قال: إن التأبين ما كان في تعداد محاسن الميت.

وقال الفيروزآبادي في القاموس: التأبين الثناء على الشخص بعد موته، وقال في مادة رثاء رثيت الميت رثاء ورثاية بكسرهما أو مرثاة أو مرثية مخففة ورثوته وعددت محاسنه كرثيته وترثيته نظمت فيه شعراً، إنتهى.

وقد أخطأ الفيروزآبادي في هذا التعريف إنما التأبين تعداد المحاسن كما قال أولاً والرثاء مشتق من الرقة من باب رثى إذا رق له ولان له قلبه فإن العرب تقول: فلان يرثي له وأصبح بحالة يرثى له ومعناه أنه قد صار في حال ينصدع لها القلب ويرق.

قال الفيومي في المصباح المنير: رثيت الميت أرثيه ورثيت له ترحمت ورققت له.

تأبين الشعراء ورثائهم للعباس الأكبر بن أمير المؤمنين «عليهما السلام»

قد عرفت أنها كثيرة واكثرها مطبوع في كتب المقاتل والتراجم ومستقلاً وأنا مورد بعض ما يعجبني وإن تكرر طبعه وما أستلذه منه وإن حفظه أكثر الخطباء.

فمنه قول الحاج محمد رضا الأُزري البغدادي في تأبين أبي الفضل العباس من قصيدته التي بارى فيها معلقة لبيد وأنا أشرح بعض معانيها مختصراً. قال «رحمه الله»:

أوما أتاك حديث وقعة كربلاء أنى وقد بلغ السماء قتامها
يوم أبو الفضل أستجار به الهدى والشمس من كدر العجاج لثامها

كأن هذا الأديب يشير بقوله أستجار به الهدى إلى أن أبا الفضل جدير أن يلقب بمجير الهدى كما لقب ربيعة بن مكدم بمجير الظعن، وأبو حنبل بن مز بمجير الجراد، وأشتقاق اللقب كما عرفته سابقاً كثيراً ما يكون مشتقاً من صفات الملقب به أو من فعل صادر من أفعاله فكان الكناني مجيراً للظعن والطائي مجيراً للجراد الواقع بجواره والبطل العلوي مجيراً للهدى لأنه حامىٰ عنه بسيفه وسنانه وبذل نفسه ونفيسه دونه وما أنيل لقب مجير الهدىٰ ولشرفه وما أحقر مجيراً الظعن ومجير الجراد أمام عظمته.

والبيض فوق تحسب وقعها زجل الرعود إذا أكفهر غمامها
فحمى عرينته ودمدم دونها ويذب من دون الشرى ضرغامها
من باسل يلقى الأسنة باسماً والشوس يرشح بالمنية هامها

هذه غاية البطولة ونهاية الفروسية أن يخوض التي تزداد فيها وجوه الأبطال كلوحا وعبوسة، وترشح هامها دماً باسماً مبتهجاً يحسب رشحات قعامات الأبطال رشحات وجنات الخدود الموردة.

وأشم لا يحتل دار هضيمة أو يستقل على النجوم رغامها

فكما أنه من المستحيل أستعلاء الرغام الذي هو التراب على أنجم السماء المرتفعة عنه ارتفاعاً لا يحد بالضبط والدقة كان من المستحيل أن يحتل العباس الأبي النفس الحمى الأنف دار مذلة وهوان وهي أبعد من متناول شممه من الرغام من نجوم السماء.

أو لم تكن تدري قريش أنه طلاع كل ثنية مقدامها

ليست قريش وحدها تدري أنه طلاع الثنايا المخوفة والنجود المرعبة بل العرب قاطبة تعلم أنه الطلاع للثنايا المخوفة والمقدام في الأهوال ساعة الزحف والسابق إلى خوض تيار الأخطار فهو مقدام العرب لا قريش خاصة وأبوه والمرتضى مقدام الأُمم لا العرب فقط.

بطل أطل على العراق مجلياً فاعصوصبت فرقاً تمور شئامها

لا شك أن الألوية والنواحي المرتبطة بعاصمة من العواصم إذا عصفت إحدى الزوابع فزعزعت ذلك القطر أو أنفجرت بعض البراكين فنسفت ذلك الاقليم أرتجت العاصمة وشملها الرعب وإن بعدت خوفاً أن تهب من ضواحيها تلك الزوبعة الهائلة أو يفجر في نواحيها ذلك البركان الشديد فتندك معاقلها وتنهار حصونها وتنسف أبراجها وتزعزع شوامخ رواسيها فبركان الشجاعة العباسية المنفجر في الجيش الاموي الكوفي زوبعة البطولة العلوية التي هبت بمعسكر جند آل حرب مارت لنبئة الشام فرقاً من صدمته وخوفاً من هوله.

وشأ الكرام فلا ترى من أُمة للفخر إلا آبن الوصي إمامها
هو ذاك موئل رأيها وزعيمها لو جل حادثها ولد خصامها
واشدها بأساً وأرجحها حجى لو ناص موكبها وزاغ أقدامها

تضرب العرب مثل المبالغة في نعت الجيوش العظيمة ذات الثبات في

الزحف والمقاومة عند الضرب والصبر في الجلاد اعتماداً على قوتها من حيث الكثرة والاستعداد والصبر فيقولون: كتائب كالجبال أو هي جبال من حديد، أو جبال لا تزول من مقرها إلا أن تضرب بجبال مثلها، هكذا يقولون وبهذا ينطقون وقد قال معاوية يوم صفين في ربيعة العراق وكانوا في مسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» وقائدهم عبد الله بن العباس:

إذا قلت قد ولت ربيعة أقبلت كتائب منهم كالجبال تجالد

وقولهم جبال من حديد نظراً لما عليهم من الأدراع والمغافر الحديدية وقد قال بعض قواد صفين ولقيت جبال الحديد يدك بعضها بعضاً وجبال الحديد هذه يوم الطف قد لاقاها أبو الفضل العباس بجبال أعظم منها دكها بها وهي عزمه وثباته ونجدته وبأسه وحفاظه وبصيرته ويقينه فهو فرد من شخصه جموع في صفاته.

ولكم له من غضبة مضرية قد كاد يلحق بالسحاب ضرامها

يشير بهذا البيت إلى قول شاعر مضر وفارسها في عصر الجاهلية:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

وأستعار المعنى الأديب الأُزري لأن أبا الفضل العباس أحق به وأولى لأنه صدق قوله بفعله وقد قال القحطاني: نحن حي فعال لا حي مقال لكن أبو الفضل من حي فعال ومقال، وغضبة أبي الفضل كما يتحدث بعض الخطباء تركت الخيل يسحق بعضها بعضاً.

أغرى به عصب ٱبن هند فأنثنت كلح الجباه مطاشة أحلامها
ثم أنثنى نحو الفرات ودونه حلبات عادية يصل لجامها
فكأنه صقر بأعلى جوها جلى فحلق ما هناك حمامها
أو ضيغم شئن البراثن ملبد قد شد فأنتثرت ثباً أنعامها

لولا أن سنّة العرب الجارية عند شعرائهم وسيرة أُدبائهم المتبعة منذ أول العصور العربية إلى اليوم من تشبيه البطل المرهوب بسباع الطيور الخاطفة كالصقور الكاسرة وضواري الوحوش الهائجة كالضواري المفترسة وذلك إذا راموا المبالغة في الشجاعة والإقدام لأنكرنا على هذا الشاعر البليغ تشبيه العباس «عليه السلام» بالصقر والضيغم لكن قد أوضح العذر له أبو تمام الطائي وقد مدح أحد عظماء آل خاقان بقوله:

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء أياس

فقال بعض من يعاديه: الأمير أجل من جميع من شبهته فيه، فقال مجيباً على الفور:

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والبأس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

وهذا العذر يكفي الأُزري وإلا فما قيمة الصقر والأسد في جنب شجاعة العباس «عليه السلام».

فأبت نقيبته الزكية ربها وحشا ٱبن فاطمة يشب ضرامها
وكذلكم ملأ المزاد وعبها وأنصاع يرفل بالحديد همامها
حتى إذا دانا المخيم جلجلت سوداء قد ملأ الفضا أرزامها
فجلا تلاتلها بجاش رابط فتقاعست منكوسة أعلامها
ومذ استطار إليهموا متطلعاً كالأيم يلهب بالشواظ سمامها
حسمت يديه يد القضاء بمبرم ويد القضا لم ينتقض إبرامها

وإنما أحال هذا الأديب قطع يد العباس «عليه السلام» على مبرم القضاء ومحتوم الأقدار لأن الدنو منه ليس في مقدور الأبطال والأقتراب إليه لم يكن في وسع الشجعان لصولته المرهوبة وسطوته المخشية فإن الأسد إذا صال أرعب، والفيل إذا هاج حطم، والصقر إذا أنقض خطف، والقنيص لا يفلت من خالب البازي، والفريسة لا تخلص من أنياب الضاري، فكل بطل في حربه محايد، وكل كمي جريء عن لقائه متباعد فهم في تأخر وتقهقر وفرار وإدبار يمطرون عليه من بعد شئآبيب السهام، ويشرعون أجمات الرماح وهم على الأدبار مقعون وعلى الأعقاب ناكصون حتى مكنهم القضاء المبرم من الاختفاء خلف النخيلات الجاثمة على ضفاف المسناة وهذه أُخت السدة التي مكنت الخوارج من أبيه فارس الإسلام وبطل العرب فالقدر أتاح لهذين الصنفين الشريرين مكامن من نخلات وسقوف لاغتيال الليثين والتمكين من الأسدين.

وإعتاقه شرك الردى دون الشرى أن المنايا لا تطيش سهامها
الله أكبر أي بدر خر من أفق الهداية فأستشاط ظلامها
فمن المعزي السبط سبط محمد بفتىٰ له الإشراف طأطأ هامها

وأخ كريم لم يخنه بمشهد حيث السراة كبا بها إقدامها

أيها الأديب من بقي مع السبط فيعزيه بهذا الأخ الكريم وقد قتل جميع الأحبة لعلك تستنهض النسوة المذاعير إلى تعزيته وتستصرخ العقائل الثكلى في الإسراع إلى تسليته؟ نعم قمن بذلك المهم عند عودته من مصرعه هذه تقول أين أخي؟ وهذه أين عمي؟ وهذه أين حماي وحارسي؟ وهذه أين كفيلي في مسيري؟ وهذه أين مروي لهفة ظمأي؟

تالله لا أنسى ابن فاطم إذ جلا عند العجاج يكفهر قتامها
من بعد أن خطم الوشيح وثلمت بيض الصفاح ونكست أعلامها
وافى به نحو المخيم حاملاً من شاهقي علياء عز مرامها
وهوى عليه ما هنالك قائلاً اليوم بان عن اليمين حسامها
اليوم سار عن الكتائب كبشها اليوم بان عن الصلاة إمامها
اليوم آل إلى التفرق جمعنا اليوم حل عن البنود نظامها
اليوم خر عن الهداية بدرها اليوم غب عن البلاد غمامها
اليوم نامت أعين بك لم تنم وتسهدت أُخرى فعز منامها

تأبين العباس «عليه السلام» وشرح المؤلف لبعض الأشعار

نحن لا نتفق مع هذا الأديب في رأيه أن الحسين حمل العباس «عليه السلام» إلى المخيم وقد سبق ذلك، ولا في رأيه أن الحسين «عليه السلام» قال: آل إلى التفرق جمعنا، ولا جمع لديه نسوة وأطفال ومريض عليل وبعض الأعبد الأرقاء.

لكنا نتفق معه على رأيه الأخير اليوم نامت أعين، والصواب داعي الوفاق حيث أن أهل الكوفة مع كثرتهم وكثافة جيشهم كانوا لا ينامون الليل في حياة العباس «عليه السلام» فهم يتحارسون خوفاً منه أن يهجم عليهم أو يبيتهم كما هجم عليهم في ورد الشريعة ليلة العاشر قهراً بحد السيف وأستولى عليها بالغلبة وأنشمرت تلك الأُلوف أنشمار الريشة في الهواء العاصف فملأ الأسقية والقرب وأوصلها إلى مخيم الحسين «عليه السلام» وجيش الأعداء راغم فلبقاء أثر تلك الرهبة في صدورهم فهم لا ينامون ويتحسسون أنبائه كما يتحسس القطا شخص الصائد.

ومن في مخيم الحسين «عليه السلام» كانوا واثقين بحراسته لهم والليث في باب العرينة يزأر من يقتحم فكل من في الخيم من رجال ونساء مطمئن بحياطة لهم منه في حمى منيع الجانب وحصن راسخ الأركان وثيق الرتاج فهدئوا وأطمئنوا فناموا وعند فقده تبدلت الأحوال وأنعكس الوضع؛ فأمن الخائف فنام، وأنزعج الآمن فساهر وما غفت له عين واكتحل بغمض مقلة.

أشقيق روحي هل تراك علمت إذ غودرت وأنثالت عليك لثامها
إن خلت أطبقت السماء على الثرى أو دكدكت فوق الربى أعلامها
لكن أهان الخطب عندي أنني بك لاحق أمراً قضى علامها

ولهذه القصيدة بقية تركتها، وقال آخر في رثاء العباس الأكبر «عليه السلام»:

أنى ويوم الطف أضرم في الحشا جذوات وجد من لظى سجين
يوم أبو الفضل أستفرت بأسه فتيات أحمد أو بنو ياسين
في خير أنصار براهم ربهم للدين أول عالم التكوين

نعم، هم خير أنصار بأعتبار أجتماع صفات الفضل ومزايا الحمد فيهم بحيث لم يفقدوا خصلة واحدة من خصال المجد والفخر، ولا فضيلة من فضائل الإنسانية فقد تكاملت لهم صفات المفاخر وأجتمعت فيهم متفرقاتها، وبالإضافة إلى ما تحملوا من عظيم البلاد وقد صح الحديث المروي من الطريقين ومعناه أن الأجر يتضاعف بتضاعف البلاء ولهذا كان البدريون أفضل الصحابة وكلما كانت المشقة أشد والابتلاء أعظم كان الجزاء أوفر والأجر أكبر والحباء أكثر لأن الأجر على قدر المشقة وأفضل الأمور أحمزها.

ولا نعرف في كل الأنصار من يمكن أن يقاس في أنصار الحسين «عليه السلام» وربما يشتبه على البسطاء والسذج جهة المفاضلة بينهم وبين أنصار النبي ﷺ في بدر وأحد ونحن إذا قايسنا بين شهداء كربلاء وشهداء بدر وجدنا لأصحاب الحسين «عليه السلام» أعمالاً توجب لهم التفضيل والتقدم على من أستشهد مع النبي ﷺ في يوم بدر، لا من حيث فضيلة النبي ﷺ فإن ذلك مفروغ منه من أنه سيد ولد آدم وبه فضل الحسين «عليه السلام» بل من حيث فضيلة الشهيد معه في نفسه وفي حد ذاته وحقيقة شهادته التي هي سبب مفاضلة الشهداء وأمتياز بعضهم على بعض إذ لا شك أن حمزة وجعفر أفضل الشهداء مع النبي ﷺ ولا يقاس بهما شهيد معه وكذلك مراتب من عداهما تختلف ولا ريب في فضل

عبيدة بن الحارث بن المطلب على عمير بن الحمام الأنصاري وسعد بن الربيع على أصيرم عبد الأشهل وكلاهما من شهداء أُحد مع النبي ﷺ فأختلاف الدرجات وتباين المنازل مع أتحاد الجهة لا يكون إلا لتمايزهم بالفضيلة والأهلية مع وحدة الصحبة والشهادة معه فإذا صرحت الحقيقة بأن التفاضل مكتسب بالأعمال والتمايز إنما يكون بالصفات فقد تصحر الحقيقة لطالبها ويسفر الواقع لرامقه بأن شهداء الطف أفضل الشهداء من الوجهتين النفسية والعملية معاً.

أما من حيث الصفات النفسية فنحن إذا قايسنا بين عمير بن الحمام الأنصاري «رضوان الله عليه» وسواد بن غزية الأنصاري الشهيدين ببدر مع النبي ﷺ وبين حبيب بن مظاهر الأسدي وبرير بن حضير الهمداني «رضوان الله عليهما» وجدنا الفرق بين شهيدي بدر وشهيدي كربلاء كالفرق بين الفرقدين والبدرين بكل صفة من الصفات المقدرة المحترمة نحو العلم والزهد والشجاعة والصلاح وغير ذلك مما عرفا به فإن عميراً وسواداً وإن كانا من سابقي الأنصار إلى الإسلام وقديمي الصحبة للنبي ﷺ ولكنهما من بعض الأنصار وليسا من الزعماء ولا العلماء ولا الزهاد المعروفين بالزهد أمثال عمار بن ياسر وأبي ذر ومصعب بن عمير، ولم تذكر لهما سوابق في شجاعة أو كرم كما ذكر لحبيب وبرير وأضرابهما من أنصار الحسين «عليه السلام» الذين شهدت لهم الفتوحات والمغازي أيام الخلافة الإسلامية.

أما ناحية العلم والزهد فحبيب من الرواة للحديث والفقهاء المشهورين وحملة علوم المغيبات عن سيده وسيدنا أمير المؤمنين «عليه السلام»، وبرير سيد القراء بالعراق وأُستاذهم ومعلمهم بجامع الكوفة، والقارئ عندهم من يجمع العلوم الدينية كلها من الفقه والتفسير والحديث وعلوم العربية والزهد والعبادة.

ومن ناحية المجد والسؤدد كلاهما كان من سادات قومه وأشراف أهل الكوفة ووجوه العرب ممن يأخذ شرف العطاء.

ومن ناحية الإخلاص والتفادي فقد علم كل أحد الفارقة بين الطفيّين والبدريين فقد بات شهداء الطف ولهم دوي كدوي النحل بالعبادة وتلاوة القرآن والذكر حتى الصباح قد أحيوا الليل تهجداً وأزدحموا على فسطاط الحسين «عليه السلام» ليطلوا ويغتسلوا يفاضل غسالته يضاحك بعضهم بعضاً ويداعب بعضهم بعضاً وقد أحاط بهم جيش لو قسم على أفرادهم لكانت حصة الواحد منهم أكثر من مائة، وبات البدريون أمام قريش ولو وزع جيشهم على أفرادهم لكانت حصة

الواحد منهم ثلاثة رجال وفيهم سيف الله الغالب علي بن أبي طالب وأسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب مرعبون وجلون من قريش حتى يبست حناجرهم ولصقت ألسنتهم حتى كانوا يعالجون تحريكها بصعوبة وشدة لمكان الخوف، ولولا أن منّ الله فألقى عليهم النعاس فناموا لوقع ما لا تحمد عاقبته ولكنه ستر بمنه وهم مع وعد الله إياهم بإمدادهم بألوف من الملائكة وأمدهم بها فعلاً لم تطمئن أنفسهم تمام الاطمئنان ويرومون التفلت من هذا الموقف الرهيب وودوا لو أن النبي ﷺ أطاعهم في الانسحاب عن هذا الميدان ليقفوا أثر القافلة وكلما أستشارهم النبي ﷺ اشاروا عليه بذلك وهو يريد أن يشيروا عليه بالإقحام على قريش فيشيرون بالتقهقر إلى القافلة ليشاع بين العرب أن محمداً فر من بين يدي خصومه ورضا أن يكون قاطع طريق فهذا رأيهم وسره الخوف من قريش فإن المنايا منتصبة أمامهم بخيالهم، والسلامة والنجاة من القتل بترك الخطة ومغادرة الميدان إلى السير وراء القافلة التي قد أفلتت أسلم، وفي جميع هذه قد ذمهم القرآن المجيد، فاتلوا الأنفال تجد ما ذكرنا وإلا فالتاريخ أمامك.

وأما شهداء الطف فقد أُعطوا الرخصة في الأنصراف فأبوها وتلك التي يتمناها البدريون فقد أعلن الحسين «عليه السلام» وصارحهم بقوله: قد أذنت لكم في التفرق عني والأنصراف إلى سوادكم وعشائركم فأتخذوا الليل الذي غشيكم جملاً وأمضوا فأنتم في حل من بيعتي لا حرج عليكم ولا ذمام، فيتفق جوابهم جميعاً في المعنى وإن اختلف اللفظ وهو التفاني دونه وافتدائه بأنفسهم ولا يقنع الواحد منهم دون أن يتمنى أن يحرق دونه يوذرى مراراً عديدة يبلغ بها السبعين مرة وإنه لم يفارقه ويود الآخر أن يقتل وينشر مراراً ينتهي بها إلى الألف ثم صدقوا القول بالفعل فجعلوا يتلقون السيوف بنحورهم والرماح بصدورهم حتى وقف بعضهم أمامه مستهدفاً للسلاح بجسمه ويرمي آخر درعه ومغفره ويلقاهم حاسراً.

أين مقام هؤلاء من مقام أُناس تغيرت ألوانهم رعباً وذبلت شفاههم خوفاً والرسول يخبر بالظفر بأن الله وعده إحدى الطائفتين بعكس أصحاب الحسين «عليه السلام» الذين أخبرهم بالقتل فطمئنهم الله نزولاً عند رغبتهم ليطمئن العرب الضارب ويسكن النبض المتحرك بسرعة من الخوف بقوله لرسوله ﷺ: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾[1] وهو لعلم أن قريشاً لا تجنح للسلم حين قادها البذخ والخيلاء لكن أراد تسكين قلوب أصحاب النبي ﷺ وقد أعلمناك أن قائدهم

(١) الأنفال: ٦١.

رسول الله ﷺ الذي كان يقول فيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: كنا إذا حمىٰ الوطيس لذنا برسول الله ﷺ، وفيهم سيف الله الغالب علي بن أبي طالب، وفيهم أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب وجبرئيل وميكائيل وإسرافيل كل واحد من ألف مالك ومع ذلك تصفر الألوان وتلكح الوجوه وتذبل الشفاه وتيبس الألسن والحناجر من دون عطش، إنما هو الرعب، فجعلوا يلوكون ألسنتهم وباتوا بليلة هي أطول ليلة مرت على أحدهم لولا أن رماهم الله بالنعاس فناموا قهراً فقال: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾[1] ثم استيقظوا كما ناموا مرعوبين فطمئنهم بالإمداد الروحانية فقال: ﴿أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾[2] فما أطمئنوا كمال الاطمئنان وكأنهم استقلوا العدد فأنزل الله تبييتاً لهم: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[3].

ولم يتجاسروا على الأستقاء من الماء لقربه من جيش قريش وهم أكثر من ثلاثمائة رجل ولم تحرس قريش الماء بالأسنة والسيوف كما حرس أهل الكوفة مشارع الماء وحمته على الحسين «عليه السلام» وأصحابه ورسول الله هو المتسلط على الماء وقد أخذ عبيد قريش الذين يستقون لهم ومع ذلك فقد هابت الصحابة الدنو من الماء لقربه من عدوهم فأستقى لهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ثم يجزع بعضهم من الوقوف في صف أصحابه فيلوذ في العريش متدرعاً برسول الله ﷺ إذ قام على رأسه الحرس برئاسة سعد بن معاذ الأشهلي سيد الأوس أفيقاس هذا بالحنفي الذي قام هدفاً للسلاح أمام الحسين يتلقى بصدره ونحره كلما يقصد به الحسين «عليه السلام» من سلاح حتى سقط ميتاً؟ لا قياس إن حكم الإنسان وجدانه وأطاعه ضميره السليم بنبذ العصبية والهوى.

ثبّت الله البدريين بأُمور منها إرسال النوم عليهم وتقليل الأعداء في أعينهم وأمره النبي ﷺ بقبول الصلح من قريش ووعده بالمدد الروحاني وهو صادق في جميع ما وعد به لا يخلف وعده، ووعده لهم بالظفر بإحدى الطائفتين وحيث فاتت القافلة فالظفر بالنفير محقق ومدد الملائكة حصل فعلاً وكل هذه الأُمور لم تكن لأصحاب الحسين «عليه السلام» فأحيوا الليل بالعبادة والقراءة فما غمضت لواحد منهم عين، وشهادة الحسين «عليه السلام» يقينية فأنتفت نصرة الملائكة ولا وعد

---

(١) الأنفال: ١١.
(٢) آل عمران: ١٢٤.
(٣) آل عمران: ١٢٥.

لهم بالظفر والغلبة بل الوعد بالعكس وعلى النقيض وهو القتل لا غير، ولم يمل الحسين «عليه السلام» لصلح وقد أخبرهم أنه لا يصالح بني أُمية ولا يسالمهم وقد قال: إن يومنا من هؤلاء عصيب، وقال لهم: إنكم تقتلون جميعاً ولا ينجو منكم غير ولدي زين العابدين فقد رحبوا بتلك البشائر وفرحوا بتلك النعم.

الشهادة مع الحسين «عليه السلام» سعادة ما مثلها سعادة، وشرف لا يدانيه شرف.

وقد كان عددهم أقل من عدد البدريين بمقدار النصف على أكثر ما قيل، وعلى العشر على المشهور، وجيش العدو يربي على أعدادهم بالمئات، وأهل بدر بالآحاد وطريق الإمداد عليهم مقطوع، ومقطوع عليهم خط الرجعة ومطوقون بجيش العدو، وكل هذه الأُمور منتفية عن البدريين على أن للبدريين عاصمة يرجع إليها فلهم فيعتصم بها ويستمدونها فتمدهم وإن طلبوا النجدة جائتهم بدون عائق في أسرع وقت وليس ذلك لأصحاب الحسين «عليه السلام» ومع هذا كله إنه لما أشتد الأمر بأصحاب الحسين «عليه السلام» وصرحت الحقيقة أنه الموت الكريه المر الطعم أزدادت نفوسهم أنشراحاً وبصائرهم يقيناً وألوانهم إشراقاً وثغورهم ابتساماً وغررهم تلألئاً ولمعاناً، وجباههم إضاءة واستنارة، وتسابقوا إلى المنية تسابق الهيم إلى الورد فكان الواحد منهم يتلقى الأسنة والحداد بصدره ونحره ولبة قلبه شوقاً لمعانقة الحور العين، وقد قال برير لعبد الرحمٰن: ما بيننا وبين أن نعانق الحور العين إلا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم.

وضجتهم بالدعاء والأستغفار المطمئن الهادء البال المستقر، لهم دوي كدوي النحل بين راكع وساجد ومبتهل ومتضرع إلى الله حتى أضاء الفجر ولاح نور الصباح وخيل الأعداء تجول حول مخيمهم بقيادة عزرة بن قيس، وفي الخيل شر خلق الله وأخبثه وأفتكه وأجرأه على الدم الحرام أمثال أبي حرب السبعي وكثير آبن عبد الله الشعبي وأضرابهما من الفجرة الغدرة وقد هاجموهم قبل أن يتضح النهار فثاروا لمناياهم ثورة الإبل المعطشة لورد الماء، ووردوا حياض المنون ورود الهيم.

والابتلاء الذي أحاط بهم قد تبين مما ذكرنا من أنقطاع الإمداد عنهم وقطع خط الرجعة عنهم، وتطويق العدو إياهم والحصار الذي فرضته القيادة الكوفية

عليهم بمنع وصول الأرزاق إليهم وصدهم عن ورد الشرائع فلا طعام ولا ماء وهم في ذلك ينقصون مع قله عددهم بالقتل وجيش العدو يزداد بالإمداد إلى غير ذلك مما ليس هذا موضع ذكره، وقد يئسوا من السلامة التي يرجوها البدريون لمن نهضوا بالدفاع عنه وهو سيد الشهداء الحسين «عليه السلام» والبدريون يثقون بسلامة الرسول بسبب مواعيد الله تعالى له بذلك فهم يثقون بسلامة النبي ﷺ ويرجون السلامة لأنفسهم، والطفيون يقطعون بقتل الحسين «عليه السلام» ولا يرجون لأنفهسم النجاة من القتل ودلائل ذلك قد بانت لهم من وجوه شتى، وأقواها إخبارات الحسين «عليه السلام» لهم بذلك وإصرار الأعداء على قتلهم وأستعمالهم معه وسائل الإرهاب ورده النصر الإلٰهي الذي جائه من الله وبه نجى البدريون، فقد أمد الله الحسين «عليه السلام» برعيل من الملائكة وفريق من الجن المسلمين فرد الزمرتين اختياراً للشهادة وهذا ما يقوله الشيخ كاظم الأُزري البغدادي «رحمه الله» في رثائه:

فأصدر النصر لم يعبأ بمورده فعاد حيران بين الورد والصدر

وأي أمل لإنسان طوقه جيش العدو وقطع أنفاسه وأُخذ عليه بالمخنق وحال بينه وبين من يحمل إليه الأخبار فضلاً عن حمل المؤون والإسعافات بتثبيت مراكز حربية على طول الخط من عين التمر (شفاثة) إلى العذيب والبصرة فمن أين تصل إليهم المواد الغذائية، ففقدوا المؤنة من سائر المغذيات والإسعافات من الأدوية وسائر ما يصلح للجرحى والقتلى ولا مدد ولا سلاح إضافي ولا رواحل إن عطبت رواحلهم، ومن كان في الكوفة وبلدان العراق من أنصارهم بين من عرف فسجن أو جعلت عليه الإرصاد، وبين من لم يعرف وعاقته الجيوش الكثيرة عن الاتصال بهم، فمن خرج من الكوفة أُرغم على الرجوع إليها، ومن أُخد في الطريق زج في أعماق السجون ولهذا توصل بعضهم بالجيش المحارب حتى وصل إليهم لأنه خرج بصفته محارباً لهم حتى إذا قابل جيش الحسين «عليه السلام» مال إليه وصار معه.

كما حدثنا التاريخ عن أبي الشعثاء الكندي وثلاثين رجلاً، وأما أهل الأمصار فلا يلج أحد منهم ولا يخرج لتنظيم المخافر على طول الخط من حدود الشام إلى البصرة وبهذا أُخذت رسل الحسين «عليه السلام» ودعاته فقتلوا كعبد الله آبن يقطر الحميري وقيس بن مسهر الصيداوي.

فهذا من الابتلاء الذي يوهن العزائم ويضعف الهمم ولم يؤثر في أصحاب

الحسين «عليه السلام» ضعفاً وما أورثهم وهناً بل زادهم نشاطاً وأورثهم قوة عزيمة، أضف إلى هذا البلاء الابتلاء بصراخ النسوة وضجيج الاطفال حولهم وهم أهل رقة ودين وعطف وحنان وغيارى أحرار العرب ولهذا أثره البالغ في نفس الحر المتحمس والمتدين المتصلب ومشغلة وملهات للشجاع المحارب عن التفكير في خططه الحربية هجومية ودفاعية وهذا مما يبتلى به البدريون.

وأضف إليها مقاسات العطش والماء ضروري للحياة البشرية حيث منعوا الماء الذي لم يمنع منه أصحاب النبي ﷺ في ملحمة بدر وإنما هم قد هابوا الدنو منه فسقاهم أمير المؤمنين «عليه السلام» في تلك الفلات المحرقة يقاسون حرارة الشمس وحرارة الحديد وحرارة السموم وقد حرست الشرايع بقوة الجيش المعادي ولم يتفرغوا لحفر الآبار ولم تمطرهم السماء وما استلبوه من الماء بقوة البطولة وسطوة الرجولية إذا كسحوا الحرس المتراص على الشرايع فقد آثروا به الضعفاء من الأبناء والنساء والعبيد لأنهم عرب أهل إيثار ومسلمون أهل مواسات فأضر بهم العطش وحال بينهم وبين السماء كالدخان لأن الوقت هجير والزمن قائظ والمفازة ترمي بشواظ سمومها كشعل النار حتى حمى الحديد عليهم فعاد كالجمر المتوقد وصارت الرمضاء توقد أفران حصاها فتلتهب وما أوهن ذلك عزائمهم ولا زعزع ثباتهم بل زادهم ثباتاً وعزماً وبجميع هذا يفضلون على شهداء بدر وأُحد، وإذا فضلوا على هؤلاء فهم بلا ريب أفضل من جميع الشهداء، فإذن الشاعر صادق بقوله في خير أنصار، قال هذا الشاعر بعده:

فرقي على نهر الجزارة هيكل أنجبن فيه نتائج الميمون
متقلداً عضباً كأن فرنده نقش الأراقم في خطوط بطون
وأغاث صبيته الظمأ بمزادة من ماء مرصود الوشيج معين
حتى إذا قطعوا عليه طريقه بسداد جيش بارز وكمين
فثنى مكردسها نواكص وأنثنى بنفوسها سلباً قرير عيون

الأبطال فريقان: فريق غاية أنفسهم ومنتهى جذلهم وتكامل مسرتهم بإسلاب قتلاهم فهم يستلبون ثيابهم وأسلحتهم وهذا مذهب أكثر رجال الحروب وكثير من كنا نسمع في سير الأبطال وقصصم التاريخية صدى هذه الفعلة فيقولون قتل فلان فلاناً وأخذ سلبه أو نفله الأمير سلبه، ويقولون: أشترك فلان وفلان في قتل فلان وتنازعا في سلبه وأختصما إلى الأمير فأصلح بينهما بأن دفع السلب لفلان وأرضى

صاحبه، هذا كثير في أقاصيص التاريخ وهنا قصة نوردها.

قال إسحاق كما في سيرة ابن هشام[1] في حديث حنين عن أبي قتادة الأنصاري قال: رأيت يوم حنين رجلان يقتتلان مسلماً ومشركاً، قال: وإذا برجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم، قال: فأتيته فضربت يده فقطعتها وأعتنقني بيده الأُخرى فوالله ما أرسلني حتى وجدت ريح الدم ـ ويروى ريح الموت ـ وكان يقتلني فلولا أن الدم نزفه لقتلني فسقط فضربته فقتلته واجهضني عنه القتال ومر به رجل من أهل مكة فسلبه، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم قال رسول الله ﷺ: من قتل قتيلاً فله سلبه، فقلت: يا رسول الله! والله لقد قتلت قتيلاً ذا سلب فأجهضني عنه القتال فما أدري من استلبه! فقال رجل من أهل مكة: صدق يا رسول الله وسلب ذلك القتيل عندي فأرضه عني من سلبه، فقال أبو بكر: لا والله لا يرضيه منه تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلبه، أُردد عليه سلب قتيله، فقال رسول الله ﷺ: صدق أُردد عليه سلب قتيله، فقال أبو قتادة: فأخذته منه فبعته، الخ.

أبو قتادة بن ربعي الأنصاري فارس من فرسان رسول الله ﷺ وفرسان أمير المؤمنين «عليه السلام» في حروبهما.

وفريق من الأبطال لا لذة لهم ولا أُنس إلا بسلب نفوس الأقران وأرواح الكماة دون سلب النسيج والحوك، وفرق بين مبتهج بسلب النفوس من الأحياء وفرح جذلان بنزع ثياب الأموات، وهذا رأي الأعفاء الأُباة الأمجاد النجباء أرباب الهمم العالية والأقدار الخطيرة فإنهم يترفعون عن ذلك المحقر في نظرهم وإن كان مرموقاً عند غيرهم، قال أبو تمام الطائي في ممدوحه:

إن الأُسود أُسود الغاب همتها ... يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

أستعاره الحاج هاشم الكعبي في تأبين سيد الشهداء الحسين بن علي «عليهما السلام» لأنه أحق به من ممدوح الطائي ومادحه بذلك صادق قطعاً وقد يكذب الطائي في ممدوحه:

لا يسلب القرم إذ يرديه بزته ... والليث همته المسلوب لا السلب

هذه شيمة أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» وسجيته في حربه وهو أول مؤسس لها من العرب وسان لها في حروبه قتل كبش الكتيبة العبدري طلحة بن أبي

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٧٦.

طلحة القرشي يوم أُحد فلم يسلبه، وقتل عمرو بن ود العامري القرشي يوم الخندق وهو بطل الأحزاب فلم يسلبه ما عليه من الملابس الفاخرة ولا درعه الداودية الثمينة، وليم على ذلك فقال في الأول: كرهت أن أعري ٱبن عمي وعطفتني عليه الرحم.

وقال في الثاني: إن مثلي لا يسلب مثله، يشير «عليه السلام» إلى شرف نفسه وعلو همته، وإن الغاية عنده من القتل ليست هي امتلاك الملابس بل له غاية شريفة ومقصد نبيل أسمى من مقاصد الأبطال كما أنه يشير إلى أن المقتول من الأشراف ولا ينبغي للشريف أن يعري من ملابسه ولا تسلب آلته مهما بلغ ثمنها، وعلى هذا جرى في جميع حروبه، فما هو إلا أن يقتل قرنه وينصرف عنه تاركاً سلبه لمن أراده وأستن به أولاده الكرام الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس الأكبر كلهم لا يسلبون قتلاهم، وما حدثنا التاريخ عن واحد منهم أنه أخذ سلب قتيل.

لكن الكوفيين الأجلاف الذين شاهدوا هذه الفعال الشريفة قابلوها بالضد فسلبوا الحسين والعباس «عليهما السلام» ما عليهما من الملابس، أما سلب العباس «عليه السلام» فكان عند حكيم بن الطفيل الكائي السنبسي وزيد بن رقاد المذحجي الجنبي وحرملة ٱبن الكاهن الأسدي وزرعة بن شريك التميمي الدارمي الأباني، وأما سلب الحسين «عليه السلام» فسراويله عند أبحر بن كعب وكانت محققة يلمع فيها البصر، يمانية محققة سلبها أبحر بن كعب من بني تيم الله بن ثعلبة من ربيعة.

قال الطبري: إن يدي أبحر بن كعب كانتا في الشتاء ينضحان الماء وفي الصيف ييبسان كأنهما عود.

وقطيفته سلبها قيس بن الأشعث الكندي وكانت من خز فعيب بذلك وسمي قيس القطيفة، ونعلاه سلبهما رجل من بني أود من مذحج يسمى الأسود سود الله وجهه في الدنيا والآخرة، وسيفه أخذه رجل من بني نهشل بن دارم من تميم لم يسمه الطبري، ووقع السيف بعد ذلك إلى أهل حبيب بن بديل، وبرنسه أخذه مالك بن النسر البدي من كندة، وقميصه أستلبه إسحاق بن حيوة الحضرمي من كندة، وعمامته أخذها أخنس الحضرمي.

قال الطبري: إسحاق بن حيوة برص بعد ذلك، وإن أخنس جائه سهم غرب بعد ذلك ففلق قلبه فمات.

درعه البتراء استلبها عمر بن سعد وقيل مالك بن النسر فصار مجنوناً،

وخاتمه أستلبه بجدل بن سليم الكلبي قطع الأصبع مع الخاتم وهذا أخذه المختار فقطع يديه ورجليه فتركه يتشحط في دمه حتى هلك، وفي رواية: إن الذي أستلب السيف هو جميع بن الخلق الأزدي، تكته وكانت ثمينة سلبها الجمال الذي صحبه من المكارية.

ودعته أسرار القضا لشهادة ... رسمت له في لوحها المكنون
حسموا يديه وهامه ضربوه في ... عمد الحديد فخر خير طعين
فمشى إليه السبط ينعاه كسرت ... الآن ظهري يا أخي ومعيني
عباس كبش كتيبتي وكنانتي ... وسري قومي بل أعز حصوني

نعم، قد يكون الأخ الناصح المشفق وابن العم المصافي المخلص عند الرجل أوثق من سهامه التي في كنانته، ويخصون السهام التي في الكنانة دون سائر السلاح لأنها هي التي يرمى بها الغرض الأقصى والهدف الأبعد فتصب أهدافها وتصل إلى أغراضها المستهدفة لها، وقد قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمي تيم ربيعة وكان من رجال بكر بن وائل وأبطالها في عتاب له مع مالك بن مسمع سيد بكر بن وائل بل عظيم عرب البصرة: أنا أوثق سهم في كنانتك، وقالت بنو حنظلة أبن مالك بن زيد مناة أبن تميم ليزيد بن مسعود النهشلي حين دعاهم لنصرة الحسين بن علي «عليهما السلام» فيما رواه السيد أبن طاوس في الملهوف: نحن نبل كنانتك إن رميت بنا أصبت.

وكبش الكتيبة تقدم، وسري القوم وهو سيدهم وقال الله تعالى لمريم ابنة عمران: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾[1] أي سيداً لأنه سماه في آية أُخرى سيداً بقوله: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[2] وتقول العرب في الوصف: كان فلان سرياً نبيلاً وبجمع على سرات وسروات.

أما الحصن، وهو البناء المحكم القوي المانع لمن التجأ إليه، ويقال له: القلعة والمعقل والبرج، وقد يطلق على القصر وإن لم يكن حربياً ولكن شهرته في الموضوع للتحصن عند الحرب ومن المعلوم أن المنعة بالحصون المعاقل في المهاجمات والغارات أمر محتوم حيث كانت الأُمم في الأزمنة القديمة والمتوسطة حروبها بالأسلحة البسيطة السيوف والرماح والنبال، وكانت العرب لا تعرف الحصون إلا في حواضرها فلا حصون لها ولا معاقل وإنما هي للفرس، والرومان

---

(١) مريم: ٢٤.
(٢) آل عمران: ٣٩.

وبقية الأُمم الأعجمية ومن جاورهم من عرب الأرياف كآل المنذر وآل جفنة وبعض الحواضر التي تقطنها اليهود وتبع العرب جيرانهم فيها كالمدينة يثرب وصنعاء وسبأ في اليمن وسائر عرب البادية حصونها ظهور خيلها، ومعاقلها متون رواحها.

فموقف العباس «عليه السلام» أمام أخيه الحسين «عليه السلام» قد كان حصناً من أمنع الحصون بعزمه، ومعقلاً من أحرز المعاقل بثباته فهو بشجاعته قلعة حصينة لمن كان تحت رعاية الحسين «عليه السلام» وإعالته من النسوة وسائر الضعفاء فلم يجسر بطل من الأبطال على الدنو من ناحية المخيم، وأبو الفضل حي يحمل السيف فكان الحسين «عليه السلام» واثق بحمايته مطمئن بحراسته معولاً على كفائته في القيام بحفظ من في الخيام والمعسكر بأسره وما أحتاج إلى حراسة المخيم بنفسه إلا عند فقد أخيه العباس «عليه السلام».

يا ساعدي في كل معترك به أسطو وسيف حمايتي بيميني
لمن اللوى أُعطي ومن هو جامع شملي وفي ضنك الزحام يقيني
أمنازل الأقران حامل رايتي ورواق أخبيتي وباب شؤوني
لك موقف بالطف أنسى أهله حرب العراق بملتقى صفين

قد صرحت الحقيقة ونطق لسان الصدق بأن واقعة الطف نسخت ذكر واقعة صفين العظيمة التي بادت بها العرب وفنى فيها الجيشان المتطاحنان، ورجحت فيها كفة أبطال العراق على أبطال أهل الشام وإنما نسختها حادثة كربلاء لأُمور أفترقت فيها الموقعتان مع تعظيم الواقعة الطفية على الواقعة الصفينية وكلاهما على شاطئ الفرات الشمالي الغربي:

(١) تكافؤ الجيشين بصفين عدداً.

(٢) اتصال الإمداد بجيش أهل العراق بصفين وأنقطاعه عن جيش الطف.

(٣) أسباب الغذائية والمؤن مهيأة لأهل صفين ممنوعة على أهل الطف، وفرق بين من كانت المواد الغذائية والمؤن موفرة عليه وبين من منع منها وأنقطعت عنه بسبب الحصار.

(٤) سلطنة الشريعة لجيش أهل العراق وهم المالكون للماء ويتصدقون به على أعدائهم ويوم الطف كانت الشريعة تحت سلطة الجيش المعادي والماء ملك لهم ولم يسمحوا لجيش الحسين «عليه السلام» ولا للرضيع الصغير ولو بقطرة،

وفرق بين من يحارب رياناً ممتلئاً وبين من يقاتل عطشاناً ساغباً.

(٥) إن جيش العراق بصفين يعد بالأُلوف ويضم نخبة الأبطال، وجيش الحسين «عليه السلام» يوم الطف يعد بالآحاد وذاك الجيش المؤلف من أُلوف الأبطال قد أنهارت صفوفه في بعض الأيام أمام صدمة الشاميين وأُخلي مراكزه لهم مع كثرة العدد وقوة الحامية ورجوعهم إلى قيادة أعظم القواد في العالم العربي الإسلامي كقيس بن سعد بن عبادة وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين ومالك بن التيهان ذي السيفين وبشير بن عمرو بن محصن أبي عمرة وسهل وعثمان أبني حنيف وأبي قتادة بن ربعي والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وأبي فضالة البدري وغيرهم من حماة الأنصار ومن حماة المهاجرين مثل عمار وابن بديل وابن صرد وابن حاتم والمرقال وأبي الطفيل وغيرهم، ومن حماة التابعين مثل الأشتر والقعقاع والأحنف وجارية آبن قدامة وعمير بن عطارد وحريث بن جابر وشقيق بن ثور وكردوس بن هاني وأمثال هؤلاء، ولولا ثبات هؤلاء الأُمراء في مراكزهم مع زمرة قليلة من أهل الحياء والدين لما وقف المنهزم العراقي دون الكوفة كما كان ذلك في أهل الشام وصل منهزمهم دمشق وفي الطليعة من هؤلاء عتبة شقيق الأمير معاوية بلغت هزيمته عشرين فرسخاً من صفين إلى دمشق.

وأصحاب الحسين «عليه السلام» وعلى رأسهم العباس الأكبر «عليه السلام» مع قلتهم وما أحاط بهم من الأرزاء والمحن قد أزدادت بصيرتهم وزاد ثباتهم وقوي عزمهم وعظمت صولتهم وبانت نكايتهم في الأعداء وحتى قال بعض أعدائه لمن لأمه في حربهم: ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها لو ونينا عنها ساعة لأتت على الجمع بحذافيره ولم نسمع بأن رجلاً منهم زال عن موقفه إلا تقدماً ولا تأخراً إلا منتهزاً فرصة في عدوه.

وذكر الطبري وابن الأثير في تاريخهما أن جيش عمر بن سعد أقتطع أربعة نفر من جيش الحسين «عليه السلام» وأحاط بهم من كل جانب، وأن العباس «عليه السلام» شد فأستنقذهم فأبوا أن يرجعوا إلى معسكر الحسين «عليه السلام» فأستقدموا ثانية مصلتين بأسيافهم حتى قتلوا ربضة واحدة في مكان واحد، وأقتطع جيش أهل الشام ألفاً من أهل العراق فشد أمير المؤمنين «عليه السلام» وأستنقذهم سالمين فرجعوا إلى معسكرهم.

وكل هذه فوارق توجب أن تنسى لها واقعة صفين وإن كانت في تاريخ العرب الإسلامية هي أُم الوقائع لأن من أستنقذ مع كثرة الجراحة والإشراف على

الموت وشم نسيم الحياة وأستنشق عرف النجاة ثم لا يرضى إلا بالإقدام على الحتف الذي نجا منه والرجوع إلى الموت الذي خلص من مخالبه التي كاد أن ينشبها فيه لحري بجميل الأُحدوثة جدير بالثناء الخالد، وكذلك سبيل من يشد وحده على جيش عظيم العدد قوي العدد ملقياً درعه ومغفره، مصحراً للعدو حاسراً، يفضل على من ظاهر بين درعين وجعل المغفر فوق المجن، وأعتصم بالدرقة ولم يحمل إلا في جمع من نخبة الأبطال وخيرة الشجعان.

فإنك لتجد الفارقة بين صولة الشاكري بعد ما ألقى الدرع والمغفر وصال حاسراً ومفرداً يطرد أكثر من مائتي بطل من أهل الكوفة يسوقهم أمامه سوق الأغنام وبين مشاهير أبطال صفين الذين هم رجال الدنيا وقد طبقوا العالم شهرة كابن بديل والأشتر والمرقال لا يشد الواحد منهم إلا في عصابة من الأبطال أو معتب من الفرسان متدرعاً مستلثماً بالحديد لا تبين منه غير الحدقة، وبعضهم يظاهر بين درعين.

وكما كان الشاكرين يصول بدرع من عزمه كان العباس «عليه السلام» يشد بجنة من بأسه وينفرد بالحملة فيهجم على جيش عمر بن سعد ليس معه إلا السيف الصارم والرمح الذي عقد به اللواء فلا يقف حتى يشق الصفوف منتهياً إلى المعسكر الرئيسي أو وارداً المشرعة.

أو لست تسمع ما تقول سكينة عماه يوم الأسر من يحمني

هذا آخر القصيدة وإنما كان هذا الخطاب متوجهاً إليه من سكينة لأنه «عليه السلام» هو المتكفل بحماية ظعن الفواطم وحراستهن منذ سار الحسين «عليه السلام» من مدينة الرسول حتى أنتهى إلى كربلاء فكن جميعاً تحت ظل حمايته وحيث فقدنه لا يأمن الأسر فوجهن الخطاب إليه بلسان سكينة لأنها العزيزة عليه حيث أنها عزيزة الحسين «عليه السلام» وكن على يقين من أنه سيلحق الحسين «عليه السلام» بمن مضى من أصحابه فالأسر والذل مطل عليهن فهن يندبن الكفيل ويعاتبن المتعهد بالحماية أولى.

وقال السيد جعفر الحلي من قصيدة حسينية رثىٰ العباس «عليه السلام» في آخرها فقال:

حتى إذا اشتبك النزال وصرحت صيد الرجال بما تجن وتكتم
وقع العذاب على جيوش أمية من باسل هو في الوقائع معلم
ما راعهم إلا تقحم ضيغم غيران يعجم لفظه ويدمدم

دلت التجارب العربية أن البطل الشجاع تعتريه في شدة البأس حالات لا تعتريه في أوقات المسالمة:

منها أنها إذا تقارعت الأبطال أشتد به الغضب إلى حد لا يكاد يبصر ما بين يديه وهذه صفة أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب ولهذا السبب بعينه أختار قتله وحشي عبد جبير بن مطعم النوفلي وقد جعل له عتقه إن أصاب النبي أو علياً أو حمزة، فقال: أما محمد فلا سبيل إليه لأن أصحابه محدقون به إحداق الهالة بالبدر، وأما علي فلا مطمع فيه لأنه أجرأ من ليث وأحذر من غراب وأروغ من ثعلب، ونظره إلى خلفه كنظره إلى قدامه، ولكني سأرصد حمزة فإن رجل شجاع شديد البطش لكنه إذا غضب لم يبصر.

ومنها أن الشجاع إذا أشتد تكادم الأبطال يصير كلامه همهمته كهمهمة الأسد المغضب وتسمى غمغمة وهي الدمدمة التي عناها الحلي ولا تكون الهمهمة إلا عند شدة القراع إذا حمي وطيس الحرب فتبدوا عند ذلك من الشجاع البطل كلمات غير مفهومة، إما لأنه من شدة الغضب لا يقدر على الإتيان بالكلام الفصيح أو لا يستطيع من الغيظ استخراج الكلام المفهوم أو يندهش لحراجة الموقف عن الإفصاح والتأدية المفهومة.

قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين[1] في قصة أيام الهرير: قال أصحاب معاوية: لا نبرح العرصة حتى يفتح الله لنا أو نموت، وقال أصحاب علي «عليه السلام»: ما نحن بتاركي العرصة حتى يفتح الله لنا أو نموت، فباكروا القتال غداً يوماً من أيام الشعرى طويلاً شديد الحر فتراموا حتى نفذت النبل ثم تطاعنوا حتى قصفت رماحهم ثم نزل القوم عن خيولهم فمشى بعضهم إلى بعض بالسيوف حتى كسرت جفونها وقامت الفرسان على الركب ثم أضطربوا بالسيوف وبعمد الحديد فلم يسمع السامع إلا غمغمة القوم الخ، وقد قال شاعرهم:

وكان تكلم الأبطال رمزاً ... وغمغمة لهم مثل الهدير

قال الحلي:

عبست وجوه الناس خوف البأس ... والعباس فيهم ضاحك متبسم
قلب اليمين على الشمال وغاص في الأ ... وساط يحصد بالرؤوس ويحطم
وثنى أبو الفضل الفوارس نكصاً ... فرأوا أشد ثباتهم أن يهزموا

---

(١) وقعة صفين: ص٢٥٨.

ما كر ذو بأس له متقدماً إلا وفرو رأسه المتقدم

ربما يتخيل المتخيل عند قراءة هذا البيت أن العباس الأكبر «عليه السلام» قد خالف سيرة أبيه وأخويه وسجية حماة أسلافه الهاشميين في أقتفائه المنهزم وطلبه للمدبر وإتباعه للمولى هارباً كما يفهمه هذا الشاعر، وعادة من ذكرنا من أهل هذا البيت لا يتبعون المدبر ولا يذففون على جريح وقد كان أبوه أمير المؤمنين لا يجهز على الجرحى ولا يلح في إدبار المنهزمين وكان يوصي أُمرائه وقواده بذلك عملاً بقاعدته وسيراً على خطته وأخذاً بمنهاجه فلم يجهز على عمرو قائد الأحزاب ولا على طلحة كبش الكتيبة، وفر منه يوم الخندق ضرار بن الخطاب الفهري وهبيرة أبن أبي وهب المخزومي فلما طلبهما وكذلك سيرته يوم البصرة وصفين والنهروان، فيظن من لم يتعمق في معاني الاشعار أن العباس «عليه السلام» قد خالف هذه الطريقة فليس الأمر كما ظن وإن أقتضاه موقف العباس «عليه السلام» الضيق ومقامه الصعب بل حقيقة الأمر أن العباس «عليه السلام» كان يضرب رأس البطل على موضع الفصل من الجثة وهو الرقبة فيبقى ثابتاً على الجثة لسرعة الضربة وخفة الساعد وحدة السيف فيفر القتيل بحر الجرح فيسبقه الرأس متقدماً الجثة إذا ندر بالحركة، وأما الفارس فتفر به الفرس ويندر الرأس عن الجثة بالحركة فيقع متقدماً، ومعروف لحد الآن أن المجروح يتقدم بحرارة الجرح ولو يسيراً، والعوام يقولون «فلان نقل بحر الصواب» فيموت في غير موضعه إلا من أُصيب في مقتل فإنه يقع في مكانه وهكذا نرى الطير المذبوح وينفصل رأسه عن الجثة ويتحرك بحركة سريعة ينتقل بها عن موضع الذبح.

وقد روى لنا نصر بن مزاحم[1] عن أبي روق الهمداني عن أبيه عن عم له يدعى أبا أيوب قال: حمل يومئذ أبو أيوب على صف أهل الشام ثم رجع فوافق رجلاً صادراً قد حمل على صف أهل العراق ثم رجع فأختلفا ضربتين فنفحه أبو أيوب فأبان عنقه فثبت رأسه عن جسده كما هو، وكذب الناس أن يكون هو ضربه وأرابهم حتى إذا دخل في صف أهل الشام وقع ميتاً وندر رأسه، فقال علي «عليه السلام»: والله لأنا من ثبات رأس الرجل أشد تعجباً مني لضربته وإن كان إليها ينتهي وصف الضارب، وغدا أبو أيوب إلى القتال، فقال له علي: أنت كما قال القائل:

وعلمنا الضرب آباؤنا وسوف نعلمه أيضاً بنينا

(١) وقعة صفين: ص١٣٨.

فهذا هو الذي يفهمه الشعر ويدل عليه لا أنه خالف سيرة أسلافه في أتباع الهاربين حتى أنه إذا ضرب المنهزم على رقبته سبق الرأس الجثة بالسقوط وإن أراده الحلي فلا ريب أنه قد قصر إنما يمدح غير العباس «عليه السلام» بهذا واللائق بمقامه هو ما ذكرنا.

صبغ الخيول برمحه حتى غدا سيان أشقر لونها والأدهم
ما شد غضباناً على ملمومة إلا وحل بها البلاء المبرم
وله إلى الإقدام سرعة هارب فكأنما هو بالتقدم يسلم

هذا البيت مأخوذ من قول الشاعر الحماسي القديم:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن تتقدما

وأصل ذلك قول الحارث بن عباد فارس النعامة رئيس بكر بن وائل في بعض أيام البسوس قد يصاب الجبان في آخر الصف وينجو مقارع الأبطال.

وإنما كان التقدم في الحرب أقرب إلى السلامة والتأخر ادعى إلى العطب لأن تقدم البطل الشجاع يودع في نفوس الكماة هيبة له ورهبة منه فهم لا يجرأون على الدنو منه ويهابون الإقدام عليه فإذا كانت الحال هذه كان إلى السلامة أقرب من الهياب، بل مظنة السلامة فيها قوية جداً بخلاف المتأخر فإنما يظن به الجبن فتأخر بوجب الجرأة عليه فكان إلى العطب أقرب فإذا كان البطل مقدماً على الأقران وجب أنحياز الكماة عنه ليغتنموا بفرصة التقهقر عنه غنيمة الحياة.

وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» يتقدم الصفوف منقطعاً بنفسه فإذا أبصرته الأبطال حادت عنه يمنة ويسرة ويوصي بعضهم بعضاً إياك أن تلقى أبن أبي طالب فإنه ما بارزه أحد إلا وسقى الأرض من دمه وهذا حيث أوصى معاوية بن أبي سفيان مولاه حريثاً فارس أهل الشام قائلاً: يا حريث أتقي علياً وضع رمحك حيث شئت فخدعه عمرو بن العاص فبارز علياً «عليه السلام» فقتله، وفي قصته يقول: وخرج علي أمام الخيل، فراجعها في كتاب نصر.

وفي حديث بسر بن أبي أرطاه يقول: وغذا علي «عليه السلام» منقطعاً من خيله ومعه الاشتر، القصة أيضاً عند نصر[1].

وأبو الفضل هو أبن ذاك الذي لا نظير له في الأُمة الإسلامية وله كما لأبيه

---

(١) وقعة صفين/ نصر بن مزاحم المنقري.

«عليه السلام» شوق شديد إلى لقاء ربه والظفر بأُمنيته التي يتوخاها وهي الكرامة الأبدية والحياة الخالدة والاجتماع بسلفه الصالح وأهل بيته سادات الأُمة مع رسول الله في حظيرة القدس والفردوس الأعلى فكانت له لأجل ذلك سرعة في الإقدام كسرعة الهارب لأن سرعة الطالب الحريص كسرعة الهارب الخائف لأن كل واحد منهما يطلب الظفر بمطلوبه فالهارب يطلب الظفر بالسلامة والمقدم يطلب الظفر بالمراد ومن خاف الفوت كمن خاف الموت فكل سريع إلى ما يريد.

بطل تورث من أبيه شجاعة فيها أُنوف دوي الظلالة ترغم

قد ينشد بعض خطباء المنابر هذا البيت بني الضلالة وهذه القراءة لا تستقيم إلا على ضرب من التجوز في الكلام وإذا أمكنت الحقيقة فلا يصار إلى المجاز والأخذ بها متعين وإن الجيش المحارب للحسين «عليه السلام» كلهم أبناء ذووا ضلال وليس كلهم أبناء ضلالة، فهذا محمد بن سعيد بن قيس الهمداني وأبوه لا يعرف في الجهاد مع أمير المؤمنين والإخلاص له وشهد محمد هذا مع أبيه في صفين ثم شهد حرب الحسين «عليه السلام» مع عمر بن سعد، وعلي بن قرظة بن كعب الأنصاري الشقي التعيس كان في جيش عمر بن سعد وله كلام غليظ مع الحسين «عليه السلام» أكره ذكره فأطلبه من الطبري وابن الأثير، وأخوه السعيد عمر بن قرظة أُستشهد مع الحسين «عليه السلام» وأبوه قرظة صحابي جليل عظيم القدر وصحب أمير المؤمنين «عليه السلام» وكان من عماله ومات على ولايته في الكوفة، واللعين مرة بن منقذ العبدي قاتل علي بن الحسين الأكبر كان أبوه منقذ بن النعمان من قواد أمير المؤمنين «عليه السلام» أُستشهد معه يوم الجمل وخلفه ابنه هذا الخبيث فحمل اللواء وشهد مع أمير المؤمنين «عليه السلام» الجمل وصفين والنهروان ثم خرج مع عمر بن سعد إلى حرب الحسين «عليه السلام» وفجعه بولده وفلذة كبده علي الأكبر «عليه السلام»، وحسان بن فائد العبسي كان في جيش عمر بن سعد وأبوه فائد بن بكير شهد صفين مع أمير المؤمنين «عليه السلام» واستشهد معه، وكعب بن أبي كعب الخثعمي شهد حرب الحسين «عليه السلام» مع أبيه أبي كعب حرب صفين واستشهد أبوه أبو كعب مع أمير المؤمنين وفقئت عين كعب يومئذٍ وغير هؤلاء مما لو عددناهم خرجنا عن موضوع الكتاب فالصحيح في قراءة هذا البيت «أُنوف ذوي الضلالة» بدل «بني الضلالة».

يلقي السلاح بشدة من بأسه فالبيض تثلم والرماح تحطم

قد ينبوا السلاح عن بعض المتميزين بالشجاعة وإنه لا يؤثر غالباً في

أجسامهم فتثلم السيوف إذا ضربوا بها وتحطم الرماح إذا طعنوا بها، هكذا حكوا لنا عن بعض الأبطال والعوام تعتقده فيقولون بلسانهم فلان (ناقل) لا يؤثر فيه الرصاص يعنون أنه يحمل بعض الخرز لاعتقادهم أن من يحمل الخرز لا يعمل فيه السلاح.

أما القدماء فقد عرفوا ذلك بالتجربة ولكن بدون هذه العقيدة.

وقد ذكر الطبري في حروب شبيب الخارجي وقد كسر جيشاً عظيماً للحجاج عليه سبعة أُمراء يقتل واحد بعد الآخر حتى إنتهى إلى زياد بن عمرو العتكي فحدث عن لقيط الخارجي قال: فنظرت إلى زياد بن عمرو وإنه ليضرب بالسيف وما من سيف ضرب به إلا نبا عنه وهو مجفف وقد أعتوره أكثر من عشرين سيف فما ضره من ذلك شيء ثم انهزم وقد جرح جراحات يسيرة وذلك عند المساء، إلى آخر القصة، ولها نظائر في تاريخ الأبطال.

ويمكن أن تكون لشدة غضب البطل يغلظ جلده فلا يعمل فيه السلاح كما تقول العوام في أوصافها «فلان جلده يدرع» إذا لم تؤثر فيه الجراحة والظاهر أن جسد أبي الفضل العباس «عليه السلام» يشتد عند الغضب في الحرب كالليث المخدوش فإن جسده يغلظ فإذا وصلت إليه السيوف تثلمت حدودها وتكسرت نصال الرماح في جسده لتصلبه من الغيظ ولدينا أحتمال آخر هو أن السلاح يقع على السلاح الذي هو ثابت في جسده فيتكسر بملاقات بعضه لبعض كما قال السيد إبراهيم الطباطبائي في رثاء الحسين «عليه السلام»:

فصارت إذا أصابته سهام تكسرت النصال على النصال

كل هذه المعاني محتمل.

عرف المواعظ لا تفيد بمعشر صموا عن النبأ العظيم كما عموا

وانصاع يخطب بالجماجم والكلى فالسيف ينثر والمثقف ينظم

الأنسب بمقام المصلح الإرشاد والوعظ وبث الخطب الجذابة وإلقاء الكلمات الخلابة في تعليم الجهال وإرشاد المتحيرين وإقناع المتمردين وإنذارهم وتحذيرهم فإذا لم تؤثر هذه الدعوة السلمية ولم تصرف الرأي العام عن ضلاله وجهله أتجه إلى الدعوة الساحقة لكل تمرد وعصيان والماحقة لكل جور وعدوان وهذه الأخير هي التي تنتهي إليها السياسات إذا أخفقت السياسة السلمية وأنحرفت بها العجرفية عن طريقها المعتدل فالسيف وبه يعالج العضو المصاب بشلل الغواية

وفيه مدارات الداء المزمن إذا عسرت على الطبيب الحاذق فالكيّ بالكهرباء والشق عن الأمعاء لأستخراج الداء المكتمن في البواطن ولو كان بإجراء العملية تلف أشخاص فإن فيها إصلاح آخرين فإن لم تنفع هذه المعالجات ولم تنجع تلك الوسائل وخيف السراية فقطع العضو المصاب معين وإتلاف الشخص المبتلى بالداء الساري قطعاً لجرثومة العدوى عن الأصحاء وسيلة من وسائل الطب أتخذها حذاق الأطباء عند استفحال الداء الساري ناقل العدوى من السقيم إلى الأصحاء.

فالمصلح إذا لم تنفع الأُمة الملحدة إرشاداته ومواعظه ولم تجدي سياسته في شعب قادة الجهل وتحكم فيه الغي والضلال وجب بحسب الحكمة ردع تلك الأُمة المتعجرفة والشعب المعوج وردهما إلى الجادة المعتدلة والطريق المستقيم قهراً خصوصاً إذا أزدادوا تمرداً وعتواً كما فعل رسول الله ﷺ من قريش والعرب، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» مع الناكثين والقاسطين والمارقين فإن الضلالة تسري في الأعقاب والمجاورين، هكذا يحكي الله تعالى عن نبيه نوح بقوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[1].

والحسين «عليه السلام» قد أقتفى سيرة جده وأبيه مع أهل الكوفة وليس من شرط سل السيف للمصلح العلم بالغلبة الفعلية بل عليه مكافحة الجور وإن غلب أولاً فإنه سيغلب وينتصر أخيراً فإن بتجريد السيف إعلاناً لمناوئتهم وإظهاراً لبطلان أعمالهم فإنه لو سكت لظن الجاهلون أن أعمالهم مرضية ولتخيل المتخيل أنهم على صواب والواجب صد ذلك فلزم سل السيف ظاهراً أو مظفوراً به، وقد صرحت هذه الحقيقة وأستبان أثرها بتجريد الحسين «عليه السلام» سيفه على بني أُمية فإن هذه النهضة وإن صرعته حميداً خالد الذكر فقد صرعت بني أمية ذميمين ممقوتين يلعنهم اللاعن، ولو كان عدواً للحسين «عليه السلام» وحتى إن يزيد نفسه ليسمع شتمه وشتم أبيه بأُذنه فلا يستطيع إنكاراً وحتى قال: إن حياة الحسين كانت أخف علينا من موته، وكان بعض الشاميين يحلف بالله أنهم ما كانوا يعرفون أن لرسول الله ﷺ قرابة غير آل أبي سفيان إلى أن كان من أمر الحسين «عليه السلام» ما كان فأتضح لهم الأمر وتجلى الواقع وزال التمويه وأرتفعت التعمية.

ثم إن هذا السيف الذي قد سله الحسين «عليه السلام» على بني أُمية قد سل عليهم سيوفاً كثيرة حتى محقت هذه الدولة الجبارة وزالت عن العالم الإسلامي

---

(١) نوح: ٢٦ ـ ٢٧.

أجمع في شرقه وغربه وأندثرت أنسابها وأختفت في الشعوب كما حكى المقريزي في نفح الطيب أن بني أُميّة في الغرب أخفوا أنسابهم لكثرة ما أُلصق بهم من العيوب.

وقد كان أبو الفضل العباس «عليه السلام» من دعاة الحق ورجال الإصلاح فقد أدى واجب الإصلاح الوعظي الإرشادي وتقدم إلى جيش أهل الكوفة بالإنذار والتحذير من عقوبة الله وبطشه حيث تعرضوا لسخطه بالإصرار على قتل عترة النبي ﷺ وإبادة ذريته ونسله، ولما لم تؤثر تلك المواعظ بهاتيك القلوب القاسية التي قد طبع الله عليها بكفرهم ولم تسري تلك الإرشادات البليغة في أدمغتهم الجامدة التي قد جففتها الأطماع فأستحجرت وصارت الآذان المنصوبة عليها كالأذان التي تنصب على حجر الصوان صم لا تسمع أو كآذان الاغنام أن تسمع لم تعي فحينئذٍ أنحرف عن تلك الخطة السهلة متجهاً إلى خطة السيف الوعرة ومذ سكت عن إقاء الخطب اللفظية وظف على سلاحه إملاء الخطب المعنوية وإلقاء المواعظ بقسميها المنظوم والمنثور فجعل النثر الذي هو وظيفة الخطيب المصقع لسيفه البتار بنثره جماجم الكماة وجعل النظم الذي هو وظيفة الناظم المفلق لرمحه الخطار في نظمه كلي الحماة فأبدع كل واحد منها في وظيفته وأتقن فنه وأجاد أُسلوبه فالسيف يخطب بالجماجم فينثر الأكف وإلهامات والرمح يرتجل أناشيد منظومه فيرصفها بالأكباد والكلى والقلوب فهذا أبلغ ناظم وذاك أفصح ناثر.

أو تشتكي العطش الفواطم عنده ... وبصدر صعدته الفرات المفعم

لو سد ذي القرنين دون وروده ... نسفته همته بما هو أعظم

لا شك أن سد ذي القرنين الأكبر أعظم سد شاهده البشر من حينه إلى هذا العصر وأقواه وأحكمه وقد بينا ذلك مفصلاً في بعض أمالينا لبعض سادات خطباء المنبر وأساتذة القراء وأُعجوبته في قوته وإحكامه من حيث الإتقان والهندسة العجيبة وإنه قد أُذيب فيه الرصاص والصفر والحديد حتى ذاب وأختلط ثم صب منه قوالباً زبراً والزبر جمع زبرة وهي القطعة العظيمة من الحديد قد تسميها العامة تبعاً للأفرنج «بليته» ثم جمعت هذه الزبر وأُذيب عليها النحاس والرصاص حتى أصبحت قطعة واحدة.

وهنا يصفه الحموي في معجم البلدان فيقول[1]: فأنصرف ـ يعني ذا القرنين

---

(١) معجم البلدان ٥/ ٥٠.

ـ إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما وهو منقطع أرض الترك مما يلي مطلع الشمس فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ فحفر له أساساً حتى بلغ به الماء وجعل عرضه خمسين فرسخاً وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس المذاب يصب عليه فصار عرقاً من جبل تحت الأرض ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وسواد الحديد فلما أحكمه أنصرف راجعاً.

وذكر حديث سلام الترجمان الذي بعثه الخليفة الواثق لمشاهدة هذا السد ولسنا بصدد نشر ما قيل في السد وإنما الغرض بيان عظمته وإن كان في كلام ياقوت مبالغة في تقدير المسافة لا تقبلها العقول وإن المسافة بين الجبلين من ميلين إلى ثلاثة أميال وهو في أقصى التبت من الصين كما قال وقد زاره المكتشفون في هذه الأزمنة ووصله بعض السواح وعلى كل حال فهو سد عظيم عجيب الترصيف لم يبنى في طوال الأيام أحكم منه ولا أقوى.

نعم الملاجئ التي تصنعها الدول اليوم للوقاية من القصف الجوي تقرب منه وعمدتها على الأسمنت كما يقال في خط ماجينو وما شابهه.

فهذا السيد العظيم لو كان في طريق العباس إلى الماء حين هجم على الفرات مغضباً بحمية متوقدة وحماس مستعر أشعلته أصوات الفواطم وأوقدته صرختهن من العطش لنسفه بما هو أعظم منه وأقوى وأحكم وهو عزمه وهمته وقد قيل: همم الرجال تزيل الجبال، وليس السد الذي أقامه قائد جيش الكوفة على كل مشرعة من مشارع الفرات بأقل أهمية في النظر من سدود البناء لأنه قد نظم عليها صوف الكماة بالعدة الكاملة والأُهبة التامة والعدة الكثيرة فهي قلاع من حديد سيارة كأنها الدبابات الحديثة فهي قلاع من حديد وحصون من فولاذ (بولاذ) فأخترقها أبو الفضل العباس وأستقى وعاد بالماء إلى المخيم.

ولو أستقى نهر المجرة لارتقى وطويل ذابله إليها سلم

نسج هذا السيد الحلي على منوال سلفه السيد حيدر الحلي في رثاء الحسين «عليه السلام» بقوله:

زحم السماء فمن محك سنانه جرباء لقبت الورى زرقائها

فنهر المجرة الذي لو أراد العباس «عليه السلام» الأستقاء منه لرقى إليه على سلم رمحه وقد عرفت مدح العرب بطول الرمح وهذه المبالغة تستحسن في فن الشعر حيث لا غلو ولا إغراق، والمجرة عند قدماء المنجمين والعرب خاصه هو

هذا البياض الكثير في السماء القريب من نجم العيوق وتسميه العوام «مجر الجيش».

ويختلف القصاص والمحدثون والمنجمون في تحقيق نهر المجرة فتزعم أرباب التنجيم أنها كواكب صغار كثيرة متقاربة لا تراها العيون لبعدها ولا تحيط الأبصار بأجرامها وإنما تدرك بياضها مجتمعاً كخط مستطيل ويدعي المحدثون أن هذا موضع الفتق بالماء في زمن نوح «عليه السلام» لقوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾[1] فبقي هذا الأثر حول هذه الأبواب. ويرى القصاص وفريق من المعتزلة وهم الذين لا يجوزون على الأفلاك الفتق والرتق أو الخرق والالتئام أن هذا مجر كبش إسماعيل الذي فدي به وهو معتقد العوام في تسميته «مجر الجيش» ومستند هذا روايات مدسوسة من مسلمة أهل الكتاب مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وأمثالهما ممن لا يؤمن على الدين وهذا قول متروك لا يدعمه عقل ولا يعضده نقل.

وهل عجز حامل مدائن لوط السبعة جبرئيل عن حمل كبش فيجره على السماء حتى يؤثر فيها؟ وماذا تحمل أظلاف هذا الكبش ولو كانت أقلاماً من حديد تنقش بها على كبد السماء لزالت على طول الأزمنة والقول بأن للسماء أبواباً كما تقول اليهود بأنها ذات أبواب كالقبة بل الابواب هنا الجهات كقولهم هنا للعلم أبواب أي جهات.

حامي الظعينة أين منه ربيعة ... أم ابن من عليا أبيه مكدم
في كتفه اليسرى السقاء يقله ... وبكفه اليمنى الحسام المخذم
مثل السحابة للفواطم ريه ... ويصيب حاصبه العدو فيرجم

فالسحب تأتي بماء ينيب الزرع والكلأ ويحيى الجدب وينقذ من المحل وتأتي بحاجب من صواعق محرقة تدع من وقعة عليه رميماً وبرد تذر من صادفته هشيماً، فالسحابة من جهة منعشة ومن جهة متلفة وقد كان أبو الفضل بهذه الصفة يروي عطش الفواطم بما تنيله كفه ويصب على الأعادي حاصباً من سيفه الذي يفعل فعل الصاعقة بجنود أهل الشقا.

بطل إذا ركب المطهم خلته ... جبل أشم يخب فيه مطهم
قسماً بصارمه الصقيل وإنني ... في غير صاعقة السما لا أُقسم

---

(١) القمر: ١١.

لولا القضا لمحى الوجود بسيفه والله يقضي ما يشاء ويحكم
حسمت يديه المرهفات وإنه ولولا القضا من حدهن لأحسم
فغدا يهم بأن يصول فلم يطق كالليث إذا أظفاره تتقلم

ما أنصف هذا السيد الراثي للعباس «عليه السلام» إذ جزم بأن قطع يديه منعه من الصولة، لا نظن ما ظنه الحلي «رحمه الله» فأنه «عليه السلام» قد صال عليهم والسيف بأسنانه، نعم كانت نكايته فيهم والحال هذه غير بليغة لأن الفم ليس بفعال كالساعد ولا يقوي على الضرب كالكف والليث لا تعوقه الأظفار المقلمة مع سلامة الأنياب، ولا تعدم منه زمجرة مرهوبة فإن زمجرة الليث أثرها كبير في الإرهاب فزمجرته مخوفة وزئيره مرعب وإن لم يكن ظفر ولا ناب.

نعم لنا شيء واحد لم يتعرض له الشاعر وهو أهم ما يلفت إليه نظر أرباب الفكرة الثاقبة وهو الوقاية فإن اليد يتلقى بها المحارب ما يصل إليه من سلاح الأعداء فليت شعري بماذا يرد أبو الفضل عن نفسه السلاح المصوب إليه المسدد نحوه وقد قطعت يداه وأُبينت كفاه؟ فلست أشك أن كل ضربة سيف وطعنة رمح تنفذ إلى جسمه الشريف.

وناحية ثانية أعظم خطورة أن الفارس إذا تردى عن جواده وسقط على الأرض إنما يتلقاها بيديه وماذا صنع العباس «عليه السلام» حين سقط عن جواده ولا يد عنده يتقي بها الأرض وإن كان سقوطه على المروي كان على وجهه فلا ريب أن السهم الذي أصابه في عينه وفي قلبه قد خرجا من قفاه.

أمن الردى من كان يحذر بأسه أمن البغاث إذا أُصيب الضيغم

هكذا جائت النسخ «الضيغم» وكذلك أتفق القراء من خطباء المنبر عليه وهو غلط واضح والصحيح «القشعم» لأن البغاث من الطير فلا يصل إليها إلا طائر فهي لا تحذر من السبع الذي إذا ارتفعت عنه فأتته وأمتنعت منه بالطيران وإنما تحذر من سبع يطير خلفها إذا طارت وينقض عليها إذا وقعت وهو القشعم لا غير وهو المسمى بالعقاب أحد سباع الطير وكواسرها، فهذا غلط لفظي في هذا في هذا البيت.

وغلط معنوي يجب أن ينبه عليه وهو أن البطل العظيم النكاية تغرس له نكايته هيبة في قلوب أعدائه فلا يتجاسرون على الدنو منه ما دام فيه رمق الحياة وقد قال خالد بن جعفر الكلابي وحذره النعمان بن المنذر فتك الحارث بن ظالم

المري: أبيت اللعن لو وجدني نائماً ما أيقظني، والحارث فارس غطفان وأحد فتاك العرب وقد مات ربيعة بن مكدم على فرسه متكئاً على رمحه فلم يجسر أحد على الدنو منه حتى رموا الفرس فشبت وانقلب عنها وفاتتهم الضعائن.

وسيد الشهداء أبو عبد الله الحسين «عليه السلام» بقي مغمى عليه مدة فما دنى منه أحد هيبة له، ومن تجاسر على الدنو منه رمقه بطرفه فيرمي السيف ويولي هارباً، وقد نص الحديث أنه أُغمي عليه ثلاث ساعات من النهار والعسكر واقف على مقربة منه وأختلفوا في شأنه فمنهم من قال قد مات ومنهم من قال صنع هذا حيلة وآخرون قالوا: قد ضعف عن القتال وآخرون قالوا: قد نزفته الدماء فضعف عن القيام، فقال عمر بن سعد: إن أردتم أن تعلموا حي هو أم ميت فأهجموا على مخيمه فإنه إن كان فيه رمق الحياة فستأخذه الغيرة على حرمه وبهذه الفعلة الجلفية استعلموا خبره فإنه نهش وسقط فجعلوا يرضخونه بالحجارة ويرمونه بالسهام ويطعنونه بالرماح على بعد حتى لم يبق منه إلا الرمق اليسير.

وأنظر إلى الحالة التي أمتاز بها على كل بطل في العالم وهي التي لم يقع لها نظير في الدنيا منذ نشئة الحروب حتى اليوم أن محتضراً في السياق وبآخر رمق وفي آخر نفس يكاد يلفظ معه روحه الطيبة وإنه ليعالج سكرات الموت فتبدر إليه أرباب القوة والجلد وأهل الشجاعة والفروسية لتجهز عليه فتحتز رأسه تتقرب به من أميرها فإذا دنى الشجاع المجرب منه ورمقه بطرف سقط السيف من يده وولى هارباً، وقد رثاه السيد حيدر الحلي بقوله:

فما أجلت الحرب عن مثله ... صريعاً يجبّن شجعانها

وتبعه السيد جعفر الذي نحن بصدد النقد له فقال:

يوم الوغى تكفيه عن سيفه ... كرات عينيه إذا مارنا

فأبو الفضل أيضاً ترهب الشجعان الدنو منه هيبة له وإن قطعت يداه.

وهوى بجنب العلقمي وليته ... للشاربين يداف فيه العلقم

فمشى لمصرعه الحسين وطرفه ... بين الخيام وبينه متقسم

هكذا شيمة الحر وسجية الغيور يصرف جل أهتمامه في حياطة حرمه وصيانة مخدراته؛ فالحسين «عليه السلام» عند سماع صوت أخيه العباس «عليه السلام» أدركني يا أخي، لم يجد بداً من إجابة نداء ذلك العزيز الذي لا يعدله شيء في الحقيقة ولم يأمن هجمة العدو على خيامه لقربه منها وعدم المدافع والممانع دونها

فسار نحو المسناة بعينين عين تنظر أمامه المقدمين عليه من الأبطال والمعترضين طريقه إلى أخيه العباس «عليه السلام» وعين تنظر خلفه تراعي تلك العقائل المحجوبة كما قيل في مرثيته «عليه السلام»:

يرعى الوغى وخيام النسا فعين لهن وعين لها

ومضى بأُذنين سميعتين أُذن مصغية إلى المخيم تستمع ضجة النسوة عند هجمة الأعداء وأُذن مصخية لصوت عزيزه العباس «عليه السلام»: عليك مني السلام يا أبا عبد الله أدركني يا بن رسول الله، فيكون هذا الصوت دليله إلى مصرعه في أي ناحية من نواحي الميدان لأن الأعادي أكتنفوه وأحاطوا به.

ألفاه محجوب الجمال كأنه بدر بمنحطم الوشيح ملثم
فأكب منحنياً عليه ودمعه صبغ البسيط كأنما هو عندم
قد رام يلثمه فلم ير موضعاً لم يرمه عض السلاح فيُلثم

يظهر من هذا البيت أن العباس بن علي وعلى بن الحسين الأكبر «عليهما السلام» جميعاً إنهما قد أثرا في فجار أهل الكوفة أثراً كبيراً وعظمت نكايتهما في جيش الملحدين لذلك ازداد عليهما حنق أهل الكوفة الفجرة وأشتد غيظهم حتى وزعوهما بالسلاح توزيعاً وقطعوهما إرباً إرباً وبلسان العوام «هبوره وذره وذره»، بعد سقوطهما عن متن جواديهما في الحومة ووقعا في وسط الميدان وقد ورد في صفة شهادة كل واحد منهما أنه ما حمل منه جانب إلا وسقط جانب.

نادى وقد ملأ البوادي صيحة صُم الصخور لهولها تتألم

لا أحسب أن من يقرأ هذا البيت لا يفهم أن الحسين «عليه السلام» صرخ على أخيه العباس «عليه السلام» صراخ المثكلات بأعلىٰ الصوت والرنة المرتفعة بالبكاء الذي يطلق عليه إسم الصراخ، هذا ظاهر البيت والحقيقة والواقع يدفعان ذلك وحاشى الإمام الحسين «عليه السلام» من الصراخ المفرط ورفع الصوت المزعج والإعلان بالنياحة كما يفعل ضعفاء الناس وأهل الجزع والهلع وإن عظم الفقيد وعز الراحل الكريم، الحسين «عليه السلام» حسين الوقار، حسين المهابة، حسين الصبر والجلد، حسين الفضيلة، حسين الحفاظ والشمم، حسين الإباء والحمية، حسين الرزانة والحشمة، حسين العزة والعظمة، حسين الجلال، هكذا أقول حسين حسين حتى أستوعب كل الفضائل البشرية والمحامد الإنسانية فهو أجل من كل ما أصف به وأنعته وأطريه وثنائي قاصر عن توفيته حقه، فالإمام الحسين «عليه السلام» لا يرتكب أمام العدو الشامت والخصم الكاشح خطة

النقص التي هو منزه عنها دوماً، ولا يسلك جادة المذلة ولا يسير على طريق الهوان كلا وهو أبي الضيم، حليف العز، أليف الفخار.

نعم، بكى على أخيه العباس «عليه السلام» بكاء الرقة ونشج نشيج المحزون وإنما هذه الصرخة التي ملأت البوادي وتألمت لها الصخور ليست بصرخة البكاء وإنما هي صرخة الغضب على أهل الكوفة وصيحة الغيظ على قتله أخيه وعضده وناصره وعميد عسكره وحامل رايته ومن لا يسام بالدنيا كلها ثمناً ولا تبلغ أن تكون قيمة أنملة من أنامله كما روي في بعض المقاتل أنه صاح فيهم صيحة عظيمة: أين تفرون وقد قتلتم أخي؟ أين تذهبون وقد قتلتم ٱبن والدي؟ فجعلت الخيل والرجال يسحق بعضها بعضاً لشدة صيحته وعظيم نكايته فيهم.

أأُخي يهنيك النعيم ولم أخل ترضى بأن أُرزى وأنت منعم
أأُخي من يحمي بنات محمد إن صرن يسترحمن من لا يرحم
ما خلت بعدك أن تشل سواعدي وتكف باصرتي وظهري يقصم

هذا خيال تخيله هذا الشاعر وتمثيل وهمي مثله شعوره وإحساسه في أن الحسين «عليه السلام» هكذا ينبغي أن ينطق وهكذا ينبغي أن يقول لأن الواقع يقتضي هذا لا أنه صادر من الحسين «عليه السلام» بهذه الألفاظ وهذه المعاني غير أنه قال: الآن انكسر ظهري وقلّت حيلتي وشمت بي عدوي، فتراءى لهذا الشاعر أن الفاجعة التي تقصم الظهر تكف الباصرة وتشل السواعد ونعم ما تخيله هذا السيد وأصاب في تمثيله إذ الشعور يقوم مقام الظهور فتقديم العباس «عليه السلام» نفسه أمام الحسين «عليه السلام» كعين تبصر ما يتقي من المحاذير وذبه بسيفه عنه قد ما يؤدي ما تؤديه سواعده وبعد فقده شل الساعد وكفت الباصرة وأنقصم الظهر.

لسواك يلطم بالأكف وهذه بيض الضبا لك في جبيني تلطم

ما أجاد هذا السيد التعبير عن المعنى المقصود له وما أحسن تأديته وإن قارب بين مصرع الحسين ومصرع العباس في البيت الذي يأتي وإنه لم يبق مجال للطم لسرعة اللحاق به فناب لطم السيوف لجبينه عن لطم الكف لجبهته كما هي عادة فاقدي الأعزاء وهذا وإن كان مألوفاً عند كثير من الناس أن الفاقد إذا علم أنه قريب اللحوق بالمفقود تسلى عنه وتعزى بما سيصير إليه من الالتحاق به سريعاً لكن هذا المعنى حقير لا قيمة له وتافه لا يرفع الإشراف لمثله رأساً ولا ينظرون إليه ولكن المقصود معنى أعظم وأجل وأنبل وهو أن الفقيد العظيم لا يطفئ حرقة أفتقاده ويشفى لذعة الأسى ضرب الجبين بالكف ولا لطم الجبهة بالراحة إنما حقه

أن تلطم جباه الأعداء بالسيوف وتلطم هاماتهم بالأعمدة لكن أنفراد الحسين «عليه السلام» بين هذه الجماهير التي سدت الفضاء عليه عكست الأمر فصكت جبهته بأسيافها ولطمت جبينه بحداد مواضيها فكان هذا لطماً للعباس «عليه السلام» بدل لطم الأكف وهذه الطريقة وهي لطم وجوه الأعداء بالسيوف انتقاماً منهم لقاتلي الأعزاء يتحراه كثير من شجعان العرب، فقد قال بعض الأبطال في قتل أخيه:

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا ... فإن بها ما يدرك الطالب الوترا
ولست كمن يبكي أخاه بعبرة ... يعصرها من غرب فعلته عصرا
ولكنني أشفي فؤادي بغارة ... الهب في قطرى كتائبها جمرا
ونحن أُناس لا تسيل دموعنا ... على هالك منا وإن قصم الظهر

وهذا ما أراده الحسين أن ينتقم به من قتلة العباس «عليه السلام» في شن غارة عليهم ولكن الظروف الحرجة قد سدت طريق هذا المقصد وحالت بينه وبين تنفيذه إذ فقد الحماة وعز عليه النصير فما أستطاع إلا أن يبذل مهجته ويرد مورد أخيه العباس «عليه السلام».

وقال فارس هوازن وبطل القيسية دريد بن الصمة القشيري وقتلت غطفان أخاه عبدالله:

تقول ألا تبكي أخاك وقد أرى ... مكان البكا لكن بنيت على الصبر
فمقتل عبدالله والهالك الذي ... على الشرف الأقصى قتيل أبي بكر[1]
وعبد يغوث أو نديمي مالك ... وعز مصاباً خير قبر على قبر
أبى القتل إلا آل صمة إنهم ... أبو غيره والقدر يجري على القدر
فإما ترينا لا تزال دماؤنا ... لدى معشر يسعى لها آخر الدهر
فإنا بلحم السيف غير نكيرة ... ونلحمه طوراً وليس بذي نكر
يغار علينا واترين فيشتفي ... بنا إن أصبنا أو نغير على وتر
بذاك قسمنا الدهر شطرين بيننا ... فما ينقضي إلا ونحن على شطر

هذا كثير في كلامهم وفي مراثي الحسين «عليه السلام»، ومنه ما قال السيد حيدر الحلي «رحمه الله» من قصيدة:

ودعي صكة الجباه لؤي ... ليس يجديك صكها والدموع

---

(١) أبو بكر بن كلاب لا أبو بكر بن أبي قحافة فإنهم قتلوا أباه الصمة.

أفلطماً بالراحتين فهلا بالسيوف لا تتقيها الدروع

هذا هو المعنى الصحيح لا ما قصر عنه بيان الناظم وبقية القصيدة:

ما بين مصرعك الفظيع ومصرعي ألا كما أدعوك قبل فتنعم
هذا حسامك من يفلّ به العدا ولواك هذا من به يتقدم
هونت يا ٱبن أبي مصاع فتيتي والجرح يسكنه الذي هو ألم
يا مالكاً صدر الشريعة إنني لقليل عمري في بكاك متمم

ومالك الذي قتل في خلافة أبي بكر هو ٱبن نويرة فارس بني يربوع وبطل تميم وبكاه أخوه متمم حتى مات وتقدم ذكرهما، وأفردنا لمالك كتاباً سميناه بأسم فارس ذي الخمار لم يطبع، هذا ما أخترناه من مراثي العباس الكثيرة.

وللمؤلف من جملة قصيدة:

أشكو قساوته علي وجوره من دون صحبي في للعباس
شبل الوصي وناصر الدين الذي تغني مهابته عن الحراس
قمر العشيرة ليثها مقدامها قناص آساد الشرى ذو الباس
صعب المراس إذا تظافرت القنا ما أن سواه بحصن صعب مراس
هو صاحب السيف الصقيل يسله لا يتقي في الحرب بالأتراس
رواه من هام الكماة ورمحه ينقض مختطفاً سراة الناس
حامي ظعينة كربلاء بصارم صادي الحديد رواه قحف الرأس
سل عنه يوم الطف لما أقبلت ملأ القفار كتائب الأرجاس
يوماً عبوساً قمطريراً شره متطاير بتهافت الأنفاس
جلاه والمغوار فيه عابس سيف تشعشع في يد العباس
ما قطبت فرسانها إلا سطا متبسماً بطلاقة استئناس
يسطو عليهم في بسالة حيدر في عزم حمزة فارس المهراس
متمايلاً بين القنا كتمايل الـ نشوان بين شقيقها والآس
متسربلاً في الروع درعاً ضافياً من عزمه وحفاظه وإلباس
يرتاح للبيض الحداد وومضها مثل ارتياح أخي الطلا للكأس
سل الحسام فلا ترى مذ سله إلا هوي يد وقحفة راس

ثلت عروش الكفر شفرة حده والدين أصبح ثابت الأساس
بأبي ٱبن خير الناس بعد محمد من لا نظير له بكل الناس
نعم المواسي للحسين بنفسه وبسيفه للدين نعم الآسي

وللمؤلف أيضاً:

لا أنسى موقف عباس بن حيدرة يوم الطفوف ولا آثاره أبدا
واسى أخاه بنفس لا عديل لها ودونه قدم الإخوان والولدا
كي يفتدي سبط خير الأنبياء بهم أبا الائمة حقاً سيد الشهداء
لما تفانى سراة الناصرين له وكل شهم كريم ماجد فقدا
ولم يرى في خيام السبط من رجل غير العليل ولم يسمع مجيب ندا
أتى الحسين ودمع العين منحدر مثل الجمان على الأبريز قد نضدا
ناداه أيبن رسول الله أوحشني أن لا أرى في خيامي باقياً أحدا
وإنني لم أطق صبراً ولا جلدا فقد ألاحبة مني أذهب الجلدا
نفسي تحب لقاء الله عن عجل كيما ترافق في جناته السعدا
دعني أموت فموت العز أشوق لي ولا أراك لدى الأعداء منفردا
لا استطعت دفاع الموت عنك لما باليت في دفعه بالنفس مجتهدا
لكنما الموت أمر لا مرد له وما بدفع القضا من حيلة أبدا
ولست أملك إلا النفس اجعلها لك الفدا ووقاء لم أقل فندا
أتيت أطلب منك الإذن قد سئمت نفسي الحياة وعيشي قد غدا نكدا
إني أرى كل حر من ذوي رحمي ورد المنية قبلي ظامئاً وردا
من مات تحت ظلال السمر ميتتهم فذاك حي يلاقي عيشة رغدا
وعد المهيمن حتى لا خلاف له والنفس راغبة فيما به وعدا
قال الحسين له أما عزمت على قتال الذي بغياً عليّ عدا
خذا السقاء لتستقي لصبيتنا ماء فجمر الظما في قلبها أتقدا
قد كنت حد حسامي أن أُجرده على الأعادي ولي في الشدة العضدا
هذا رضيعي منذ اليوم قد ذبلت منه الشفاه وما درت عليه ثدا
فقال سمعاً لأمر ٱبن الرسول ومن عليّ طاعته مفروضة أبدا

فودّع السبط والهندي في يده ... مع السقا وعلى جمع العدو عدا
لما رأته جنود الكفر عن كثب ... قال أبو الفضل هذا أم عليّ بدا؟
أم إنه قابض الأرواح لاح لنا ... أم نافخ الصور وافى لابساً جسدا؟
كأنما آذن الباري بقدرته ... محو البرية حتى لن يدع أحدا
ما راعهم غير صوت ٱبن الوصي أنا ... نجل الوصي ألا فلتخسأ البعدا
صيد الكماة لوت أعناقها هرباً ... مثل العفرني رأى دون الشرى نقدا
والضأن تذهب في البيداء مجفلة ... عن الرعاة إذا ما عاينت أسدا
والثابتون حياء في مراكزهم ... لدى القراع فما لاقوا بها رشدا
إن المنية من ست الجهات بهم ... محيطة وأقام المشرفي رصدا
فلم يزل يحصد إلهامات مرهفه ... حصد الزروع ولم يضبط لهم عددا
فأورد الناكثي الميثاق صارمه ... ناراً تلظى وبئس الورد إذ وردا
نزاعة للشوى ناراً مسجرة ... من عصبة الله لا تطفى إذن أبدا
إن الزبانية الأفظاظ تضربهم ... مقامعاً مذ بهم حادي الفناء حدا
لولا القضاء وأمر كان عن له ... إذ رام أن يلحق الأبرار والسعدا
لم يبق من جيش أهل الغدر مرهفه ... من نافخ ضرمة أو مخبر أبدا
لكن أتى القدر الجاري بمبرمه ... فأورد البطل المرهوب بحر ردى
حتى هوى في ضفاف النهر منجدلاً ... ومخ يافوخه في عينه جمدا
ونبلة العين قد أودت بناظرها ... ونبلة القلب منه شكت الكبدا
هذا وأسياف أهل البغي ما تركت ... عضواً صحيحاً ولا كفاً ولا عضدا
لما رأى القوم قد طافوا به زمراً ... والكل منهم يراه حانقاً حردا
نادى أغثني أبا السجاد يا ٱبن أبي ... لكن لنزف الدما لم يفصحن بندا
فأقبل السبط مثل الصقر حين هوى ... على البغاث فخلى جميعهم بددا
ثم أنحنى يلثم العباس منتحباً ... وقد تنفس من حر الأسا صعدا
يدعو كسرت أخي ظهري وقد شمتت ... بي العداة وهم والله شر عدا
وإن أعظم ما لاقى أخو كرم ... شماتة من عدو خالطت حسدا
ماذا أقول لأطفال ومرعبة ... من النساء إذا ما عدت منفِردا

إن قلن لي أين حامينا وحارسنا ... إذا العدو لنا بالسوء قد قصدا
فما الجواب وما قولي لظامئة ... تقول أبعد عمي اليوم لا بعدا

وللمؤلف أيضاً:

يا حامل العِلْم بل يا حامل العَلَم ... والقائل الفصل في الأحكام والحكم
ونائلاً كل مطلوب بهمته ... ما لم تنله كبار العزم بالهمم
فإن يومك يوم الطف سدت به ... بابن الوصي سراة العرب والعجم
يا جامعاً لخصال المجد أجمعها ... وحائزاً لمزايا الحمد والشيم
إن يذكر العلم منكم كان منبعه ... أو يوصف الجود كنتم منتهى الكرم
سر يا أبا الفضل للعليا على مهل ... مداك ما رامه ماش على قدم
لم يخلق الله بعد الأنبياء فتى ... والأوصياء بصلب طاب أو رحم
يحكي علاك فلا والله ما نظرت ... عين العلا شبه العباس في شهم
والدين يشكر أعمالاً نهضت بها ... والمجد يحسبها من أفضل النعم
وكيف تنسى العلا يوماً لقيت به ... داعي المنون يثغر منك مبتسم
حفظت حق حسين حين ضيعه ... أهل الشقاء بنو عبادة الصنم
وفيت إذ نقضوا ما أكدوه له ... أهل الضلال من الايمان والقسم
لما دعا السبط أين الحافظون بنا ... محمداً خيرة الباري من النسم
أجبت لبيك داعي الله حفظكموا ... فرض من الله محتوم على الأُمم
فقد أجابك قلبي يا ٱبن فاطمة ... كما أجابت يدي داعي الهدى وفمي
فكنت في ذاك أولى العالمين به ... وكنت أوفاهموا بالعهد والذمم
قام الحسين بوعظ القوم ممتطياً ... لناقة المصطفى العضباء من قدم
عليه برد يمان كان يلبسه ... خير البرية في الأعياد ذي علم[1]
وقد تعمم محتجاً بعمته ... وهي السحاب وطرف الناس عنه عمي
في كفه سوطه الممشوق يحمله ... وسيفه الصارم المعروف بالخذم
نادى أنصتوا فأسمعوا قولي وموعظتي ... وراجعوا عقلكم يا أسفه الأُمم
فهل يحل لكم قتلي وسفك دمي ... لفاجر جاهر في فسقه أثم

(١) مُعلَم: عليه علامة.

رماه شمر بسهم من جهالته ... والشمر شر امرىء يمشي على قدم
وقال هذا جواب الوعظ فابتدرت ... سهامهم نحوه كالقطر من ديم
ثم انكفا قابضاً بالكف شيبته ... يشكو ظلامته لله ذي الحكم
نادى الحسين كمات الحرب أُسرته ... وصحبه سروات العرب والعجم
قوموا إلى الموت ذي رسل العدو لكم ... تواثبوا كأُسود الغاب والأجم
وقد دعا بأخيه وابن والده ... عباس حلو السجايا طاهر الشيم
وقال يا بطل الهيجا وفارسها ... أنت العميد فقف في القلب بالعلم
وفي اليمين زهير الليث قائدها ... وفي اليسار حبيب الخير ذو الشمم
فلم يزل ثابتاً في خط مركزه ... حتى قضى كل قرم باسل وحمي
ولم يرى في خيام السبط من أحد ... سوى الأرامل والايتام والخدم
أتى الحسين ودمع العين منحدر ... وقلبه من حماس الجد ذا ضرم
ناداه يا أبن رسول الله قد فنيت ... أهل الحفاظ جميعاً من ذوي رحمي
لم يبق غيري ومن عزمي اللحاق بهم ... ولا أراك خضيباً في نجيع دم
فودع السبط توديع الفراق له ... ولم يرد عودة حياً إلى الخيم
ثم أمتطى الأدهم الميمون فارسه ... وسار يمسح وجه الأرض بالقدم
وصاح فيهم أنا العباس فأنقسمت ... أبطالها بين مصروع ومنهزم
وهكذا صولة الضاري وصيحته ... فيها تشتت قطعان من الغنم
ولم يزل يحصد الهامات مبتدراً ... شط الفرات بقلب عاد ذا ضرم
حتى إذا ملك الأوفى شريعتها ... وزم من مائها كفاً لبل فم
تذكر السبط والأطفال ثم رمى ... بالماء من كفه فعل التقي الشهم
قال المواسات للأطهار من خلقي ... وإن إيثار آل الله من شيمي
وعاد للحرب والفساق قد قطعوا ... طريقه فأنتحى ضرباً على القمم
وجلل الأرض بالقتلى وصيرها ... بحراً عظيماً ولكن زاخراً بدم
حتى إذا اجتاز في خط الكمين برا ... كفيه رجسان من عبادة الصنم
وشك مقلته سهم وهامته ... مفضوخة بعمود الملحد الآثم
فخرّ حول ضفاف النهر سافحة ... دماؤه فاحصاً للترب بالقدم

يدعوا الحسين أغثني يا أخي وقضى ظامي الحشا واللوا حول العميد رمي

أرسل إليّ الشاب المهذب عز الدين الجزائري هذه القصيدة وذكر أنها أُهديت إليه من صديق ونسيت الأسم لأنه لم يكتب عليه بعنوان كامل غير أن في القصيدة إسم الشاعر وهي هذه:

ألفت قراع الشوس من حين مولدي وحالف هامات الكماة مهنّدي
وشاهدت الحرب العوان مواقفي وما أنكرت في حومة الموت مشهدي
إذا ما أُسيكر النقع أمطر صارمي بهام الأعادي مبرقاً أثر مرعد
أُعرض وجهي للأسنة والظبا وفي لجج الهيجا أروح وأغتدي
كان صليل المرهفات لمسمعي لدى الروع أحلى من تغاريد معبد
وقانى الطلى أشهى إليّ من الطلى أرى بأحتساها أي صهباء صرخد
وقد شاب فودي والفؤاد لوقعة أسى تركتني أصفق اليد باليد
ليوم أبي الفضل الشيهد لواعج لها في فؤادي غلة لم تبرد
أبو الفضل يوم الفضل يبسم للندى وعند أشتباك الخيل أول منجد
إذا زمجرت أبطالها وكماتها يلف المواظي بالوشيج المسدد
ويردي القروم الصيد في حملاته ويصدرها قهراً بحد المهند
ينير محياه بغاسقة الوغى ويجلو دجاها من سناه بفرقد
يكافح أبطالاً ويردي قساوراً وضيق في أشلائها كل فدفد
يجدل مقدام السرية إن سطا ويخرق ما ذي الحديد المسرد
يصول عليهم صولة حيدرية لهيبتها قلب السميدع يرعد[1]
إذا خفقت بالطعن راية بأسه تخفق رعباً من قلوب وأكبد
لقد حشدت عند الشريعة خيلهم وما ريع منه القلب منهم بمحشد
نحى جمعهم حتى تولت رجالهم وأوردهم من حتفهم شر مورد
تملك منهم للشريعة عنوة بضرب وطعن في ذليق وأملد
فهم بشرب الماء لكن وفاؤه أبى أن يذوق القلب طعم المبرد

---

(١) رفع يرعد لحن يسمى قواعد عند العرب عيب عندهم وإن استعملوه، إما في عصورنا فلا يجوز ارتكابه ولا عذر لقائله.

أيشرب ماء والحسين بن فاطم ... حشاشته من جمرها بتوقد
أحاط به جند ٱبن حرب وحزبه ... على كل موار الرحالة أجرد
فأورد آذي الدماء حسامه ... وما بل قلباً من نزا لهموا صدي
ولما دنت منه المنية قطعوا ... يديه ومنه الرأس تتبع بأعمد
فبادر بأدركني الإمام ٱبن والدي ... فغيرك مالي من حمى ومسعد
ومذ ساقت الريح الخطاب أجابه ... بصوت حزين بادي الحزن مكمد
وفرق عنه عصبه الغي وأنحنى ... عليه بقلب بالأسى متوقد
أبا الفضل يا مردي الجحافل في الوغى ... إذا الخيل جاشت بالحسام المجرد
أبا الفضل هاذي الخيل نحوي تطالعت ... كتائبها في أشأم أثر أنكد
أبا الفضل أين الوعد إن سكينة ... تؤمل ورد الماء منك بموعد
بقيت فريداً لا أرى من مساعد ... وبعدك حقاً بان عني تجلدي
عليك عزيز أن تسير بذلة ... بنات علي والبتول وأحمد
ويسرى بزين العابدين مقيداً ... عليلاً ألا نفسي فداء المقيد
بني حرب في حرب الحسين لبستموا ... به ثوب خزي للقيامة أسود
لئن نازعتكم في المعالي نفسكم ... فأين المعالي من إماء وأعبد
مرقتم عن الدين الحنيف ببغيكم ... وحالفتم الشيطان في كل مورد
بني الوحي قد أهدى علي إليكم ... خريدة فكر بالهموم مبلد
ألا فٱقبلوها فهي غاية جهده ... وجودكموا قدماً عليه تعودي
بها أرتجي الفوز العظيم بفضلكم ... وعيش رغيد في الجنان مخلد

انتهت ممن سمى نفسه علياً وهي بألفاظه، والظاهر إن نسختها بخطه والله أعلم.

وبهذا نختم وحسبنا الله ونعم الوكيل ونسأله العفو عنا وغفران ذنوبنا بحقه عليه وبحرمة محمد وآله عنده آمين.

تمَّ الكتاب

فهرس محتويات الجزء
الثالث

مقدِّمة المؤلف ٣

قصيدة للمؤلف ٥

منزلة أبي الفضل العباس عند أخيه الحسين «عليهما السلام» ٧

من رثاه أخاه من العرب ١٠

تأبين النبي ﷺ لعمه حمزة بن عبد المطلب ١٩

تأبين النبي ﷺ لولده إبراهيم «عليه السلام» ٢٠

تأبين الحسين لأخيه الحسن «عليهما السلام» ٢١

تأبين محمد بن الحنفية لأخيه الحسن «عليه السلام» ٢١

تأبين فاطمة الزهراء «عليها السلام» لأبيها رسول الله ﷺ ٢٢

تأبين أمير المؤمنين «عليه السلام» لخباب بن الأرت ٢٢

تأبين أمير المؤمنين علي «عليه السلام» لفاطمة الزهراء «عليها السلام» ٢٢

تأبين الخضر لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ٢٣

تأبين فرغانة للأحنف ٢٣

تأبين جبار بن سلمى نزال المضيق لأن عمه عامر بن الطفيل ٢٣

تأبين النجاشي الحارثي ٢٣

تأبين بني أُميه لعبد الله الجواد بن جعفر الطيار ٢٤

تأبين أبي ذر الغفاري لولده ذر ٢٥

تأبين الحجاج الثقفي لأخيه محمد وابنه محمد وقد هلكا جميعاً في يوم واحد . ٢٥

تأبين عمر بن عبد العزيز المرواني لابنه عبد الملك ٢٦

تأبين الحوراء زينب بنت أمير المؤمنين لأخيها الحسين «عليهم السلام» ٢٦

من يستحق التأبين عند الناس ٣٠

الوضائف السامية التي للعباس الأكبر عند الإمام الحسين «عليه السلام» ٣٢

العباس سفير الحسين «عليهما السلام» ٣٣

معرفة السفارة وأول تسميتها بهذا الأسم ٣٤

اشتقاق السفارة ٣٤

كيف اشتقت السفارة من المعنى اللغوي؟ ٣٤

معاني السفير ٣٥

رأي البستاني في السفير والسفارة ٤٣

أقسام السفراء الدولية ومهنتهم في عصور الحضارة ٤٤

شروط صلاحية السفير يستخرجها المؤلف من فحوى الكلمات ٤٤

مكانة السفير عند الدول الحرة والأُمم المتمدنة ٤٦

مراتب السفراء المدنية ٤٧

شروط قبول السفير عند دولة أُخرى ٤٧

حقوق السفراء القانونية ٤٨

بلوغ السفراء المحنكين غاياتهم ٤٨
العباس «عليه السلام» عميد العسكر الحسيني ٥٠
منزلة العميد في الجيش النظامي المتمدن ٥٠
معنى العميد لغة ٥١
ما تلفظه العوام ولا تعرف معناه ٥١
العميد عند الدول المتمدنة ٥٢
الحاجب والمرافق ٥٤
معنى المرافق لغة وعرفاً ٥٥
عدد المرافقين عند المدنيين ٥٦
الحجابة والحاجب والعباس هو حاجب الحسين «عليهما السلام» ٥٨
حقيقة الحجاب ٦٠
معنى الحجاب لغة ٦٠
الحجاب عند الملوك ٦١
بيان وإيضاح للحجاب ٦١
شروط الحاجب عند من يعتبر الحجابة ٦٤
أسباب الحجاب ودواعيه في نظر المؤلف ٦٤
أول من أسس الحجاب وسنّه في الإسلام ٦٧
ذم الحجاب للرجال ٧٥
سهولة الحجاب وشدته وطبقات الحجُّاب ٧٥

تقريع من شدّد الحجاب ٧٩
الاستئذان ٧٩
حجابة العباس الأكبر للحسين «عليهما السلام» ٨٠
حجابة العباس الأكبر «عليه السلام» كيف كانت؟ ٨٠
الدخول إلى الحرب ٨٣
تشكيل الخطط الحربية بكربلاء وغيرها ٨٣
خطة الدفاع ٨٤
تعبئة الحسين «عليه السلام» لجنده ٨٥
تعبئة جيش عمر بن سعد «لعنه الله» ٨٦
اختيار آبن سعد للكردسة شأن الضعيف مع القوي ٩٠
وسائل الظفر التي اتخذها جيش العدو ٩٨
أنظمة الأُمم في تعبئة الجيوش ١٠٣
التعبئة والنظام العسكري القديم ١٠٤
نقد المؤلف لمن ادعى استعارة العرب لألفاظ العجم ١٠٥
التعبئة والترتيب ١١٢
الأول وهو نظام الإسلام ١١٢
التعاليم الحربية في الالتحام ١١٨
نقد المؤلف لزعمهم أن الحرب خدعة ١٢٣
تعاليم القرآن المجيد وأنظمته ١٢٧

نظام القرآن ومِثَلْه العليا ١٢٧
تعاليم النبي محمد ﷺ وأنظمته ١٣٦
النصوص في تنظيمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» الحربية ١٤٦
تعبئة الجيش عند أمير المؤمنين علي «عليه السلام» وترتيبه ١٤٨
تقسيم الجيش إلى سرايا وكتائب ١٤٨
تعبئة الجيش في ساحة القتال ١٤٩
الدرجة الأُولى من القواد ١٥١
الدرجة الثانية من القواد ١٥٣
الدرجة الثالثة من القواد ١٥٣
تعاليم علي «عليه السلام» في الحرب ١٥٥
الاستنفار والانذار ١٥٦
إنذارات أمير المؤمنين «عليه السلام» لشعبه بالحرب ١٥٨
نسخة إنذار أهل الكوفة بحرب أهل البصرة ١٥٨
نسخة إنذار أهل البصرة بحرب أهل الشام ١٥٨
أنظمة أمير المؤمنين «عليه السلام» في الحرب ١٥٩
فائدة بث الطلائع لأُمور شتى ١٥٩
أنظمة أمير المؤمنين «عليه السلام» وتعبئة أهل القرون الوسطى ١٦٢
الثاني ترتيب أهل القرون الوسطى ١٦٢
نظام العشائر في عصرنا ١٦٧

تعبئة العشائر العراقية في عصرنا ١٦٧
أنظمة الدول الحديثة ١٦٩
تعبئة الجيوش وأنظمتها الدولية في العصر الحديث ١٦٩
تنظيم الجيش الدولي ١٦٩
شهادة العباس «عليه السلام» ١٧١
صفه القتال يوم كربلاء وشهادة العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» ١٧١
وقت شهادته «عليه السلام» ١٧١
كيفية شهادة العباس «عليه السلام» ١٧٤
أما كيفية شهادته «عليه السلام» ١٧٤
بكاء الحسين على العباس «عليهما السلام» ١٧٨
نقد المؤلف لمن أنكر وجود نخل بكربلاء ١٨٢
انتقام الله تعالى من قتلة العباس «عليه السلام» ١٨٤
صفة قتل الطائي ١٨٤
صفة قتل آبن الرقاد ١٨٥
أما صفة قتل ابن الرقاد ١٨٥
صفة قتل آبن الكاهن ١٨٦
أما صفة قتل ابن الكاهن ١٨٦
مرقد العباس حيث يزار الآن ١٨٨
الأسباب في ترك العباس «عليه السلام» في مكانه ١٨٨

السر في إبقائه حيث سقط ١٨٨
دفن الشهداء وأين دفنوا؟ ١٩٣
التعريف بالأسديين ٢٠٥
من هم الأسديون؟ ٢٠٥
شعر المؤلف في خطاب سيد الشهداء ٢٠٧
تشييد قبر الحسين والعباس «عليهما السلام» ٢١٠
عمارة المشهدين المقدسين الحسيني والعباسي ٢١٠
المزارات الأربعة لأبي الفضل العباس «عليه السلام» ٢١٥
أعضاء الحسين «عليه السلام» المبانة من بدنه المقدّس ٢١٩
كيفية فصل أعضاء الحسين «عليه السلام» من جسده ٢١٩
اختلاف الناس في موضع دفن رأس الحسين «عليه السلام» ٢٢١
رأس الحسين «عليه السلام» ورؤوس الشهداء معه ٢٢٥
صلب رأس الحسين «عليه السلام» ورؤوس الشهداء ٢٢٥
رأس الحسين «عليه السلام» عند يزيد وابن زياد ٢٢٧
ما مر برأس الحسين بن علي «عليهما السلام» من أبناء الأدعياء ٢٢٧
المزارات للرأس الحسيني «عليه السلام» ٢٢٩
رأس الحسين «عليه السلام» في دمشق مدفون ٢٣٠
المشهد الثاني لرأس الحسين «عليه السلام» بالرقة ٢٣٤
المشهد الثالث لرأس الحسين «عليه السلام» في عسقلان ٢٣٥

المشهد الرابع لرأس الحسين «عليه السلام» مشهد القاهر المعزيّة ٢٣٦
صفة المشهد الرابع عند الرحالة ٱبن جبير ٢٣٩
الشعائر الحسينية ٢٤١
المقام الحسيني بكربلاء ٢٤١
المعارضون لهم بالنفي البات ٢٤٣
المشهد الخامس لرأس سيد الشهداء الحسين بن علي «عليهما السلام» ٢٤٥
المشهد السادس لرأس الحسين «عليه السلام» القائم بظهر النجف ٢٤٩
المشهد السابع لرأس الحسين «عليه السلام» مع بدنه الشريف بكربلاء ٢٥٢
نصوص أهل السنة ٢٥٣
نصوص الإمامية ٢٥٤
الرأي القاطع في هذه النقول ٢٥٩
رأي العقاد ٢٥٩
رأي المؤلف في الرأس الشريف ٢٦٠
مزارات العباس الأربعة ومشهد رأسه الكريم ٢٦٣
ما جرى على رأس أبي الفضل العباس «عليه السلام» ٢٦٣
مزار رأس أبي الفضل العباس «عليه السلام» بالشام ٢٦٥
مزار الكفين لأبي الفضل العباس «عليه السلام» ٢٦٦
حديث صواب بعد قتل مواليه على لوائهم ٢٦٧
وأما مصعب بن عمير «رضوان الله عليه» ٢٦٧

وأما جعفر الطيار ٢٦٨
مزار الكف اليمنى ٢٦٩
مزار الكف اليسرى ٢٧٠
مزارات العباس «عليه السلام» ٢٧٢
مثوى العباس «عليه السلام» المقدس ٢٧٢
تاريخ عام شهادة الحسين والعباس «عليهما السلام» وشهداء آل محمد ﷺ ... ٢٧٣
كربلاء القديمة والتعريف بقراها عند نزول الحسين «عليه السلام» بها ٢٧٧
اشتقاق كربلاء ٢٧٨
الرجعة إلى كربلاء ٢٨١
كربلاء بجميع قراها ملك الحسين «عليه السلام» ٢٨٣
فضل كربلاء وشرفها بالحسين «عليه السلام» ٢٨٣
الطف أو طف كربلاء ٢٨٥
حائر الحسين «عليه السلام» وتحديده ٢٨٩
اشتقاق الحائر وسبب تسميته به ٢٩١
مسلك اللغويين والجغرافيين على مشربهم ٢٩١
مسلك الفقهاء من الشيعة الإمامية والسبب الحقيقي لتسمية الحائر ٢٩٢
سبب التسمية بالحائر عند حملة الحديث ٢٩٣
نينوى من قرى كربلاء ٢٩٦
نينوى والتعريف بها ٢٩٦

الغاضرية من قرى كربلاء القديمة ٣٠١
النواويس أو مقبرة الحر ٣٠٧
قرية النواويس في كربلاء القديمة ٣٠٧
عقر كربلاء وعقر بابل ٣١٠
من قرى كربلاء عند نزول الحسين «عليه السلام» بها «شفية» ٣٢١
أقساس مالك ٣٢٣
ماء كربلاء القديمة أو نهر العلقمي ٣٢٤
منزلة أبي الفضل العباس «عليه السلام» عند الله تعالى ٣٣٠
كرامات العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» ٣٣٨
الفرق بين المعجزة والكرامة ٣٣٩
شروط المعجزة ٣٤٠
أنواع المعجز وأقسامه ٣٤١
اشتقاق المعجز ٣٤٢
الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر ٣٤٣
الفرق بين المعجز والسحر ٣٤٣
عودة إلى الفرق بين المعجز والسحر ٣٥٠
الفرق بين المعجزة والاختراع الحديث ٣٥٣
توضيح المؤلف لهذا المقام الغامض ٣٥٧
الكرامة أُخت المعجزة ٣٦٠

أولاد العباس بن علي «عليهما السلام» وأحفاده ٣٦٨
عبيد الله بن العباس ٣٦٩
محمد والقاسم الشهيدان مع عمهما الحسين «عليهم السلام» ٣٧١
أحفاد العباس بن أمير المؤمنين «عليه السلام» ٣٧٢
من أحفاد العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» ٣٧٦
من أحفاد العباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» عبيد الله الأمير بن الحسن بن
عبيد الله آبن العباس الشهيد بكربلاء. ٣٧٧
من أحفاد العباس الأكبر «عليه السلام» حمزة بن عبيد الله الرئيس بن العباس
الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهما السلام» ٣٨٠
من أحفاد العباس الأكبر «عليه السلام» إبراهيم الملقب جردقة بن الحسن بن عبيد الله
بن العباس الشهيد «عليه السلام» ٣٨١
ومن أحفاد العباس الشهيد «عليه السلام» الفضل بن الحسن الفقيه الشاعر
الشجاع ٣٨١
ومن أحفاد العباس الأكبر الشهيد «عليه السلام» محمد بن الحسن بن عبيد الله بن
العباس ٣٨٢
أعقاب هؤلاء الإخوة الخمسة من ولد الحسن بن عبيد الله بن العباس الشهيد
«عليه السلام» ٣٨٢
أعقاب العباس الخطيب بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد ... ٣٨٣
عبد الله بن العباس حفيد السابق ٣٨٣

محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الخطيب ٣٨٥

محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن العباس بن الحسن بن عبيد الله

آبن العباس الشهيد ٣٨٥

محمد بن حمزة بن عبد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس

الشهيد ٣٨٦

أحمد بن العباس الخطيب ٣٨٧

أعقاب عبيد الله الأمير قاضي الحرمين ٣٨٨

داود بن عبد الله بن عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد

«عليه السلام» ٣٨٨

إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبيد الله الأمير بن الحسن بن عبيد الله الرئيس آبن

العباس الشهيد ٣٨٨

الملاح الأُطروش ٣٨٩

القاسم بن عبد الله ٣٨٩

إسماعيل بن محمد اللحياني ٣٩٠

حيدر بن حمزة بن أميركا محمد بن علي بن داود بن القاسم بن محمد اللحياني ٣٩٠

الهدهد ٣٩٠

علي بن عبيد الله بن الحسن ٣٩٢

علي بن محمد بن علي بن محمد بن عبيد الله بن الحسن ٣٩٢

أعقاب حمزة بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد «عليه السلام» ٣٩٣

محمد بن علي بن حمزة ٣٩٣

أبو محمد القاسم بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد «عليه السلام» ٣٩٥

طاهر بن حمد بن القاسم بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد ٣٩٦

محمد بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن حمزة الشهيد بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٣٩٧

حمزة بن القاسم بن علي بن حمزة الشبيه ٱبن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد ٱبن أمير المؤمنين «عليهما السلام» ٣٩٧

محمد بن حمزة الشبيه ٱبن الحسن بن عبيد الله الرئيس ٱبن العباس الشهيد بكربلاء ٣٩٩

أعقاب إبراهيم جردقة بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد «عليه السلام» ٣٩٩

عبيد الله بن علي بن إبراهيم بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٣٩٩

والده علي بن إبراهيم جردقة ٱبن الحسن بن عبيد الله الرئيس ٱبن العباس الشهيد «عليه السلام» ٤٠٠

أبو الحسن علي بن يحيى بن علي بن إبراهيم جردقة ٱبن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس الشهيد «عليه السلام» ٤٠٠

أعقاب الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس الشهيد بن أمير المؤمنين
«عليهما السلام» ٤٠٠
العباس الأكبر بن الفضل الصديق بن الحسن بن عبيد الله الرئيس بن العباس
الأكبر الشهيد بكربلاء ٤٠٣
أما الحسن بن العباس الشهيد ٤٠٦
خاتمة ٤٠٨
في تأبين أبي الفضل العباس «عليه السلام» ومراثيه ٤٠٨
تأبين الشعراء ورثائهم للعباس الأكبر بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» ٤١٢
تأبين العباس «عليه السلام» وشرح المؤلف لبعض الأشعار ٤١٦

المكتبة الألكترونية الشاملة
لرفع ونشر الكتبpdf
(الأدارة: يوسف الرميض)